

جامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية
الدراسات العليا والبحوث
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

(الألسن العلمية والتطبيقية في تبليغ الدعوة الإسلامية)

رسالة جامعة للحصول على درجة العالمية " الدكتوراه "

إمام الديار

أحمد رفاعي إسماعيل

إشراف

الأستاذ الدكتور / محمد أحمد دياب

أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بأسسيوط

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَتَدْعُ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّنْ وَعَا إِلَى اللَّهِ
وَقِيلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ

[فصلت آية: (٣٣)]

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

شكر وتقدير وإجلال

أما الشكر فهو لله وحده صاحب المنن الكبرى والنعم العظمى والذي لولا عنايته وقدرته ورعايته ما خرج هذا البحث المتواضع على هذه الصورة .

ولذا فإنني مدين له بالشكر والحمد والثناء إلى أن تقبض روحى وينفضى الأجل يقول رب العزة سبحانه وتعالى (وإذ تاذن ربكم لئن شكرتكم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) (١).

وأما التقدير والإجلال فهو لمن أجرى لى الخير على يديه وهو أستاذى وشيخى ومعلمى ومشرفى .

الأستاذ الدكتور / **محمد أحمد دياب** - أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين .

فلقد أمدنى فضليته بالتوجيهات القيمة والإرشادات والنصائح الغالية وإليه يرجع الفضل - بعد الله سبحانه وتعالى - فى إخراج هذا البحث على هذه الصورة فإنه لم يترك شيئاً من النصائح والتوجيهات إلا وأسداها إلى ولم يترك عبارة فى هذا البحث إلا ونظر فيها ودقق وحقق وعدل من الألفاظ ما كان معوجاً لذا فإننى أمام هذا الفضل العظيم والكرم العميم مهما عبرت فإننى لن أوفيه حقه وقدره لذلك أتضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يجازيه خيراً فإنه سبحانه وتعالى هو الذى يستطيع أن يوفيه أجره ويعلى قدره ويجزيه عنى وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

الباحث ،

بسم الله
القادر

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين، فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الغر الميامين وعلى كل من سلك دربه واتبع هديته إلى يوم الدين

أما بعد

فإن الدعوة إلى الله تعالى ﷻ أشرف الأعمال وأقدسها وأحسنها وصدق الله العظيم إذ يقول (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) ولكن الدعوة ليست أمراً سهلاً يستطيع أن يقوم به كل من أراد ذلك فهي تحتاج إلى مهارات وقدرات خاصة فهي ليست من الأعمال البدنية البحتة ولكنها من الأعمال البدنية والعقلية والقلبية فهي بناء نفوس وما أصعب بناء النفوس، إن بناء النفوس سر من الأسرار الذي لا يقوى عليه إلا الذين صبروا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله، إنها رسالة الأنبياء وغاية المخلصين، ولذلك فإن بناء النفوس وتشبيدها على أساس الحق وتزكيتها بالصلاح والطهر مطلب عظيم وغاية عليا وهدف من الأهداف النبيلة، ما أعظم الإيمان في بناء النفوس وما أجمل رسالة التوحيد في تقويمها قال تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) وهل بيني النفوس إلا الدعاء إليهم أصحاب رسالة عظمى وهدف نبيل، وليسوا عبيد وظيفة إليهم الذين يرتفعون بالنفوس من غياهب الظلمات وفلول الدجى وحضيض الغبراء إلى بازغ العلياء إليهم ورثة الأنبياء

والأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر، إن لكل قفل محكم أصيل مفتاحا معيناً مهما تحاول فتحه بغيره كانت محاولتك عبثا لا فائدة منها ولا طائل تحتها إلا إضاعة الوقت والجهد في تجارب فاشلة، إن الإسلام هو الذي يصلح الإنسان وبيئته وهو المفتاح الذي يفتح الله به قلوبا غلغا،

ونحن في عصر التقدم العلمي المذهل، عصر الإعلام المسيطر، عصر تقال فيه الكلمة في أي مكان في العالم فتصل في التو واللحظة إلى جميع العالم، إننا نحتاج إلى داعية يحسن الكلمة ويجيد القول فيعرض الإسلام بصورة صحيحة ويقدمه للناس معتدلا غير متشدد فيه ولا مغال، داعية يرد الشبهات التي أشيعت عن الإسلام بأنه دين الإرهاب والتطرف والتخلف، ولو أننا أحسنا عرض الإسلام وتقديمه واخترنا الوقت المناسب والحالة المناسبة، وسخرنا العلم وأخذنا بكل الأسباب التي هيئها الله لنا لاستطعنا أن نقبض على أزمة النفوس ولساد الخير ونمت الفضيلة وانتشرت مبادئ الإسلام السمحة، هذه هي مهمة الدعاة الذين سوف يقومون بعرض الإسلام، والدعاة الذين سوف يقومون بهذه المهمة لابد أن تتوافر فيهم صفات معينة تؤهلهم للقيام بالمهمة على خير وجه، وعليهم أيضا أن يأخذوا بالمنهج الحديث والوسائل العلمية المتطورة حتى يحققوا مهمتهم على أكمل وجه.

هذا ما أردت توضيحه في هذا البحث المتواضع والذي أخذت على نفسي أن أكون فيه موضوعيا بحيث أركز على العناصر الأساسية، وحتى يكون الداعية على بصيرة من أمره، والله المستعان وعليه التكلان وإليه المرجع والمصير.

سبب اختياري للموضوع:

١- الحاجة إلى دعوة منظمة :

إن الدعوة الإسلامية في العصر الحديث تحتاج إلى تنظيم وإعداد والأخذ بالمناهج العلمية الحديثة وإعداد الدعاة، والاستعانة بالأساليب المتطورة للوصول للهدف.

٢- الحاجة إلى داعية يحسن الدعوة :

إن الداعية الناجح كالطبيب الناجح يعرف من أين يبدأ ثم لا يبدأ قبل أن تتوفر لديه إمكانية التشخيص والمعالجة، ودعاة الإسلام يجب أن يتصفوا بصفات معينة حتى يستطيعوا القيام بالمهمة على خير وجه، إن الإسلام بحاجة إلى داعية يحسن ولا يسيء، فكم من دعاة شوهوا الإسلام بسوء دعوتهم، فكانوا وبالاً على الإسلام .

٣- إظهار الإسلام والإعلان عنه :

ونحن في عصر الإعلام سواء الإعلام المسموع أو المرئي أو المقروء يجب علينا أن نعلن عن ديننا الدين الحق ونظهره للناس ونكشف عن مبادئه الصحيحة خصوصاً وقد كثرت المذاهب والأفكار الهدامة وأصبح كل صاحب مذهب وفكر يحاول جاهداً أن يعلن عنه بشتى الوسائل والطرق فعلىنا أن نستفيد من وسائل الإعلام هذه ونستخرها في خدمة الدعوة .

٤- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إن دعوة الناس إلى الحق وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر واجب إسلامي ولكن يتأكد وجوبه على العاملين في حقل الدعوة لأن هذا هو المهمة الأساسية لهم

خاصة

منهجي في البحث

اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة أما المقدمة فقد ذكرت فيها سبب اختياري للموضوع ومنهجي في البحث .

الباب الأول عنونه (الأسس العلمية في تبليغ الدعوة الإسلامية)

وقسمته إلى فصلين

الفصل الأول :تحدث فيه عن (أساليب تبليغ الدعوة) فذكرت الأسلوب العلمي وأهمية الأخذ به في تبليغ الدعوة وذكرت أيضا فيه الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى وذكرت القصة والمثل كأسلوبين من أساليب تبليغ الدعوة ثم أردفت ذلك بالقدوة الحسنة ومدى تأثيرها في المدعو وختمت الفصل بأهمية استخدام أسلوب الترغيب والترهيب في تبليغ الدعوة .

الفصل الثاني :تحدث فيه عن أهم وسائل تبليغ الدعوة سواء أكانت وسائل مباشرة مثل الخطابة والموعظة والندوة والمناظرة والمحاضرة والدرس، ووسائل غير مباشرة مثل الكتابة والبحث والمقال والبيان والإذاعة والصحافة سواء المدرسية أو المسجدية وشرائط الكاسيت وشرائط الفيديو والتلفزيون والملصقات واللافتات والمدليات والكمبيوتر وأخيرا شبكة الإنترنت .

الباب الثاني عنونه (التطبيق العملي للدعوة)

وقسمته إلى أربعة فصول

الفصل الأول: تحدث فيه عن الإقتداء بسنن الأنبياء واتباع منهجهم في الدعوة وذكرتهم منهم أولى العزم عليهم السلام .

ج
الفصل الثاني : تحدثت فيه عن سير بعض البارزين من الصحابة ومنهجهم في الدعوة وكذلك بعض التابعين ثم ختمت الفصل بذكر بعض المعاصرين من الدعاة ومنهجهم في الدعوة .

الفصل الثالث : تحدثت فيه عن الجهاد وأثره في تبليغ الدعوة وذكرت مبادئ الجهاد والرد على من زعم أن الإسلام دين العنف وأنه انتشر بحد السيف .

الفصل الرابع : تحدثت عن المؤسسات الدعوية وذكرت الأزهر كمؤسسة دعوية وأثره في الدعوة وتحدثت عن علماء الأزهر الذين كان لهم دور بارز في الدفاع عن الإسلام ، وذكرت أيضا دور الأزهر في حفظ التراث وحمل أمانة الدعوة إلى كل شعوب العالم ، وتحدثت عن الأزهر كجامعة وسبب تدهوره ، وذكرت بعض المقترحات للنهوض بالأزهر ، وتحدثت عن أجهزة الدعوة في الداخل والخارج ودور وزارة الأوقاف في نشر الثقافة الإسلامية والوعي الديني بين شعوب العالم ، وختمت الفصل بذكر شروط لا بد من توافرها حتى يتم التنسيق بين مؤسسات وأجهزة الدعوة سواء في الداخل أو الخارج .

الباب الثالث عنوانته (تبليغ الدعوة الإسلامية)

وقسمته إلى فصلين

الفصل الأول : تحدثت فيه عن التبليغ من ^{هذه} المفهوم والأهمية وحكم التبليغ .

الفصل الثاني : تحدثت فيه عن الأركان الأساسية في تبليغ الدعوة فذكرت الدعوة من حيث تعريفها وموضوعها ، وذكرت الداعية والصفات التي يجب أن تتوفر فيه وختمت الفصل بذكر المدعو وأصناف المدعوين .

الخاتمة : اشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي .

الباب الأول

الأسس العلمية في تبليغ الدعوة

الفصل الأول: أساليب تبليغ الدعوة :

المبحث الأول: الأسلوب العلمي وأهميته.

المبحث الثاني: الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .

المبحث الثالث: القصة والمثل .

المبحث الرابع: الدعوة بالقدوة الحسنة .

المبحث الخامس: الترغيب والترهيب .

الفصل الثاني: وسائل تبليغ الدعوة .

المبحث الأول: وسائل الإتصال الجماهيري المباشرة .

المبحث الثاني: وسائل الإتصال الجماهيري الغير مباشرة .

الفضل الأول

أساليب تبليغ الدعوة

المبحث الأول

الأسلوب العلمي وأهميته

المبحث الأول

الأسلوب العلمي وأهميته

مقدمة البحث:

لم يعد في عالم اليوم مكانا لجاهل أو ضعيف سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى الجماعات أو على مستوى الأمم، فانتشار العلم وكثرة تخصصاته وعظم إنجازاته لم يعد معه احتمال للاعتراف لجاهل بحق وجوده، ولقد افتتن الناس بما وصلوا إليه من قوة في العلم وقوة في الفكر وقوة في السلاح، ولذلك أصبح الاعتراف بالجاهل الضعيف أمراً مستحيلاً، والإسلام هو دين العلم والقوة، وهو يدعو إلى العلم ويرفع من قيمة العلماء قال تعالي (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب) (١)

فالإسلام لا يسوي بين العالم وغير العالم بل يفضل العلماء ويرفع درجاتهم قال تعالي (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات) (٢)

والرسول -صلي الله عليه وسلم- قد دعا المؤمن أن يكون قويا فقال [المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير] (٣) وليس القوة المقصودة قوة الجسم فقط ولكن قوة العلم وقوة العقل وقوة الجسم وقوة الدين .

ليس التقدم الهائل الذي نراه والذي يعيشه العالم من حولنا ليس وليد الصدفة، ولكنه وليد جهد وعرق وعمل وتخطيط ودراسة فأذا كنا نريد أن نتقدم ونحقق أهدافنا ونعوض ما فاتنا فلا بد من وعي بضرورة الأخذ بالأسلوب العلمي في حياتنا كلها .

إن العلم ليس خصما للإيمان ولا ضدا له بل هو دليل يهدي إليه يقول الأستاذ هو سل (كلما اتسع نطاق العلم زادت البراهين القوية علي وجود خالق أزلي) (٤)

وتسخير العلم لجعله في خدمة الدين هو هدي من هذا البحث الذي نحن بصددده.

(٣) صحيح مسلم حديث رقم (٤٨١٦)

(٢) سورة المجادلة آية (١١)

(١) سورة الزمر آية (٩)

(٤) الإيمان والحياة الدكتور / يوسف القرضاوي ص (٣٠٩) بتصرف

• تعريف الأسلوب العلمي :

هو اتباع منهج علمي حديث للوصول للهدف المقصود والحصول على نتائج سريعة وصحيحة .

• الهدف من الأسلوب العلمي :

هو الإقلال من الخطأ قدر الإمكان والاستطاعة والوصول إلى الهدف من أقصر الطرق .

• عناصر الأسلوب العلمي :

العناصر التي تتألف منها الطريقة العلمية هي :

أ - الضبط : وهو أهم عنصر من عناصر الطريقة العلمية ، وترجع أهميته إلى أنه يمكنه

التعرف على سبب الظواهر وضبط حدوثها والإجابة الصحيحة على كل استفسار .

ب - التعريف الإجرائي : والمقصود به هو تعريف المصطلحات لتجنب الخلط في الفهم

ونقل الغموض وعدم الوضوح وكل ذلك الهدف منه أن نوصل للآخرين ما نقصده

دون لبس أو غموض .

ت - التكرار : والمقصود به هو إعادة إجراء نفس البحث وذلك يؤدي إلى النجاح

لأن كل مرة تعاد فيها التجربة تحدث نتائج أفضل من التي سبقتها .

• خصائص الأسلوب العلمي :

يتميز الأسلوب العلمي بأنه عن طريقه يمكننا الحصول على نتائج صحيحة

وبيانات موضوعية ، وهناك ما يميز الأسلوب العلمي مثل :

أ - الموضوعية : وتعني وضوح البيانات وإتقان الحكم .

ب - الدقة : وتعني تحديد المعنى والمفهوم دون زيادة أو نقصان .

ت - التحقق : من خصائص الأسلوب العلمي التي يقصد بها التحقق من النتائج

والتأكد منها ومراجعتها .(١)

- ث- الأدلة : ولا بد أن تكون صحيحة وقوية ومقنعة وتتسم بالواقعية .
- ج- التفسير الموجز : هو اختصار الحقائق وعرضها بصورة بسيطة موجزة حتى تبعد عن التعقيد . (١)

● خطوات الأسلوب العلمي :

- تحديد المشكلة : والمقصود من تحديد المشكلة هو التعرف عليها وتحديد بدقتها .
 - وضع الحلول المناسبة لحل هذه المشكلة .
 - النتائج : والمقصود من ذلك متابعة النتائج ومعرفة إن كانت سلبية أو إيجابية .
- الأسلوب العلمي في تبليغ الدعوة الإسلامية :

وبعد أن تعرضنا للأسلوب العلمي من حيث الأركان والخطوات والعناصر والخصائص والهدف منه أحاول جاهداً توظيف الأسلوب العلمي في تبليغ الدعوة .

● أهمية الأسلوب العلمي في تبليغ الدعوة :

عندما نتحدث عن أهمية الأسلوب العلمي في التبليغ فإننا لا نقصد الدخول في جزئيات وتفصيلات علمية بحتة ، يقول صاحب الظلال (إن القرآن ليس كتاب نظريات علمية ولم يجرى ليكون علماً تجريبياً كذلك إنما هو منهج للحياة كلها منهج لتقويم العقل ليعمل وينطلق في حدوده ، ولتقويم المجتمع ليسمح للعقل بالعمل والإنطلاق دون أن يدخل في جزئيات وتفصيلات بحتة فهذا أمر متروك للعقل بعد تقويمه وإطلاق سراحه) (٢) ، إذاً الأسلوب العلمي الذي نحن بصدد الحديث عنه يحكمه كتاب الله وإلا كان كما قال القائل :

العلم كالغيث والأخلاق تربته إن تفسد الأرض تذهب نعمة المطر

إبليس أعلم أهل الأرض قاطبة والناس تلغنه في البر والحضر

إن اقتحام العقول والنفوس أصعب بكثير من اقتحام المواقع والثغور ، إن اقتحام العقول والنفوس يحتاج إلى مهارات فائقة وخبرات واسعة وأسلحة مختلفة ،

(١) المرجع السابق بتصريف (٢) سيد قطب في ظلال القرآن ج (٤) ص (٢٢٧٦)

إن الجندي في الميدان يواجه عدوا واحدا وبسلاح محدد أما العامل في حقل الدعوة فيواجه أعداء شتى وأسلحة عديدة وأساليب مختلفة ، كما يواجه مرضى ومعتدين من مشكلات كثيرة... فهذا ماركسي وذاك علماني وغيره قومي واشتراكي أو رأسمالي إلى ما لا نهاية من الانتماءات الأخرى (١) وهكذا يجد الداعية نفسه في مستشفى كبير مليء بالمرضى والمعاقين وهذا هو ميدانه وهذه هي مسؤوليته ، كل هذه الملابس تجعل الداعية في أمس الحاجة إلى دراسات علمية مستفيضة عن حالة مدعويه تجعله واقفا على أرض صلبة في معركته ، هذا إلى الركن الركين والحصن الحصين وهو إيمانه بالله والإخلاص له سبحانه وتعالى قال تعالى (ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم) (٢) . ولذلك أصبح اللجوء إلى الأسلوب العلمي في تبليغ الدعوة أمرا ضروريا لا غنى عنه ، حيث إن أعداء الإسلام قد أحرزوا قصر السبق في الدعوة لمذاهبهم وقد اكتسبوا كثيرا من الأنصار ولا نشك أيضا في أن السبب في هذا كله هو الدراسة الوافية والتخطيط السليم الذي اتبعوه (٣) . وأصبح واضحا للعيان تحالف قوى الشر وبدلها جهودا جبارة لتحقيق أغراضها الدنيئة في النيل من الإسلام والمسلمين ، وما أحوج الدعوة في عصرنا الحالي إلى مواجهة المذاهب والتيارات الفكرية بالحجة والبرهان حيث أصبح للباطل قوة وموجة عاتية لا يفيد معها موعظة يرق لها قلب السامع ثم تتركه يجرفه التيار الضخم (٤) ، فكل فقيه في علوم الإسلام لا ينبغي أن يقتصر علمه على فقه الإسلام بل يجب أن يدرس العلوم والأيدلوجيات الأخرى حتى يعرف نقاط الضعف فيها ليقاومها بأسلوب علمي سليم ، مستخدما الأساليب الإعلامية ، لذا لا بد من وضع إستراتيجية واضحة للعمل في مجال الدعوة وذلك عن طريق اتباع الأسلوب العلمي في الدعوة.

(٢) سورة التغابن (١١) (١) أسس الدعوة وآداب الدعاة . د/ محمد سيد الوكيل انظر ص (٤٣)

(٣) سبيل الرشاد في الدعوة والإرشاد د/ محمود علي حمادة / انظر ص (١٥٨)

(٤) الإعلام في القرآن د/ محمد عبد القادر حاتم / انظر ص (٢٥)

الدراسة والتخطيط :

المقصود بالدراسة هنا الدراسة الشاملة للمكان الذي سيعمل فيه الداعية والناس الذين سوف يدعوهم فيجب على أي داعية أن يدرس طبيعة البلاد ويعرف موقعها والبلاد المحيطة بها والمؤثرات الداخلية والخارجية ويدرس أحوال السكان الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية لأن دراسة هذه الأحوال تساعد الداعية في اتخاذ الوسائل الناجحة لتأدية الغرض المطلوب ودراسة هذه الأحوال تساعد على وضع الخطط المناسبة وتمكن الداعية من أداء مهمته على أكمل وجه على أن تكون هذه الدراسة موصلة للغاية التي يهدف إليها الداعية (١)

وفي ذلك يقول الدكتور يوسف القرضاوى (إن الداعية لا ينجح في دعوته ما لم يعرف من يدعوهم وحتى يعرف كيف يدعوهم وماذا يقدم لهم وماذا يؤخر (٢). وعندما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يرسل معاذاً رضى الله عنه - إلى اليمن قال : إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة فإن أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم فإن أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم (٣) وهنا يوضح النبي صلى الله عليه وسلم - لسيدنا معاذ طبيعة القوم الذين سوف يذهب إليهم فهم أهل كتاب وهم لهم طبيعة تختلف عن طبيعة أهل مكة أو أهل المدينة ، وهكذا تكون الدراسة مفيدة ومجدية وتساعد الداعية على تحقيق هدفه فمطلوب من الداعية في عصرنا أن يدرس ما يلي :

(١) أسس الدعوة والدعاة الدكتور / محمد السيد الوكيل ص (٤٤) بتصرف

(٢) ثقافة داعية للدكتور / يوسف القرضاوى ص (١١٩ : ١٢٤) (٣) صحيح مسلم ج ١ ص ()

كتابه رقم الفهرس

- ٦
- ١- واقع العالم الإسلامي : بمعرفة موجزة عن أوضاعه الاقتصادية والسياسية وتوزيع السكان وأسباب تخلفه وتفرقه ومعرفة عوامل تقدمه ووحدته ومعرفة أهم مشكلاته .
- ٢- واقع القوى العالمية المعادية للإسلام : وتتمثل في المثلث الرهيب اليهودية العالمية والشيعية الدولية والصليبية الحاقدة فلا بد من دراسة الأسباب والدوافع التي وراء كيدهم لنا ووسائلهم وأساليبهم الماكرة في إفسادنا .
- ٣- واقع الأديان المعاصرة : فلا بد من دراسة كتبهم المحرفة وطوائفهم وما بينهم من صراعات ودراسة الملل الموجودة على الساحة مثل الهندوكية الوثنية والبوذية وغيرها من ملل .
- ٤- واقع المذاهب السياسية المعاصرة : مثل المذهب الديمقراطي والدكتاتوري والوجودي والاشتراكي وغيرها من مذاهب هدامة وأفكار سامة .
- ٥- واقع الحركات الإسلامية المعاصرة : سواء أكانت حركات عالمية أو حركات جزئية مثل الجماعة الإسلامية في باكستان والهند وحزب التحرير في الأردن وفلسطين وغيرها من الحركات .
- ٦- واقع البيئة المحلية : على كل داعية أن يدرس ويتعرف على البيئة التي يعيش فيها ويتعرف على مشكلاتها ونفسيات أهلها وما يؤثر فيها وما ينفع معهم كل هذا يجب على الداعية أن يدرسه ومعرفة كل ما يجد من أخبار عن طريق متابعة الصحف ووكالات الأنباء .
- ٧- واقع الفرق المنشقة على الإسلام : مثل البهائية والقاديانية والتحذير منها وتعريف الناس بها . (١)

(١) ثقافة الداعية / الدكتور يوسف القرضاوى انظر ص (١١٩:١٢٤)

التخطيط : المقصود بالتخطيط هو العملية المنظمة التي يتم بها اختيار أحسن الحلول والوسائل للوصول إلى أهداف معينة فهو تفكير عميق متزن ودراسة مستوعبة لكل عمل يريد الإنسان أن يقدم عليه على بصيرة وبينة وإدراك لأبعاده ، وقد عرف " جون تيرى " التخطيط بقوله (التخطيط هو الاختيار المرتبط بالحقائق ووضع الفروض المتعلقة بالمستقبل عند تصور وتكون الأنشطة المقترحة التي يعتقد ضرورتها لتحقيق النتائج المنشودة) (١) أما معنى التخطيط في الإسلام فهو يعنى استخدام الموارد والإمكانات والظروف المتاحة في تنمية الفرد المسلم في كل جوانبه حتى يؤدي دوره على أكمل من عمارة الأرض وعبادة ربه .

وليس التخطيط هو التهجم على الغيب كما يزعم البعض كما أنه ليس معارضة للأقدار ، فإن الإسلام أمرنا أن نأخذ من حاضرنا لمستقبلنا ومن شبابنا لهرمنا ومن فراغنا لشغلنا وقد ورد في الأثر (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غمرا) ولا يهكّن لجماعة تريد أن تعيد للعالم رشده وللدنيا صوابها وتضع قدم البشرية على الطريق الصحيح لا يمكن أن يتم ذلك من غير تخطيط سليم يجعلها تسير في خط واضح المعالم محدد الأهداف معلوم الوسائل ، إن عالم اليوم لا يستمد قوته من عضلاته المفتولة ولا من كمية الحديد التي يملكها وإن كان هذا بعض عناصر القوة .

إن العالم يستمد قوته بالدرجة الأولى من قوة مناهجه وتخطيطه ثم يستمد ثانياً من دقة التنفيذ وأخيراً تأتي القوة المادية وقوة العضلات وهذا هو المشاهد الملموس ولا يحتاج إلى دليل ، ومن ثم عرف العالم التخطيط الطويل الأجل والقصير الأجل وبذلت الجهود وأنفقت الأموال للوصول إلى تخطيط سليم . (٢)

(١) الإدارة العامة / الدكتور / عبد الفتاح دياب انظر ص (٢٣٤)

(٢) مناهج الدعوة وأساليبها / الدكتور / علي حريشة ص (١١:١٠) بتصرف

كل العمل
بجهد

* ضرورة التخطيط:

إن أي عمل مهما كان صغيرا ومتواضعا لا يمكن أن يكتب له النجاح ما لم يكن منظما فإن كان مشروع بناء بيت أو زراعة بستان أو ما شابه ذلك من أعمال بسيطة يحتاج إلى تنظيم كوضع خريطة وتنظيم حساب وتحديد المسؤوليات واختيار المنفذين والمشرفين ومن يُسوّق المواد وهكذا ، أفلا يحتاج الإسلام أو العمل في حقل الدعوة إلى تخطيط دقيق وتفكير منظم وتقدير صحيح ،

إن التخطيط هو أساس العمل الناجح وهو أيضا إحدى النعم التي وهبها الله للبشر وميزها بالعقل لتستعمله في النافع المفيد فكيف نهمل هذا الجانب وأصبح لازما لكل جهد إنساني يبغى النجاح فيه ، هذا وقد جاء القرآن داعيا إلى استعمال التخطيط وضرب لنا الأمثلة الواقعية على ذلك ونجد ذلك في سورة يوسف عندما أنقذ التخطيط المحكم أمة من الهلاك بسب القحط وفي سورة الكهف وقصة ذي القرنين وكذلك حفظت لنا السنة المطهرة أنماطا متعددة في كل مراحلها من التخطيط المدروس المنظم ومن يدرس السيرة يعجب بسبق المسلمين في هذا الميدان .(١)

* خصائص وسمات التخطيط:

- ١- النظر إلى المستقبل والآمال العريضة التي تدفعنا إلى العمل .
- ٢- تنظيم علاقة الأفراد بعضهم ببعض وبالأنظمة الاجتماعية .
- ٣- شمول التخطيط كل جوانب الحياة من ثقافية وتربوية واقتصادية وغيرها .
- ٤- الواقعية فهو يراعى الظروف المحيطة ولا يجنح إلى الخيال أو المثاليات .

(١) الدعاة والتخطيط / الشيخ / محمد عبد الله الخطيب ص (٣٣:٣٤) بتصرف (٢) المرجع السابق بتصرف .

* فوائد التخطيط:

- ١- تحديد الأهداف والمهام المطلوب تحقيقها.
- ٢- توفير الوقت والجهد والمال .
- ٣- الاستفادة بكل الطاقات والإمكانات وعدم هدر شيء منها . *الأمثلة*
- ٤- تحديد الأشخاص وتوزيع المهام مما يسهل المحاسبة للمخطئ .
- ٥- وضع خطة للأهداف المرحلية أو الجزئية لضمان سير الدعوة في طريقها الصحيح .
- ٦- متابعة التنفيذ للاطمئنان على السير في الطريق الصحيح والتعرف على أي مشكلة عارضة وإيجاد حل لها قبل أن تتفاقم .
- ٧- المتابعة لها أهميتها لمعرفة الإيجابيات والسلبيات في التنفيذ فيستفاد منها في الخطط القادمة ويتوارثها الأجيال للاستفادة منها .

* مقومات التخطيط :

هناك عوامل أساسية يقوم عليها التخطيط يجب مراعاتها وهي :

- ١- المرونة والحركة :- بمعنى إمكانية تعديل بعض عناصر التخطيط لتتفق مع الظروف الجديدة والمتغيرات الطارئة أثناء التنفيذ وإمكانية التبديل إذا اقتضت الظروف لذلك .
- ٢- العمق وعدم الشكلية : ومعناه الاهتمام بالحقائق وبالمضمون أما الاهتمام بالشكليات والهياكل وترك المضمون فلا يحقق الهدف المطلوب .(١)
- ٣- الإعتماد على البيانات الصحيحة : حتى نبني الخطة بناء صحيحا ولا تفشل .

*قواعد النهج والتخطيط:

يقول الدكتور /عدنان على رضا (لا يستطيع المؤمنون أن يحققوا التقاءهم ولا أن يمضوا مع الزمن يجابهون كل واقع جديد ولا أن يوفوا بالأمانة التي حملوها والاستخلاف الذي جعل لهم والعبادة التي خلقوا لها ولا أن يمضوا مع الابتلاء والتمحيص الذي أراده الله -سنة ماضية في الحياة الدنيا- لا يستطيع المؤمنون هذا كله إذا لم يضعوا لأنفسهم نهجا وخطة واضحة تقوم على أساس منهج الله تعالى وعلى أساس الواقع الذي يعملون فيه)(١)

من هنا ندرك أهمية النهج والتخطيط في الدعوة الإسلامية ، لقد أصبح التخطيط اليوم في حياة الشعوب علما ممتدا تنمو قواعده مع نمو تلك الشعوب الغارقة في جاهليتها وظلمها وعدوانها ، والمسلمون غافلون عن ذلك يغلب عليهم

طابع الارتجال وردود الفعل الآنية ، يخرجون من نكبة ليدخلوا في غيرها ، ويتزلقون المزالمة في فتنة بعد أخرى ويستدرجون لهلاك بعد هلاك كل ذلك وهم في غفلة ، والنهج والتخطيط في حياة الشعوب الأخرى أمد جاهليتهم بالقوة وفسادهم بالانتشار وغفلتنا نحن أضاعت الفرصة أمام الخير الذي جعله الله أمانة في أعناقنا وأورثت دعوتنا ضعفا وتمزقا وشتاتا وإن ظهر بيننا شيء من التخطيط والفتنة فذلك في الكيد لبعضنا البعض لا يستطيع الارتجال أن يقف أمام النهج الواعي والتخطيط المحكم ،

(١) نهج الدعوة وخطة التربية الدكتور /عدنان على رضا ص (٥٩)

ولا بد للمسلمين أن يطرخوا الوهن والغفلة والارتجال والكيد المتبادل والمكر السيئ وينطلقوا ليقدموا للعالم كله قواعد الإيمان في النهج والتخطيط والوعي وحسن التقدير بعيدا عن الخداع الظالم والغدر الخبيث والفتنة المضلة ، ونذكر هنا بعض القواعد الإيمانية العامة في النهج والتخطيط . (١)

١- النية وصدق التوجه إلى الله تعالى :

النية هي أساس كل عمل حتى يقبله الله تعالى والنية الصادقة هي أساس النهج والتخطيط في حياة المؤمنين ويجب أن يرافق النية والتوجه إلى الله تعالى أمور حتى تعطى ثمرتها وتؤتي أكلها وهي :

- أ- الوعي لما ينويه الإنسان مع توافر شروط الوعي من وضوح الهدف وجلاء الدرب .
- ب- التأكد من مطابقة العمل والدرب والنهج والأهداف لمنهاج الله تعالى .
- ج- إعداد كل ما يلزم لنجاح العمل الذي تنويه .

٢- تحديد الدرب ومعاله التي تؤدي إلى الأهداف :

فبعد تحديد الدرب تتحدد المراحل والخطوات الممتدة من نقطة الانطلاق إلى الهدف .

٣- الأهداف الواضحة المحددة :

والأهداف تنقسم إلى ثلاثة وحدات نوجزها فيما يلي :

- أ- الهدف الأكبر والأسمى وهو الجنة .
- ب- أهداف ثابتة وتشمل الدعوة إلى الله تعالى ، التربية والبناء ، الجهاد في سبيل الله تعالى ، عمارة الأرض .
- ج- أهداف مرحلية وهي الأهداف التي تحدد طاقتها وتنقلنا من هدف إلى هدف حتى نصل إلى الهدف الأكبر وهو الجنة

(١) . المرجع السابق بتصرف ص (٦٠:٦٨)

٤- الوسائل والأساليب :

يجب تحديد الوسائل والأساليب لتكون نابعة من منهاج الله تعالى وملائمة للواقع .

٥- تكامل الميادين والطاقات وتناسقها :

فالنهج السليم هو الذي يجعل الطاقات كلها تصب في درب واحد يقودها إلى الأهداف المحددة فليس هناك تمزق ولا تفرق ولا تناقض ولا شتات فالجميع يعمل في ميدان الدعوة والبناء .

٦- الطاقة البشرية :

آتي سوف تحمل الأمانة وتقوم بالتنفيذ وهي آتي تضع النهج والتخطيط وتنطلق إلى الأهداف لتحقيقها .(١)

هذه هي قواعد التخطيط فإذا فقدت عنصراً منها فإن العمل يتناثر والجهود تتبدد ولا تصل إلى الهدف الذي نرجوه والذي خلقنا الله من أجله .

(١) نهج الدعوة وخطة التربية والبناء /الدكتور عدنان على رضا ص (٦٠:٦٨) بتصرف

تمازج من التخطيط :

-التخطيط للهجرة :

بدأ التخطيط منذ اللحظات التي أدرك فيها النبي صلى الله عليه وسلم أن مكة لا تصلح لقيام الدولة الإسلامية وأنها بالحالة التي عليها لا تصلح دار للإسلام ولذلك أسرع إلى العمل من أجل الهجرة ليجد المسلمون دولة ووطنا وكيانا قوى يحمى دار الإسلام (١)

تحديد الهدف :

لقد حدد الرسول صلى الله عليه وسلم هدفه من الهجرة من مكة هو وأصحابه وهو إكمال الرسالة في أرض صالحة للدعوة وتأمين المؤمنين ودفع الأذى عنهم
تنظيم الوسائل واختيار المكان :

حسن اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم للمكان وهو المدينة لأنها توفى ^{أفضل} بالمقصد وبها صلوات قري وحصونها منيعة وطريق التجارة إلى الشام وهى موقع ^{له} استراتيجي هام .

التمهيد للهجرة :

بيعة العقبة الأولى ثم الثانية ثم البيعة الكبرى وهذه البيعات تدل على :
- الدقة والإحكام في التخطيط . - الإعداد والتحضير .
- اختيار الوقت المناسب لعقد البيعات .

التنفيذ :

- ١- يخرج المسلمون من مكة متفرقين . ٢- يلتزموا الكتمان .
- ٣- التحمل والصبر واحتساب الأجر عند الله تعالى
- ٤- تدبير خروجه صلى الله عليه وسلم - بأن حدد المسؤولية ووزع الأدوار فكان أبو بكر -رضى الله عنه- الصاحب ،وعلى -رضى الله عنه- للمبيت ورد الأمانات

(١)الدعاة والتخطيط الشيخ /محمد عبد الله الخطيب ص (٥٨)

عامر بن فهيرة (دليلاً)، عبد الله بن أريقط لطمس أثار الأقدام، عبد الله بن أبي بكر
للأخبار، أسماء بنت أبي بكر لتوفير الطعام

خطة الخروج:

- ١- التسلل من نافذة خلفية على غفلة من قريش .
- ٢- التوجه جنوباً على طريق اليمن لتضليل قريش .
- ٣- التوقف عن السير لمدة ثلاثة أيام حتى يهدأ الطلب .
- ٤- اختيار الطريق الوعرة غير المطروقة .

وهكذا نجحت الخطة ووصل الركب المبارك إلى المدينة بسلام وذلك بفضل الله تعالى
أولاً ثم الخطة المحكمة التي وضعها النبي -صلى الله عليه وسلم-

فعلى الدعاة أن يسلكوا نهج النبي -صلى الله عليه وسلم- ويخططوا لنشر الدعوة
ويحددوا الأهداف سواء أكانت أهدافاً مرحلية أو أهدافاً نهائية .

وعلى المسلمين جميعاً أن يخططوا لعمارة الأرض ولعبادة ربهم مع العلم أن كل نظم
الإسلام من عبادات ومعاملات لها قواعد وأصول تعتمد عليها ولها غايات وأهداف
تسعى لتحقيقها في الحياة ولن يكون ذلك إلا بالتخطيط المحكم والدراسة الشاملة لكل
ما نريد الخوض فيه ، والتخطيط هو الاستعداد للمستقبل والأخذ بالأسباب لمواجهة
الحياة . (١)

(١) المرجع السابق بتصرف

٤- الدقة فى تحديد البرنامج الزمنى : لأن تحديد المدة بدقة يجعل الداعية يودى دوره دون تعجل أو استبطاء وإنما إذا اقتضت الظروف تطويلا أو تقصيرا فيمكن ذلك .

٥. التنفيذ المحكم : ويقصد به اختيار العناصر التى سوف تقوم بتنفيذ هذه الخطة وإذا لم تكن هناك عقول مفكرة وأفراد منضبطة أصبحت الخطة حبرا على ورق .
وهنا أدل على ذلك من اختيار الرسول - صلى الله عليه وسلم - لحذيفة بن اليمان فى غزوة الأحزاب ليأتيه يخبر القوم نقول الرواية قال حذيفة : دعانى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال يا حذيفة اذهب فادخل فى القوم فانظر ماذا يصنعون ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا قال فذهبت فدخلت فى القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل فقام أبو سفيان فقال يا معشر قريش لينظر امرؤ من جلسه ، فقال حذيفة فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جنبى فقلت من أنت ؟ قال فلان بن فلان . ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره . فارتحلوا فإني مرتجل ثم قام إلى جملة وهو معقول فجاس عايه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم واو لا عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أن لا تحدث شيئا حتى تأتيني ثم شئت لقتلته بسهم .

تأمل التنفيذ المحكم الدقيق والتزام القائم بالتنفيذ ، لقد كان باستطاعته أن يقتل أبا سفيان القائد العام للجيش ولقد حدثته نفسه بذلك ولكنه تذكر أمر النبى - صلى الله عليه وسلم - له وربما لو تخلص من أبى سفيان كان مكسبا عظيما ولكن نقول إن الخير والساد هو التزام أمر القائد من غير زيادة ولا نقصان وهنا سر من أسرار النصر والوصول للهدف وما أدل على ذلك من غزوة أحد عندما خالف الرماة أمر القائد كانت النتيجة لذلك الهزيمة .

إذا لابد من التنفيذ المحكم والاستمرار على الخطة ما لم يحدث تغير لها .

تحديد الوسائل :

إن تحديد الوسائل التي يستخدمها الداعي للوصول للهدف ضروري ومفيد فيجب أن تكون هذه الوسائل تابعة من منهاج الله تعالى ملائمة للواقع ، مع استخدام أحدث الأساليب والانتفاع بالعلم الحديث والتكنولوجيا واستخدام أحدث الأجهزة والتقنيات الحديثة وتسخيرها في نشر الدعوة الإسلامية.

والمقصود بالوسائل هنا :المفاتيح التي يمكن بها لفت أنظار الناس إلى الإسلام ودعوتهم إليه ،والناس يتباينون في المزاج والمشاعر والأفكار والميول وعلى الداعي أن يختار الوسيلة التي تقنع المدعو وتجعله يستجيب ويدعن للحق وقد أفضت في وسائل تبليغ الدعوة وأفردت لها فصلا ،ولو استخدم الداعي الوسائل استخداماً صحيحاً لأدت الغرض المرجو منها ولوصل إلى هدفه ،وكل ذلك يتم إذا عرف الداعي كيف يحدد الوسيلة المفيدة للوصول إلى هدفه .(١)

تحديد الداء :

إن تشخيص الداء في المدعو يسهل عملية المعالجة فكما أن الطبيب يشخص الداء أولاً ثم يحدد العلاج ثانياً وهذا هو الأسلوب الصحيح في المعالجة ، والداعي إلى الله تعالى طبيب القلوب والأرواح وعليه أن يسلك نفس الأسلوب فلا يقف عند الأعراض محاولاً علاجها تاركاً أصلها وعلتها ولنضرب على ذلك مثلاً :فأصل الداء في القديم والحديث الجهل والكفر بالله تعالى والدواء لهذا هو الإيمان بالله تعالى والعلم به وقد جاء الأنبياء عليهم السلام بهذا قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة

رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٢)

(١) أصول الدعوة الدكتور/ عبد الكريم زيدان ص(٤٢١) وما بعدها بتصرف

(٢) سورة النحل آية رقم (٣٦)

إذا العقيدة هي أهم شيء يجب على الداعية أن يركز عليه ،وقد يعترض البعض علينا بأن في دعوة الأنبياء لأقوامهم إنكاراً لبعض المفاصد الموجودة في القوم كما في قصة سيدنا لوط وسيدنا شعيب عليهما السلام فكيف نقول إن التركيز على أصل الداء أولاً فإذا حصلت الاستجابة انتقلنا إلى باقي الفروع .

والجواب على ذلك أن التأكيد على العقيدة معناه جعل معاني العقيدة في المقام الأول وعدم نسيانها أبداً وربط المفاصد الخطيرة في المجتمع بمعاني العقيدة وبيان أنها بعض آثار التمرد على الله تعالى وهذا هو المقصود مما قلناه من ضرورة التأكيد على العقيدة أولاً ومثال ذلك :

ما ورد في قصة سيدنا لوط -عليه السلام- قال تعالى (كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا أعلى رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) (١)

فبدأ سيدنا لوط -عليه السلام- الأمر بالتقوى وأعلمهم أنه رسول الله وأن من حق الرسول أن يطاع فيما يأمر به من منهج عبادة الله تعالى ثم بعد ذلك أخذ يوضح لهم المفاصد والمخالفات التي عندهم ويحذرهم منها ،فبدأ بالعقيدة ثم ثنى بباقي الأمراض .

لو ابتعد الداعي عن النهج الصحيح فلم يهتم بالأصل وخاض في فرعيات وجزئيات ولم يقترب من أصل الداء فهو بهذا يبذل جهوده ويضيع الوقت في غير فائدة ولا يصل إلى هدفه الذي ينشده من وراء دعوته وهو الوصول بالناس إلى عبادة الله

وحده وامتنال أوامره والانتهاه عن ما نهى . (٢)

(١) سورة الشعراء آية رقم (١٦٠:١٦٦)

(٢) أصول الدعوة الدكتور/ عبد الكريم زيدان ص (٤٢١:٤٢٥) بتصرف

أضرب على ذلك مثلاً : النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يرى الأصنام تلوث بيت الله تعالى وتحيط به من كل جانب والرسول -صلى الله عليه وسلم- يذهب ويصلى هو وأصحابه عند الكعبة وهو لا يرفع يده ليحطمها ولا يأمر أصحابه بتكسيها ولو أراد لأمر ولو أمر لنفذ الصحابة ما يأمرهم به ولكنه لم يفعل ذلك لأن المسألة ليست مسألة تكسير أصنام آنذاك وإنما كانت تكسير أقفال القلوب حتى تقبل الحق ثم يأتي اليوم الذي تخر فيه هذه الأصنام تحت ضربات المؤمنين .

فعلى الداعي أن يركز على الأصول لا على الفروع وأن يهتم بالكيليات لا بالجزئيات حتى يأتي وقتها وعليه أيضاً أن يجد الدواء بدقة حتى يضع العلاج المناسب وحتى يبرأ المريض من علته ويصل الداعي إلى هدفه الذي ينشده . (١)

(١) المصدر السابق بتصرف .

تحديد الهدف:

إن تحديد هدف أي عمل يقوم به الإنسان هو الخطوة الأولى للتخطيط الناجح، فالداعية يجب أن يحدد الهدف من دعوته، وليس المقصود هنا هو الغاية من الدعوة، وهو دعوة الناس إلى الإسلام بالمعنى الشامل وإنما نقصد الهدف من دعوته طبقاً للظروف الخاصة بالبيئة الزمنية والمكانية للدعوة والظروف الخاصة بمن يدعوهم، حيث يختلف الهدف من تبليغ الدعوة إلى أقلية مسلمة بمجتمع غير مسلم عن الهدف من تبليغ الدعوة لجمهور مسلم في مجتمع مسلم، عن الدعوة في مجتمع كافر، فالهدف إما أن يكون لتصحيح مفاهيم خاطئة عند أقلية مسلمة بمفاهيم إسلامية صحيحة، أو بترغيب الجمهور المسلم العاصي بثواب الله تعالى وترهيبهم من عذاب الله تعالى، وإما أن يكون لمواجهة تيارات ومذاهب باطلة بالأدلة والبراهين القاطعة والحجة البالغة. (١)

وبناء على تحديد الهدف يتوقف أسلوب الداعي في الدعوة والوسائل التي يجب أن يستخدمها في التبليغ، ورب العزة لما أراد أن يخلق آدم -عليه السلام- حدد الغاية من خلقه فقال سبحانه وتعالى (وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) (٢) وقال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (٣)

معايير الأهداف:

١- يجب أن تكون أهداف الدعوة محددة وعالقة بذهن الداعية، حيث ينبغي أن توضع أهداف الدعوة في عبارات واضحة غير مبهمه فمثلاً إذا ذكرنا أن هدفنا الأساسي هو تنمية وعي الجمهور والعامه بالثقافة الإسلامية، فهذا الهدف غير واضح وغير محدد لأننا نعلم أن الثقافة كلمة واسعة يقع تحتها كثير من الموضوعات، ولذا إذا أردنا تحديد الهدف الأفضل أن نقول إكساب الجمهور معلومات عن نواقض الوضوء مثلاً أو إكسابه معلومات عن الصلاة مثلاً وهكذا

(١) أسس الدعوة وأداب الدعاة الدكتور / محمد السيد الوكيل ص (٤٣)

(٢) سورة البقرة الآية رقم (٥٦)

(٣) سورة البقرة الآية رقم (٣٠)

٢- أن تكون الأهداف واضحة عند الداعية وعند الجمهور :

فالأهداف يجب أن تكون واضحة ليس فقط عند الداعية وحده بل لا بد أن تكون واضحة كذلك في أذهان الجمهور وذلك مما يؤدي لزيادة حماس الجانبين للموضوع ، وعدم دراية الجمهور بهدف ومقصد الداعية يجعل الخطب والدروس مجرد وعظ دون أي تفهم لما يود الداعية إيصاله إليهم لذا وجب على الداعية أن يبصر الجمهور بالهدف من موضوعه .

٣- أن تكون الأهداف الخاصة بموضوع الخطبة أو الدرس مناسبة لمستوى الجمهور :

فيجب أن تكون الأهداف متمشية مع مستويات الجمهور فمنهم المتعلم ومنهم الأمي كما أن منهم المثقف ثقافة عالية ومنهم المثقف ثقافة متوسطة أو ضعيفة مما يلزم الداعية أن يراعى في موضوعه وكلماته وأهدافه التناسب بين هذه المستويات ، فلا يضع مثلاً هدفه الوصول إلى درجة ما من الفقه أو في ناحية معينة من الفقه وهذا هدف لن يصل إليه كل الجمهور بل قد يصل إليه المثقفون فقط ، فهذا الأمر ليس بمجاله المجال العام في الدعوة وإنما مجاله الدروس الخاصة والمحاضرات المخصصة للمثقفين ، وفي هذا المقام نورد رأى للأستاذ/ (بلوم) في تصنيفه للأهداف التربوية المعرفية فقد قسمها إلى ستة أقسام متدرجة في صعوبة فهمها واستيعابها طبقاً للمرحلة التي تطبق فيها وهذه الأقسام هي :

(المعلومات - الفهم - التطبيق - التحليل - التركيب - التقويم)

وتقسيم بلوم هذا هو محاولة لتوضيح تدرج الأهداف المعرفية في صعوبة فهمها وهذا التدرج يسير من السهل إلى الأصعب فمثلاً استيعاب المعلومات أسهل من فهم المعلومات ، وفهم المعلومات أسهل من تطبيقها في مواقف جديدة في الحياة وهكذا ،

ولكل مستوى الفئة الخاصة به، فمثلا مستوى التحليل والتركيب والتقويم لا يصلح للعامّة أو أصحاب الثقافة المتوسطة إنما هذه المستويات تحتاج لأصحاب الثقافات العالية، أما مستوى المعلومات فهو مستوى العامّة حيث يستطيع العامّة استيعاب المعلومات بسهولة بشرط إحسان طريقة عرضها وتدعيمها بوسائل ونشاطات توضحها.

٤- أن تكون أهداف الدعوة والداعية متنوعة وشاملة :

وهذا مما يسهل على الداعية مهمته في مقابل الفروق الفردية التي بين الجمهور حيث تختلف قدراتهم وحاجاتهم واستعداداتهم وميولهم من فرد إلى آخر ويجب أن تشمل الأهداف على المعلومات والمهارات والاتجاهات والميول والتفكير العلمي

٥- أن تكون الأهداف متماسكة :

وتماسك الأهداف يعني أن يكون كل هدف مرتبطاً بما قبله وما بعده، بحيث تشمل جميع الموضوعات ويغطي كل هدف الموضوع المحدد للهدف العام وأيضاً أن يكون الهدف مكملًا لما قبله وممهّدًا لما بعده وعدم تماسك الأهداف وتربطها يؤدي إلى إصابة الجمهور بالملل والضجر وعدم الاكتراث .

٦- أن تكون الأهداف متطورة وغير جامدة :

وهذا من أسس الدعوة ومن أساس ديننا الحنيف، فالإسلام دين التطور ولذا على الداعية أن يراعى في موضوعاته وأهدافها أن تكون مواكبة لتطورات العلم فمثلاً إذا تطرق في حديثه إلى أحد العلوم الكونية فيجب ألا تكون معلومات قديمة .

ومما يلحق بمواكبة التطور أن يتطور في أسلوب عرض موضوعه بما يتواءم مع التطور العلمي والتقدم العصري كما يجب أن تؤخذ الإمكانيات في الحسبان وأن يراعى البيئة المحيطة به عند ضرب الأمثلة .

٧- أن تكون الأهداف الموضوعية واقعية ممكنة التحقيق :

ومعنى ذلك أن تكون أهداف الداعية والدعوة واقعية لا خيالية فلا يصح وضع هدف الوصول بالمستمع أو الجمهور إلى مرتبة الفقهاء في درس أو خطبة ، كما لا يصح التعايش مع الغيبات بواقع لا نعلمه ، ولا بد أن يراعى في هذا أيضا طبيعة المستمعين من حيث الإمكانيات العقلية والعلمية .

٨- أن تترجم الأهداف إلى مواقف سلوكية ممكن القياس عليها :

ومعنى ذلك إذا قلنا إن الهدف من الدعوة الإسلامية هو تنمية الوازع الديني أو بمعنى أدق تنمية وازع المراقبة لله والخشية منه ، فهذا الهدف يترجم إلى مواقف سلوكية يقاس عليها من خلال ضرب الأمثلة ويوضع في الحسبان أيضا أن تترجم الأهداف ترجمة واقعية من خلال واقع المستمعين .

٩- أن تكون الأهداف في ضوء حاجات المجتمع ومشكلاته :

وهذا يشد انتباه الجمهور ويزيد من حماس الجمهور وحماس الداعية ويجعل الجميع يقف يدا واحدة للوصول إلى الهدف المرجو . (١)

(١) مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية الدكتور / رجاء محمود غلام ص (١٥٠) وما بعدها يتصرف

غاية الداعية :

كتب الأستاذ البهي الخولي تحت عنوان (على الداعية أن يعرف غايته) في كتابه تذكرة الدعاة - كتب يقول (على الداعية في ميدان التنفيذ والعمل أن يعرف غايته أولاً وأن يفهمها حق الفهم فإذا تأتي له ذلك استطاع بفطرته أن يدرك الوسائل التي تحقق له هذه الغاية وتصل به إليها وغاية الداعية هي غاية كل إنسان في هذه الحياة الدنيا مسلماً كان أو غير مسلم في مشارق الأرض ومغاربها (الله سبحانه وتعالى) فعلى الداعية وعلى كل إنسان أن يعلم أنه خلق لله تعالى أولاً وأنه خلق لله آخراً وأنه لم يخلق لغير الله على أي اعتبار من الاعتبارات ، فإذا عرف الداعية غايته فقد عرف واجبه وأدرك أن عليه أن يركز همته ويضع كل ما له من جهد فكري وعاطفي وبدني في بلوغ غايته ، وقطع مراحل الطريق إليه ، وهذا هو المحور الذي دارت حوله رسالات الله وما نزل من وحي على الأنبياء والرسل قال تعالى (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد (١)) (٢)

إذاً على الداعي إلى الله تعالى أن ينهج في دعوته ورسالته المكلف بها كل الأسس العلمية والأساليب الحضارية التي تتمشى مع الدين والتي تلائم الواقع والتي سوف تخدم هدفه وتيسر له الوصول إليه دون تأخر أو فشل .

(٢) تذكرة الدعاة ^{الكتاب} البهي الخولي ص (٢٣٧:٢٣٩)

(١) سورة سبأ الآية رقم (٤٦)

المبحث الثانى

الدعوة بالحكمة و الموعظة

الحسنة و المجادلة بالتى هى أحسن

المبحث الثاني

تبليغ الدعوة بين الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة:

إن كلمة الحكمة أو الموعظة أو المجادلة تشكل كل واحدة من هذه الثلاث خطوة واحدة في طريق الوصول إلى غاية التبليغ التي ترمى إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل .
فما المقصود بهذه الكلمات الثلاثة من حيث اللغة والاصطلاح ومن حيث الموقع والأهمية .

أولا الحكمة: لغة العلم والتفقه قال تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة) (١) وقيل الحكمة هي الفلسفة والحكمة هي العلة يقال حكمة التشريع ويقال أيضا ما الحكمة في ذلك؟
والحكمة هي الكلام الذي قل لفظه واتسع معناه والجمع حكم (٢).

الحكمة اصطلاحاً: هي الحجة القطعية المفيدة للعقائد اليقينية (٣)
وقال العيني الحكمة تدل على علم دقيق محكم وتعلمها كمال علمي والقضاء بها كمال عملي (٤) كما يمكن تعريفها بأنها فن التعليم المتقن الدقيق المفيد لليقين (٥)
والحكمة هي نوع من الهبة التي يهبها الله تعالى لمن ارتضى من خلقه وهي خير وصف بالكثرة قال تعالى (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) (٦)
وقال تعالى (أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) (٧)

(١) سورة لقمان آية (١٢)
(٢) المعجم الوجيز ص (١٦٥)
(٣) مفاتيح الغيب أبو بكر الرازي ج ٩ ص (٦٦٣)
(٤) عمدة القارئ بدر الدين العيني ج ٢ ص (٢٤٩)
(٥) الدعوة الإسلامية / الدكتور أحمد غلوش ص (١١)
(٦) سورة البقرة آية (٢٦٩)
(٧) سورة الأنعام آية (٨٩)

موقع الحكمة في دائرة الأهمية :

جاءت الحكمة في مقدمة الأساليب الدعوية في قوله تعالى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (١)، لماذا جاءت في المقدمة وما مدى فاعليتها كأسلوب من أساليب تبليغ الدعوة ؟ وللإجابة عن هذا السؤال لابد من تتبع لكلمة الحكمة في القرآن الكريم لقد وردت كلمة الحكمة في القرآن الكريم عشرين مرة منها في سورة البقرة ست مرات ثلاث منها مقترنة بالكتاب قال تعالى (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم) وقال تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) وقال تعالى (واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم) (٢)

وهذا يعطى علم الكتاب ذلك المستوى الرفيع وعلم الكتاب يعطى الحكمة إجماعا يرجح بعض معانيها على البعض الآخر ، وقد ذكر الطبري وابن كثير والرازي والألوسي في هذا تعريف للحكمة فقالوا إنها بمعنى السنة أو النبوة أو معرفة القرآن وعلومه من ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه ومقدم ومؤخر وحلال وحرام وأمثلة (٣) أما المرة الرابعة فقد اقترنت بالملك قال تعالى (فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء...) (٤) وهنا بمعنى النبوة والرسالة .

(٢) سورة البقرة آيات رقم (١٢٩: ١٥١: ٢٣١)

(١) سورة النحل آية رقم (٢٦)

(٣) الطبري ج ١ ص ٤٣٦ - ابن كثير ج ١ ص ١٨٤ - الرازي ج ٤ ص ٧٣ - الألوسي ج ١ ص ٣٨٧

(٤) سورة البقرة آية رقم (٢٥١)

وأما آخر ما ورد في سورة البقرة من ذكر للحكمة فكان في آية واحدة فقد جاءت في معرض ذكر عطاء الله لخلقه ومن العطاء الحكمة بل إنها من أفضل العطايا ومن خيرا قال تعالى (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا ألو الألباب) (١)

أما باقى الآيات التي ورد فيها ذكر الحكمة فهناك آيات جاءت الحكمة فيها عطاء من الله للأنبياء منها سورة آل عمران قال تعالى (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) (٢) قال تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) (٣) وقال تعالى في سورة النساء (فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) وقال تعالى (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) (٤) فهذه الآيات تفيد أن الله تعالى أعطى الحكمة للأنبياء ليدعوا بها الناس فكانت دعواتهم مرتبطة بالحكمة ارتباطاً وثيقاً وكانوا يعلمون الناس الحكمة ويدعونهم للأخذ بها عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها) (٥)

(٢) سورة آل عمران آية (٤٨)

(١) سورة البقرة آية (٢٦٩)

(٤) سورة النساء آيات (١١٣، ١١٤)

(٣) سورة آل عمران (٨١)

(٥) الترمذى كتاب العلم رقم الحديث (٢٦١١) ابن ماجه كتاب الزهد رقم الحديث (٤١٥٩)

فالحكمة هي وضع الشيء في موضعه وذلك يجعل الداعية حريصا على ألا يخلط لأن الخلل ليس من الحكمة في شيء والحكمة ضالة المؤمن ينشدها في كل مجال، ويبحث عنها بكل الوسائل، ذلك لأن الحكمة تقتضي أن يكون الداعية مدركا لما حوله مقدرا للظروف التي يدعو فيها، مراعيًا لحاجات الناس ومشاعرهم، حتى يتمكن من الوصول إلى قلوبهم، وتلك هي الخطوة الأولى في بلوغ الدعوة أهدافها .

والحكمة تجعل الداعي إلى الله يقدر الأمور قدرها، ولا يزهده في الدنيا والنفس في حاجة إلى النشاط والجد والعمل، ولا يدعو إلى التبتل والانقطاع والمسلمون في حاجة إلى الدفاع عن بلادهم وعقائدهم، ولا يعلم الناس أحكام البيع والشراء وهم في ميسس الحاجة لتعلم الوضوء والصلاة .

والحكمة هي التي تجعله ينظر ببصيرة المؤمن فيرى حاجة الناس فيعالجها بحسب ما يقتضيه الحال ، وبذلك ينفذ إلى قلوب الناس من أوسع الأبواب، وتنشرح له الصدور، ويرون فيه المنقذ الحريص على سعادتهم ورفاهيتهم وأمنهم واطمئنانهم (١)

هذا وقد ورد ما يفيد أن على الدعاة أن يخاطبوا الناس على حسب ما يفهمون وما يعقلون لأن الناس لا يستون في الفهم والعقل فهم متباينون في هذا الأمر وإلا لم يفعل الدعاة ذلك سينعكس الأمر وبدل أن يؤمن الناس سوف يكفروا روى البخاري - رحمه الله - في صحيحه عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال (خاطبوا الناس

على قدر عقولهم، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟) (٢)

كتابه
اللامع

(١) أسس الدعوة وآداب الدعاة - الدكتور/ محمد السيد الوكيل ص (٦٥) (٦)

صور الحكمة :

للحكمة صور ثلاثه نستعرضها من خلال الآيات القرآنية الصورة الأولى هي:
حكمة السلوك: كل سلوك قويم ورد في القرآن فهو من باب حكمة السلوك أو هو
 السلوك الحكيم وما أدل على ذلك من الوصايا التي وردت في سورة الإسراء والتي بمثابة
 وصايا أخلاقية سلوكية. (١)

قال تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر
 أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما * واخفض لهما
 جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا * ربكم أعلم بما في
 نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا * وآت ذا القربى حقه والمسكين
 وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا * إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه
 كفورا * وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا * ولا
 تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا * إن ربك
 يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا * ولا تقتلوا أولادكم خشية
 إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا * ولا تقربوا الزنى إنه كان
 فاحشة وساء سبيلا * ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد
 جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا * ولا تقربوا مال اليتيم إلا
 بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا * وأوفوا الكيل
 إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا * ولا تقف ما ليس لك
 به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا * ولا تمش في الأرض
 مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا *)

(١) مناهج الدعوة وأساليبها المستشار الدكتور/على حريشة ص ١٤٤

كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها * ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا (١)

فهذه اثنتا عشرة وصية فيها اثنتا عشرة حكمة .. سبع بالسلب وخمس بالإيجاب تبدأ بنهى وتنتهي بنهى مؤكدة عليه نفسه ، وفي نهاية الوصايا يذكر رب العزة أن هذه الوصايا هي من الحكمة التي أوحى بها الله تعالى إلى رسوله -صلى الله عليه وسلم- وهذه تمثل حكمة السلوك ، وهناك وصايا سيدنا لقمان الحكيم التي وصى بها ابنه ، وهي ثمانية : ثلاث جاءت على سبيل النهي وخمس جاءت على سبيل الأمر ، وقد صدرت هذه الوصايا من أوتى الحكمة فهي من حكمة السلوك .

قال تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد) إلى قوله تعالى (واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) (٢)

(٢) سورة الإسراء الآيات من (٢٣) إلى (٣٩)

(٢) سورة لقمان الآيات من (١٢) إلى (١٩)

حكمة الموقف :

معناه التصرف في موقف معين بحكمة ، والدعوة بالمواقف كالدعوة بالسلوك ، وربما يكون هذا الموقف نقطة تحول في حياة المدعو ، ولذا كان للأنبياء مواقف ، وكان للصحابة مواقف ، وكان للتابعين مواقف فيها الحكمة التي جوهرها العلم والحلم .

مواقف الحكمة في حياة الأنبياء :

أ- سيدنا إبراهيم عليه السلام:

ونذكر هنا موقفه مع قومه عباد الأصنام قال تعالى (فجعلهم جذادا إلا كبير اللهم لعلمهم إليه يرجعون)* قالوا من فعل هذا بأهتنا إنه لمن الظالمين* قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم* قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلمهم يشهدون* قالوا أنت فعلت هذا بأهتنا يا إبراهيم* قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون* فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون* ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون* قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم* أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون* قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين* قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم* وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأхسرين (١)

فهذا موقف سيدنا إبراهيم تتضح فيه الحكمة في دعوة عباد الأصنام ، وله - عليه السلام - مواقف كثيرة منها موقفه مع أبيه والنمرود ومع عباد الكواكب وكلها مذكورة في القرآن الكريم لمن أراد الرجوع إليها .

ب- سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام - :

للنبي مواقف كثيرة لا تحصى ولا تعد منها موقف الصبر في مكة وكيف احتمل السب والسخرية وهو الشريف في قومه ، وموقف السماحة والعفو عندما دخل مكة فاتحا منتصرا وكان يمكن أن يعلق رؤوس الكفار جميعا ولكنه قال كلمته الكريمة :

(اذهبوا فأنتم الطلقاء) (٢)

(١) سورة الأنبياء الآيات من (٥٨) إلى (٧٠)

(٢) منهاج الدعوة وأساليبها / الدكتور/أعلى جريشة ص (١٥٠:١٥٢)

مواقف الحكمة من حياة الصحابة والتابعين:

موقف سيدنا أبي بكر الصديق -رضى الله عنه- عند الردة حتى قيل عنه ردة
 ولأب بكر لها، هذا الحكيم الخليم انتفض حين انتفض البعض عن هذا الدين ليقول
 لسيدنا عمر بن الخطاب الذي رفض في البداية القتال (أجبار في الجاهلية حوار في
 الإسلام)

موقف سيدنا عمر بن الخطاب -رضى الله عنه وهو يدرب الأمة على قول الحق
 في وجه من تخشاه أو في وجه من ترجوه، فيقول للأعرابي الذي قال له (لو رأينا فيك
 اعوجاجاً لقومناك بسيفنا). (الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوم عمر بسيفه
 ويقول (لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نسمعها)

موقف لسيدنا عثمان -رضى الله عنه- جمع الناس على مصحف واحد
 وسيدنا علي -رضى الله عنه- في محاربة الذين خرجوا عليه ورفعوا المصاحف
 وقالوا لا حكم إلا لله فقال سيدنا علي (كلمة حق أريد بها باطل) وموقفه حين رد
 السيدة عائشة -رضى الله عنها- بعد انتصاره في موقعة الجمل معززة مكرمة دون أن
 تمس بأي أذى رغم وقوفها في صفوف الأعداء .

أما التابعون فهناك سعيد بن المسيب، والحسن البصري، وأبو حنيفة، ومالك
 والشافعي وكل واحد من هؤلاء له مواقف من الحكمة في ذاتها دعوة. (١)
الصورة الثالثة للحكمة هي حكمة القول أو (الموعظة الحسنة) وسوف أبسط فيها
القول بعد الانتهاء من الدعوة بالحكمة .

(١) الرجوع السابق ص (١٥٣، ١٥٤) بتصرف

إن أي خطوة على طريق الدعوة لا يؤخذ فيها بمنهج الأنبياء هي خطوة عرجاء ونهايتها الانحراف ، ومنهج الأنبياء هو الدعوة بالحكمة ، إن سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم مليئة بالمواقف التي توضح للداعي كيف يستخدم الحكمة كأسلوب من أساليب الدعوة ، وموقف من تلك المواقف التي توضح حكمة النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما جاءه الحصين وكان رجلاً يحظى بالإجلال والتعظيم من قبل قريش ، وقد أرسلته قريش ليصرف النبي عن دعوته ، فلما جاء إلى النبي قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (أوسعوا للشيخ) فقال الحصين ما هذا الذي بلغنا عنك أنك تشتم آلهتنا وتذكرها ، فقال الرسول -صلى الله عليه وسلم- (يا حصين كم تعبد من إله؟ قال سبعة في الأرض وواحد في السماء فقال) إذا أصابك الضر فمن تدعو؟ قال: الذي في السماء قال: فإذا هلك المال من تدعو؟ قال الذي في السماء قال: فيستجيب لك وحده وتشرك معه ، أسلم تسلم) فأسلم فقال رسول -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه شيوعه إلى منزله (١)

نجد النبي هنا يراعى مقتضى حال المدعو ، والحكمة أن تراعى حال المخاطب فتعامله بما يتمشى مع أطوار نفسه كما وضحت ذلك من قبل ، فالحكمة هي دواء النفوس العليلة وعلى الدعاة أن يقتدوا بالنبي ويسلكوا طريق الحكمة حتى ينجحوا في دعوتهم ، إذا كان الله تعالى قد ترك كلمة الحكمة بدون تحديد لأن هذه الحكمة يتغير مفهومها مع تغير العصور والثقافات والعادات والظروف ، ومع التطور الهائل الذي يحدث في وسائل الإعلام بحيث أصبح العالم قرية صغيرة ، على الدعاة أن يطوروا في أسلوب دعوتهم حتى يتمشى مع العصر الذي يعيشوه . (٢)

(١) سنن الترمذي ٥/١٩٥ وقال غريب ((السيرة الحلبية ج ١ ص (٣١٨)))

(٢) حتى تكون خطيباً الشيخ عبد الحميد كشك ص (١٠) وما بعدها بتصرف

ثانياً: الموعظة الحسنة :

الموعظة الحسنة لغة: يقال وعظه أو يعظه وعظا وعظة: نصحه وذكره بالعواقب -
ووعظه: أمره بالطاعة ووصاه بها، والموعظة: ما يوعظ به من قول أو فعل والجمع
موعظ، والواعظ: من ينصح ويذكر ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والجمع منها
وعاظ (١)

الموعظة الحسنة من حيث الاصطلاح: الأصل في الوعظ يدور على معنى النصيح
والتذكير بالعواقب بالكلمة التي يوجهها من يتغى الخير للآخرين (٢) أو هي الكلمة
الطيبة تخرج من فم الداعية لتصل إلى عقول الناس فيجدون فيها الخير والسعادة
ويحسون من خلالها صدقه وحرصه على جلب الخير لهم ودفع الضر عنهم، الموعظة
الحسنة هي التي تحمل للناس البشرى وتأخذ بأيديهم إلى طريق الحق والصواب، وهي
مع ذلك لا تسيء إلى أحد أيا كان، ولا تعنف أحداً مهما كان، بها تأتلف القلوب
وبها تصفوا النفوس وبها يلتئم الشمل فيصبح الجميع إخوة متحابين (٣).
وصف الموعظة بالحسن يعني مراعاة الأسلوب المناسب والوقت المناسب وحال
المخاطبين .

الموعظة الحسنة هي الكلمة العاطفية التي تدخل إلى القلوب برفق وأناة وهدوء
فتلطف من حرارة الصدر فتلمس المشاعر بلطف، وهي التي تسكن الثائر، وكثيراً ما
هديت القلوب الشاردة بالموعظة الحسنة، وهي أفضل من الزجر والتأنيب والتوبيخ
والتجريح (٤).

(١) المعجم الوجيز ص (٦٧٥)

(٢) فقه الدعوة والإعلام / عمارة نجيب (٤٩)

(٣) أسس الدعوة وآداب الدعاة الدكتور محمد السيد الوكيل ص (٦٦، ٦٥) بتصرف

(٤) الدعوة الإسلامية التجربة والأخطاء الدكتور / رؤوف شلبي ص (١٥٤)

موقع الموعظة الحسنة في دائرة الأهمية:

تأتى الموعظة الحسنة في الأهمية بعد الحكمة وإن كان الله تعالى قد قرن بينهما فالمقصود أن الحكمة لا تتحرك بدون الموعظة الحسنة وكأنها هي القدم الأخرى لها التي لا تتحرك بدونها، وهي ملازمة ومقترنة بها، وإن كانت الحكمة مطلوبة في القول فالموعظة هي الأسلوب، أو كما قلت من قبل هي حكمة القول أو هي صورة من صور الحكمة .

إن الموعظة الحسنة التي طلبها منا الحكيم الخبير هي تلك الكلمة التي تنتج أثرا طيبا في نفس المدعو. (١)

لقد جاءت كلمة الموعظة في تسعة مواضع في القرآن، جاءت فعلا ماضيا وحاضرا واستفهاما وأمرًا، وسير الأولين وسير الآخرين مليئة بنماذج لهذه المواعظ، وحرص القرآن على الموعظة الحسنة كأسلوب ووصف للكلمة التي يتلفظ بها الداعية وبالموعظة الحسنة يظهر الدعاة أن هدفهم هو حب الخير للناس، وليس دفع السيئة بالحسنة أمرًا مستحبًا للدعاة بل هو أمر مفروض عليهم بقوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) (٢) وتلك وظيفة تحتاج إلى سماحة تستعلي على دفعات الغيظ وشحنات الغضب وتحتاج إلى قوة توازن بين الدفع بالتي هي أحسن وبين السماحة التي تستعلي على الآلام والغضب والغيظ، هي معادلة دقيقة وصعبة جدا ولكنها لازمة في تبليغ الدعوة حتى يستمر الداعية نشيطا تدفعه الحسنى في المعاملة إلى مزيد من العمل دون حساب لسيئات المناهضين للدعوة (٣)

إن الموعظة الحسنة تعني دفع الشر بالخير والسيئة بالحسنة، ولا توجد نفس تخلو من معاني الخير كما لا توجد نفس تخلو من معاني الشر، وزرع الخير يتطلب اجتثاث الشر ولن يكون ذلك إلا بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة .

(١) حتى تكون خطيبا الشيخ عبد الحميد كشك ص (١١)

(٢) سورة فصلت آية رقم (٢٤)

(٣) الدعوة الإسلامية التجربة الأخطاء الحل الدكتور رؤوف شلي ص (١٥٥، ١٥٦) بتصرف

كتب صاحب الظلال معلقا على قوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) قائلا (وتصدق هذه القاعدة في الغالبية الغالبة من الحالات، وينقلب الهياج إلى وداعة، والغضب إلى سكينه، والتبجح إلى حياء، على كلمة طيبة ونبرة هادئة، وبسمة حانية في وجه هائج غاضب متبجح مفلوت الزمام) ولو قوبل بمثل فعله ازداد هياجا وغضبا وتبجحا ومرودا، وخلع حياءه نهائيا، وأفلت زمامه وأخذته العزة بالإثم (١)

فمازج من الموعدة الحسنة :

سير الأنبياء والمرسلين مليئة بالمواعظ سأتركها لحين التحدث عن سيرهم وآخذ بعض المواقف من سيرة سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-:

لقد أمر الله تعالى سيدنا محمداً -صلى الله عليه وسلم- أن يعظ الناس ويقول لهم قولاً بليغاً قال تعالى (فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً) (٢)

فالموعدة والقول البليغ هي الحكمة والموعدة الحسنة وهي الوسيلة لتقبل النفوس للحق وإذعانها له، وهي السبيل إلى الوصول إلى القلوب وإخضاعها، وما أدل على ذلك من موقف النبي -صلى الله عليه وسلم- مع زيد بن سعدة عندما جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يختبر صدقه في دعواه النبوة - وقد ابتاع منه تمرا إلى أجل فطالبه بالثمن قبل حلول الأجل مغلظاً له في القول وسط الصحابة فهم عمر بن الخطاب به ولكن الرسول -صلى الله عليه وسلم- منعه وقال له (يا عمر أنا وهو كنا أحوج منك إلى غير هذا تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن الاقتضاء ثم أمر بإعطائه حقه وزيادة عشرين صاعاً مقابل ترويع عمر له) وهنا لم يسع هذا اليهودي إلا أن أسلم (٣)

وهكذا كانت الموعدة الحسنة أسلوباً ناجحاً وفعالاً في هداية الكثير من الناس في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- وعلى الدعاة أن يقتدوا بالرسول في ذلك .

(٢) سورة النساء آية (٦٤)

(١) في ظلال القرآن الشيخ سيد قطب ج ٥ ص (٣١٢١، ٣١٢٢)

ثالثاً المجادلة بالتي هي أحسن:

تعريف المجادلة لغة : جادله مجادلةً وجدالاً ناقشه وخاصمه

والجدل : طريقة في المناقشة والاستدلال صورها الفلاسفة بصور مختلفة وهو عند منطقة المسلمين : قياس مؤلف من مسلمات ، والجدلي المنسوب إلي الجدل ، وعند المنطقة من يستخدم الجدل ، والجدليون من اشتهروا بالجدل أمثال السوفسطائيين من اليونان والمعتزلة من المسلمين . (١)

المجادلة

المجادلة اصطلاحاً: هي نوع من الصراع البارد يقوم علي الأخذ والعطاء من منطلقات فكرية بحتة يتخذ من الحجة والبرهان أدوات له، فمعظم الصراعات أصلها واحد وهو الصراع الفكري ، فاختلاف المعتقدات والاتجاهات والأيدولوجيات يؤدي في النهاية إلي خلق نوع من التمايز ، الذي يؤدي بدوره في غالب الأحيان إلي الخلاف أو المواجهة ، فيوجد الخلاف من حيث يوجد الاختلاف ، ويوجد الاختلاف من حيث يوجد التمايز ، والتمايز مسلمة من مسلمات الواقع ، والاختلاف مسلمة من مسلمات الواقع أيضاً، وهذا ما يبرر أبدية الخلافات والصراعات الفكرية .

أنواع الجدل:

جدل محمود: وهو ما كانت غايته حقاً ووسيلته حسنة وهذا ما ورد فيه قول الله تعالى (وجادلهم بالتي هي أحسن) (٢) وقوله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) (٣)

جدل مذموم : وهو ما كانت غايته باطلة ووسيلته سيئة وورد فيه قول الله تعالى (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق) (٤) وقوله تعالى (ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا) (٥) وقوله تعالى (وقالوا آهتنا خير أم هو؟ ما ضربوه لك إلا جدلاً) (٦)

(٢) سورة النحل آية (١٢٥)

(٤) سورة غافر آية (٥)

(٦) مناهج الدعوة وأساليبها الدكتور علي حربشة ص (١٦١، ١٦٢)

(١) المعجم الوجيز ص (٩٦)

(٣) سورة العنكبوت آية (٤٦)

(٥) سورة غافر آية (٤)

الجدل وسيلة للدعوة :

الجدل المحمود ويعنى الحوار للوصول إلى الحق، ويعتبر الجدل صناعة الرسل والدعاة لأن تغيير العقائد ليس أمرا سهلا ، ولذلك أعطى الله تعالى لرسوله البيان ، ومنحهم القدرة على المخاصمة لكي يردوا جدل المعارض ويقنعوا السائل فهو :

أولا : يبين للداعية بعض ما سوف يصادفه من أعداء دعوته ، فيستعد له بقوة عقلية ونفسية ، فيرد الباطل ويثبت الحق ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - هو القدوة فى هذا المجال ، وقد قص علينا القرآن مواقف من هذا الجدل ، وعندما تباهى الكفار بمالهم من مال وولد وظنوا أن ذلك يدفع عنهم العذاب قال تعالى (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين) (١) فيعلم الله رسوله الرد ويأمره به قال تعالى (قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون) (٢) من هذه الآيات نرى أن مجادلة

النبي هادفة فهو يأخذ مكابرتهم ويرد عليها ردا مقنعا قاصرا على المعارض عليه .

ثانيا : الجدل يبصر بالدعوة ويبين أساسياتها وقد عرض القرآن فى هذا الموضوع جدل سيدنا إبراهيم - عليه السلام - مع النمرود حول إثبات الألوهية قال تعالى (ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن أتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذى يسبحى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين) (٣) هذا الجدل يسمى (الانتقال) فيه ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذى كان أخذ به لعدم فهم الخصم وجه الدلالة من الاستدلال الأول (٤). ليس المراد بالانتقال التعمية على الخصم وإنما التوسع فى الأدلة والبراهين التى تقمم الخصم وتجعله يسلم .

(٢) سورة سبأ آية ٣٦ ، ٣٧

(١) سورة سبأ آية ٣٥

(٤) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائل الدكتور / أحمد غلوش ص ٣٨٢ : ٣٨٥

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٨

الجدل ثالثا: يعرف الداعية بالناس ويبين طبائعهم واتجاهاتهم والعلم بأحوالهم، ومن الأمور التي عرفت عن طريق الجدل ما يلي :

خصائص اليهود: فاليهود هم أبناء سيدنا يعقوب عليه السلام - وقد انطوا علي أنفسهم، وعاشوا بمعزل عن أي مجتمع عاشوا فيه، ولما جاء الإسلام وقفوا منه موقف العداة التام، وحاجوا النبي -صلي الله عليه وسلم- كثيرا واعترضوا علي كل ناحية داعهم إليها، ولو تتبعنا آيات الجدل في القرآن الكريم لوجدنا انه وضح طبيعتهم وخصائصهم التي استمرت معهم ، منها العنصرية قال تعالي (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير) (١)

وضح أيضا القرآن الكريم في محاجته مع اليهود أخلاقهم وصفاتهم الدينئة ، منها الأنانية وهي مصدر كل داء ، دفعتهم إلي الاستغلال والقتل وإشاعة الفحشاء واستحلال الربا والكذب علي الله تعالي قال تعالي (تري كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون) (٢)

خصائص المنافقين: بين الجدل القرآني بعض خصائص المنافقين فذكر أنهم يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ، وأخلاقهم فاسدة ، وجبناء ضعفاء (٣) قال تعالي (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباللوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) (٤)

(١) سورة المائدة آية (١٨)
 (٢) سورة المائدة آية (٦٢)
 (٣) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها الدكتور / أحمد أحمد غلوش ص (٣٨٧:٣٩٩) بتصرف
 (٤) سورة البقرة آيات (١٠:١٣)

الجدل رابعاً: أسلوب حكيم يناسب كافة الطوائف الإنسانية، لأنه يسوق حججاً
اقناعية لتكون موعظة حسنة تثير الانفعال وتميخ النفس وتدفع إلى الإيمان، وفي أحيلن
تكون الحجة قطعية يقينية فيسلم الخصم ويسمي هذا النوع من الجدل (التسليم) منه
قوله تعالي (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) (٤).

وعلي الجملة فإن الجدل في نقاشه يعتمد علي أقيسة كثيرة، فإن كانت الأقيسة من
أقسام البرهان المسلم به كانت الحجة قطعية إلزامية، وإن لم تكن كذلك كانت الحجة
إقناعية خطابية، وأيضا الجدل مع كونه جدلا حسنا يتضمن الحكمة والموعظة الحسنة

الجدل خامساً: يساير الواقع البشري شأن القرآن كله، وهو في جملته خطاب بين
الرسول والبشر، ورواية عن مناقشات سابقة، والإنسان هو الإنسان في كل عصر
وزمان ولذلك جعل الله جدل القرآن فطريا ومنتزعا من قضايا الواقع، وحتى يكون في
مقدور الخاصة والعامة من الناس. (١).

عندما نتكلم عن الجدل بالتي هي أحسن فإننا نقصد الجدل الذي ليس فيه تحامل
علي الخصم ولا تقبيح له، وإنما الهدف هو إقناع الخصم للوصول إلي الحق، والنفس
البشرية لها كبرياء وعناد وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، حتى لا
تسعر بالهزيمة، والجدل بالحسنى يصون للخصم كبرياءه، لأن الداعي عندما يستخدم
هذا الأسلوب لا يقصد إلا كشف الحقيقة والاهتداء إليها، وليس هدفه هو نصره رأيه
وهزيمة الرأي الآخر، فعلي الداعية أن يلاحظ ذلك دائما وأن يكون كلامه في الجدل
والمناقشة بالحسنى، بالكلام الطيب والأدب الجم والتواضع والهدوء وعدم رفع
الصوت وعدم إغاظه الخصم أو الاستهزاء به، وليبق كلامه معه علي مستواه العالي
الرفيع الرقيق اللين المحبوب الخالي من الفظاظ والخشونة، ولكن فيه قوة الإقناع
ووضوح الحق وهذا هو المقصود من قوله تعالي (وجادلهم بالتي هي أحسن) (٢).

فنية الجدل القرآني في إبلاغ الدعوة :

الجدل القرآني كوسيلة من وسائل الدعوة قام ويقوم بدوره علي أكمل وجه لأن من مميزاته :

(١) الإقناع العقلي المجرد:

لقد خاطب العقل ، وناقش الخصوم مناقشة تعتمد علي كثير من المسلمات حتى يقطعوا بصحة المدعى أمامهم ، إن الجدل القرآني ليس من الجدل المضيع للوقت بلا فائدة لكنه جدل يثمر إيماناً وطاعة، ومن أجل الوصول بالعقل إلي اقتناع كامل بالشيء الذي هو محل الجدل رأيناه يأتي بالأمر المتناقش فيه ويجلله إلي منتهى أقسامه ، ويرد كل قسم علي حده لينتهي أخيراً إلي الرأي الحق ومثال ذلك قوله تعالي (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يكاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) (١)

(٢) مراعاة الطبائع النفسية:

يعتز الإنسان برأيه وبفكرته وإن كانت خاطئة والمعاندون أكثر الناس تشدداً في هذا المجال ، والجدل القرآني يراعي هذه الناحية في مناقشاته ، حيث تيري في طرق الجدل ما عرف بطريقة (مجاراة الخصم) ومجمل هذه الطريقة أن يسلم للخصم ببعض المقدمات للإشارة إلي أن هذه المقدمات لا تنتج ما يريد أن يستنتجها وإنما هي بعيدة عنه (٢) قال تعالي (قالوا إن أنتم إلا بشرٌ مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمين علي من يشاء من عباده) (٣)

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها وسائلها ص(٤٠٤) وما بعدها بتصرف

(١) سورة غافر آية (٢٨)

(٣) سورة إبراهيم آيات (١٠، ١١)

فدعوى الخصم أن الرسل بشر والبشر لا يستطيعون أن يتلقوا وحي الله، وهم بدعوى الرسالة يريدون صد أقوامهم عن عبادة الآباء، وبملاحظة رد الرسل عليهم نري التسليم للخصوم بأنهم بشر ويذكرون أن البشرية لا تتنافى أن يمن الله تعالى بالرسالة علي من يشاء من البشر .

ومن الطرق التي راعت طبائع الناس بمعاملة الخصوم وعدم الرد المباشر علي دعواهم مع عدم التسليم بها كقوله تعالى (وإننا أو إياكم لعلي هدى أو في ضلال مبين) (١) وقوله تعالى (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) (٢)

(٣) ملاحظة التنوع البشري :

يختلف الناس في مجادلاتهم فمنهم المجادل العنيد ومنهم المناقش السهل، ولقد راعي القرآن هذه الاختلافات، فممع العناد يلجأ إلي إفحام الخصم وإلزامه، ثم يأخذ بيده إلي الحقيقة، ومن ذلك قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله علي بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) (٣)

في هذه الآية بيان لإنكار اليهود إنزال الوحي علي بشر هو محمد بينما هم مؤمنون برسالة موسى -عليه السلام- وقد رد الله عنادهم وأفحمهم بأخصر طريق بسؤالهم عن المسلمات عندهم هي من نوع ما ينكرون، ولذلك سألمهم عن الكتاب الذي جله به موسى من أنزله عليه؟

وأما إن كان الخصم من المكابرين الذين لا يستفيدون مطلقا فإن القرآن يضع معهم حداً حتى لا يخرج الجدل عن الحسنى التي أمر الله بها وذلك مثل قوله تعالى (لكم دينكم ولي دين) فقد أمر الله رسوله أن يترك الجدل معهم ويعرفهم أن له دينه والأمر لله وذلك بعد أن أوضح الحجة وأقام البينة عليهم (٤)

(١) سورة سبأ آية (٢٤) (٢) سورة الزخرف آية (٨١) (٣) سورة الأنعام آية (٩١) (٤) المرجع السابق ص (٤٠٨: ٤١٠)

نماذج من الجدل القرآني:

سيدنا نوح عليه السلام يجادل قومه بالتي هي أحسن ويسلك معهم كل طريق لعلمهم يؤمنوا، ولكنهم كانوا أهل عناد وكبرياء، لما وجدوا نوحاً عليه السلام قد أكثر جدالهم وأعياهم بالحجة، رفضوا الجدل العقلي، وقرع الحجة بالحجة، قال تعالي (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) (١)

سيدنا محمد -صلي الله عليه وسلم- يجادل أهل الكفر الذين تمسكوا بالتقليد الأعمى قال تعالي (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) (٢)

ويجادل منكري التوحيد قال تعالي (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسجرون) (٣)

سيدنا عبد الله بن عباس يستخدم القرآن في جدله مع الحرورية من الخوارج : لعرى روى حين اجتمع بعضهم للخروج على علي -رضى الله عنه- فجعل الرجل يأتيه يقول له (يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك قال دعهم حتى يخرجوا) حتى كان ذات يوم فدخل عليهم الصحابي الجليل ابن عباس وهم قائلون (أي مستريحون في القيلولة أي وقت الظهر) فإذا هم مسهمة وجوههم من السهر، وأثر السجود في جباههم كأن أيديهم ثفن الإبل (أي خشنة) عليهم قمص مرحضة (مستعملة) (٤)

(٢) سورة البقرة آية (١٧٠)

(١) سورة هود آية (٣٢)

(٤) الاعتصام للإمام الشاطبي ج ٣ ص (٣٥، ٣٦، ٣٧) مطبعة المنار، مصر

(٣) سورة المؤمنون (٨٤: ٨٩)

فقالوا ما جاء بك يا ابن عباس وما هذه الحلة عليك قال: قلت وما تعيبون مني ذلك فلقد رأيت رسول الله -صلي الله عليه وسلم- وعليه أحسن ما يكون من الثياب اليمينية قال ثم قرأت هذه الآية (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) (١)- فقالوا ما جاء بك، قال: جئتمكم من عند أصحاب رسول الله -صلي الله عليه وسلم- وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عم رسول الله -صلي الله عليه وسلم- وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله، جئت **لأبلغكم** عنهم وأبلغهم عنكم، فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشا فإن الله يقول (بل هم قوم خصمون) فقال بعضهم: بل فلنكلمه، قال فكلمني منهم رجلان أو ثلاثة، قال: قلت ما نعمتم عليه؟ قالوا ثلاثا: فقلت ما هي؟ قالوا: حكم الرجل في أمر الله والله يقول (إن الحكم إلا لله) قال: قلت هذه واحدة، وماذا أيضا؟ قالوا: فإنه قاتلهم ولم يسب ولم يغنم، فلئن كانوا مؤمنين ما حل قتلهم، ولئن كانوا كافرين حل قتلهم وسيبهم، قال: قلت وماذا أيضا؟ قالوا ومحا نفسه من إمرأة المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، قال: قلت أرأيتم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله، ما ينقض قولكم هذا أترجعون؟ قالوا: وما لنا لا نرجع؟ قلت: أما قولكم حكم الرجال في أمر الله، فإن الله قال في كتابه (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم) (٢) وقال في المرأة وزوجها (وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) (٣) فصير الله ذلك إلي حكم الرجال، فناشدتكم الله: أتعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين وفي إصلاح ذات البين أفضل أم في ثمن أرنب ثمنه ربع درهم وفي بضع امرأة؟ قالوا: بلي هذا أفضل.

(٢) سورة المائدة آية (٩٥)

(١) سورة الأعراف آية (٣٢)

(٣) سورة النساء آية (٣٥)

قال: أخرجتم من هذه؟

قالوا: نعم.

قال: وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم أتسبون أمكم عائشة؟

فإن قلت نسبها فنستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم.. وإن قلت ليست بأمتنا فقد كفرتم، فأنتم ترددون بين ضلالتين. أخرجتم من هذه؟

قالوا: نعم.

قال وأما قولكم محاً نفسه من إمرأة المؤمنين، فأنا آتيكم بمن ترضون، إن نبي الله يوم الحديبية حين صالح أبا سفيان، وسهيل بن عمرو، فقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو ما نعلم أنك رسول الله، ولو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، قال رسول الله اللهم إنك تعلم أني رسولك، يا علي اكتب هذا ما اصطلىح عليه محمد بن عبد الله وأبو سفيان وسهيل بن عمرو)

فرجع منهم ألفان، وبقي بقيتهم، فخرجوا فقتلوا جميعاً(١)

رابعاً: العلاقة بين الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة:

إن العلاقة بين هذه الأساليب الثلاثة تكمن في أن أيّاً منهم لا تغني عن الأخرتين فالناس ينقسمون إلى ثلاثة طوائف :

الطائفة الأولى : وهي الطائفة التي تطلب المعرفة الحقيقية والعلوم اليقينية وأنسب وسيلة لهذه الطائفة هي الحكمة .

الطائفة الثانية : وهي الطائفة التي تهوى الجدل من أجل الجدل ، والذين ينعنون بمشاعبي الفكر وأنجح وسيلة للتعامل مع هذه الطائفة هي المجادلة والتي هي أحسن .

الطائفة الثالثة : فهي التي تقف في الوسط بين الطائفتين ، فهم لم تبلغ بهم العقلانية إلى درجة الحكمة ولم تسف بهم إلى درجة المجادلة والمخاصمة ، وأنسب الأساليب لهذه الطائفة هو أسلوب الموعظة الحسنة . (١)

من هذا التقسيم يتضح لنا أن اختلاف طبائع الناس يتطلب اختلاف الأساليب الدعوية ، وهنا تظهر أهمية كل أسلوب علي حده ، وقد ذكر الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه (القسطاس المستقيم) : أن المدعو إلى الله تعالى بالحكمة قوم وبالموعظة قوم وبالمجادلة قوم وعلل لذلك بقوله [فإن الحكمة إن غذي بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير وأن المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشتمأزوا منها كما يشمئز طبع الرجل القوي من الارتضاع بلبن الآدمي، وأن من استعمل الجدل مع أهل الجدل لا بالطريق الأحسن كما تعلم من القرآن كان كمن غذي البدوي بخبز البر وهو لم يألف إلا التمر ، أو البلدي بالتمر وهو لم يألف إلا البر] (٢)

وهذا تصنيف مقبول من جانب إذا نظرنا إلى الأساليب الثلاثة مجزأة ، ولكن إذا نظرنا إلى أحوال الشخص الواحد وأنه قد تعثر به حالات ثلاث :

(٢) القسطاس المستقيم ص (١٢، ١١)

(١) انظر مفاتيح الغيب للرازي ج ٩ ص (٦٦٣، ٦٦٤)

* حالة الفطنة .

* حالة الوجدان والعاطفة.

* حالة الكبرياء والذاتية.

إذا عرفنا هذه الأحوال أدركنا أن هذه الأساليب الثلاثة تصلح لرجل واحد قد يكون في حالة تستدعي الخطاب بالحكمة، أو تستدعي الخطاب بالموعظة الحسنة، أو تستدعي الخطاب بالجدال والتي هي أحسن حسب الأحوال التي تعتره (١). وقد استخدم النبي -صلي الله عليه وسلم- هذه الأساليب مع مفاوضي قريش . في المرة الأولى قرأ عليهم صدر سورة فصلت .

وفي المرة الثانية قال لهم واعظا ومجادلا والتي هي أحسن [ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغت رسالات ربي ونصحت لكم وإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصير لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم] (٢)

مقومات أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة لدى الداعية:

(١) علم مستعمل: يجب علي الداعية أن تكون لديه الخبرة الكافية بنفوس وطبائع الناس مما يمهد له الطريق لمعرفة أنسب الوسائل والأساليب التي تتفق وطبيعة النفس والمقصود بالعلم المستعمل أن يكون الداعية عاملا بما يعلم .(قيل للمهلب بن أبي صفرة بما نلت ما وصلت إليه؟ قال بالعلم، قيل له: ولكن غيرك أعلم منك ثم لم يصل إلي مثل ما وصلت إليه! قال: لقد حملت العلم واستعملته أما هم فقد حملوه ولم يستعملوه) (٣)

(١) الدعوة الإسلامية التجربة الأخطاء الحل الدكتور /رؤوف شلبي ص(١٥٩، ١٦٠)

(٢) انظر السيرة الحلبية ج ١ ص(٣٤٠)

(٣) البداية والنهاية ابن كثير ٥م ج ١ ص(١١٤)

العلم المستعمل هو الخبرة التي تجعل الداعية حكيما في توظيف أي أسلوب من الأساليب الثلاثة السابقة عند التعامل مع نموذج بعينه من الناس .

(٢) الهندمة الخلقية والأخلاقية لدى الداعية:

والمقصود بذلك أن يتزين الداعية بأحسن الأخلاق ، وربما كان التحلي بمكارم الأخلاق سبباً كافياً لقبول المدعو للدعوة واستجابته وإذعانه للحق .

وخلاصة القول في الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة والتي هي ^{أهم} أنها أساليب فعالة في طريق الدعوة إلى الله تعالى لا تخضع إلا لذي عقل ناضج وإيمان خالص لله تعالى وفهم وخبرة ، فعلي الداعية أن يحسن اختيار الأسلوب ويتلطف بالقول ويتعد عن روح الاستعلاء على المدعو ، وليس المقصود بالتلطف في القول أن يدهن أو ينافق أو يخفي الحق لا ليس هذا هو المقصود وإنما هو تشويق المدعو لقبول الحق وإذعانه له (١)

(١) أصول الدعوة الدكتور / عبد الكريم زيدان ص (٤٧٣)

المبحث الثالث

القصة والمثل أسلوبان من

أساليب تبليغ الدعوة الإسلامية

المبحث الثالث

القصة والمثل أسلوبان من أساليب

تبليغ الدعوة

أولاً القصة :

عندما نتكلم عن القصة وعن الأسلوب القصصي ودوره في تبليغ الدعوة الإسلامية فإننا نقصد القصص الواقعي الذي يستمد أدواته وأساليبه من الواقع وهو يعتمد على الرمزية والإيجاز وهذه هي سمات القصص الذي نقصده في حديثنا عن القصة .

مفهوم القصة:

القصة معناها في اللغة هي : الرواية (١) وهي لفظ مشتق من قص أثره أي تتبعه والقصة واجدة القصص وهي الأمر والحديث يقال اقتص الحديث رواه على وجهه وقص عليه الخبر ، ولاسم القصص بالفتح وضع موضع المصدر والقصة التي تكتب (٢) وجاء في المصباح المنير قصصت الخبر حدثت به على وجهه والاسم القصص بفتحيتين وقصصت الأثر تتبعته (٣)

والقصة بمفهومها العام هي ذلك اللون الأدبي الذي يتخذ من السرد والحوار والوصف أدوات لتبليغ المضمون المتجسد في البناء الذي يشمل العقدة والحل ، وتختلف أهدافها باختلاف الشخص القاص لها ، أما عناصرها الأساسية المكونة لها فهي الأشخاص، الحدث، البيئة الزمانية والمكانية .

أما القصص القرآني والنبوي فهو يخالف القصص بمفهومه العام من حيث إنه لا يعول على سرد جزئيات الحدث مرتبة بحسب التوقيت الزمني وذلك لأنه ليس الهدف هو القصة في حد ذاتها ، وإنما الغاية والهدف هو أخذ العبرة والعظة من القصة ، هذا وقد عرف الرازي القصة القرآنية فقال: (هي مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي

إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة) (٤)

(٢) مختار الصحاح مادة قص ص (١٨٧)

(٤) مفاتيح الغيب ج ٣ ص (٧٠٢)

(١) المعجم الوحيز ص (٥٠٤) طبعة وزارة التربية والتعليم

(٣) المصباح المنير مادة قص ج ٢ ص (٧٢)

القصة القرآنية :

تعرف القصة القرآنية بأنها كلام حسن في لفظه ومعناه مشتمل على أحداث حقيقية سابقة ومتضمن على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الخير .
ولا يصح أن نطلق اسم الحكاية على القصة القرآنية ، لأن الحكاية يلاحظ فيها المحاكاة والوقوف على ما جرى بغض النظر عن العبر التي فيها أو الاستفادة منها ، كما أن الحاكي لا يهدف التأثير أو التوجيه من حكايته ، أما القصة القرآنية فتكشف عن آثار الماضي وتنقب عن حوادثه ، وتعرضها في أسلوب معجز مشتمل على العبرة والعظة ، أخذاً بالعقل والوجدان إلى زمن القصة وأدوارها وأشخاصها مهما كانت كثيرة وبعيدة .

والقصة القرآنية تملك جميع عناصر القصة الفنية ، فالمكان والزمان والأشخاص والحوادث موضوع الحوار كل ذلك واضح فيها ، إلا إنها لكونها هادفة تركز مرة على أحد هذه العناصر ومرة أخرى على غيرها وهكذا ، فهي تراعي الهدف الذي تدعو إليه فمثلاً يبرز المكان في قصة توضيحا لغرض مقصود من القصة قصة يوسف - عليه السلام - نعلم أن الأحداث تدور في مصر إذ ينتقل يوسف من الجب إلى بيت العزيز الملك ، ويخرج من البيت ليدخل السجن ، وبعد مدة يترك السجن ليستقر أخيراً في حظيرة الملك ، ويبرز المكان في هذه القصة مدى عفة يوسف وعصمته ، فرغم أنه تربى في بيت الملك إلا أن ذلك لم يغير طهارته ، وهذا يجعله يستحق في النهاية أن يكون على خزائن ملك مصر (١)

والقصة القرآنية لا تعول على سرد جزئيات الحدث مرتبة بحسب التوقيت الزمني فإن ذلك ليس من الضروري ، ولكنها تأتي بالترتيب الأبلغ في التركيز والأحرى في التأثير (٢)

(١) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها الدكتور / أحمد أحمد غلوش ص (٢٨٨، ٢٨٩)

(٢) تفسير المنار الشيخ محمد عبده ج ١ ص (٣٢٧) بتصرف

المحرر

المميزات العامة للقصة:

(١) تمتاز القصة بأنها تصور نواحي الحياة، فتعرض لك الأشخاص وحركاتهم وأفكارهم وأخلاقهم وبيئتهم الطبيعية والزمنية، وتعرضهم عليك بعرض أعمالهم وتصرفاتهم، فإذا رأيت هذه التصرفات والأعمال، عرفت ما يستكن في النفوس من طباع، وما يهجس فيها من أخواطر وانشرح صدرك لأهل الخير منهم وضقت ذرعاً بذوي النفوس المظلمة، حتى لكأنك تراهم رأي العين، وتسمع منهم سمع الأذن وتعاشرهم وتحي بينهم، وهذه هي الميزة الأولى للقصة إذ تعرض التعاليم في صورة عملية حية تحرك الوجدان، وترفع نبض المشاعر.

(٢) وتمتاز القصة كذلك بأن النفس تميل إليها فغريزة حب الاستطلاع تعلق عين السامع وأذنه وانتباهه بنسق القصص البارع، استشرافاً لمعرفة ما خفي من بقية الأنباء، فتجعل النفس أوعية مفتوحة لتقبل ما يصب فيها، وتسمى هذه الميزة بميزة التنبيه والتقبل. (١)

(٣) وتمتاز القصة عن سائر فنون الكلام الأخرى بأنها لا تعطي أحداثها دفعة واحدة بل تعتمد إلى التجزئة، فتكشف أبعاده وتوضح جوانبه.

(٤) من مميزات القصة أيضاً أنها مجال خصب للترغيب والترهيب الذي يعتبر من أهم أساليب الدعوة، لأنه يتفق مع فطرة الإنسان وطبيعته المحبة للخير والثواب الكارهة للشر والعقاب.

(٥) تمتاز القصة أيضاً عن سائر فنون الكلام، بالقدرة على تحقيق الإقناع، وفيها عنصر التشويق والاستمالة، مما يحقق في النهاية الغاية من القصة. (٢)

هذه هي مميزات القصة بصفة عامة، أما القصة القرآنية فلها مميزات سأذكرها فيما يلي

(١) تذكرة الدعاة البهي الخولي ص (٤٤، ٤٥)

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها الدكتور / أحمد غلوش ص (٢٩٥) وما بعدها بتصرف

مميزات القصة القرآنية كوسيلة من وسائل الدعوة

اشتملت القصة القرآنية على ملامح ومميزات جعلتها وسيلة هادفة من وسائل الدعوة، وطريقة ناجحة للتأثير والإرشاد من هذه المميزات ما يلي:

أولاً:- تلازم الداعية وتملأه انفعالاً بدعوته، وتصيره متحمساً لها، وتجعله مجاهداً ضد أعدائها، واثقاً من النصر والنجاح للدعوة في نهاية الأمر، وذلك يتضح من القصص القرآني الذي قصه الله على نبيه -صلى الله عليه وسلم- قال تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين)(١)

يقول الرازي عند تفسيره لقصة سيدنا نوح -عليه السلام- في سورة يونس (إنما قص الله تعالى قصص الأنبياء لأسباب منها أن يكون للرسول -صلى الله عليه وسلم- ولأصحابه أسوة بمن سلف من الأنبياء فإن الرسول إذا سمع أن معاملة هؤلاء الكفار مع كل الرسل ما كانت إلا على هذا الوجه خف ذلك على قلبه كما يقال: المصيبة إذا عمت حفت)(٢)

ثانياً:- تمد الداعية بمجموعة من المعاني والقيم فهو من قصة آدم يجب التزام طريق الله وطاعته ويكره إبليس ويحذر من غوايته، ومن قصة نوح يجب الهدى والنفع والطاعة ويكره الجدل والمراء والغرور، ومن قصة مدين يتمنى العدل ولا يريد التطفيف، ومن قصة لوط ويوسف يتمسك بالطهر والعفاف ويبعد عن غيرها، وهكذا يستفيد الداعية من القصص القرآني كل هذا لأنها تظهر هذه المعاني وتصورها داعية إليها ومرغبة فيها

ثالثاً:- تبين القصة علاقة الداعية بمن يدعوهم فتذكر أنها لا بد أن تكون علاقة مودة وإخاء، فالداعية حريص على الناس يتمنى لو أنهم اتبعوه حتى يسعدوا في الدنيا ويفوزوا في الآخرة.(٣)

(١) سورة هود آية (١٢٠)

(٢) مفاتيح الغيب ج ٥ ص (٢١)

(٣) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها الدكتور أحمد غلوش ص (٢٩٥) بتصرف

رابعاً:- تعرف الداعية بمبادئ الدعوة، وتوضح له دعائمها الأساسية مع ذكر أدلة الصديق لهذه المبادئ .

والناظر في القصة القرآنية يرى هذه المبادئ واضحة والتدليل عليها أوضح، فعن الإيمان بالله أول الأسس والمبادئ نلمح اهتمام القصص به، في قصة نوح عليه السلام نقرأ قوله تعالى قاصداً قول سيدنا نوح عليه السلام- (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون)^(١) ولا يقف القصص عند حد طلب التوحيد وعبادة الله تعالى بل نراه يذكر الأسباب التي من أجلها يجب على الإنسان أن يوحد ربه ويعبده، فالله هو صاحب النعم، وهو مالك الدنيا والآخرة قال تعالى في قصة سيدنا إبراهيم مع قومه وهو يدعوهم إلى الإيمان (الذي خلقتني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين)^(٢)

هذا عن الإيمان بالله أما عن التصديق بالرسول فإن القصة تناقشه على أساس أنها انتهت من مسألة الألوهية وأعرفت الناس بضرورة تخصيص العبادة لله وحده وهي في موقفها مع المكذبين للرسول تناقشهم في سبب تكذيبهم فلئن كان السبب بشرية الرسول كقول قوم نوح (ما نراك إلا بشراً مثلنا)^(٣) وقول قوم صالح (أبشرا منا واحداً نتبعه)^(٤) وقول كفار مكة حين تعجبوا وقالوا (أبعث الله بشراً رسولا)^(٥) إن كان السبب هو ذلك فإن الرد سهل وموجز حيث أتى الله بالمعجزة على يد الرسول البشر ليظهر صدقه عملياً أمام المكذبين نظرياً بدعواه .

فالقصة تصحح أسس العقيدة ، وتطوي في ثناياها أدلة إنزال الوحي والكتب^(٦)

(٢) سورة الشعراء آيات (٧٨:٨٢)

(٤) سورة القمر آية (٢٤)

(٦) المرجع السابق بتصرف

(١) سورة نوح آية (٣)

(٣) سورة هود آية (٢٧)

(٥) سورة الإسراء آية (٩٤)

خامساً: - تبصر القصة الداعية بالمدعويين وتبين حقائق طبائعهم وغرائزهم واتجاهاتهم ذلك لأن تكرار الظاهرة الواحدة في الأمم كلها على نمط واحد، دليل على أن هذه الظاهرة سنة إلهية مسلمة، وتركيز القرآن الكريم عليها في قصصه يفيد أنها من الأحكام العامة والنواميس الطبيعية التي لا تختلف في أي زمان أو في أي مكان ويجب أن تفهم على أنها إنباء عن ملامح الأمة التي جاءتها الدعوة الإسلامية، وعلى الرسول والدعاة من بعده أن يلحظوا هذه الوضعية ليكيفوا أسلوب الدعوة على وفقها ومن هذه الطبيعة الاجتماعية الثابتة في خلق الناس ما يلي:

(أ) اختلاف الناس أمام الحق:

جرت طبيعة الناس على أنهم ليسوا أمام الحق ودعوة الله سواء فهم لا يعادونها كلية ولا يؤمنون بها كذلك، والعادة فيهم الاختلاف دائما قال تعالي (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) (١)، يقول النسفي (أي خلقهم للذي علم أنهم سيصيرون إليه من اختلاف واتفاق) (٢).

والقصة تبين هذه الحقيقة قال تعالي في حديثه عن قصة قوم سيدنا صالح (ولقد أرسلنا إلي ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون) (٣)، فنراهم أملم دعوة سيدنا صالح عليه السلام - ينقسمون إلي فريق مؤمن وفريق كافر، وفي قصة سيدنا موسى عليه السلام - قال تعالي (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) (٤)، ومظهر الاختلاف يتضح من إيمان فريق بموسى وكفر فريق، وهكذا الشأن في كل الأمم إذ يختلفون أمام دعوة الله ويعادون الرسل ويحاولون التصدي لهم عنادا وتكبرا قال تعالي (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا) (٥)، فلا عجب أن تبين القصة هذه الحقيقة لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وللدعاة من بعده لئلا يفاجئوا حين يرون من الناس الاستهزاء والإيذاء والاختلاف (٦).

(٢) تفسير النسفي ج ٢ ص (٢٠٩)

(١) سورة هود آية (١١٩)

(٤) سورة هود آية (١١٠)

(٣) سورة النمل آية (٤٥)

(٦) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها الدكتور أحمد غلوش ص (٢٩٩)

(٥) سورة الفرقان آية (٣١)

(ب) الغني والفقير أمام الدعوة:

جرت السنة بين الناس أن الأغنياء هم الظاهرون في المجتمع والأمر بيدهم دائما ، والفقراء تابعون لهؤلاء الأغنياء ، وكان المظنون أن يكون هؤلاء الأغنياء أسرع إيمانا بدعوة الله ، شكرا للنعمة التي يعيشون فيها ، وتقديرا للمسئولية التي تحملوها عن أنفسهم وعن الفقراء من حولهم ، لكن الواقع كان على خلاف ذلك .

قد بين القرآن حقيقة الأغنياء مع سائر الرسل قال تعالى (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون) (١) بين أبو السعود في تفسيره لهذه الآية (أن هذا الكفر شامل للمترفين في سائر القرى فيقول : لم يرسل قط إلي أهل قرية من نذير إلا قال مترفوها مثل ما قال متر فوا مكة إنا بما أرسلتم به كافرون) (٢)

وفي أحداث القصص نرى هذه الحقيقة للمعارضون لدعوة نوح -عليه السلام- هم الملائق قال تعالى (قال الملائق من قومه إنا لنراك في ضلال مبين) (٣) والمعارضون لدعوة هود -عليه السلام- هم الملائق قال تعالى (قال الملائق الذين استكبروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين) (٤) والمعارضون لدعوة موسى عليه السلام هم الملائق قال تعالى (وقال الملائق من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآهنتك) (٥) والمعارضون من قوم صالح -عليه السلام- هم الملائق قال تعالى (وقال الملائق الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) (٦)

والملائق هم أشرف الناس كما قال صاحب المصباح ، وهم بمكانتهم المذكورة عادوا الأنبياء والدعوات وكانوا يفخرون علانية بأن الرسل لا يتبعهم إلا الفقراء بل وصل بهم الأمر أن طلبوا من بعض الأنبياء أن يطردوا الفقراء ، إن الأغنياء مع خطأ نظرهم قد تمكنوا من خديعة كثير من الفقراء وضموهم إلي معسكر المعارضين . (٧)

(١) سورة سبأ آية (٣٤) (٢) تفسير أبو السعود ج ٤ ص (٣٢) (٣) سورة الأعراف آية (٦٠) (٤) سورة الأعراف آية (٦٦) (٥) سورة الأعراف آية (١٢٧) (٦) سورة الأعراف آية (٧٥)

(٧) المرجع السابق ص (٣٠٥) وما بعدها بتصريف نصر أبو السعود في الدعوة لهم لها ووالله أعلم بالذليل والذليل

إن كانت القصة تبين معارضة الأغنياء للدعوة فهي تبين أن الفقراء كانوا على عكسهم فهم الأراذل أتباع سيدنا نوح عليه السلام- وهم المستضعفون أتباع سيدنا صالح عليه السلام- وهم الشرذمة أتباع سيدنا موسى عليه السلام- وهم أتباع محمد - صلى الله عليه وسلم- فالغني لا يرضى لنفسه أن يكون مع الفقراء في منهج واحد وطريق واحد لذلك يعارض الأغنياء الدعوات السماوية ، أما الفقراء فهم يحسون بالحاجة إلى التغيير ويتمنون وضعاً أفضل من وضعهم ، لذلك يستجيبون للدعوة طمعا في السعادة ، ولعلمهم يتخلصون من جيروت الأغنياء ومظالمهم .

والقصة وهي توضح هذه الحقيقة تقدم فهما واضحا للناس أمام الداعية الذي عليه بعد هذا الفهم أن يبدأ بمن يرى استجابتهم أسرع ، ويترك الأغنياء قليلا ، مع مراعاة هذه الخصائص أثناء دعوتهم .
(ج) موروثات الآباء أمام الدعوة :

تبين القصة القرآنية أن موروثات الآباء والأجداد عائق رئيسي يقف أمام الدعوة لأن الأبناء في كل عصر يعتبرون أنفسهم الأمناء على هذه الموروثات ، ويأخذون منها كيانهم كله وأي تغير لها يعد هدماً لوجودهم ، ولذلك فهم يعارضون الدعوات ويقفون ضدها . (١)

والقصص القرآني يبين ذلك بوضوح فهذا هو سيدنا نوح عليه السلام- يئذ للدعوة كل جهده وعمره ويسمع نداء من المعارضين في أقوامهم يقولون لهم (لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) (٢) ، وها هو سيدنا هود عليه السلام- يسمع من قومه قولهم (قالوا أجبنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فاتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) (٣) ، وكذلك الأمر مع سيدنا إبراهيم يسمع من قومه (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) (٤) .

(٢) سورة نوح آية (٢٣)

(٤) سورة الشعراء آية (٧٤)

(١) الرجوع السابق ص (٣٠٨، ٣٠٩) بتصرف

(٣) سورة الأعراف آية (٧٠)

وسيدنا صالح - عليه السلام - يسمع من قومه (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإنا لفي شك مما تدعونا إليه مريب) (١)، وسيدنا شعيب - عليه السلام - يسمع من قومه (قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لآنت الحليم الرشيد) (٢)، وسيدنا موسى - عليه السلام - يسمع من قومه (قالوا أجنثنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا) (٣)

ومن هنا لم يكن غريبا على الأمة العربية أن تعلن هذه الخاصية لتؤكد هي الأخرى مع السابقين أن موروثات الآباء لها دورها الخطير في معارضة الدعوة ، فعندما داعهم النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الإيمان بما أنزل عليه قالوا (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) (٤)، من هنا كان على الدعوة وهم يتدرجون في دعوتهم أن يبدؤوا بتعديل المألوف ومنه ينتقلون إلى الجديد الذي لم يؤلف من قبل ، وليس في ذلك غرابة فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - دعا الأعراب إلى أن يشاركوه في رحلته إلى العمرة يوم الحديبية لأن حج البيت وتعظيمه كان مألوف والدعوة إلى الاشتراك فيه مدخل لطيف لكي يؤمن الأعراب بما ألفوه وبما لم يألفوه بعد ذلك ، وقد أورد ابن إسحاق هذه الرواية في سيرته [واستنفر النبي - صلى الله عليه وسلم - العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه فأبطأ عليه كثير من الأعراب وخرج رسول الله بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليامن الناس من حربه ويعلموا أنه خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له] (٥)

فهذا أمر مألوف ولكنه يحتاج إلى تعديل فقط ، أما الأمور الجديدة فقد **لقد** عناء شديداً فيها مثل الدعوة إلى أفراد الله بالعبادة ، من هنا وجب على الدعوة أن يدرسوا سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى يستفيدوا بها خلال دعوتهم. (٦)

(١) سورة هود آية (٦٢)

(٢) سورة هود آية (٨٧)

(٣) سورة يونس آية (٧٨)

(٤) سورة البقرة آية (١٧٠)

(٥) سيرة ابن هشام ج ٢ ص (٢٤)

(٦) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ص (٣١٠) بتصرف

سادسا: - تعتبر القصة في حد ذاتها موعظة حسنة ، لأنها بعناصرها وتأثيراتها تلفت نظر المدعوين برفق وتعطيه من عبر الماضي ما يجعله يقتنع ويشعر أن الداعي ينصحه ويقصد نفعه ، وفي القصة العبر والمواعظ والتذكير قال تعالى (أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها) (١) ، قال تعالى (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (٢) ، فهذه الآيات وغيرها في القرآن الكريم تلفت النظر لكي نتفكر فيمن كان قبلنا من الأمم السابقة لنرى فيها كيف بذل الرسل معهم كل ما يرغبهم في الإيمان ويدعوهم إلى التصديق بما جئوهم به ، وهم مع ذلك مصرون على عنادهم ، سادرون في غيهم ، ولكنهم مع قوتهم وشدة شكيمتهم ، وعتوهم وتجبرهم لم يعجزوا الله تعالى فأخذهم بذنوبهم وأهلكهم فلم يجدوا ناصرا لهم ، والعذاب ليس بعيداً عنكم إن كذبتم فكم من قرية كانت أشد منكم بطشاً وقوة وأعظم بأساً حطمها الله تعالى ودمر بيوتها ودمدم عليها ولم تغن عنهم قوتهم شيئاً ، وهذه هي قصصهم تتلى عليكم فخذوا منها العبرة والعظة . (٣)

سابعا: - القصة التي وردت في القرآن تناسب طاقة البشر لأنها رواية عن أخبار البشر وقد اختارها الله تعالى بدقة وقص منها علينا ما هو هادف ومؤثر ، وجعلها وحياً باقياً يلائم البشر دائماً ، وهي تفيده الدعوة وتفيد مقاصدها ، وينتفع بها الدعاء إلى الله فهي نبراس تضيء لهم الطريق وتوضح لهم معالمة . (٤)

(١) سورة محمد (١٠)

(٢) سورة يوسف آية (١١١)

(٣) أسس الدعوة وأداب الدعاء الدكتور / محمد السيد الوكيل ص (١٢٩)

(٤) الدعوة أصولها ووسائلها الدكتور / أحمد غلوش ص (٣١٣)

نموذج من القصص القرآني:

دروس وعبر من قصة يوسف عليه السلام:

(١) درس في الإيمان من سيدنا يعقوب - عليه السلام:

الإيمان بالله تعالى له أكبر الأثر في النفس الإنسانية، فهو يمدّها بالعزاء عند حلول المصائب، وهو يهبها الطمأنينة لتصمد بها أمام ما يصادفها من كوارث وأهوال، وهذا ما يتمثل لنا في تصرفات سيدنا يعقوب - عليه السلام - في سلسلة متلاحقة من تاريخ حياته وفي توجيهه لأولاده. (١)

فها هو يعقوب - عليه السلام - يتلقى نبأ فقدان يوسف - عليه السلام - أحب أولاده إليه وأن الذئب قد افترسه، تصور وقع هذه المصيبة عليه وما تحدّثه فيه من انفعالات وجروح في نفسه، ولكن ماذا كان رد فعله - عليه السلام - لقد رأينا سيدنا يعقوب - عليه السلام - يظهر بمظهر المستعين بالله تعالى على هذه المصيبة، صابرا على هذا البلاء ولكن بأي صورة من الصبر؟ إنه الصبر الجميل الذي لا يخالطه جزع ولا شكوى، فنراه ينطق بهذا القول الرائع قال تعالى (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) (٢)

وها هو يعقوب عليه السلام - نراه مؤمنا إيمانا عميقا بلطف العناية الإلهية مستسلما لها بثقة و يقين وخاصة عندما طلب أولاده منه أن يسمح لهم بأخذ بنيامين معهم في رحلتهم إلى مصر، وهو المصاب من غدرهم، والمرتاب من تصرفاتهم، والحزين على فراق يوسف، فماذا كان جواب سيدنا يعقوب - عليه السلام - أمام هذا الطلب؟ لقد كان جوابه بهذه الكلمات التي يشع منها الإيمان القوي بلطف الله والثقة بعدله ورحمته بعد موافقته على إرسال بنيامين معهم (فإن الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين) (٣)

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم عبد الفتاح طبارة ص (١٨٧)

(٢) سورة يوسف آية (٦٤)

(٣) سورة يوسف آية (١٨)

وها هو سيدنا يعقوب -عليه السلام- نراه بصورة المتوكل على الله وما يستتبع ذلك من راحة وطمأنينة نفسية لأمر الله تعالى ، وهذا ما نراه عندما يوصي أولاده بدخول مصر في الرحلة الثانية بأن لا يدخلوها من باب واحد بل من أبواب متفرقة لئلا يلفتوا الأنظار ، ويكونوا موضع ريبة من الحرس فيكون ذلك ما يسوءهم ولا سيما لأنهم من أهل فلسطين الذين كان بينهم وبين أهل مصر عدا .

علل سيدنا يعقوب -عليه لسلام- هذا التدبير والاحتباس بأنه لا يدفع عنهم ما قدر الله عليهم ، ولو أن الله أراد بهم سوءا لم ينفعهم هذا التدبير قال تعالى على لسان سيدنا يعقوب -عليه السلام- (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء) ثم يتابع سيدنا يعقوب نصيحته لأولاده بهذه الجملة التي تفيض بالإيمان والاستسلام لإرادة الله تعالى (إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) (١)

وهنا يعطينا سيدنا يعقوب -عليه السلام- درسا بأن التوكل على الله يجب أن يصاحبه الأخذ بالأسباب ، والحيلة والحذر من الأضرار ، والمؤمن هو الذي يأخذ بأسباب النجاة مع الثقة والاطمئنان لما قدر الله تعالى .

فنصيحة يعقوب -عليه السلام- لأولاده أدخلت الطمأنينة إلى نفسه وجعلته في وضع لا يتحسر كثيرا ، ولا يأسف أسفا يائسا إذا أصابت أولاده صدمة من صدمات القدر ولا سيما لم يصدر قصور منه ولا تقصير ، فهو حين عمل بالواجب سيهون عليه وقع المصائب إذا وقع . (٢)

(١) سورة يوسف آية (٦٧)

(٢) المرجع السابق ص (١٨٨) بتصرف

سيدنا يعقوب -عليه السلام- يتلقى صدمة قاسية وهي استرقاق ولده بنيامين فهذه المصيبة ذكرته بيوسف ففاضت أحزانه ، فعندما لامه أهله على استرساله في الحزن قال لهم (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) فهذه الجملة تتركز فيها أعماق معاني الإيمان والصمود أمام المصائب التي تذهب عادة بصواب الإنسان أو تؤدي به إلى الإهيار ، فهنا يقول لهم إنما أشكو همي إلى الله وهو الرحيم القادر على كشف غمتي ولا أشكو إلى العباد الذين لا حول لهم ولا قوة أمام تصاريف الدهر.

وأخيرا نرى سيدنا يعقوب -عليه السلام- بصورة المؤمن المتفائل المفعم بالأمل عندما يوصي أولاده بالبحث عن يوسف وبنيامين فيقول لهم (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)(١)

وهنا يحدد سيدنا يعقوب -عليه السلام- نفسية المؤمن بأنه لا ييأس من رحمة الله فاليأس كفر بنعمة الحياة وخالفها ، والإيمان عدو اليأس ، والإيمان يولد الأمل والرجاء برحمة الله مهما ادلهمت الخطوب ، واكفهر الزمان ، فإن مع العسر يسرا .(٢)

(١) سورة يوسف آية (٨٧)

(٢) المرجع السابق ص ١٨٩ بتصرف

(٢) البرهان على وحدانية الله تعالى:

وحدانية الله هي الهدف الأول الذي جاء به الإسلام، والقرآن الكريم حينما يحدثنا عن سيرة الأنبياء والرسل يقص علينا ما وعظوا به قومهم من الدعوة إلى وحدانية الله وهكذا كان القصص القرآني وسيلة لغرس التوحيد في النفوس.

وها نحن نقدم نموذجاً على لسان سيدنا يوسف -عليه السلام- عندما وعظ السبيث فقال (واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا ~~وبل الناس~~ ~~والناس~~ لا يشكرون يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (١)

إن يوسف يقول: إنه لم يبتدع ديناً وإنما سار على ملة آباءه وأجداده الذين هداهم الله إلى العقيدة الصحيحة ألا وهي وحدانية الله ووحدانية الله دعوة اشترك في تأكيدها جميع الأنبياء، ثم نرى يوسف يقول: هل الشرك بما فيه من متناقضات وأرباب متعددة خير، أم التوحيد وعبادة الواحد الأحد؟

إن تعدد الآلهة تشوش عقل الإنسان وترميهِ في متاهات الخرافات والشعائر الوهمية كما تفرق شمل الجماعة الإنسانية، بينما وحدانية الله تحرر الإنسان من ربة الخرافات وتوحد بين ميول الجماعات، وتسمو بها إلى غاية واحدة وهي الإخلاص لله وحده.

ثم يتابع سيدنا يوسف -عليه السلام- قوله: إن الأصنام وما أهتموه من مظاهر الطبيعة هي من بنات أفكاركم وتسمياتكم فكيف تؤهلون أشياء أنتم ابتدعتموها لا تقوم على حجة، ولا تستند إلى برهان، فالإله المعبود بحق هو الله وحده. (٢)

(١) سورة يوسف آيات (٤٠:٣٨)

(٢) مع الأنبياء في القرآن الكريم عفيف عبد الفتاح طباره ص (١٩٠)

(٣) اختلاط الجنسين ومضاره:

في قصة يوسف صورة لغواية المرأة للرجل ودأبها المتواصل المستمر للحصول على مبتغاهها، فالمرأة ذلك المخلوق الضعيف ولكنها بفتنتها وإغرائها للرجل تصبح ذلك القوي الذي لا يقهر .

لكن ما هي الأسباب التي أدت إلى غواية امرأة العزيز ليوسف؟ لقد كان اختلاطها معه ووجوده المستمر في القصر بجانبها من الدواعي التي أدت إلى إضرام شعلة الحب في قلبها، ولهذا نراها تصبو إليه وتتعرض له بالإغراء، وتطلب منه ما هو محظور عليه وعليها فيأبى ذلك عزة وشرفا وخيفة من الله .

فانفراد الرجل بالمرأة بعيدا عن رقابة الأهل والمجتمع يؤدي إلى أضرار لا تحمد عقباه، ولهذا حذر الإسلام من انفراد الرجل بالمرأة بدون وجود قريب للمرأة ذي محرم منها

(٤) العفة :

إن في قصة يوسف عليه السلام -وصموده أمام الإغراء درسا في العفة وفي مغالبة الشهوة والانتصار عليها، مما يعتبر أعظم مثل يمكن أن يقتدي به كل من أراد العفة .
فها هي امرأة العزيز ^{عز} الملك تختلي بيوسف وهي على قسط وافر من الجمال تعرض عليه مفاتها وإغراءها، وتطلب منه الاستجابة لرغبتها، وإن الوضع الذي كان فيه يوسف يستدعي مطاوعتها وتلبية رغبتها، لأن يوسف في ريعان الشباب وفي وقت تتفتح فيه النفس على الحب وتضطرم فيه الشهوة، وفوق هذا فهو في دارها وتحت سلطانها وقهرها، وهي الداعية فهي لن تنم عليه وقد غلقت الأبواب وأبعدت الرقباء، وفوق كل ذلك فهو مملوك لها يدخل ويخرج معها ولا ينكر ذلك أحد، وهذا مما يزيد الأناجس والود وهو من أقوى الدواعي (١).

(١) المرجع السابق ص (١٩٠، ١٩١) بتصرف

ولكونه أمام هذه الأمور جميعها أعرض عنها بدافع من واجب الشرف والإخلاص والوفاء لزوجها من أن يخونه قال تعالي على لسان يوسف عليه السلام- (معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي) وليس فقط الوفاء وإنما المراقبة لله والخوف منه تعالي كان الدافع الأكبر لرفضه هذه الفاحشة .

(٥) عاقبة الصبر:

إن في قصة سيدنا يوسف عليه السلام- درسا في التحلي بالصبر، وكيف يجب أن يكون زاد الإنسان في رحلة العمر لما فيه من العاقبة الحسنة، فالإنسان يخلق وتخلق معه المتاعب من مصائب وآلام وفقر ومرض، وفقد الحبيب، وكل ذلك يحتاج إلى صبر للتغلب عليه .

وقصة سيدنا يوسف عليه السلام- سلسلة من المتاعب التي انتهت بالفوز والمكانة المرموقة والحياة الطيبة، تبتدئ حياة يوسف بانسلاخه عن أهله وإلقائه في البئر ثم إنقاذه والعيش بعيدا عن أهله، مع ما في ذلك من ألم، ثم تأتي مرحلة قاسية عليه وهي زجه في السجن ظلما وعدوانا وجزاء أمانته (١).

كل هذه الأمور يمكن أن تلقي في النفوس اليأس والكفر بقيم الحق والعدالة وتحثه على الارتقاء في أحضان الشر والرذيلة ولكن شيئا من هذا لم يحصل بل ظل يوسف صامدا على مبادئه، صابرا على بلوائه، مترقبا رحمة ربه منتظرا انفراج الأزمة التي وقع فيها ظلما وعدوانا، ومؤمنا بالله وعدله لم تزعزعه هذه المصائب عن إيمانه وثقته بالله، فكان الجزاء أن من الله عليه بموهبة تفسير الرؤى، التي بسببها نجاه الله من السجن وتربع في أرفع المناصب الدنيوية ونال الجاه والسلطان وطيبات الحياة، قال تعالي موضحا عاقبة الصبر (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) (٢)

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم ص (١٩٢)

(٢) سورة يوسف آية (٩٠)

(٦) فائدة الإحسان:

في قصة يوسف عليه السلام - ترغيب بفضيلة الإحسان وبيان آثارها في نيل سعادة الدنيا والآخرة، وأول ما يطالعنا من فائدة الإحسان في القصة قول الله تعالى (ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين) (١)

فيوسف - عليه السلام - لم يؤت العلم والحكمة محاباة بل لسابق إحسانه، ونعمة العلم والحكمة أفضل نعم الحياة على ذوي النفوس الكبيرة، ولا تقاس بهما نعمة المال وماذا أعطى الله تعالى ليوسف - عليه السلام -؟

لقد أعطاه الله تعالى السلطة والنفوذ والجاه جزاء إحسانه، قال تعالى (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين) (٢) فهذه الآية وعد إلهي بأن من كان محسنا مكنه الله في الأرض وأصابه برحمته، فليس هذا العطاء متعلقا بالشخص ولكنه مرتبط بالوصف، فالأفعال الحسنة التي يقدمها الإنسان لمجتمعها تكسبه علو مقام وحسن ذكر .

وكل من أحسن عمله - أي أتقنه - نال الجزاء الأوفر في الدنيا بإقبال الناس عليه وثقتهم فيه وتقديرهم له، أما ثواب الإحسان في الآخرة فأجل وأعظم من ثواب الدنيا قال تعالى بعد الآية السابقة (ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) (٣)

(٧) السمعة الطيبة:

وفي قصة سيدنا يوسف - عليه السلام - درس في المحافظة على السمعة الطيبة والدفاع عن الشرف من أن يمس بسوء. (٤)

(١) سورة يوسف آية (٢٢)

(٢) سورة يوسف آية (٥٦)

(٣) سورة يوسف آية (٥٧)

(٤) (٣) (٤) الرجوع السابق ص (١٩٣) بتصرف

فيوسف ذلك المضطهد المظلوم الملقى في ظلمات السجن مدة طويلة بدون ذنب اقترفه، لما جاءه أمر الإفراج عنه ودعوته لمقابلة الملك لم يتلهف للخروج ولم يغتبط لهذه البشرية، بل رفض الخروج من السجن حتى يرى ساحته من تهمة الإجرام، وهذا ما ذكره الله تعالى في سورة يوسف قال تعالى (وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلي ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن علِيم) (١)

فلما أجرى الملك التحقيق مع النسوة وامرأة العزيز وظهرت له براءته ونقاوة صفحته، رضى يوسف الخروج من السجن مرفوع الرأس موفور الكرامة حتى لا يقال عنه أنه سجن لجرم اقترفه وأن خروجه من السجن كان منة وعفوا من الملك، هذا وقد كشف التحقيق عن السموم الخلقية الذي تحلى به يوسف حتى أثار إعجاب الملك ففي طلب الملك ليوسف في المرة الأولى عندما بلغه علمه في تأويل الرؤيا و تدبير الأمور الصعبة قال: (ائتوني به) أما عندما تحقق من براءته ونزاهته (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) (٢) فالملك رغب في إسناد الوزارة إلي يوسف -عليه السلام- بعد أن لمس منه علما ونزاهة وعفة .

(٨) العفو عند المقدرة:

وفي القصة درس في التسامح والعفو عن المسيء ومقابلة الإساءة بالإحسان فيوسف كان باستطاعته عندما تعرف على اخوته أن ينتحل أي تهمة ضدهم ليزج بهم في السجن ويذيقهم ألوانا من العذاب جزاء كيدهم له ، ولكن سمو نفسه وكرم عنصره وترفعه عن الانتقام جعله يأبى أن يتزلق إلي هذا المتزلق الذي ينغمس فيه عادة الأشخاص العاديون (٣).

(١) سورة يوسف آية (٥٠)

(٢) سورة يوسف آية (٥٤)

(٣) الرجوع السابق ص(١٩٤) بتصرف

لقد كانت السلطة والحكم بيد يوسف - عليه السلام - وكانت حياة الذين أساءوا إليه رهن كلمة منه ولكنه قابل الاساءة بالاحسان فزاد كيلهم ورد ثمن البضاعة لهم ، فعل ذلك وهو متتكر ، لا يعرفون أنه أخوهم ، وعندما كشف يوسف عن هويته وأدرك اخوته أنه وزير الملك شعروا عندئذ وهم فى هذا الموقف الرهيب بفداحة الجرم الذى اقترفوه فى حقه فاعترفوا بخطئهم وأقروا بذنبهم قال تعالى (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين) (١) وهنا يأتى الجواب من يوسف عليه السلام مفعم بالعطف الأخوى والمسامحة عما أجرموا قال تعالى (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) (٢).

(٩) العدل بين الأبناء :

فى قصة يوسف درس فى كيفية معاملة الأبناء بالعدل والمساواة ، فالطفل فى طبيعته غيور ، حسود ، محتاج إلى عطف وحنو والديه فأى إهمال له ، وانحراف فى مراعاة شعوره يولد حقدا وبغضاء بينه وبين إخوته ، والغيرة سريعة بين الاخوة ، فقد يؤدى إثثار الوالدين لأحد الأبناء على الآخرين إلى إنكاء العداوة بينهم ، وقطع الروابط بينهم .

فهذا يوسف - عليه السلام - قريب من قلب والده يعقوب - عليه السلام - لأنه توسم فيه إمارات النبوة ، لذا آثره على إخوته ، فآثار ذلك حفيظتهم وبغضاءهم وظهرت إمارات ذلك عليهم مما دفع سيدنا يعقوب - عليه السلام - إلى تحذير سيدنا يوسف - عليه السلام - عندما قص عليه رؤياه وما تحمل من إرهابات النبوة قال له (بابنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيذا إن الشيطان للإنسان عدو مبين) (٣) . وحدث ما هو محذور وكاد له إخوته بسبب ما شعروا به من تفضيل أبيهم ليوسف - عليه السلام . إن ما حدث بين يوسف وإخوته أمر عال لحكمة يعلمها الله بقصد أن يلتزم المبشر مبادئ العدل بين الأبناء أما يعقوب عليه السلام فكان يعطف على يوسف لأنه الأضعف ونحن معنا الكثير من الأبناء فليس فيهم أحد أحب من الآخر ولكن الأضعف أو الصغير ولذلك قالوا أرسله معنا غدا يرتع ويلعب

(٢) سورة يوسف آية ٩٢

(١) سورة يوسف آية ٩١

(٤) مع الأنبياء فى القرآن الكريم ص ١٩٥ بتصرف

(٣) سورة يوسف آية ٥

نموذج من القصص النبوي:

من القصص الذي يجب أن يستعين الداعية به قصص رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام - يختاره من تاريخ السابقين ليشرح ما يريد من المعاني بالأمثلة الحية والواقعية ، وهذا القصص يأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم :

روى الإمام مسلم في صحيحه عن صهيب رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال [كان ملك فيمن قبلكم ، وكان له ساحر فلما كبر قال للملك : إني قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر فبعث إليه غلاما يعلمه فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب ، فقال : إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر ، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس ، فقال اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرا فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس ، فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب : أي بني ، أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي وكان الغلام يبرئ الأكمة والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء فسمع جليس للملك وكان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال : ما هاهنا لك أجمع إن شفيتني فقال : إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله . فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك فأمن بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك رب غيري قال ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجئ بالغلام فقال له الملك أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمة والأبرص وتفعل وتفعل فقال إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجئ بالراهب فقبل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جئ بجليس

الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جئ بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلي نفر من أصحابه فقال اذهبوا به إلي جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطر حوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلي الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فدفعه إلي نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاخذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلي الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فقال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به قال وما هو قال تجمع النلس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبذ القوس ثم قل باسم الله رب الغلام ثم ارمي فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبذ القوس ثم قال باسم الله رب الغلام ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام فأتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذر لـ لقد آمن الناس فأمر بالأحدود في أفواه السكك فخذت وأضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها أو قيل له أقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أمه اصبري فإنك على الحق (١)

هذه قصة من الهدى النبوي الشريف صورت الإيمان بالله والصبر على الأذى في سبيل الله أروع تصوير ، وعلى الدعاة أن ينهجوا هذا النهج وأن يستعينوا بالقصص سواء قصص قرآني أو قصص نبوي في تبليغ الدعوة الإسلامية . (٢)

(١) صحيح مسلم الحديث رقم (٥٣٢٧) كتاب الزهد والرفائق

(٢) تذكرة الدعاة للشيخ محمد بن عبد الوهاب الخولي ص (٥٩) وما بعدها بتصرف

ثانيا المثل :

المثل في اللغة هو: جملة من القول مقتطفة من كلام، أو قائمة بذاتها تنقل ممن وردت فيه إلى ما يشابهه دون تغيير مثل (الرائد لا يكذب أهله) والجمع أمثال . (١)

وقيل المثل هو الشبه وزنا ومعنى . (٢)

المثل في الاصطلاح: قول واضح موجز حكيم ينتصب صدقه في العقول فيألفه الناس ويجري بينهم ويشيع في أحاديثهم . (٣)

وقد عرف البلاغيون المثل فقالوا هو: اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشاهدة بين مضره ومورده مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي (٤)

والناس من قدم الزمان يجدون في طبائعهم الميل إلى الاستشهاد بالمثل ، فقد يكون أحدهم بصدد حال يحكيها أو يسمعا فيحضره مثل يشابهها في المعنى فيستشهد به لا لأن الكلام يزيد به صدقا بل لأن النفس تستأنس بالمثل ، ويلتصع في جوانبها ضوء من وضوحه وجمال حكمته ، فإذا بالحال التي كانت تحكى قد استقرت لدى السامعين في رضى وقبول واطمئنان ، وهذا هو المقصود من ضرب المثل . (٥)

الفرق بين المثل والتشبيه: ضرب المثل هو تشبيه حالة ما بأقرب الأمثال شباها بها وأكثرها مماثلة لها ، وهو تشبيه يحدث في النفس حركة التفات بارعة ، يلتفت بها المرء من الكلام الجديد إلى صورة المثل المأنوس ، فيلمح ما بينهما من التشابه ، فلا يلبث أن يتلقى الأمر الجديد بمزيد من القبول والارتياح .

وقد عرف صاحب لباب التأويل وصاحب فتح البيان المثل فقالا : لأنه عبارة عن قول يشبه قولاً آخر بينهما مشاهة لبيان أحدهما الآخر ويصوره . (٦)

(٢) المصباح المنير ج ٣ ص (٩٩)

(١) العجم الرجز ص (٥٧٢)

(٤) المقصد في علم البيان ص (٢٠٤)

(٣) تذكرة الدعاة البهي الخولي ص (٦٦)

(٦) فتح البيان ج ١ ص (٦٢)

(٥) تذكرة الدعاة ص (٦٦) بتصرف

وهنا يظهر الفرق بين المثل والتشبيه أن المثل لا بد أن يكون الأمر الجامع بين طرفيه متحصلا بالتأويل أما التشبيه فقد يكون بينا بلا تأويل أو محتاجا إلي تأويل بسيط، فكل تشبيه تمثيل ولا عكس، والمماثلة بين شيئين تفيد عموم المشاركة بينهما، أما التشبيه فقد يشارك في الكيفية فقط أو الكمية أو المساحة أو القدر ولكن المماثلة فتعم كل ذلك، لذلك نسمي التشبيه القرآني تمثيل لأن فيه دقة وشمول. (١)

الفرق بين المثل والحكمة:

إن اتفقت الحكمة والمثل في أن كلا منهما نتيجة إلا أن المثل نتيجة لتطبيقات واقعية على حين تكون الحكمة نتيجة لتطبيقات معنوية، وفي المثل تملي عما تلمس أما الحكمة فتلمي عما تحس، في المثل تسائر الأحداث بأعيانها تمثل بين يديك قصة وفي الحكمة توازن بين القضايا لتؤيد إحداها، فالفرق بينهما دقيق، والمثل لم يتحلل من أشخاص القصة في حين أن الحكمة تحللت من الأشخاص، فالمثل حسي والحكمة معنوية، والأمثال قصص من تجارب الناس بقيت لها بمنزلة عناوينها، وبقي مع هذه العناوين تلخيص لكل منها، وقل أن تجد مثلا لا يحمل معه الشرح الكاشف لأحداث القصة، على حين أن الحكمة بقيت كما هي كلمة ليس معها هذا التفصيل الكاشف، والمثل عام والحكمة خاصة، وعلى العموم نحن أمام تجربتين من أعمق التجارب تأثيرا في النفس. (٢)

(١) فتح البيان ج ١ ص (٦٢)

(٢) سلسلة كتابك (الأمثال الشعبية) المؤلف / محمد قنديل البقلي من (٨:١) بنصرف ط دار المعارف

مميزات المثل:

قال ابن المقفع: إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق وأنق للسمع وأوسع لشعوب الحديث.

وقال إبراهيم النظام: يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام:

(١) إيجاز اللفظ . (٢) إصابة المعنى . (٣) حسن التشبيه . (٤) جودة الكناية.

فالمثل من أجل ذلك ومن أجل توافر الشروط الأربعة فيه هو نهاية البلاغة وقمة الإفصاح وأعلى مراتب التبليغ. (١)

أقسام الأمثال في القرآن:

تنقسم الأمثال في القرآن الكريم إلى قسمين:

(١) ظاهر مصرح به ومثاله قال تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) (٢)

أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: هذا مثل ضرب به الله للمنافقين كانوا يعتزون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء فلما ماتوا سلبهم الله العز كما سلب صاحب النار ضوئه وتركهم في عذاب (٣)

(٢) كامن لا ذكر للمثل فيه ومثاله قوله تعالى (لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك) (٤)

فإنه يشير إلى مثل كامن فيه تعرفه العرب وهو قولهم (خير الأمور أوساطها) ومنه قوله تعالى (ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) (٥) فإنه يتضمن مثلاً كامناً فيه وهو قول العرب

(الحية لا تلد إلا حية)

هذا وهناك ألفاظ في القرآن جرت مجرى المثل وأصبحت مثلاً سائراً يجري على

الألسن من ذلك قوله تعالى (الآن حصحص الحق) وقوله (قضي الأمر الذي فيه

تستفتيان) وقوله تعالى (كل حزب بما لديهم فرحون) يضرب للمتعارضين. (٦)

(٢) سورة البقرة آية (١٧)

(١) المرجع السابق ص (١٠) بتصرف

(٤) سورة البقرة آية (٦٨)

(٣) الإيقان ج ٢ ص (١٣٢)

(٦) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ص (٣٦١) بتصرف

(٥) سورة نوح آية (٢٧)

الفرق بين القصة والمثل :

(١) القصة تساق لعرض المعنى وبث التعاليم بينما يساق المثل للاعتبار وردع القلوب عما هي عليه .

(٢) يعتمد المثل على التكثيف والترميز بعكس القصة فهي تعتمد على الإطناب
(٣) نستطيع أن نطلق على المثل اسم القصة ولكن نسميه القصة التمثيلية لما يتضمنه المثل من قصة وقعت وسيق المثل على غرارها .

الحكمة من ضرب الأمثال :

إن الحكمة من ضرب الأمثال هي لتقريب الفكرة وتوضيح المضمون والتذكيرة وتبسيط الأمر ، ولقد وضع الله تعالى ذلك في القرآن فقال تعالى (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) (١) وقال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) (٢)

قال أبو السعود: التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل ، واستتراله من مقام الاستعصاء ، وهو أقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي ، كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه العقول الخفية وأبرزها في معرض المحسوسات الجليلة . (٣)

الأمثال وسيلة للدعوة:

أولاً: لا تترك الداعية وحده أمام معا رضيه المعاندين بل تمده بسلاح الصبر والتمحمل ، وتعرفه أن الابتلاء ليس مقصوداً عليه وحده ، فإن المؤمنين السابقين أودوا في سبيل عقيدتهم وأخرجوا من ديارهم وأموالهم ونزل بساحتهم كثير من العناء والتعب والجهد فما زادهم ذلك إلا إيماناً فوق إيمانهم قال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب) (٤)

(٢) سورة العنكبوت آية (٤٣)

(١) سورة إبراهيم آية (٢٥)

(٤) سورة البقرة آية (٢١٤)

(٣) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ص (٣٦١)

فهذه الآية تذكر مثلاً من شأنه أن يقوي الإرادة ويجعل المؤمن يتحمل المعاناة من أجل مبادئه، قال أبو السعود: خوطب بهذه الآية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنون معه حثاً لهم على الثبات والمثابرة على مخالفة الكافرين وتحمل المشاق من جهتهم (١)

ثانياً: تبصر الداعية بالدعوة وتوضح له أساسياتها وتعطيه مبادئها لكي يعمل على هدى بها، وأول هذه الأساسيات معرفة الله تعالى والإيمان به، وفي هذه النقطة يضرب القرآن الأمثال قال تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) (٢)

هذا المثل بين ضعف الشركاء ومهانة سائر الآلهة المدعاة وعجزها، بين ذلك بصورة حية شاخصة أمام البصر والبصيرة، فبعد أن صدر المثل بالنداء بدأ يوضح حقيقة يجب أن يستمع لها هي أن الآلهة ضعيفة ولا تستطيع أن تخلق ذبابة ولو اجتمعت هذه الآلهة، وجاء بالذبابة وهي مخلوق صغير الحجم فكيف بالمخلوقات الكبيرة الحجم، وليس هذا فقط بل إن يأخذ منهم الذباب شيئاً لا يستطيعون أن يعيدوه وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ضعف الآلهة المعبودة من دون الله تعالى

ثالثاً: تبصر الداعية بالمدعوين وتعرفهم وبالدين التي يعيشونها فتوضح ما يلي:

(١) الجدل طبيعة إنسانية: الإنسان جدلي بطبعه وهو دائماً يثير المحاور والمناقشة حول ما يعرض له، ولقد جادل الأقوام رسلهم وما آمنوا إلا بعد حوار طويل وجدل كثير قال تعالى (ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شئياً جدلاً) (٣)

(١) تفسير أبي السعود ج ١ ص (١٦٤)

(٢) سورة الحج آية (٧٣)

(٣) سورة الكهف آية (٥٤)

(٢) ضالة الدنيا : جاءت آيات كثيرة توضح شأن الدنيا وأنها قصيرة العمر قليلة النفع ، وأنها ليست دار قرار وأن الآخرة خير وأبقى قال تعالى (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاهم أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) (١)

فقد ضرب الله للدنيا مثلا بالمطر يتزل فيختلط بالنبات فتتزين الأرض بألوان بهجة كالعروس ، وهنا يغتر الإنسان صاحب هذه الأرض بجمالها وزخرفها ولا يذكر سواها إلا أنه فجأة تأتي نقمة عظيمة في ليل أو نهار فتهلك الزرع والثمار وهنا يتحسر المالك ويشتد حزنه ، وكذلك من وضع قلبه على لذات الدنيا فإذا فاته منها شيء عظم حزنه وتلف عليها ، وهذه هي فائدة المثل في القرآن الكريم .

رابعا: والأمثال موعظة حسنة لأنها تثير الانفعال وتخطب الوجدان وتنقل المعقول والمحسوس وتغرى على الخير وتبعد عن الشر يقول الشيخ محمد عبده : (وإنما اختير للمثل لفظ الضرب لأنه يأتي عند إرادة التأثير وقصد الانفعال)

فالمثل أسلوب إقناعي تلمح فيه المناصحة والإرشاد يقول السيوطي نقلا عن الشيخ عز الدين عبد السلام (إنما ضرب الله المثل في القرآن تذكيرا ووعظا فما اشتمل منها على تفاوت في ثواب أو على إحباط عمل أو على مدح أو نحوه فإنه يدل على الإحكام) وهكذا يشتمل المثل على التذكير والوعظ ونتيجة العمل والمدح والذم مما جعله موعظة حسنة . (٢)

(١) سورة يونس آية (٢٤)

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ص (٢٧٠) وما بعدها بتصرف

خصائص المثل في القرآن الكريم:

(١) الدقة والواقعية:

الناظر في المثل القرآني يلحظ دقته الفريدة المؤثرة فهو دائما لا يمثل بالغريب ، وإنما يتخير من المحسوسات الموجودة ويضعها في المثال شاهدة على ما يريد ذكره ويبيانه وفي الممثل به لا يضع وصفا زائدا أو خياليا لتكون صورته صادقة ملموسة ومن ذلك قوله تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون)(١)

ضرب الله هذا المثل ليبين أن قدرة الله هي القدرة وما عداها من قوة لا اعتبار لها والذي يتعلق بقوة غير قدرة الله تعالى فهو كالعنكبوت التي تتعلق بالواهي والضعيف فتجدها تتخذ لنفسها بيتا ضعيفا واهيا ، وهذا البيت يعتبر أوهن البيوت على الإطلاق والكل يعرف ذلك ، لذلك ضرب الله تعالى هذا المثل وكله دقة وواقعية ، لأن ضعف العنكبوت وبيته لا ينكره أحد ، والكل يرى بيت العنكبوت (٢)

قال تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا)(٣) فقد ضرب الله لليهود الذين كلفوا العمل بما في التوراة فأهملوها مثلا بالحمار يحمل الكتب الضخمة النفيسة المملأ بالعلم ولا يستفيد بها .

كما يضرب المثل أحيانا ويترك بعض جوانبه عمدا لكي يفكر المستمع فيها كقوله تعالى(مثل الذين كفروا برهيم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرון مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد)(٤)

شبه أعمال الكفار برماد طيرته رياح شديدة وفي يوم القيامة لا يجد الكفار أثرا لعملهم ، والمثل يذكر أنه لا أثر لعمل الكافر بينما الواقع أن له عقوبات كثيرة تركها المثل لكي يجتهد المستمع في تفحصها واستنتاجها.

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ض(٢٧١) وما بعدها بتصرف

(١) سورة العنكبوت آية (٤١)

(٤) سورة إبراهيم آية (١٨)

(٢) سورة الجمعة آية (٥)

(٢) التأثير النفسي:

حتى يؤدي المثل دوره التأثيرى رأينا يتخذ من الطبيعة ميدانا يقتبس منها صورة فمن بناها نرى الجنة تنبت سبع سنابل ، ونرى الشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة ، ومن حيواناتها نرى الحمار والكلب ، ومن حشراتنا نرى البعوض والعنكبوت ، ومن طيورها نرى الهدهد ، ومن أحجارها نرى الرماد والصلد والجبل ، وإنما كان الأمر كذلك حتى تقترب الصورة في نفس المدعو وتؤثر فيه .

قال تعالى (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شننا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثل كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث وإن تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) (١)

يقول صاحب المنار (واللهث التنفس الشديد مع إخراج اللسان ويكون لغير الكلب من شدة التعب والإعياء أو من شدة العطش ، أما الكلب فيلهث في كل حال وهذا الرجل صفة كصفة الكلب في حالته هذه ، وهي أحسن أحواله وأقبحها ، والمواد أنه كان من إخلاده إلى الأرض واتباع هواه في أسوأ حال كلاهت من الإعياء والتعب وإن كان ما يعنون به ويحملون هم حقيرا لا يتعب ولا يغني ولا تراه راضيا بما أصابه بل يزداد طمعا وتعبا) (٢) وهكذا يحقر المثل هذا الرجل بأن يمثله في أسوأ حالاته ، وهذا المثل يؤثر في نفس المستمع تأثيرا يجعله يبعد عن صورة هذا الكافر ويفتح ذهنه للآيات والأدلة ، ويحقق الهدف الذي سيق من أجله . (٣)

(١) سورة الأعراف آيات (١٧٥، ١٧٦)

(٢) المنار ج ٩ ص (٤٠٩)

(٣) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ص (٣٧٤) بتصرف

(٣) الترغيب والترهيب:

يهدف المثل إلى التأثير في المدعويين عن طريق ترغيبهم في الثواب وترهيبهم من الشر والعقاب ، فينفعلوا وجدانيا ويندفعون إلى الإيمان بالدعوة ، ويلجأ المثل إلى الترغيب والترهيب عن طريق استعراض لطوائف الناس تجاه الدعوة وبيان مال كل طائفة ، وهذا منهج عملي يجعل المستمع يتمني أن يكون مع الطائفة الناجية.

وطوائف الناس أمام الدعوة ثلاثة فمنهم المؤمن ومنهم الكافر ومنهم المنافق ، ولكل طائفة مثل يضرب لها يبين حقيقتها، ففي حق الكافر قال تعالي (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون) (١) هكذا مثل القرآن الكريم هؤلاء الكفار المقلدين بالبهايم التي تسمع صيحات راعيها ولا تفهم منها شيئا ولا تعقل أمرا ولا نفيا .

وفي حق المنافق قال تعالي (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) (٢)

وهذا مثل يوضح حقيقة المنافق وأنه يعيش بين الإيمان ظاهرا إلا أنه صنع بنفاقه حجابا بينه وبين نور الهدى ، وهؤلاء عملهم ضائع كالكافرين ، وهم في نظر الإسلام أسوأ وضعا من الكفار .

وضرب المثل للمؤمنين قال تعالي (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) (٣) وهو مثل يبين حقيقة المؤمن وأنه لا تغره مظاهر الحياة الدنيا ، فهو في ذكر لله بالقول وبالعمل انتظارا للفوز في الآخرة وهو يعتمد على الله في حاجاته ومطالبه ، وهذه هي زوجة فرعون التي تعيش في بيت الملك ، وكل مطالبها الدنيوية مجابة ولكنها لا تريد الدنيا ولكن تريد ما عند الله . (٤)

(٢) سورة البقرة آية (١٧)

(١) سورة البقرة آية (١٧١)

(٤) الرجوع السابق ص (٣٧٦) وما بعدها بتصرف

(٣) سورة التحريم آية (١١)

الرسول -صلى الله عليه وسلم- يضرب الأمثال:

لقد نهج الرسول-صلى الله عليه وسلم- نهج القرآن الكريم في ضرب الأمثال فضرب أمثلة كثيرة لتوضيح أمر أو لأخذ العبرة أو للترغيب والترهيب، والمتصفح للسنة المطهرة يجدها مليئة بالأمثال ولناخذ مثلاً منها :

جاء في الصحيحين عن أبي موسى -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال [مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به] (١)

في هذا الحديث يشبه الرسول-صلى الله عليه وسلم- ما نزل به الوحي من الهدى والعلم بالمطر فكان العلم والهدى مثله كمثل الغيث المبارك، والذين نزل عليهم هذا الهدى والعلم وجاءهم كمثل الأرض التي نزل عليها هذا الغيث، وهذا الهدى يجري في بواطن أهلها وأعماقهم كما يجري الماء في أعماق الأرض وأوديتها، وقلوب الناس تقبل من هدى الله وعلمه بحسب طبيعتها من الضيق والسعة ، كما يقبل كل واد من أودية الأرض قدراً من الغيث يناسب سعته أو ضيقه ، بل هناك أرض طيبة تقبل الماء وتتفجع به فتخرج زرعاً ينتفع به الناس، وهناك أرض لا تقبل الماء وإنما تحتفظ به فقط فلا يذهب سدى وإنما يبقى للناس ينتفعون به، وهناك أرض لا تمسك هذا الماء ولا تنتفع به وإنما ينتهي أمره بمجرد نزوله على الأرض، وهذا مثل ضربه النبي -صلى الله عليه وسلم- لمن يقبل هدى الله وينتفع به ومن يعرض عنه رافضاً له وصاداً عنه . (٢)

(١) صحيح البخاري كتاب العلم حديث رقم (٧٧)

(٢) تذكرة الدعاة البهي الحولي ص (٧٠) بتصرف

وهناك أمثال للنبي -صلى الله عليه وسلم- اشتهرت وسار بها الركبان وأصبحت
تتردد على الألسن، من هذه الأمثال :

قوله -صلى الله عليه وسلم- [لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين] (١)
ومنها قوله صلى الله عليه وسلم- [إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى] (٢)
وقوله -صلى الله عليه وسلم- [المؤمن للمؤمن كالبنيان] وشبك بين أصابعه صلى الله
عليه وسلم (٣)

وبعد هذا العرض السريع لبعض خصائص القصص القرآني والقصص النبوي
والمثل القرآني والمثل النبوي وعرضنا لبعض منها، وجدنا أن لهم أثر كبير في جذب
قلوب السامعين وشد انتباههم، فعلى الدعاة أن يدعموا دعوتهم بهذين الأسلوبين
الضروريين في الدعوة مع اختيار القصة المناسبة والمثل المناسب للموقف وأيضا
المناسب للسامعين، مع البعد عن الغموض والتكلف.

(١) صحيح البخاري كتاب الأدب حديث رقم (٥٦٦٨)

(٢) سنن أبو داود

(٣) صحيح البخاري كتاب الصلاة حديث رقم (٤٥٩)

المبحث الرابع

الدعوة بالقدوة الحسنة

المبحث الرابع

الدعوة بالقدوة الحسنة

تعريف القدوة الحسنة:

القدوة لغة: هي المثال يتشبه به غيره فيعمل مثل ما يعمل فيقال فلان قدوة ويقال اقتدى به فعل مثل فعله تشبها به (١)

القدوة في الاصطلاح: هي الأسوة، والأسوة ما يتأسى به أي يتعزى به فيقتدي به في جميع أحواله. وهناك أسوة حسنة وأسوة سيئة، والأسوة الحسنة في الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأما الأسوة بغيره إذا خالفه فهي الأسوة السيئة، ونخلص من هذا أن القدوة الحسنة تنطبق على من يتبع ما جاء به سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- من قول أو فعل (٢).

أهمية القدوة الحسنة:

القدوة ركن لا تتم الدعوة، ولا تؤتي ثمارها إلا به، قد تكون الأفعال أكثر أثرا من الأقوال في كثير من الحالات (وإنكار) وموعظة لا يلتزم صاحبها تؤدي إلى شر عظيم، لذلك يقول الحسن البصري (عظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك) (٣) وحتى يؤدي التأثير حقه في عملية الدعوة لابد للداعية أن يبدأ بنفسه قبل نصيحة الآخرين.

وتكمن أهمية القدوة في الدعوة في الأسباب التالية:-

(١) إن المثال الحي المرتقى في درجات الكمال يثير في نفس البصير العاقل قدرا كبيرا من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة، ومع هذه الأمور تتهيج دوافع الغيرة لديه فإن كان عنده في الأصل ميل إلى الخير، وتطلع إلى مراتب الكمال أخذ يحاول تقليد ما استحسنته وأعجب به (٤).

(٢) المصنف من صفات الدعاة الكتاب الأول ص (١٨) بتصرف

(٤) المصنف من صفات الدعاة الكتاب الأول ص (٢٠) بتصرف

(١) المعجم الوحيز ص (٤٩٢)

(٣) الزهد للإمام أحمد ص (٢٧٣)

(٢) إن القدوة الحسنة المتحلية بالفضائل الممتازة تعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة، التي هي في متناول القدرات الإنسانية وشاهد الحال أقوى من شاهد المقال .

(٣) إن مستويات الفهم للكلام عند الناس تتفاوت، ولكن الجميع يتساوى أمام الرؤية بالعين المجردة لمثال حي، فإن ذلك أيسر في إيصال المفاهيم والمعاني التي يريد الداعية المربي إيصالها للمقتدي، يقول ابن بطال معلقاً على الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال : اتخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- خاتماً من ذهب، فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- (إني اتخذت خاتماً من ذهب فنبذه وقال :إني لن ألبسه أبداً ، فنبذ الناس خواتيمهم) فدل ذلك على أن الفعل أبلغ من القول .(١)

(٤) إن الأتباع بشكل عام والأتباع الذين يرببهم الداعية بشكل خاص، ينظرون إليه نظرة دقيقة دون أن يعلم هو أنه تحت رقابة مجهرية، فرب عمل يقوم به لا يلقي له بالا يكون في حسابهم من الكبائر وذلك أنهم يعدونه قدوة لهم ، ولقد سمعنا عن قدوات ملأت سمعتهم البلاد وسقطوا من أعين الناس في لحظات بسبب كلمة أو تصرف لم يكن متناسباً مع مكانتهم كقدوة للآخرين .(٢)

(٥) من الوسائل المهمة في تبليغ الدعوة وجذب الناس إلى الإسلام السيرة الطيبة للداعي وأفعاله الحميدة وصفاته العالية، مما يجعله قدوة طيبة وأسوة حسنة لغيره، ويكون كالكتاب المفتوح يقرأ فيه الناس معاني الإسلام فيقبلون عليها وينجذبون إليها لأن التأثير بالفعل أبلغ من التأثير بالكلام .(٣)

(١) فتح الباري ج ١٢ - ص (٢٧٥) (٢) المصفي من صفات الدعاة ص (٢١) (٣) أصول الدعوة / عبد الكريم زيدان ص (٤٨٥)

ذكر فضائل
الأسوة

شروط القدوة الحسنة:

(١) الإيمان بالفكرة :

لابد على الداعية أن يؤمن هو أولا بالفكرة التي يدعو إليها ثم يترجم هذا الإيمان إلى عمل، فإذا آمن الداعية بالفكرة واعتقدتها اعتقاداً جاداً عندئذ فقط يؤمن الآخرون، وإلا ستبقى مجرد صياغة لفظية خالية من الروح والحياة .

(٢) تعلم العلم:

إذا كان العلم ضروريا لكل مسلم، فالداعية القدوة هو أكثر الناس حاجة لتعلم العلم، لذلك قال سيدنا عمر رضي الله عنه - (تعلموا قبل أن تسودوا) (١) فالسيادة في الدعوة تحتاج إلى علم يتأكد فيه القدوة من صحة خطواته، ويصحح فيه خطوات الآخرين.

(٣) حسن الخلق:

مع إقرارنا بأنه لم يقرب من منزلة القوة إلا من حاز من الأخلاق ما أهله لأن يصل إلى هذه المنزلة، إلا أن هناك أخلاقا بارزة يحتاجها الداعية القدوة دائما وبغيرها يصبح من المتعذر عليه النجاح في دعوة الناس والتعامل مع نفسيا هم المتعددة تعدد المعادن، ومن أهمها - الصبر بجميع أنواعه، والرحمة والرفق والتواضع والمخالطة، هذا بجانب أخلاق كثيرة تنفرع من هذه الأخلاق يستعين بها الداعية للمحافظة على هذه المنزلة وللنجاح المستمر في دعوته. (٢)

(١) فتح الباري لشرح البخاري ج ١ ص (١٦٥)

(٢) المصفي من صفات الدعاة الكتاب الأول عبد الحميد البلالي ص (٢٤)

(٤) موافقة العمل للقول:

يعتبر الدكتور /عبد الكريم زيدان صاحب كتاب أصول الدعوة هذا الشرط والذي قبله من أصول القدوة الحسنة، فإذا تحقق هذان الأصلان حسنت سيرة الداعي وكانت سيرته الطيبة دعوة صامته إلى الإسلام وإن فاته هذان الأصلان ساءت سيرته وصارت دعوة صامته منفرة عن الإسلام، فليتنق الداعي ربه في هذا الأمر الخطير ولا يكون منفرا عن دين الله تعالى بسيرته وهو يريد الدعوة إليه بقوله والنفس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه ولا يوافق فعله قوله ولهذا قال سيدنا شعيب -عليه السلام- لقومه كما جاء في القرآن الكريم (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) (١) ولقد حذرنا الله تعالى من مخالفة أفعالنا لأقوالنا قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) (٢) فليحمل الداعية نفسه على موافقة قوله لفعله فإن هذا أدعى لقبول قوله والإقبال عليه من الناس والاستماع إليه (٣)

(٥) عدم الانقطاع عن الأعمال:

عدم الانقطاع عن عمل ما كان يأمر به دون مبرر شرعي أو نسيان، وترجع خطورة هذا الانقطاع إلى أمرين: الأول هو دخوله في دائرة الذين يقولون ما لا يفعلون، والأمر الثاني هو إحساس المترقي بعدم جدية ذلك الأمر وأهميته.

(٦) التثبت من صحة النقول:

على الداعية أن يتثبت مما يقول سواء أكان حديثا أو كلمات للصالحين، لأنه هو المثال الذي يحتذي به فإذا لم يتثبت مما يقول كان المقتدون به كذلك ووقعوا في دائرة التفريط أو الإفراط، مع أن ما جاء به قدوتنا هو الوسط وكل ما زاد عليه أو نقص منه فهو مخالف لشرع النبي صلى الله عليه وسلم. (٤)

(٢) سورة الصف آية (٢)

(١) سورة هود آية (٨٨)

(٤) المصفي من صفات الدعاة ص (٢٥) بتصرف

(٣) أصول الدعوة الدكتور /عبد الكريم زيدان ص (٤٨٦) بتصرف

كل الراكب
لقد حو

(٧) الابتعاد عن كثير من المباحات:

يقول الإمام ابن القيم في ذلك: قال لي يوما شيخ الإسلام ابن تيمية: في شيء من المباح هذا ينافي المراتب العالية، وإن لم يكن تركه شرطا في النجاة. ثم يقول ابن القيم (فالعارف يترك كثيرا من المباح إبقاء على صيانه، ولا سيما إذا كان ذلك المباح برزخا بين الحلال والحرام) (١)

إنها الصيانة التي نريدها للداعية القدوة وهو يزاول عملية الصعود في مدارج السالكين فحذار وأنت تصعد من أن تستهويك بعض مناظر الأرض الجذابة، فتقف برهة أو تلتفت للوراء لإشباع رغبة النظر فتأخر عن الصعود، ذلك إن لم تهو إلى الأرض بعد أن صعدت منها .

يحيى بن يحيى الذي أهداه الإمام مالك لقب (عاقل الأندلس) وذلك أنه رحل إلى الإمام مالك وهو صغير وسمع منه وتفقه على يديه، روي أنه كان يوما عند الإمام مالك في جملة من أصحابه إذ قال قائل: قد حضر الفيل، فخرج أصحاب مالك لينظروا إلى الفيل، وبقي يحيى مكانه فقال له الإمام مالك: لم تخرج فترى الفيل، لأنه لا يكون بالأندلس، فقال له يحيى: إنما جئت من بلدي لأنظر إليك وأتعلم من هديك وعلمك ولم أجيء لأنظر إلى الفيل، فأعجب به الإمام مالك وسماه (عاقل الأندلس) (٢)

إنه من المباح مشاهدة برنامج تلفزيوني خاليا مما حرم الله تعالى، ولكن عندما يعلم الأتباع أنك ترى ذلك لا يرون بأسا في مشاهدة التلفزيون فيقعون في مشاهدة المحذور شرعا وذلك بسبب عدم اكتمال الفهم الحقيقي للورع والتقوى، من أجل ذلك وجب على الداعية القدوة أن يتنبه لمثل هذه الأمور فيبتعد عن كثير من المباحات خشية سوء الفهم من الأتباع. (٣)

(٢) طبقات الفقهاء ص (١٥٢)

(١) مدارج السالكين ج ٢ ص (٢٦)

(٣) المصفي من صفات الدعاة ص (٢٦، ٢٧)

(٨) المحاسبة الدائمة :

على الداعية القدوة أن يعي أنه تحت رقابة دقيقة ممن يقوم بدعوتهم ، أو ممن يتخذونه قدوة لهم ، فيحاسب نفسه على كل كلمة تخرج منه وعلى كل تصرف يقوم به ، سواء أكان صغيراً أو كبيراً ، فإذا وجد أن هذه الكلمة أو هذا التصرف خطأ تجنبه في المرات الأخرى ، بل ربما نبه على هذا الخطأ ، وهذا لن يتأتى إلا بمحاسبة دائمة مستمرة مع شعور دائم بأنه موضع قدوة . (١)

مبطلات القدوة :

كما أن للشعائر التعبدية كالوضوء مبطلات فكذلك للقدوة مبطلات تبطلها وتوقف عملها ، وتجعل الدعوة لا قيمة لها ، وجهد الداعية يذهب سدى ، وهذه المبطلات هي :-

(١) مخالفة العمل للقول :

ولا نستغرب عندما يطلق ابن الحاج على المخطورة التي تترتب على ذلك (السم القاتل) ويعلل ذلك بأن الغالب على النفوس الاقتداء في شهواتها وملذاتها وعاداتها أكثر مما تقتدي به في التعبد الذي ليس لها فيه حظ . فإذا رأت ذلك من عالم وإن أيقنت أنه محرم أو مكروه أو بدعة ، تعذر نفسها في ارتكاب لذلك إن سلمت من سم الجهل ، تقول لعل لهذا العالم العلم يجواز ذلك لم نطلع عليه أو رخص فيه العلماء فإذا رأت من هو أفضل منها في العلم والخير يرتكب شيئاً من ذلك ، فأقل ما فيه من القبح الاستصغار والتهاون بمعاصي الله تعالى وهو كما سماه السم القاتل . (٢)

هذه هي النتيجة الرئيسية التي تترتب على اقتراف هذا الباطل ، وتتبعها نتائج أقل منها أو مساوية لها من حيث الحجم . (٣)

(١) المصفي من صفات الدعاة ص (٢٨)

(٢) المدخل لابن الحاج ج ١ ص (١٠٧)

(٣) المصفي من صفات الدعاة ص (٢٩)

وهناك عقاب الآخرة أشد وأبقى روى البخاري في صحيحه قول الرسول -
صلى الله عليه وسلم-: (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه في النار
فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ما شأنك؟
أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية
وأنهاكم عن المنكر وآتية) (١)

(٢) عدم الالتزام بالقول:

وتختلف عن سابقتها بأن هذه لا تكون فيمن يخالف عمله قوله متعمدا، وإنما
تكون فيمن لا يطبق ما يقول، وليس على صفة الدوام، وذلك لأسباب منها:

أ- عدم تقدير حجم العمل المترتب على قوله.

ب- عدم معرفة نوع العمل المترتب على قوله.

ج- الحماسة غير الواعية.

د- عدم تقدير القوة التي يمتلكها لأداء ذلك العمل.

ومن ثم يواجه بذلك العمل فلا يستطيع أن يطبق ما قاله ودعا إليه ويتضح ذلك
في قول ابن عباس -رضي الله عنه- (كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد
يقولون: لو ددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به، فأخبر نبيه -
صلى الله عليه وسلم- أن أحب الأعمال إيمان به لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته
الذين خالفوا الإيمان ولم يقرؤا به، فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق
عليهم أمره فقال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) (٢)

وقد حدث مع بني إسرائيل نفس الشيء عندما طلبوا نبياً يقاتلون معه عدوهم
وفرض عليهم القتال تولوا وأعرضوا والحماس البالغ انطفأت شعلته وتهاوى على
مراحل الطريق قال تعالى (قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا
وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين) (٣)

(٢) سورة البقرة آية (٢٤٦)

(٣) تيسير العلي القدير ج ٤ ص (٣٥٥)

(١) صحيح البخاري حديث (٣٢٧)

(٣) الانتصار للنفس :

الانتصار للنفس ظاهرة تنبئ عن عدم إخلاص الداعية، فهو يحاول إخفاء الحقيقة في سبيل عدم الوقوع في دائرة الحرج التي يعتبرها مسألاً لكرامته ومكانته بين متبعيه، ومتى أحس الأتباع بهذه الصفة في المتبوع زالت الثقة فيه، وأصبح كلامه غير مؤثر لأنه لم يصل إلى القلب، وهذا هو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قدوتنا جميعاً- يمر بقوم على رؤوس النخل فيقول (ما يصنع هؤلاء؟) فقالوا: يلحقونه فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (ما أظن يغني ذلك شيئاً) فأخبروا بذلك فتركوه . فأخبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بذلك فقال : (إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإنني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإنني لن أكذب على الله عز وجل) (١)

هذا التجرد الخالص لله وحده دون إشراك أي شيء معه تكون القدوة، وتكون الكلمات مؤثرة، فهو يعترف بخطئه بأدب جم وتواضع ندر أن تراه بين الناس، وعلى الداعية أن يلتزم ذلك المنهج فلا ينتصر لنفسه حتى ينجح في دعوته .

(٤) الزلل بجميع صورهِ القولية والفعلية :

إن أي زلل يقع فيه الداعية يكون مؤثراً في مدعويه لأنهم يضعون الداعية القدوة لهم تحت المجهر، فأبي خطأ يقع منه حتى ولو كان شيئاً صغيراً فإنه يكون في عين الأتباع كبيرة، فليحذر الداعية من الزلل في القول والزلل في الفعل . إن الداعية يكسب لدعوته بسلوكه أكثر مما يكسبه لها بخطبه ومواعظه، ذلك لأن الناس ينظرون دائماً إلى الدعاة كنماذج حية لما يدعون إليه ويتأثرون بسلوكهم العملي أعظم مما يتأثرون بكلمات حلوة وخطب مؤثرة. (٢)

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث (٤٣٥٦)

(٢) أسس الدعوة وآداب الدعاة الدكتور/ محمد السيد الوكيل ص (٩٥)

أمثلة للقدوة الحسنة من حياة الرسول -صلى الله عليه وسلم :

نقتطف بعض الزهور من الروضة النبوية لنرى كيف استخدم الرسول -صلى الله عليه وسلم- عنصر القدوة -في تربية أصحابه- رضي الله عنهم .

التربية الصامتة :

في صلح الحديبية وبعد أن فرغ الرسول -صلى الله عليه وسلم- من قضية الكتاب قال للصحابة -رضي الله عنهم- (قوموا فانحروا، ثم احلقوا) يقول راوي القصة : فوالله ما قام منهم رجل واحد حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يبق منهم أحد قام فدخل على أم سلمة ، فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة : يا رسول الله أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنتك ، وتدعو حالقك فيحلق لك ، فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك : نحر بدنته ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأى الناس ذلك قاموا فانحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما) (١)

ونلاحظ في هذه الحادثة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد أمر أصحابه بالحلقة والنحر فلم يستجب أحد ، وخاف الرسول -صلى الله عليه وسلم- على أصحابه ودخل على أم سلمة وهو جزين خائف أن يصدق عليهم قول الله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) (٢) فلما رآته أم سلمة -رضي الله عنها- أشارت عليه بالعمل بدل القول ، ولم يكذب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يفعل ما يجب أن يفعل حتى بادر الصحابة رضي الله عنهم -بفعل ما امتنعوا عنه حين أمرهم ، وهكذا نرى أن القدوة العملية تؤثر في الناس أكثر من القول وصدق من قال (مقام رجل في ألف رجل خير من كلام ألف رجل في رجل) (٣)

(٢) سورة النور آية (٦٣)

(١) زاد المعاد ج ٢ ص (١٣٩)

(٣) مناهج الدعوة وأساليبها ص (١٦٨)

توضيح بعض التصرفات:

على الداعية أن يوضح بعض التصرفات التي يقوم بها للأتباع خاصة تلك التي تحتمل التأويل السيئ ومثال ذلك ما فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما جاءته السيدة صفية رضي الله عنها- إلي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لتزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من شهر رمضان فتحدثت معه ساعة ثم قامت تنقلب فقام معها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقلبها ، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مر رجلان من الأنصار فسما على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال لهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (على رسلكما إنما هي صفية بنت حيي) فقالا سبحان الله يا رسول الله وكبر عليهما ، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- (إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا) (١)

يقول ابن حجر : وفيه التحرز من التعرض لسوء الظن والاحتفاظ من كيد الشيطان والاعتذار ، ويقول ابن دقيق العيد : وهذا متأكد في حق العلماء ومن يقتدي به فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلا يوجب سوء الظن بهم وإن كان لهم فيه مخلص لأن ذلك سبب إلي إبطال الانتفاع بعلمهم) (٢)

الثبات في الموقف:

إن مئات من الخطب الرنانة والمواعظ في الثبات لا يمكن أن تؤثر أو تفعل ما فعله موقف النبي -صلى الله عليه وسلم- في غزوة حنين وجنود المسلمين يفرون والأعداء يرشقونهم بالنبل ، أيقف النبي يعظهم بالثبات في مثل هذا الموقف ؟ إن الجنود وهم في مثل هذه الحالة لفي أشد الحاجة إلي موقف من القدوة يرجعهم إلي صوابهم ، ماذا فعل القائد في هذا الموقف الحرج ، تحكي لنا كتب السيرة ما فعله النبي -صلى الله عليه وسلم- (٣)

(٢) فتح البخاري ج ٤ ص (٢٨٠)

(١) صحيح البخاري كتاب الاعتكاف حديث (١٨٩٤)

(٣) المصطفى من صفات الدعاة ص (٣٤)

يروى سيدنا العباس وهو شاهد عيان في هذا الموقف قال: شهدت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم نفارقه ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي ، فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يركض بغلته قبل الكفار ، قال عباس : وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكفها إرادة ألا تسرع وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أي عباس ناد أصحاب السمرة فقال لعباس - وكان رجلا صيئا - فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة) وفي رواية أخرى فترل واستنصر وقال : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)

هذا موقف الرسول القدوة في هذا الموقف العصيب ماذا كانت نتيجته ؟
(يقول العباس - رضي الله عنه - : فو الله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك) (١)

إن ثبات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في هذا الموقف وشجاعته أدت إلى عودة المسلمين وانتصارهم ولو وقف الرسول يعظهم ويدعوهم إلى القتال والثبات لم يستجب أحد ، وهكذا الفعل أقوى من القول . وصدق الله العظيم عندما قال في حق النبي - صلى الله عليه وسلم - (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) (٢)

هناك في السيرة كثير من النماذج لا نستطيع حصرها ولا سردها ولكن على الداعية أن يقرأها ويتفحصها ويعمل بها ، ويجعلها نبراسا يضيء له الطريق .

(١) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير حديث (٢٣٢٤)

(٢) سورة الأحزاب آية (٢١)

نماذج من القدوة في حياة الصحابة:

إن حياة الصحابة مملوءة بالخير والوفاء والبر ومعان سامية، إنهم الصفوة المختلوة لصحبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقد أقاموا بكتاب الله وسنة رسوله عالماً جديداً، لقد سادوا الدنيا ورفعوا راية الحضارة، لقد كانوا رهباناً بالليل فرساناً بالنهار، هؤلاء الذين صحبوا رسول الله وضحوا بدمائهم وأموالهم في سبيل الله وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، ضربوا لنا أروع الأمثلة في الصدق والإخلاص والجهاد والسخاء والعطاء والحب في الله والعمل من أجل الله تعالى .

روى أسلم قال خرجت مع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يوماً إلى حرة ومر بأحد الأكواخ فسمع صوت أطفال يبكون فقال انطلق بنا إليهم فهرولنا حتى دنونا منهم فإذا بامرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبياتها يتضاغون - أي يبكون من شدة الجوع فقال عمر رضي الله عنه السلام عليكم يا أهل الضوء قالت المرأة وعليك السلام فقال أأدنو؟ فقالت ادن بخير أو دع فقال ما بال هؤلاء الصبية يبكون؟ قالت الجوع قال وأي شئ في القدر؟ قالت ماء أسكتهم به حتى يناموا. الله بيننا وبين عمر فقال أي رحمة الله ما يدري عمر بكم؟ قالت يتولى أمورنا ويغفل عنا فأقبل عليّ فقال انطلق بنا فخرجنا فهرول حتى آتينا دار الدقيق فأخرج عدلاً فيه شحم - أي جوال دقيق فيه إنابة دهن - فقال احمله عليّ فقلت أنا احمله عنك قال احمله عليّ مرتين ثم قال أنت تحمل عني وزري يوم القيامة؟ فحملته عليه فانطلق وانطلقت حتى انتهينا إليها، فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئاً وجعل يقول ذري علي وأنا أحرك لك وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فجعلت أنظر إلى الدخان من خلال لحيته حتى نضج القدر فأتته بصفحة فأفرغها، ثم جعل يقول أطعميهم وأنا أسطح لك فلم نزل حتى شبعوا وقلم وقمت معه وهو يحمد الله فجعلت المرأة تقول جزاك الله خيراً إنك أولى بهذا من

أمير المؤمنين ، ثم أقبل علي فقال يا أسلم إن الجوع أسهرهم وأبكاهم (١) رضي الله
 عن أمير المؤمنين الذي حمل الدقيق على ظهره ليطعم الجياع ويسعد المحرومين .
 هذا واحد من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم - الذين تربوا على يديه فهم
 يخافون الله تعالى ، ويرحمون عباد الله ، يستطلع أخبار الرعية لأنه يعلم أنه سوف
 يسأل عنهم يوم القيامة وقد سمع من النبي -صلى الله عليه وسلم- (يقول كل راع
 مسئول عن رعيته) إهم الذين وصفهم النبي -صلى الله عليه وسلم- ومدحهم فقال:
 (لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم
 ولا نصيفه) (٢)

سيدنا عثمان -رضي الله عنه- الذي كان يطعم الطعام وكان باراً بأهله .
 سجل التاريخ أن جماعة نزلت بالناس في عهد أبي بكر -رضي الله عنه- فهرعوا
 إليه يطلبون النجدة فقال لهم أتمسون حتى يفرج الله عنكم وكان لعثمان -رضي
 الله عنه- ألف راحلة أتت من الشام تحمل قمحا وأرزاً وزببياً وزيتاً ، وجاءه التجار
 ليشتروها منه ويبيعوها للناس فقال لهم كم تريدونني على شرائي من الشام ؟ فقالوا
 الدرهم بدرهمين فقال قد أعطيت زيادة قالوا بخمسة فقال قد زادوني فجعلوا
 يزيدون في الثمن ويقول لهم قد زادوني فقالوا من زادك نحن تجار المدينة قال قد
 زادني الله لكل درهم عشرة فهل عندكم من زيادة ؟ قالوا لا نقدر فقال أشهدكم
 معشر التجار أنها صدقة على فقراء المسلمين (٣)

هؤلاء هم أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذين اختارهم الله لصحبة نبيه
 والذين قال النبي فيهم (الله الله في أصحابي لا تأخذوهم غرضاً من بعدي فمن أحبهم
 فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم) (٤) هذه بعض أمثلة من حياة الصحابة
 الذين يعتبرون قدوة لنا بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فعلياً بالافتداء بهم .

(٢) صحيح البخاري كتاب المناقب حديث (٣٣٩٧)

(٤) سنن الترمذي كتاب المناقب حديث (٣٧٩٧)

(١) البداية والنهاية ابن كثير الجزء السابع من (١٥٠) .

(٣) المنار الهادي في الوعظ الشيخ/ توفيق عبد العال ص (٥٢)

القدوة في مجال الدعوة :

إن القدوة في مجال الدعوة لازمة ، وهي أنجع وأنجح وأيسر السبل في تبليغ الدعوة لأن صلاح الداعية في نفسه أبلغ من خطبه ، وقد شكوا الناس في القلم والحديث من دعاة يحسنون القول ويسينون العمل ، إن الدعوة إلي الإسلام تكون أولاً بعروض سلوك الداعية نفسه ، ولا ننسى أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- بدأت دعوته للناس منذ اللحظات الأولى من نشأته ألم يسميه كفار مكة الصادق الأمين ؟ ولنعد إلي أسباب انتشار الإسلام أيام السلف الصالح إن خلق الدولة وصلاح أنظمتها وكفالتها أكبر حظ من العدالة والسعادة للأفراد كان الباعث الأعظم على دخول الناس في دين الله أفواجا وقبولهم عن طيب خاطر الانضواء تحت راية الإسلام . بل غبظتهم لأن دائرة هذا الدين بلغت في الرحابة حدا جعلتهم يأوون إليه وهم وافر ون أعزاء ./. وحين نتابع أوصاف المسلمين الفاتحين نجد أن الجماهير رمقت حملة العقيدة الطاهرة بشيء من الدهشة ورأت فيها نماذج خلاصة للفضل والعدل ، فلم يمكثوا غير قليل حتى زاحمهم عليها ، لقد اعتنقوها ليعملوا بها مثل أو أجل من أصحابها الذين نقلوها ./. ومن ثم نرى لزاما علينا التوكيد بأن القدوة وحدها ، وما يبعث على الاقتداء من إعزاز وإعجاب هما السبيل الممهدة لنشر الدعوة في أوسع نطاق .(١)

وحتى تؤدي الدعوة تأثيرها المرجو لا بد أن يبدأ الداعية بنفسه قبل نصيحة الآخرين ، فإذا أراد أن يأمر بأمر لا بد أن يكون أول الآخذين به وإذا أراد أن ينهي عن أمر فلا بد أن يكون أول المنتهين عنه ، ولا يكفي الأخذ باليسير من الأمر ولكن مطلوب منه أن يكون أكثر الناس أخذا بما أمر أو بما نهى وقد أشار إلي ذلك الحسن البصري قال (إذا كنت أمرا بالمعروف فكن من آخذ الناس به وإلا هلكت ، وإذا كنت ممن ينهي عن المنكر فكن من أنكر الناس له وإلا هلكت) (٢)

(١) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة / محمد الغزالي ص (٢٦٢) وما بعدها بتصرف (٢) الزهد للأمام أحمد ص (٢٦٠)

كتب الدكتور محمد السيد الوكيل تحت عنوان القدوة الحسنة وهو يضرب مثالا بالدعاة الذين يخالف فعلهم قولهم ومدى تأثير ذلك في المدعو فقال :

إننا لو رأينا عالما نحريرا ، وخطيبا مفوها ومحدثا لبقا يحاضر الناس عن أضرار التدخين وقد دعم محاضراته بكل الأساليب العلمية التي تثبت ضرر التدخين وتظهر آثاره السيئة ، وأحضر النماذج الملموسة التي توضح ذلك وتدل على صدق ما يقول واجتمع الناس عليه يسمعون في دهشة لما دعم به محاضراته ، وقد ملكت عليهم المحاضرة قلوبهم واستولى بحديثه على نفوسهم وبينما الناس مشدودون إليه لقوة حديثه وتأثير بيانه أخرج لفافة (سيجارة) من جيبه وأشعلها على مرأى من الحاضرين

ماذا تكون النتيجة ؟

أيصدق الناس ما يسمعون ويكذبون ما يشاهدون؟

ألست معي ترى أن هذه (السيجارة) قد أفسدت كل ما ديجه وأفقدت القيمة الحقيقية لكل ما حبره ، لاشك أن حديثه مع حلاوته وطلاوته لا يمكن أن يتجاوز المقاعد التي كانوا يشغلونها ، ولكن صورته وهو ممسك بلفافته لن تفارق أذهانهم ، وستظل معهم يتفكحون بها ويتندرون بالحديث عنها لكل من يلقون ، إنه بذلك قد كذب نفسه ، وكأني (بالسيجارة) التي بيده تصرخ في الناس لا تصدقوه (إذ لو كان صادقا في قوله ما كذب في فعله)

إن سلوك الداعية هو الصورة الحية العملية لدعوته ، يراها الناس في سكونه وحر كته ووقوفه ومشيته وبكائه وضحكه ، إن القدوة العملية تصيب من قلوب الناس أكثر مما تصيب الكلمة مهما كانت طيبة ومؤثرة .. فعلي الدعاة أن يكونوا عمليين أكثر منهم قوالين حتى تثمر دعوتهم وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربهم (١)

(١) أسس الدعوة وآداب الدعاة الدكتور / محمد السيد الوكيل من (٩٥، ٩٦) بتصرف

وعلى الدعاة أن يجعلوا بيوتهم قبلة يؤمها القاصدون فيجدون فيها الإسلام حيا يتحرك ممثلا في الزوجة والأولاد، والآباء والأحفاد . . . وعليهم أن يعلموا أن أي تقصير في تطبيق ما يدعون إليه يجعلهم عرضة للقليل والقال والسخرية والاحتقار ثم لا يكن لدعوتهم أي أثر في القلوب. (١)

قال مالك بن دينار : (إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا)

وقال الإمام الغزالي : (أما الوعظ فلست أهلا له لأن الوعظ زكاة نصابه الاتعاظ فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة) والله عز وجل قال (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) (٢) والشاعر العربي قال :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
أبدأ بنفسك فأنهها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويشتفى بالقول منك وينفع التعليم (٣)
إن قدرة الداعية على تربية نفسه هي التي تؤهله على تربية الآخرين، وإن قدرته على الإنكار على نفسه هي التي تزيد من قدرته بالإنكار على الآخرين وصدق الجليلاني عندما قال (إذا كنت منكرا على نفسك قدرت على الإنكار على غيرك) فمن أسرته نفسه وأصبح عبدا لهواها فلا يمكن أن ينكر على الآخرين. (٤)
فالداعية لابد أن يكون قدوة حسنة لكل الناس، والناس ينظرون إليه على أنه إنسان ميزه الله بعلمه وحمله أمانة الدعوة، فعليه أن يكون أول من يأخذ بها حتى يكون قدوة لغيره. وبعد هذا العرض لمدى تأثير القدوة الحسنة في الدعوة لا نقصد أن نهمل جانب الكلمة في تبليغ الدعوة، وإنما أردت إلقاء الضوء على أهمية القدوة الحسنة.

(٢) سورة البقرة آية (٤٤)

(١) المرجع السابق ص (٩٧) بتصرف

(٣) الدعوة الإسلامية علما وعملا / إبراهيم ألد سوفي ص (٨٣، ٨٤) (٤) فقه الدعوة في إنكار المنكر / عبد الحميد البلالي ص (٥١)

المبحث الخامس

الترغيب والترهيب أسلوبان من

أساليب تبليغ الدعوة الإسلامية

المبحث الخامس

الترغيب والترهيب أسلوبان من

أساليب تبليغ الدعوة الإسلامية

أولا الترغيب:

تعريف الترغيب:

الترغيب لغة: رغب فلان - رغباً، ورغبة ، ورغبة : حرص على الشيء وطمع فيه ، ورغب إليه : ابتهل وضرع وطلب ، ويقال رغب إليه في أن يحضر : سأله إياه ، ورغب عن الشيء : تركه متعمداً وزهد فيه ، ورغب بنفسه عن الشيء : ترفع عنه ، ورغب بفلان عن كذا : ربا به عنه ، ورغب الشيء وفيه : أراده ، ورغبه في الشيء : جعله يرغبه ، والرغبة^١ : الشيء المرغوب فيه ، والمرغب^٢ : الرغبة والمطمع - والجمع مر اغب (١)

الترغيب اصطلاحاً: هو كافة وسائل وطرق الإغراء لجعل شخص ما يقوم بفعل ما لم يكن ليفعله بغير هذه الوسائل والطرق ، وهذا هو الترغيب بمعناه العام أما الترغيب الذي تعول عليه الدعوة الإسلامية فهو: ذلك الترغيب الذي يضيفي المشروعية على الوسائل والطرق المستخدمة في الإغراء لجعل المدعو متمسكاً بالحق وثابتاً عليه .

ومن التعريف السابق يتضح لنا أن للترغيب وسائل وطرقاً^٣ يستخدمها المرغب ويوظفها في إنجاح عملية الترغيب ، فقد يعول في ترغيبه على ذكر مزايا الشيء أو الفعل المرغب فيه ، ولكي تصل عملية الترغيب ذروتها لابد أن يعرف المرغب الأشياء التي تؤثر في نفس المرغب له سواء أكان ذلك بذكر مزايا الفعل ، أو بذكر النتائج المترتبة على القيام بالفعل ، أو بذكر الحقائق العلمية التي يحتويها هذا الفعل بين جوانبه.

(١) المعجم الوجيز ص (٢٦٩)

ثانيا أهمية أسلوب الترغيب في الدعوة:

إن الإنسان مفطور على الاطمئنان إلى الجزاء على ما يبذل من جهد أو يقدم من عمل ، وأن الذي خلقه ويعلم ما في نفسه وعده لو آمن واتبع الرسل بالجزاء العاجل في الدنيا والجزاء الآجل في الآخرة ، فقال تعالى في معرض ذكر الجزاء العاجل . (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً) (١) بين الله تعالى في هذه الآية جزاء الطاعة المخلصة والإيمان العامل في هذه الأرض يقول صاحب الظلال (ذلك وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - أن يستخلفنهم في الأرض وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وأن يبدلهم من بعد الخوف أمناً ذلك وعد الله ووعد الله حق ووعد الله واقع ولن يخلف الله وعده) (٢)

وفي معرض ذكر الجزاء الآجل قال تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً) (٣) وإذا استعرضنا القرآن الكريم والسنة المطهرة لوجدنا آيات كثيرة وأحاديث كثيرة تتكلم عن الجزاء الدنيوي والجزاء الأخروي مما يدل على ضرورة الأخذ بهذا الأسلوب في الدعوة وعدم إغفاله .

متى يستخدم أسلوب الترغيب:

(١) يستخدم أسلوب الترغيب إذا أردنا أن ندعو إلى فضيلة أخلاقية من الفضائل مثل (الشجاعة ، الصدق ، الوفاء ، الأمانة ، الإخلاص ، التواضع ، الحلم) إلى غير ذلك من الفضائل يجب علينا أن نستخدم أسلوب الترغيب ، ولناخذ على ذلك مثلاً فضيلة

(١) سورة النور آية (٥٥)

(٢) في ظلال القرآن الشيخ / سيد قطب ج ٤ ص (٢٥٢٨)

(٣) سورة الكهف آية (١٠٧)

الصدق:

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقلوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) (١)

هذه الآية الكريمة ترغب في الصدق وتتحدث عن جزاء الصدق في القول فإذا صدق الإنسان في قوله فسوف يصلح الله له عمله ، ويغفر له ذنبه ، وله الفوز والنجاة في الآخرة ، والسنة النبوية ترغب في الصدق في أحاديث كثيرة ، منها حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - الذي يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - [عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا . . .] (٢)

فهنا يوضح النبي صلى الله عليه وسلم - ما يفعله الصدق بصاحبه من هداية إلى أعمال الخير وإن هدي الإنسان إلى فعل الخير فبالتالي سوف يكون من أهل الجنة وفوق كل ذلك سوف يكتب عند الله من الصديقين ، فالصادق له جزاء في الدنيا عاجل وهو الهداية إلى فعل الخير ، وفي الآخرة له الجنة إن شاء الله تعالى .

(٢) يستخدم أسلوب الترغيب إذا أردنا الدعوة إلى عبادة معينة أو إلى طاعة من الطاعات مثل الدعوة إلى (المحافظة على الصلاة ، أو التصديق ، أو الصوم ، أو أداء الحج ، أو الجهاد في سبيل الله) وتأخذ مثلا على ذلك :- (٣)

(١) سورة الأحزاب آيات (٧٠، ٧١)

(٢) صحيح البخاري كتاب الأدب حديث (٥٦٢٩)

(٣) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة الغزالي ص (٢٧٥) بتصرف

الجهاد:

قال تعالى مرغباً في الجهاد (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (١)

يقول صاحب الظلال [إذا هؤلاء الشهداء أحياء لهم كل خصائص الأحياء فهم يرزقون عند ربهم وهم فرحون بما آتاهم الله من فضله وهم يستبشرون بمصائر من ورائهم من المؤمنين وهم يعلمون بالأحداث التي تمر بمن خلفهم من إخوانهم فهذه خصائص الحياة من متاع واستبشار واهتمام وتأثروا وتأثروا بالحسرة على فراقهم) (٢)

والسنة النبوية ترغب في الجهاد في سبيل الله عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أي العمل أفضل قال: (إيمان بالله ورسوله) قيل ثم أي قال: (الجهاد في سبيل الله) قيل ثم أي قال: (حج مبرور) (٣)

فقد جعل النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذا الحديث أفضل الأعمال التي يتقرب بها إلى الله بعد الإيمان به سبحانه وتعالى ورسوله هو الجهاد في سبيل الله تعالى، وهناك أحاديث توضح ما للمجاهد في سبيل الله من أجر في الدنيا وفي الآخرة، وترغب في الموت في سبيل الله منها:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة) (٤)

(١) سورة آل عمران آيات (١٦٩، ١٧٠)

(٢) في ظلال القرآن الشيخ سيد قطب ج ١ ص (٥١٧)

(٣) صحيح البخاري كتاب الإيمان حديث (٢٥)

(٤) صحيح البخاري كتاب فرض الخمس حديث (٢٨٩١)

(٣) يستخدم أسلوب الترغيب في تنبيه الأمة إلى ماضي أسلافها الصالحين الذين بذلوا أرواحهم وأموالهم في سبيل الله تعالى ففازوا بالسعادتين وتركوا أحسن الذكري تاريخاً مشرفاً وسيرة حسنة قال تعالى (وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيت في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) (١) يقول صاحب الظلال [وهي امرأة واحدة في مملكة عريضة قوية. وهذا فضل آخر عظيم فالمرأة - كما أسلفنا - أشد شعوراً وحساسية بوطأة المجتمع وتصوراتها ولكن هذه المرأة. وحدها. في وسط ضغط المجتمع، وضغط القصر، وضغط الملك وضغط الحاشية، والمقام الملوكي. في وسط هذا كله رفعت رأسها إلى السماء. وحدها في خضم هذا الكفر الطاغوي! وهي نموذج عال في التجرد لله من كل هذه المؤثرات وكل هذه الأواصر، وكل هذه المعوقات، وكل هذه الهوائف. ومن ثم استحققت هذه الإشارة في كتاب الله الخالد الذي تتردد كلماته في جنّات الكون وهي تنزل من الملأ الأعلى] (٢)

(٤) يستخدم أسلوب الترغيب في حض الناس على تقوى الله والمبادرة إلى إقامة حدوده وتحري مرضاته قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم) (٣)

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) (٤)

نجد أن الآية الأولى تدعو إلى تقوى الله تعالى ومن يتقيه سوف ينال رحمة الله، ويجعل له نوراً يمشي به فلا يحار ولا يزل وهذا الجزاء في الدنيا أهـا في الآخرة فمغفرة الذنوب، والآية الثانية تدعو أيضاً إلى تقوى الله وتجعل له في الدنيا فرقاناً والمقصود بالفرقان هو البصيرة التي يستهدي بها فلا يخلط بين الحق والباطل، وفي الآخرة مغفرة لذنوبه وسترا لها وهناك الفضل من الله تعالى فوق كل ذلك. (٥)

(٢) في ظلال القرآن الشيخ سيد قطب ج ٦ ص (٣٦٢٢)

(١) سورة التحريم آية (١١)

(٥) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة ص (٢٧٦)

(٤) سورة الأنفال آية (٢٩)

(٣) سورة الحديد آية (٢٨)

(٥) يستخدم أسلوب الترغيب إذا أردنا أن نرغب في طاعة الله وتنفيذ أوامره ، فيقوم الداعية بتذكير المدعو بنعم الله عليه وأن الله هو ولي نعمته ، الخالق له من عدم المطعم له من جوع ، الكاسي له عن عري ، الساتر له من فضح ، فحق من فعل ذلك بند أن نسارع إلي إجابته ، وأن يرانا عند إرادته .. من يطاع إذا جحد أمره وأهمل شوعه؟ كيف نخلع طاعته من أعناقنا وهو أولي من يهرع إلي ساحتة ، من يقال له سمعنا وأطعنا؟ (١) قال تعالي (أفر أيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) (٢)

(٦) يستخدم أسلوب الترغيب في الدعوة إلي التوبة والاستغفار ، وأنهما هما السبيل إلي الحياة السعيدة في الدنيا والرغد في العيش ، ونحن نرى أن سعة العيش ويسر الرزق حلم كل إنسان على الأرض ، والدعوات السابقة قد اشتملت على هذا الأمر قال تعالي على لسان سيدنا نوح عليه السلام (استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً) (٣) قال تعالي على لسان سيدنا هود - عليه السلام (وبيا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلي قوتكم ولا تتولوا مجرمين) (٤) وقال تعالي على لسان سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلي أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) (٥)

وهذه العدة الجميلة من أسباب البقاء على الإيمان وتحمل المشاق والرضى بقضاء الله تعالي ، والتسليم له في كل شيء .

هذا هو أسلوب الترغيب والمطالع للقرآن الكريم يجد نفسه أمام كم كبير من

الآيات في الترغيب في عمل الطاعات أو الاستجابة لأمر الله تعالي وكذلك السنة .

(٢) سورة الشعراء آيات (٧٥:٨٢)

(١) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة الشيخ محمد الغزالي ص (٢٧٥)

(٥) سورة هود آية (٣)

(٤) سورة هود آية (٥٢)

(٣) سورة نوح آيات (١٠:١٢)

ثانياً التهيب

تعريف التهيب:

التهيب لغة : رَهَبَهُ - رَهَبًا ، ورَهَبَةً - ورَهَبًا : خافه ، ومنها أَرَهَب فلانا : خوَّفَه وفزَعَه ، ومنه الإرهابيون : وصف يطلق على الذين يسلكون سبل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية (١).

التهيب اصطلاحاً: هو استخدام كافة الوسائل والطرق المشروعة لتنفيذ شخص من صفة سيئة ، أو من فعل يجيد به عن الحق ، أو عمل يضره في دينه أو دنياه .

الفرق بين الترغيب والتهيب:

الترغيب يعول على ذكر مزايا الفعل أو الصفة المرغوب فيها ، وحث الشخص على فعله .

أما التهيب فإنه يعول على ذكر مساوئ الفعل ، أو ذكر عيوب الصفة التي يريد التحذير منها .

نماذج للتهيب من القرآن والسنة :

(١) التهيب من غضب الله تعالى:

جاء في القرآن الكريم كثير من الآيات التي ترهب وتحذر الإنسان من ارتكاب المعاصي لأنها ستكون سبباً لغضب الله تعالى على العبد قال تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) (٢)

(١) المعجم الوجيز ص (٢٧٩)

(٢) سورة النساء آية (١٤)

يقول ابن كثير عند تفسيره للآية السابقة [أي لكونه غير ما حكم الله به وشلد الله في حكمه وهذا إنما صدر عن عدم الرضا بما قسم الله ولهذا يجازيه بالإهانة في العذاب الأليم المقيم] (١)

هذا وقد حذرت السنة النبوية المطهرة من المعاصي وأنها سبب لغضب الله على العبد . عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال [إن الله يغار وغيره الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه] (٢)

إن العبد إذا خوفته بالله ربما رجع عن الذنب وأقلع عنه ، وخصوصاً لو وضحت له مدي العذاب الذي سوف يتزل به إن هو أغضب الله ، والخوف إحساس فطري موجود في كل إنسان ، فالطالب الذي يخاف الرسوب فيجتهد في استذكار دروسه ويحصل في النهاية على الدرجات العالية ليس مريضاً ، والتاجر الذي يخاف الإفلاس فيضعف من نشاطه . . . وهكذا

قال يحيى بن معاذ : مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر لدخل الجنة .

ومن حق الله تعالى أن يهاب ويخشى . وفي حكم الصالحين (لا تنظر إلي صغر الخطيئة ولكن انظر إلي من عصيت) وقال سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه (إذا استعظمت الذنب فقد عظمت حق الله وإذا استصغرت فقد صغرت حق الله ، وما من ذنب استعظمته إلا صغر عند الله وما من ذنب استصغرتة إلا عظم عند الله)

والخوف الذي يتحدث عنه الشارع ليس شعوراً قلقاً تهمز به النفس ويذهب فيه اتزانها ويكون ما يسمى الآن عقدة كلاً إنه إحساس فطري يؤدي نتائجه في سهولة . فالنظيف الذي يتقي الأقدار ويخاف دنسها ويحتاط أن يعلق ببدنه أو ثوبه شيء منها ليس مريضاً . فالخوف إذاً كمال نفسي وليس مرضاً ولا شبه مرض . (٣)

(١) سورة النساء آية (١٤)

(٢) صحيح البخاري كتاب النكاح حديث (٤٨٢٢)

(٣) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة الشيخ/ محمد الغزالي ص (٢٧٨) وما بعدها بتصرف

(٢) الترهيب من الذنوب والمعاصي وإظهارها على أنها قذارة لا تليق بالإنسان المتحضر ، وأنها قبيحة ولا بد للإنسان أن يتعد عنها ، وينأى بنفسه عنها ، وإذا التبس بها كان متشبها بالحيوان ، وقد ضرب الله تعالى على ذلك أمثلة كثيرة في القرآن منها ^{قول تعالى} قال تعالى (واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) (١) فالآية تحقر من الذي يرفع صوته بدون داعي وتظهره في صورة مزرية قذرة يرفضها أي عاقل ويأبأها أي إنسان ولقد وصفت صوته بصوت الحمار .

والسنة النبوية الشريفة سلكت نفس مسلك القرآن في تشبيه بعض المعاصي التي يرتكبها بعض الناس بفعل الحيوان ، تنفيرا لهم من فعلها وأضرب على ذلك مثلا ما روى سيدنا عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [قال الذي يعود في هبته كالكلب يعود في قيئه] (٢) فالنبي صلى الله عليه وسلم يشبه الذي يرجع في ما وهبه لأحد الناس بالكلب الذي يقبئ ثم يعود فيأكل ما قاءه .

(٣) الترهيب من الذنوب على أنها تنقص الإيمان ، وتضعف اليقين ، وتمرض القلب قال تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) (٣) قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) (٤) وقال تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) (٥)

والسنة قد حذرت من الذنوب وبينت أنها تنقص الإيمان وتسود القلب فتجعل عليه الران روى سيدنا أبو هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال [إن المؤمن إذا أذنب ذنبا نكتت نقطة سوداء في قلبه فإن تاب واستغفر صقل قلبه وإن لم يتب زادت حتى تملو قلبه فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه] (٦)

(٢) صحيح البخاري كتاب الهبة حديث (٢٤٠٠)

(١) سورة لقمان آية (١٩)

(٤) سورة المطففين آية (١٤)

(٣) سورة البقرة آية (١٠)

(٦) الترمذي كتاب تفسير القرآن حديث (٣٢٥٧) وقال حديث حسن صحيح

(٥) سورة الشمس آيات (١٠:٧)

(٤) الترهيب من المعصية لأن لها عقوبة عاجلة في الدنيا وعقوبة مؤجلة في الآخرة، أما في الدنيا فالعقوبة تكون بالابتلاء بالمصائب، وظهور الفساد في الأرض قال تعالى: (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) (١) وقال تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير) (٢)

والسنة النبوية قد وضحت ذلك وبينت مدى ما تفعله الذنوب في الأرض من أضرار لا تحمد، عن عبد الله ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: [يا معشر المهاجرين خصال خمس إن ابتليتم بهن ونزلن بكم وأعوذ بالله أن تدر كوهن: لن تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون وظهرت الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولا تنقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ ما بأيديهم، وما لم تحكم أمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم شديد] (٣)

(٥) الترهيب بذكر ما ينتظر المذنب من أنواع العذاب في الآخرة، وهذا له أمثلة في القرآن كثيرة منها ما ورد في التحذير من كثر المال وعدم إخراج الزكاة منه قال تعالى (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كترتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون) (٤)

(١) سورة الروم آية (٤١)

(٢) سورة الشورى آية (٣٠)

(٣) كتاب الترغيب والترهيب ج ١ ص (٢٧٠) من رواية البيهقي

(٤) سورة التوبة آية (٣٥)

نموذج من السنة: قد حذر النبي -صلى الله عليه وسلم- من منع الزكاة ووضع ما

ينتظره من عذاب في الآخرة في حديث طويل رواه الإمام مسلم في صحيحه قال: عن

أبي هريرة رضي الله عنه -قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [ما من صاحب

ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار

فأحمر عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في

يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة

وإما إلى النار، قيل يا رسول الله فالإبل قال: ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ومن

حقها حلبها يوم ورودها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أو فر ما كانت لا

يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أو لاها رد عليه

أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله إما إلى

الجنة وإما إلى النار، قيل يا رسول الله فالبقر والغنم قال: ولا صاحب بقر ولا غنم لا

يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس

فيها عقصاء ولا جحاء ولا أعضاء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه

أو لاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد

فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، قيل يا رسول الله فالخيل قال: الخيل ثلاثة هي

لرجل وزر وهي لرجل ستر وهي لرجل أجر فأما التي هي له وزر فرجل ربطها رياء

وفخرا ونواء على أهل الإسلام فهي له وزر وأما التي هي له أجر فرجل ربطها في

سبيل الله لأهل الإسلام في مرج وروضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من

شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات وكتب له عدد أرواثها وأبوا لها حسنات

ولا تقطع طولها فاستنت شرفا أو شرفين إلا كتب الله له عدد آثارها وأرواثها

حسنات ولا مر بها على نهر فشربت منه ولا يريد أن يسقيها إلا كتب الله له عدد ما

شربت حسنات ، قيل يا رسول الله فالحمر فقال: ما أنزل على في الحمر شيء إلا هذه

الآية الفاذة الجامعة (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (١)

من لوازم الترغيب والترهيب •

كتب الدكتور/عبد الكريم زيدان تحت هذا العنوان فقال:

ولما كان الإنسان يعيش في الدنيا ويشاهدها ويحس بها ويتعرض لإغراءاتها مما يجره إلى الركون إليها والتعلق بها ونسيان الآخرة ، فلا بد إذن من تنفيذ المدعوين من إثارة على الآخرة لا من الفرار منها جملة واحدة ، مع بيان حقيقتها وقيمتها وقدرها بالنسبة إلى الآخرة ونعيمها ، وقد بين ذلك كله القرآن الكريم خير بيان مما يجعل أي مسلم عاقل يؤثر الآخرة على الدنيا ، بل ويجعل المدعو غير المسلم منجذباً إلى هذه الحقائق في موازنة الدنيا مع الآخرة وقد يجره ذلك إلى الإيمان لما يحسه من صدق هذا البيان والتصوير لقيمة الدنيا ومن الآيات القرآنية في هذا الباب .

قال تعالي (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) (١)

وقال تعالي (اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) (٢)

وفي السنة النبوية المطهرة تحذير من الدنيا وإثارة على الآخرة وقيمتها ، من ذلك الحديث الشريف إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء) وقال صلى الله عليه وسلم - ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبه في اليم فلينظر بم يرجع) (٣)

(١) سورة يونس آية (٢٤)

(٢) سورة الحديد آية (٢٠)

(٣) أصول الدعوة الدكتور/ عبد الكريم زيدان ص (٤٤٠، ٤٤١)

رأي التربية الحديثة في أسلوب الترغيب والترهيب:

للتربية الحديثة رأي سيئ في الترغيب والترهيب، ومذهبها في توجيه الصغار والكبار، يقوم على شرح الفضائل والردائل وما فيهما من خير مجرد وشر مجرد، وفلما تلوح بأجزية على الأعمال إلا أن تكون أجزية معنوية أو مادية معجلة في هذه الحياة، ونحن نستعرض البواعث على هذا المنحى لنقر منها ما هو حق وننسخ منها ما هو باطل .

فإذا كان المراد إفهام الناس طبائع الحسن والقبح في الأعمال حتى يكون الإقبال عليها أو النفور منها صادرا عن وعي دقيق: فذاك شيء لا بأس منه وهو بعض دوافع الترغيب والترهيب عندنا . . فإن الكلمة الرقيقة قد تجدي مع قوم ولا يجدي معهم غيرها ، على حين لا تصلح إلا العصا للآخرين وهذه الوسيلة لا تغض من ذلك . بيد أننا نحارب كل لون من ألوان التربية يقوم على التهوين من قيمة الإيمان بالله تعالى كما نحارب كل إهمال للآخرة وما فيها من ثواب وعقاب .

إن المؤمن يؤدي العمل لله وحده ثم يرتقب مع مرضاته جل شأنه أن يلقى لديه الرضا والنعمة وأن يصاب من العنت ، وهذا الطمع في فضل الله لا ينقص قدره ، بل إن القرآن قد ذكر ذلك على لسان رسولنا صلى الله عليه وسلم قال تعالى (قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) (١)

إن المشكلة في التربية الحديثة ليست في الطريقة التي تتبعها في تكوين النشء إنما المشكلة أنها نبتت في بيئات تحقر الدين وتنكر البعث وذلك سر تجهمها للأسباب الرغبة والرغبة ، وليس الإسلام بدعا في هذا المنهج فإن الديانات السابقة كلها قلمت على معرفة الله ، وضرورة طاعته وعلى الاستعداد لليوم الآخر وضرورة الحذر من عذاب الله ، وضرورة إحراز ثواب الله تعالى . (٢)

(١) سورة الأنعام آية (١٥)

(٢) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة الشيخ/ محمد الغزالي ص (٢٨٤) وما بعدها بتصرف

إن التخويف بالعقوبات البدنية والتلويح بالمكافآت المادية أمران لا بأس بهما في مجال التربية، صحيح أن التعويل على الأجزية المادية وحدها هبوط بقيمة الإنسان وتحقير لعقله وقلبه، بيد أن الدين لم يفعل ذلك ولا جنح إليه .

إن الإسلام أيقظ العقل الغافل أولاً وتوجه إليه بالخطاب البين وحرك القلب الإنساني وعلقه بالسما والفته إلى ما يجمل به من شكر لله وقيامه بحقه، ومن زعم أن المرء يترك وشأنه إذا لم يستجب لحادي العقل فهو باطل في زعمه، فمن لم يزجره الكلم الطيب عليك بلا حرج أن تقابله بالعصا لعله يرجع إلى الحق والصواب.

ونحن لا نعرف عهداً استغنت البشرية فيه عن إنذار المجرمين بالنكال وإعداد السجون لهم وعن استرضاء الأخيار بالجوائز المغرية وتوفير أسباب السعادة لهم .

قال الأستاذ عادل عبد الله [إن مبادئ التربية الحديثة ترى ألا يضرب الأطفال عقاباً لهم على ذنوب ارتكبوها أو ردعاً لهم عن إتيان مثلها مستقبلاً لأن ذلك يولد لديهم عقداً نفسية ضارة] لكن الإسلام يأمر بضرب الأطفال لخطئهم على إقامة الصلاة إن هم تكاسلوا عنها بعد سن العاشرة، والمقصود بالضرب هنا ألا يكون مبرحاً ولا مؤذياً وألا يلجأ إليه المرء إلا بعد استنفاد كل وسائل النصح والترغيب وقد أثبتت التجارب والنتائج أن موقف الإسلام أرشد وأصدق، ويسرنا أن نعلن رأي الدكتور/ بنجامين سبوك - وهو طبيب وعالم نفسي قال [أن ضرب الأطفال أمر ضروري في تربيتهم] ويقرر أنه بحث حالة كثير من الشباب والرجال فوجد أن أقومهم أخلاقاً هو الذي كان أبوه لا يتوانى عن ضربه في طفولته حين يخطئ وأن أفسدهم خلقاً وأضعفهم شخصية هو الذي سلم من ضرب أبويه في سنه الأولى (١).

وبعد هذا البيان لقيمة استعمال أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة وأنه لا يمكن لداعية أن ينجح في دعوته إلا إذا أخذ بهما، وليس أحدهما منفكاً عن الآخر وإنما هما مرتبطان ارتباطاً وثيقاً، وقد أخذ مهذين الأسلوبين جميع الأنبياء كما سيأتي .

(١) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة ص (٢٨٨) وما بعدها بتصرف

الفصل الثاني

وسائل تبليغ الدعوة

المبحث الأول

وسائل الاتصال الجماهيري المباشر

الفصل الثانى

المبحث الأول

وسائل تبليغ الدعوة

وسائل الاتصال المباشر

مفهوم الاتصال :

ذهب أكثر رجال الاعلام والدعوة إلى ان الاتصال هو العملية التى بمقتضاها ينقل الفرد (الداعى) منبهات لكى يعدل من سلوك الآخرين وعرف بعضهم الاتصال بأنه هو استجابة الكائن الحى إلى منبه معين بشكل متميز إلى غير ذلك من التعريفات (١)

معنى الاتصال الشخصى :

الذى تعنيه من الاتصال الشخصى هو المواجهة بين طرفين بهدف تأثير أحدهما فى الآخر عن طريق إخباره بشئ أو تعريفه به أو عودته إلى شئ ممكن ويتم هذا الاتصال بين فردين أو بين فرد أو جماعة أو بين جماعة وجماعة وقد خصص الكلام عن الاتصال الشخصى غير ما يعرف بالاتصال الجماهيرى وهو الاتصال عن طريق المسرح أو التلفزيون أو السينما فهو مواجهة شكلية فالجمهور لا يستطيع الرد أو المحاوره .. وإن الاتصال الشخصى يعتبر هو أول صور الاتصال على وجه الأرض فأدم عليه السلام اتصل بحواء وبنيه كذلك الأمر .

وتطور الاتصال الشخصى وتنوعت أساليبه فهناك اتصال بالايماء والإشارة وذلك مثل علامة " النصر " التى ابتدعها (تشرشل) فى الحرب العالمية الثانية ولا نذكر تشرشل وننسى كيف استخدم النبى - صلى الله عليه وسلم - الإشارة عندما أمر بإشعال النار لكل مجموعة من المجاهدين حين توجه لفتح مكة حيث أن تعدد مواطن النيران والشغل المتعددة كان لها وقع فى نفس الخصم حيث أظهر أن جيش محمد - صلى الله عليه وسلم - قوى العدد والعدة .

(١) فقه الدعوة والاعلام - د/ عمارة نجيب ص ١٨٩ وما بعدها بتصريف .

مميزات الاتصال الشخصي :

- ١- إمكانية الحوار والمناقشة بين الطرفين .
- ٢- إمكانية الإقناع وتحقيق الهدف .
- ٣- توافر الحرية بين الطرفين .
- ٤- مراعاة حالة الطرف وظروفه النفسية . (١)

وهذا يعني أن الاتصال الشخصي هو أهم وسائل الدعوة قديماً وحديثاً أما الوسائل الأخرى فهي مجرد عامل مساعد في نشر الدعوة الإسلامية وليس ذلك إهمالاً لها أو إنكاراً لها تقوم به من دور في نشر الدعوة ولكن هو إثبات ما للاتصال الشخصي من أهمية .

(١) أسس الدعوة وآداب الدعوة / الدكتور محمد السيد الوكيل ص ٢٥ بتصرف

أولا: الخطابة كوسيلة من وسائل تبليغ الدعوة الإسلامية

تعتبر الخطابة هي العمود الفقري لكل فنون الكلام ، بل هي إحدى وسائل الدعوة الإسلامية وأبعدها أثرا في نفوس الجماهير والحديث عن الخطابة يتطلب تعريفها لغة واصطلاحا .

تعريف الخطابة:

من حيث اللغة :- (خطب الناس ، وفيهم ، وعليهم خطابة ، وخطبة) ألقى عليهم خطبة ، وخطب فلانة : أي خطبا وخطبة :- طلبها للزواج .
ويقال : خطبها إلى أهلها : طلبها منهم للزواج ويقال : خطب وده .. فهو خاطب والجمع : خطاب . وخاطبه : وجه إليه كلاما ، ويقال : خاطبه في الأمر .. حدثه بشأنه (١)

ثانيا: الخطابة اصطلاحا :-

عُرِّفت الخطابة تعريفات عديدة ولكن يروق لنا هذا التعريف لما اشتمل عليه من عناصر ضرورية تقوم عليها الخطبة :

التعريف الانتقائي : هي من مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والإستمالة (٢)

(١) مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز في اللغة العربية . ص ٢٠٢ طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم . (١)

(٢) عبد الجليل شلي :- "الخطابة وإعداد الخطيب" ج ١ ص ١٥ طبعه خاصة بوزارة الأوقاف

البناء الفني للخطابة: من هذا التعريف يتضح لنا أن البناء الفني يقوم على عدة

عناصر.

العنصر الأول: أن العمل الخطابي أو الخطابة هي :-

حديث موجه إلي جمهور من الناس، لا لفرد أو اثنين أو ثلاثة أفراد بعينهم ، فإن الحديث مع مثل هذا العدد الصغير لا يجوز أن يطلق عليه (خطبه) لاختفاء النبوة الإلقائية منه .

العنصر الثاني :- أنه تتم بطريقة إلقائية ومعنى هذا أنه يجب أن تتوفر فيها جوهرية الصوت أو تجسيم المعنى مع توافر الكماليات الضرورية للعملية الإلقائية هذه مثل الإشارات باليد وغيرها .. وكذلك مثل الانفعالات التي يجب أن يديها الخطيب : مما يتمخض عنه إثارة السامعين .

العنصر الثالث :- وهو عنصر الإقناع وهذا لا يتحقق إلا في وجود الأدلة والبراهين التي يسوقها الخطيب تأكيداً لصحة الفكرة التي يدعو إليها وكل خطبة خلت من الأدلة والبراهين لا تتعدى إلا أن تكون رأياً أو وصية .

العنصر الرابع :- الاستمالة

ولا تأتي الاستمالة إلا بالإلقاء أي أن العلاقة بين الاستمالة والإلقاء علاقة السبب بالنتيجة. فالاستمالة هي عنصر من عناصر البنية الفنية للخطبة يبدو أنها غاية يسعى الخطيب لتحقيقها فهي تميز الخطيب عن غيره من أصحاب المهن الأخرى التي يلعب فيها الكلام دور البطولة كالمدرس والأديب .. الخ
فهؤلاء جميعاً تتوقف غايتهم من الكلام عند الإقناع .. يبدو أن غاية الخطيب تتعدى مرحلة الإقناع إلي مرحلة الاستمالة .

كل هذه العناصر السابقة الذكر تتألف جميعاً ثم تنصهر لتعطينا خطبة ناجحة (١)

العلاقة بين الخطبة والوصية والرأي :-

قد تحتوى الخطبة على مجموعة من الآراء أو مجموعة من الوصايا أي أن العلاقة بين الوصايا والآراء بالخطبة هي علاقة الجزء بالكل .

البناء العضوي للخطبة :- تختلف الخطبة عن سائر فنون النثر في أنها يجب أن

يحتوى هيكلها على ثلاثة عناصر رئيسية :-

العنصر الأول :- مقدمة الخطبة :

التي يجب أن تأتي منسجمة ومتناسقة مع موضوع الخطبة مما يترتب عليه خروج الخطبة في النهاية كلوحة فنية متداخلة الألوان منسجمة الإيحاءات يصعب فصل جزءها فيها عن سائر اللوحة وهذا يمكن أن يميز خطيباً بعينه عن خطيب آخر ولهذا أجزى القول: أن الخطابة ليست علماً بمقدار ما هي فن أو إن صح التعبير هي علم متصل بالفن وهي فن متصل بالعلم.

العنصر الثاني :- موضوع الخطبة :

وهو يعتبر ذروة سنام الأمر بالنسبة للخطيب وهو الباعث الحقيقي على مشافهة الجماهير فبقدر أهمية الموضوع تتولد الرغبة الملحة في الإلقاء وهذا الموضوع هو عبولة عن الفكرة أو الحكم الذي يراد تبليغه إلى جمهور السامعين ، ثم حثهم على الأخذ بهذه الفكرة ، وهذا دور عنصر الاستمالة في الخطبة (١)

(١) المرجع السابق ص (١٠) بتصرف

العنصر الثالث:- خاتمة الخطبة :

وهي تلخيص لكل من الموضوع والمقدمة يصبو إلى تحقيق الغاية من الخطبة بمجملها وهو آخر ما يلقيه الخطيب على مستمعيه ..

ويجب أن تحتوي (أى الخاتمة) على ما يلي :-

- (١) موجز قصير لموضوع الخطبة .
- (٢) مشيرات لعاطفة السامعين تجاه الخطبة .. فمثلا إن كان موضوع الخطبة هو الحث على الجهاد وعواقب التراخي عنه من خلال استعراضه لبعض الآيات والأحاديث والأقوال المأثورة والتي تتعلق بالجهاد وفضله وعواقب التراخي عنه.

خلاصة القول في خاتمة الخطبة أنها عبارة عن قصاصات بلاغية تنطلق من ساحات

البيان والإيقاع البلاغي تهدف إلى عرض موجز قصير لموضوع الخطبة. (١)

عوامل نجاح الخطبة:- لا تكون الخطبة ناجحة إلا إذا ما توافرت لها العوامل التالية:

١- وحدة الموضوع "الوحدة العضوية"

يجب أن يكون موضوع الخطبة محددًا غير متشعب حتى لا يقع الخطيب تحت طائلة التشتيت فتدوب أفكاره في زحام معانيه ويخرج السامع من خطبته ، كأن لم يسمع شيئاً لعدم وجود وحدة في الموضوع ولا تحديد للفكرة .

(١) فن الخطابة الدكتور/ محمد الجوفي ص(١١٧:١٣٩) بتصرف

اختيار الموضوع :-

يجب على الخطيب إذا أراد أن يخطب أن يحدد الموضوع الذي يريد الخطابة فيه فلا بد أن يكون هذا الموضوع واحدا حتى لا يتشتت الداعية ويضيع منه الهدف الذي من أجله قام بأداء الخطبة وحتى لا يتشتت السامعون :-

فعلى سبيل المثال إذا حدد الخطيب هدفه في إثارة الجماهير فلا بد أن يختار الموضوع الذي يحقق هذا الهدف فيحدث الناس عن إنكار المنكر ووجوب مقاومته شرعا باليد واللسان والقلب .. وتأثير من يتقاعس عن هذا الواجب والعقوبات المترتبة على التخلي بالقيام بالواجب من عموم العقاب وشموله للناس صالحهم و طالحهم .. وتفشى الأمراض التي لم تكن في الأمم الماضية والأجيال السالفة (١) إن اختيار الموضوع يساعد الداعية على تحديد عناصر الخطبة ومدتها ويجعل ذلك سهلا عليه وفي متناول يده وكلما كان الموضوع يهم الجماهير كان التأثير أكثر والاستجابة أعلى .

٣- ترتيب أجزاء الخطبة ترتيبا منطقيا :-

ومعنى هذا أن يتبع موضوع الخطبة التدرج السلمى بدءا بعرض الموضوع ومرورا بالأدلة والبراهين وانتهاء بالغاية.

أنواع الخطابة :-

١- الخطابة السياسية :-

وهي تدور حول الشؤون العامة للدولة فتشمل الخطب التي تلقى في البرلمان والمجتمعات الانتخابية ، والأدبية الحزبية ، والمؤتمرات الدولية السياسية سواء تعلقت بأمر خارجي كالمعاهدات والحرب والسلام أو بأمر داخلي . كالتعليم والاقتصاد والزراعة ، والتاريخ ونظام الحكم (٢)

(١) أسس في الدعوة ووسائل نشرها / الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس ص ١١١

(٢) دكتور / أحمد محمد الجوفي (فن الخطابة) ص ٦٤ القاهرة

٢- الخطابة القضائية :-

هي كل كلمة تلقى في قاعة المحكمة على لسان رجال القانون، سواء كان الملقى ممثلاً النيابة أو المحامي عن المتهم، والغرض منها هو تمييز الحق من الباطل وفصل المنازعات ومساعدة العدالة على القصاص من الجاني وتبرئة المتهم البريء، وهي تعتمد على فصاحة الملقى وقوة حجته وحسن بيانه، ولقد ورد في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه عن أم سلمة -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (قال إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً بقوله وإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها) (١) فهذا يثبت أن فصاحة الخطيب في هذا المجال لها أكبر الأثر في إحقاق الحق وإبطال الباطل .

٣- الخطابة المخفية :-

هي الخطب التي تلقى في المحافل لتكريم أو تأبين أو تهنئة بنعمة خاصة أو عامة أو في علاج مشكلة اجتماعية . وهذا النوع يكاد يكون موقوفاً سماعه على الخاصة وأنصاف المثقفين فقلما يسمعه العامة، ولهذا رأى (شيثرون) أنه أصعب الأنواع كلها لأن السامعين من الطبقة الممتازة فلا يستطيع أن يلقي الكلام بغير تروية فيه وتجويد (٢) يجب على الخطيب أن يجعل خطبته في هذا المجال واضحة الأفكار سهلة التعبير معتمدة على المنطق لا يكيل المدح ويبالغ فيه، وعليه أن يبين جوانب العظمة في المحتفى به، وصفاته التي ميزته والدروس المستفادة من حياته، وكل ذلك يحتاج إلى لباقة .

(١) صحيح البخاري كتاب الشهادات حديث رقم (٢٤٨٣)

(٢) فن الخطابة الدكتور / أحمد الجوفي ص (٨٤) بتصرف

٤- الخطابة الحربية:-

لطالما استمد السيف مضاء من الخطابة ، وكثيرا ما لجأ القادة إلى كلمة يشعلون بها حماس الجنود ويدعوهم فيها إلى الاستبسال والصمود أمام وجه العدو، بل إذا تبعنا المعارك التي خاضها المسلمون أو قرأنا تاريخ الحروب سواء القديمة أو الحديثة لوجدنا أن ما من معركة إلا ويسبقها خطبة يلقيها القائد لبعث العزيمة في نفوس الجند ، وإذكاء حماسهم وبث الثقة فيهم ، وتهوين الموت عليهم ، ويشرهم بالنصر فيها .
والخطابة الحربية كثيرا ما تستهل لوقتها دون تحضير وإعداد لأن عنصر المفاجأة في الحروب معروف ، فهي لذلك خطبة مرتجلة ، يتخير القائد فيها الجمل القوية القصيرة التي تثير الجند وتحرك فيهم حب النصر وكرهية الفشل والهزيمة .(١)

٥- الخطابة الدينية:

هي التي تعتمد على إثارة العاطفة في نفوس السامعين لتحبب إليهم الخير وتنفرهم من الشر ، وتوجههم إلى تقوى الله وحبه الخوف منه سبحانه وتعالى ، وقلوب السلميين متفتحة للتأثر بالخطب الدينية لأنها تصلهم بالخالق سبحانه وتعالى ، وتبصرهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة .

والذي يهمنا من هذا التقسيم هو الخطب الدينية ، فنسلط عليها الأضواء ونتحدث عنها بإطناب لأنها هي التي تتفق وموضوعنا الذي نحن بصدده .
والحديث عن الخطبة الدينية سيكون من خلال ثلاثة محاور:
تعريف الخطبة الدينية - أهمية الخطبة الدينية كوسيلة من وسائل الدعوة - سمات الخطيب الناجح .

(١) فن الخطابة الدكتور /محمد الجوي ص (١١٢) بتصرف

أولاً: - تعريف الخطبة الدينية :-

- الخطبة الدينية هي وسيلة من وسائل التبليغ توجه لجمع من الناس ، يكمن مضمونها وراء استشارة هذا الجمع وحثه على فعل الخير ، واجتناب الرذيلة ، ومن ثانياً هذا التعريف يتضح لنا أن الخطبة الدينية يجب أن تتوفر لديها السمات التالية :-
- أ- صياغة الأدلة والبراهين من القرآن والسنة مع إظهار الجانب العملي لهذه الأدلة والبراهين كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام .
- ب- الاستعانة بالقصص الواردة في الكتاب والسنة وأخذ العبر من السلف الصالح (١)
- ج- الغاية من الخطبة الدينية هي حث الناس على تحقيق غاية الله من خلقه قال تعالى " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " (٢)

ثانياً: - أهمية الخطابة كوسيلة من وسائل الدعوة:

إن الخطابة هي العمود الفقري لعملية الدعوة وهي سلاح من أسلحة الدعوة ، يحق الله به الحق ويبطل به الباطل .

وللخطابة منزلة عظيمة ومكانة كريمة بين العلوم ، إذا أن فضل العلوم وشرفها بشرف غايتها ، وللخطابة غاية ذات شأن خطير وهي إرشاد الناس إلى الحقائق وحملهم على ما ينفعهم في العاجل والآجل .. والخطابة معدودة من وسائل الزعامة وكانوا يعدونها شرطاً للإمارة ، فهي تكمل الإنسان وترفعه إلى ذروة المجد والشرف (٣)

ولما كان الإسلام دعوة عالمية وجمع النبي "صلى الله عليه وسلم" بين النبوة والرسالة .. أي أنه جاء برسالة من قبل السماء وكلف تبليغها .. فكان لابد من وسيلة لنقل هذه الرسالة وتوضيح معالمها للناس كافة . هنالك انطلقت الألسنة وتمايزت فأولع بإتقان العملية الخطابية لأنها أولى الوسائل في تبليغ وشرح تعاليم الإسلام .

(٢) سورة الذاريات آية (٥٦)

(١) أصول الدعوة/الدكتور عبد الكريم زيدان ص ٤٧٤ بتصرف

(٣) د/جميل أحمد الشواد في (دراسات في فن الخطابة) ص ٣٩ القاهرة

ومن هنا كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو رائد الخطابة لما اختارته السماء
مبلغا واصطفته رسولا ، ونزلت عايه الآية الكريمة (وأنذر عشيرتك الأقربين) (١) .
روى البخارى ^{رحمه} في ^{عن} عبد الله بن عباس - رضى الله ^{عنه} - قال لما نزلت (وأنذر
عشيرتك الأقربين) . ^{صعد} النبي - صلى الله عليه وسلم - على الصفا فجعل ينادى

يا بنى ~~علاء~~ لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل ^{الكل} ^{الداوود} رسولا لينظر ما هو ف جاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال فأنى نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبأ لك سائر اليوم هذا جمعتنا . فنزلت
(تبت يدا أى لهب وتب) (٢) .

كما كانت الخطابة وسيلة الرسول - صلى الله عليه وسلم - الأولى فى توجيه دعوته
للقبائل فى موسم الحج .

وكانت الوسيلة الأولى أيضا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - الموفدين
إلى الجهات النائية ، لقد قامت الخطابة بعبء الدعوة ، وشرح مبادئ الإسلام .
أضف إلى ما سبق أن الإسلام جعل خطبة الجمعة فرضا ، وسن خطبة العيدين ،
وهكذا كانت الخطبة هى أول سلاح استعمله الإسلام للاعلان عن مبادئه القويمة .
من هنا يمكن القول أن الخطابة كانت وستظل الوظيفة الفعالة ضمن وسائل تبليغ
الدعوة الإسلامية عندما يلتقى الخطيب بسامعيه فإن حركاته وسكناته وكلماته
وإشارات كل هذه تتفاعل مع بعضها البعض لتنتقل إلى السامعين محملة بمشاعره
وبأحاسيسه فتكون بمثابة الاتصال المباشرة وهنا تكمن أهمية الخطابة ضمن وسائل
التبليغ (٣) .

(١) سورة الشعراء آية ٢١٤

(٢) صحيح البخارى كتاب تفسير القرآن حديث رقم (٤٥٨٩)

(٣) الدعوة الإسلامية / الدكتور أحمد غلوش ص ٤١٩ بتصرف

ثالثاً: - سمات الخطيب الجيد

إن الخطابة في جوهرها عملية اتصال لا تأتي فعاليتها إلا بتوافر أركانها والخطيب أحد الأركان الرئيسية في عملية الاتصال هذه، فكل اتصال يحدث يحتاج إلى مرسل، ورسالة، ومستقبل، وحامل لهذه الرسالة. ولا بد أن يكون متصفاً بصفات تؤهله للقيام بمهمته على أكمل وجه.

وبنظرة موضوعية إلى الخطابة الدينية نجد أنها عبارة عن عملية اتصال من نوع خاص المرسل فيها هي السماء ممثلة في القرآن والسنة النبوية المطهرة والمستقبل فيها هم الناس كافة وحامل الرسالة هنا الخطيب الداعية "وما أرسلناك إلا كافة للناس" (١) فجاح عملية الاتصال يكمن في توصيل هذه الرسالة إلى الناس، وتوصيل الرسالة يحتاج إلى داعية يحسن عرض الرسالة، ويكون مقبولاً عند الناس، ومسموعاً قوله إذاً لا بد أن تتوفر في الخطيب الداعية صفات تؤهله للقيام بالهمة وهذه الصفات التي يجب أن تتوفر في الخطيب كداعية أهمها ما يلي :- الصفات الأخلاقية - الصفات العلمية والأدبية - صفات تتعلق بهيئة الخطيب وشارته.

أولاً :- الصفات الأخلاقية

والمقصود بالصفات الأخلاقية هي جملة الصفات الكريمة التي تتداخل فيما بينها لتكون الإطار الخلفي له كداعية، كالإخلاص، وصدق النية، والصبر، والتواضع، والعلم، والقدوة الحسنة، والشجاعة، والثقة بالنفس... الخ (٢)

وكلما كان الخطيب حسن السمعة كان لكلامه أكبر الأثر في سامعيه. وسوف أتحدث عن هذه الصفات باستفاضة عند حديثي عن صفات الداعية.

(١) سورة سبأ آية (٢٨)

(٢) من الخطابة أحمد الجولي ص ٣٤

ثانياً: - الصفات العلمية والأدبية

١- السمات العلمية .. إن الخطيب هو المرشد والمعلم والناصح إلى ما شابه ذلك من صفات الخطيب الداعية ومن هنا يجب أن يكون عالماً بأمور الدين ودهاليز الفتوى ، واسع الإطلاع لأنه ملاذ أسئلة السائلين ومنازة يهتدي بها الحائرون إذا ما تلبثت عليهم أمور الدنيا والدين ، من هنا يجب أن يكون مثقفاً بذاته مثقفاً لغيره، يمتلك المعلومة ويمتلك القدرة على التعبير عن هذه المعلومة ، فإن كان عالماً غير معلّم ، متلقياً غير ملقٍ فلا جدوى فيه .

ومما سبق يتضح لنا أن السمات العلمية هي الحصيلة التي يمتلكها الخطيب (١) من القرآن وعلومه ، والسنة وفروعها . والمذاهب الفقهية واختلافها التي تجعله يتوفر له الحد الأدنى من الأرضية الثقافية التي تجعله ملماً بمعطيات الواقع الذي نعيشه والتيارات الفكرية المختلفة حتى يتثنى له معرفة وإظهار كوامن ومظاهر القوة والضعف لكل هذه التيارات وكذلك مكامن الحق والباطل في جوانبها

٢- السمات الأدبية : ونقصد بالسمات الأدبية مكانة الخطيب في ميزان اللغة والبلاغة وإلى أي مدى تصل درجة إلمامه بمقومات الخطابة التعبيرية وتلك المقومات التي تشكل في مجموعها التركيب البياني للخطيب . وهي أيضاً التي تمنحه القدرة على التأثير والتعبير بالفكرة التي يريد أن ينقلها إلى مستمعيه هي في الأصل مجموعة من الجمل والتركيب اللغوية تتداخل هذه الجمل والتركيب فيما بينها فتشكل اللبنة التي يتكون فيها جسم الفكرة ، فلا بد للخطيب أن يحقق الانسجام و الاتساق بين فكرته وبين الألفاظ التي تستخدم لنقل هذه الفكرة (٢) وهو ما نسميه هنا بالملائمة بين الألفاظ التي تستخدم في تلك الخطبة وبين الفكرة.

(١) المصدر السابق ص ١٧

(٢) فن الخطابة/ أحمد الجوي ص ١١ بتصرف

وللحديث عن أهمية السمات الأدبية لدي الخطيب سيأتي من خلال المحاور التالية .

أولاً:- الفرق بين اللغة واللهجة .

ثانياً:- النحو هو العضو **الفعال** في بنائية اللغة العربية .

ثالثاً:- التزامن الحركي بين اللفظ والمعنى .

رابعاً:- العلاقة الدلالية بين اللفظ والمضمون .

خامساً:- وسائل تنمية الثراء اللغوي .

سادساً:- بيان الخطيب وحسن إيقاعه .

أولاً:- الفرق بين اللغة واللهجة :-

إن الفرق بين اللغة واللهجة يظهر واضحا جليا بعد تعريف كل منها . أن اللغة هي أداة التخاطب الأولى و الأخيرة مع الآخرين وهي وسيلة الخطيب واللغة في مضمونها قدرة ذهنية مكتسبة يمثلها نسق يتكون من رموز احتياطية منطوقة يتواصل بها أفراد مجتمع ما (١) .. فلما كانت الخطبة هي نوع التواصل بين الخطيب والمستمعين فإن هذا التواصل لا يحق إلا إذا أخذ من اللغة أساسا لها بل إن الباحث يتفق مع الرأي القائل إن إمكانية التفكير أولا وأخيرا تستند إلى اللغة التي تستخدم في إبراز عناصر الفكر ففرض إنسان دون لغة معناه فرض إنسان دون فكر (٢)

واللغة كما يقول أحد الدارسين مرآة الشعب ومستودع تراثه ، وديوان أدبه وسجل مطامعه ، وأحلامه ومفتاح أفكاره وعواطفه وهو فوق هذا وذاك رمز كيانه الروحي ، وقنوان وحدته ، وتقدمه ، وخزانة عاداته وتقاليده (٣)

ومن خلال تعريف اللغة أنها قدرة ذهنية مكتسبة يمثلها نسق يتكون من رموز احتياطية منطوقة ليتواصل بها أفراد مجتمع ما يتضح أن اللغة تحتوى على أنساق

نوضحها فيما يلي:

(١) أ.د/ أحمد محمد المتوق الحصيلة اللغوية وأهميتها .. مصادرها ووسائل تنميتها ص ٣٣ (٢) المرجع السابق ص ٣٦

(٣) أحمد محمد المتوق الحصيلة اللغوية ، مصادرها .. وسائل تنميتها ص ٤٠

الأنساق اللغوية

- أ- النسق الصوتي :- وهو الذي يحدد نطق الكلمات أو أجزاء الكلمات وفق الأنماط الموجودة أو المتعارف عليها لدى الجماعة اللغوية .
- ب- النسق الدلالي :- ويعنى ترتيب الوحدات المعنوية وفق سماتها والمقبولة في اللغة .
- ج- النسق الإعرابي أو النحوي :- ويعنى ترتيب كلمات الجملة أو الجمل في أشكالها المتحررة في اللغة .
- د- النسق الصرفي :- وهو النسق الذي تعالج فيه أو من خلاله ببناء الكلمات وأنواعها وتصريفاتها واشتقاقها .
- هـ- النسق المعجمي :- ويقصد به مجموعة من المفردات اللغوية المتاحة للتعبير عن المعاني والمواقف المختلفة في إطار اللغة (١)
- متى خرجت الكلمة ناقصة نسقا من هذا الأنساق خرجت من دائرة اللغة لتستقر في دائرة اللهجة ومن هنا يتضح الفرق بين اللغة واللهجة .. فاللهجة هي لغة اختلفت إحدى أنساقها أو قواعدها.

ثانيا :- النحو هو العضو الفعال في بناء اللغة العربية فهو الذي يحكم مخارج الألفاظ ويتحكم بذلك في الدلالات الإيجابية للكلمة في اللغة العربية حافلة بالألفاظ الكثيرة التي تتفق في الحروف ولكنها تختلف في الدلالة ، الذي يحكم هذا الاتفاق وهذا الاختلاف هو النمط الإعرابي للكلمة . ونذكر على سبيل المثال هذه المعادلات اللغوية.

(١) المرجع السابق ص ٣٤ (عالم المعرفة العدد ٢١٢ الكويت عام ١٩٩٦م)

المعادلة اللغوية الأولى :- البرّ ، والبرّ ، والبرّ ففاء الكلمات الثلاثة اتفقت في الحرف ولكنها اختلفت في تشكيله واختلف تبعاً لذلك المعنى فالبرّ تعني اليابس عكس الماء (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) (١) وفي المعجم البر اسم من أسماء الله الحسنى وفي القرآن الكريم (إنه هو البرّ الرحيم) والبر ما انبسط من سطح الأرض ولم يغطه الماء والجمع برور .

والبر بكسر الهاء تعني الخير (٢) ومنه قوله تعالى (لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون) (٣) وقوله أيضاً (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) (٤) . . . والبر بضم الباء تعني القمح (٥) . . في ديوان الحسن الشاذلي :

من يشتري جنة الفردوس يسكنها	بركة في ظلام الليل يجيئها
أو لقمة من طعام البر يمنحها	من يستحقها الله يعطيها

المعادلة الثانية:- { الحُب - الحَب - الحِب } {

فقد جاءت (فاء) الكلمة في الألفاظ الثلاثة بتشكيل مختلف وحروف متفقة ولكن رغم ذلك اختلف المعنى ففي الكلمة الأولى جاءت باء الفاء مضمومة ومعنى اللفظ الحُب هنا الوداد ويقال في الترحيب حبا وكرامة (٦) قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) (٧)

أما اللفظ الثاني فقد جاء هكذا الحَب بفتح الحاء وهي ما يكون في السنابل كالقمح والشعير والحَب ما يشبه الحبة في شكله " فيقال حبه العقد، وحب الغمام، ونحو ذلك واحدة حبه جمعها حبوب (٨) قال تعالى (فأنبتنا فيها حبا) (٩)

(١) سورة الروم من آية ٤١ (٢) معجم اللغة العربية - المعجم الوجيز ص ٤٤ طبعة خاصة بالتربية والتعليم ٩٠

(٣) سورة آل عمران الآية ٩٢ (٤) سورة المائدة الآية ٢

(٥) معجم اللغة العربية - المعجم الوجيز ص ٤٥ وزارة التربية والتعليم

(٦) المرجع السابق ص ١٣٠ (٧) سورة العنكبوت آية (٣١)

(٨) معجم اللغة العربية .. المعجم الوجيز ص ١٣٠ وزارة التربية والتعليم (٩) سورة عبس آية (٢٧)

واما اللفظ الثالث فهي الحب والجمع أحباب^(١).. فكان أسامة بن زيد يلقب بين الصحابة
الحب بن الحب وفي شعر الإمام مزمين العابدين بن علي .

وقام من كان أحب الناس في عجلي *** نحو المغسل يأتيني يغسلني
وجملة القول في أهمية النحو أنه يجعل الخطيب مدركا لعانى الكلمات ومهيما عليها
يتحكم فيها ولا تتحكم فيه فتغير النمط الإعرابي للكلمة يؤدي إلى تغير معناها والنظم غير
الصحيح يجعل معناها يحيد عن مساره المطلوب فمقصد الخطيب من خبه هو توصيل
معنى معين أو فكرة معينة ولتوصيل هذه المعاني فإنه ينتقى ألفاظا تناسبها واختلاف
تشكيل اللفظ يؤدي إلى اختلاف المعنى وهناك تنشأ الفجوة بين مقصد اللفظ ومعناه ،
الذي ينفق مع تشكيله فمقصد اللفظ هو ذلك الذي يريد الخطيب نقله إلى سامعيه أما
المعنى فهو ذلك الإيحاء الذي يصل إلى خلد المستمعين تبعا لتشكيل الكلمة .

ومتى حدثت هذه الفجوة بين مقصد اللفظ وبين معناه لتشكيله فإن الإيحاء أو
الفكرة أو المضمون الذي يرنوا الخطيب إلى نقله يظهر الصورة الغير واضحة المعالم
الغير متباينة الألوان وربما لم يصل هذا المضمون بالمرّة ، أو ربما يظهر مرتديا حلة
متناقضة تماما مع مقصد اللفظ . فليجتنب الخطيب حدوث مثل هذه الهفوات فلا بد له
من التقليد بالقواعد النحوية والسير عليها .

فالنحو هو المميز الأول والأخير للمعنى بل هو الذي يرفع درجة الخطيب ويسموا به
عن عامة الناس في سلم اللام وما قيل في فضل النحو وأهميته^(٢).

حنت وأنت إليه بالمنأقير
نبج الكلاب وأصوات السنانير^(٣)

إن تعلم الطير ما في النحو من شرف
إن الكلام بلا نحو يشابه

(٢) الخ الوحج ص ١٣ - وزارة التربية والتعليم

(٣) المرجع السابق بتصريف

(٣) السنانير - الققطط

ثالثا: التزامن الحركي بين اللفظ و المعنى :-

المقصود بهذا التزامن هو تلك الحركة التوافقية البسيطة التي يتحرك فيها اللفظ جنباً إلى جنب مع المعنى فبمجرد وصول اللفظ واستقراره في خلد السامع يصل المعنى معه وبذلك تتحقق مأرب الكلمة وغاية الفكرة ومعنى هذا التزامن الحركي هو أن اللفظ والمعنى يجب أن يسير في خطى متوازيين وبسرعة واحدة (١) .

رابعا : - العلاقة الدلالية بين اللفظ والمضمون :-

الألفاظ هي النافذة الزجاجية التي نسير من خلالها نحو المضمون (الفكرة) ولذا يجب ألا تكون هذه النافذة من الشفافية بحيث يظهر المضمون خلفها سافراً لأن هذا الأمر يملئ السامع باعتباره لا يخرج عن نطاق الكلام العابر ولا من القتامة بحيث لا يظهر المضمون خلفها مطلقاً وإنما يجب أن تتبغى أي الألفاظ بين ذلك سبيلاً وبلاغة الأديب هي التي تحقق هذه المعادلة. (٢)

(١) فن الخطابة / أحمد الحوق ص ١٦٨ وما بعدها بتصرف .

(٢) المصادر السابق بتصرف

خامسا :- وسائل تنمية الثراء اللغوي :-

تكلّمنا عن اللغة وعن أهميتها وعن علاقتها بالمضمون.... فهل من وسيلة لتنمية الثراء اللغوي لدى الخطيب؟ .. وما هي الفائدة المرجوة لهذا الثراء والتي تعود على المضمون؟ .. والإجابة على هذين السؤالين تأتي من خلال بيان أهم وسائل تنمية الثراء اللغوي لدى الخطيب :-

- (١) الاتصال الاجتماعي المباشر وتظل لغة هذا الإنسان في ازدهار وتطور مستمرين مادام اتصاله بأفراد مجتمعه مستمرا متطورا نشطا مرنا فكلما زادت وتوثقت وتنوعت وتعددت علاقته الاجتماعية كانت مساحة اللغة التي يكتسبها أوسع وأكبر بينما تضيق هذه المساحة كلما مال إلى العزلة أو قل نشاطه الاجتماعي. (١)
- (٢) الاتصال الاجتماعي الغير مباشر عن طريق وسائل الاتصال: حيث يلتقي الإنسان عن طريق وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة بغيره أو بفئة متميزة من أبناء قومه ويسمع حوارهم ويصغي لأحاديثهم إن رغب ويختزن في ذاكرته ما راق له أن يختزن من هذه الألفاظ. (٢)

أما الفائدة المرجوة التي تعود على الخطيب من ثرائه اللغوي :

أ- إن الثراء اللغوي يزيد المحصول الفكري والثقافي لدى الخطيب لأن اللغة هي المادة الأساسية التي تكون المعارف والثقافة .

ب - اللغة هي وسيلة التواصل والتفاهم ،ومن هنا فالثراء اللغوي يدعم ويقوى روح الألفة ،والجراءة الأدبية والثقة بالنفس لدى الخطيب تمنحه قدرة فائقة ورغبة في مخاطبة الآخرين ،والتكيف معهم فالتفاهم يولد الانسجام والانسجام يعطى للخطيب ثقلا اجتماعيا يمنحه القدرة على التواصل ،وعدم التفاهم يؤدي إلى الاختلاف والاختلاف يؤدي في النهاية إلى العزلة .

(١) د. احمد محمد المعتوق الحصيلة اللغوية وأهميتها ومصادرها ووسائل تنميتها ص ٨٤ سلسلة عالم المعرفة الكويت/ أغسطس عام ١٩٩٦ م

(٢) المرجع السابق بتصرف

ج- والثراء اللغوي يعين الفرد والخطيب على فهم واستيعاب ما يقرأ بسهولة مما يمكنه من فهم ما تحويه بطون أمهات الكتب في الفقه والسيرة والتفسير وغير ذلك من العلوم، كما أن الثراء اللغوي يجعل الخطيب أكثر قدرة على فهم معطيات الواقع من حوله مما يمهد له في النهاية الطريق الأميز والوسيلة المثلى للتعامل مع هذا الواقع ونقده. (١)

د- كما أن الثراء اللغوي يجعل الخطيب أكثر قدرة على التعبير وأكثر قدرة على الإبداع إذ أنه من المعروف أن اللغة هي مادة الإبداع الرئيسية .

هـ - وخلاصة القول في فوائد الثراء اللغوي لدى الخطيب أنه يجعله أكثر فعالية في محيطه وبين أفراد مجتمعه أو أمته حيث يمتلك زمام الأخذ والعطاء والاستفادة والإفادة والاكتماب والإبداع والنفوذ والتوجيه متهيئاً للمشاركة في بناء حضارة أمته . (٢)

سادساً :- بيان الخطيب وحسن إيقاعه :-

والبيان عرف أنه البلاغة كما عرفت البلاغة .. على أنها البيان .. فكلمة بلاغة تعنى حسن البيان وقوة التأثير والبلاغة هي قلة اللفظ وسهولة المعنى وحسن البديهة ^{في} محاوره معاوية لعمر بن العاصي من أبلغ الناس فقال أقلهم لفظاً وأسهلهم معنى وأحسنهم بديعاً.. فقال أبو عبد الله وزير المهدي البلاغة ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة .. وقال البحتري " خير الكلام ما قل ودل ولم يمل " (٣)

(١) المصدر السابق بتصريف

(٢) د. احمد المتوق الحصيلة اللغوية وأهميتها ومصادرها ووسائل تنميتها ص ٦٢١ سلسلة عالم المعرفة الكويت - أغسطس عام ١٩٩٦ م

(٣) شهاب الدين محمد أحمد الابشيهي المستظرف في كل فن مستظرف ج٦ مكتبة الحياة بيروت

مما سبق يتضح لنا أن البلاغة هي القوت الرئيسي لعملية الخطابة وبغيرها تصبح الخطابة بغير معنى وتمجها الأسماع لذا فإن البلاغة وحسن البيان هم عنوان لشخصية الخطيب وقد قيل ثلاثة تدل على عقول أصحابها.. الرسول على عقل المرسل .. والهدية على عقل المهدي.. والكتاب على عقل الكاتب (١)

والبلاغة تجعل الخطيب في منعه من الإبتزال ومن التكلف، والتكرار فهي تحضه في حصون البيان الذي قال فيها جل شأنه (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان) (٢) .. فهي وحدها البلاغة التي تمنح الخطيب حصانة أدبية تقيه سهام النقد الأعمى الغير بناء، وربما امتدت هذه الحصانة وسرت فعاليتها لأن تمنعه من الأذى فلا تعرضه لمكروه .

وقد جاء في الأثر أن ليلي الأخيلية مدحت الحجاج فقال :- يا غلام اذهب إلى فلان فقل له يقطع لسانها .. قال : فطلب حجا ما فقالت: ثكلتك أمك إنما أمرك أن تقطع لساني بالصلة فلولا تبصرها بأنحاء الكلام ومذاهب العرب والتوسعة في اللفظ ومعاني الخطاب نعم عليها جهل هذا الرجل (٣).

خلاصة القول في البيان ومدى حاجة الخطيب الداعية إليه هو أنه أول رحلته كداعي إلى الله، ولقد ذلك على هذا سيدنا موسى عليه السلام - حينما طلب من ربه أول ما طلب أن يشرح له صدره وييسر له أمره ويحلل العقدة من لسانه حتى يتثنى له الفهم لسامعيه قال: "رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهه قولي" (٤) فحسن بيان الخطيب هو ضرورة محضة لإنجاح العملية الخطابية ومثى صاحب حسن البيان هذا حسن الإيقاع يكفل الجانب البلاغي لدى الخطيب وحسن الإيقاع هنا يقصد به جهازة الصوت وارتفاع أو انخفاض حدة الصوت تبعاً لمقتضى الحال .

(٢) سورة الرحمن من الآية ٤:١

(٤) سورة طه الآية ٢٥:٢٨

(١) المرجع السابق ص ٦٥

(٣) المستطرف في كل فن مستطرف ص (٦٥)

كذلك يندرج تحت حسن الإيقاع أيضا صفاء الصوت وحسن توقيعاته فكلما كان الصوت عذبا رخيما كلما كان ذلك أدعى لتحريك أوتار القلوب وتحريك دقات المشاعر ومما يجذب في الصوت أن يكون متوافقا مع مشاعر الخطيب ذاتها فيرتفع تارة مع السخط والتهكم وينخفض تارة أخرى مع الرضى والاستمالة، فينخفض ويرتفع متى اقتضى الموقف ذلك .

ولكي يحافظ الخطيب على صوته ويحسن استثماره .. عليه أن يتجنب السرعة في الكلام وكذلك يتجنب البطيء الشديد فإن ذلك يقطع حبل أفكاره ويضيع معه المضمون هباءا منثورا قبل أن يصل إلي خلد السامع (١) ويندرج تحت حسن الإيقاع أيضا حسن التقسيم ، والمقصود بحسن التقسيم هو العناية بمقاطع الجمل والفصل بين بعضها، باعتبار أن كل جملة تخرج من فمه هي كيان مستقل بذاته .

ثالثا: - صفات تتعلق بهيئة الخطيب: -

يجب على الخطيب أن يكون حسن المظهر ، حسن الهيئة، مهندم الشكل فإنه قدوتهم في المقام الأول والأخير ، والقذوة لا بد أن يضرب به المثل في حسن المظهر ، وجمال المخبر ، وصدق السلوك .

وكثيرا ما نجد ممن يتصدون للدعوة يهملون مراعاة هذا الجانب ظنا منهم أن حسن المظهر من الكماليات التي لا يحتاج إليها علماء الدين (٢) ولو كان هذا الظن صوابا لما قال صلى الله عليه وسلم: -

[واغتسلوا يوم الجمعة ، واغسلوا رؤوسكم وإن لم تكونوا جنبا أصيبوا من الطيب] (٣)

(١) فن الخطابة /الدكتور أحمد محمد الجوفي ص ٣٠:٢٩ بتصرف

(٢) سبيل الرشاد في الدعوة والإرشاد الدكتور/محمود على حمادة ص(١٣٦)

(٣) صحيح البخاري كتاب الجمعة حديث رقم(٨٢٥) من رواية ابن عباس

وخلاصة القول في حسن المظهر وحسن الهدام أنه كلما كان الخطيب مراعيًا لكل هذه الشروط التي تتعلق بهيئة الخطيب من نظافة الثياب وطيب الرائحة وجمال المظهر.. الخ ..

كلما كان ذلك مجلبة لاحترام السامعين وكسب ودهم وإيمانهم بقوله وفعله كخطيب.

كتب الدكتور/أحمد الجوفي في كتابه (فن الخطابة) تحت عنوان (روعة المنظر وجودة الإلقاء) قال: لا بد أن يكون الخطيب رائع المنظر، جيد الإلقاء، لأن شخصيته، ووقفته، وإشارته، وجهاره صوته، وحلاوة صوته، وحسن هدامه، وبزته، وحسن خلقه كل هذا أعوان على التأثير والاستمالة .

روي أن إياس بن معاوية المزني - وكان صادق الظن نقوي الحدس - ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة . فأتى حلقة من حلق قريش في مسجد دمشق فاستولي على المجلس، ورأوه أحمر دميما، رث الهيئة قشيفا، فاستهانوا به فلما عرفوه اعتذروا إليه وقالوا: الذنب مقسوم بيننا وبينك، أتيتنا في زي المساكين تكلمنا بكلام الملوك. (١)

والله سبحانه وتعالى حث الناس على الزينة والتطيب حيث قال عز وجل :
(يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) (٢)

هذا النداء إن كان عاما للجميع فمن باب أولى أن يمثل الخطباء والدعاة له قبل أن يقف خطيبا أو يبرز داعيا .

في النهاية يجب على الخطيب أن يكون قدوة في كل شيء، فصيحًا، بليغا، لبقًا، ذا بيان، حسن المظهر، حسن الأخلاق، حسن الشارة حتى ينجح في خطبته وتوثق ثمرتها المرجوة منها.

(١) البيان والتبيين للحافظ ج ١ ص (٩٥)

(٢) سورة الأعراف آية (٣١)

{ الندوة }

الندوة هي اختيار مجموعة من المتحدثين لا يقلون عن ثلاثة للحديث في موضوع واحد أمام جمهور من الناس حريصين على الاستفادة مما يطرحه المنتدين فيها من أفكار ومبادئ وقيم (١)

ويسبق الندوة اجتماع المنتدين لكي يتفقوا فيما بينهم على الموضوع المختار وتكليف كل واحد منهم بجانب من الموضوع بحيث يعد له بالتحضير الوافي، وتزداد الندوة جمالا لو طرح هذا الموضوع للمناقشة ومشاركة المنتدين في الحوار والمناقشة بحيث تتجلى الحقائق وتتضح للناس .

وليس المقصود هو الاختلاف بين المنتدين بل ربما كان بعضهم مكملا لبعض بل أن يزيد الموضوع وضوحا أو زيادة أدلته أو إضافة معلومة أو تأكيد الفكرة والندوة الناجحة هي التي تقدم موضوعا جديدا، أو معلومة جديدة، وأفكارا جديدة، أو مشروعاً يفيد الناس، أو تقديم اقتراحات وحلول لمشكلات قائمة .. وتكتمل الندوة لو أفسح المجال للحاضرين من الجمهور للمشاركة في النقاش أو طرح أسئلة أو تقديم اقتراح أو حل للمشكلة حتى يكون هناك تفاعل بين الجميع حتى تؤتى الندوة ثمارها . إن الندوة وسيلة جيدة ينبغي الإكثار منها خصوصا في عصرنا الحاضر وقد كثر فيه الجدل حول مسائل كثيرة ظهرت مشكلات تحتاج لأراء العلماء وحلولهم وهذا لن يكون مفيداً إلا إذا كان هناك اجتماع للعلماء لكي يناقشوا هذه القضايا على مرأى ومسمع من الناس حتى يستجيب الناس للحق بعد أن يروا ويسمعوا الأدلة والبراهين على ذلك (٢)

(١) أسس في الدعوة ووسائل نشرها / دكتور محمد عبد القادر فارس ص ١٠٥
(٢) مناهج الدعوة وأساليبها / الدكتور علي جريشة ص ١٨٥ وما بعدها بتصرف

{ المحاضرة }

المحاضرة هي موضوع محدد في قضية محددة يعرضها المحاضر في أسلوب منطقي على مجموع من السامعين تختلف ثقافتهم أو ربما كانوا متحدين في الثقافة . فالمحاضرة تعتمد كل الاعتماد على المحاضر فهو يختار موضوع يخص السامعين ويحضره تحضيرا جيدا . (١)

والمحاضرة تعتمد على الحجج العقلية والبراهين . . وتلقى بصوت هادئ ليس فيه حدة ونصيب العاطفة فيها ضئيل ويراعى فيها السامعين ، وقد تكون لمستوى علمي وأحد كطلبة المدارس أو الجامعات .

فتعد المحاضرة على أنه سوف يواجه مستوى علمي واحد وربما كانت لمستويات مختلفة في الثقافة والعلم فلا بد من مراعاة ذلك وربما كانت لجمهور الناس فيهم الأمي وفيهم المثقفون وفيهم الدكتور والمهندس وهكذا فعليه مراعاة كل الطبقات الموجودة وقدرتهم على فهم مقصده فيضع نصب عينيه أن الهدف هو إقناع المستمعين بما يدعو له وينصح الداعية المحاضر أنه يختار موضوعاً يمس صميم الحياة حتى لا يشرد منه الحاضرون ويبدأ بسرد القضية مجملة ثم يبدأ بالتوضيح حلقة حلقة بحيث تكون مرتبة الخطوات ترتيباً طبيعياً وينتهي بالسامع إلى نتيجة حتمية .

أما لو كان الكلام مرسلًا بغير نظام فلن يصل إلى نتيجة فمثلاً محاضر أراد أن يتكلم عن مقومات الإنسان الفاضل فيبدأ بذكر الصفة الأولى لهذا الإنسان وهي العزة لأن الدليل التافه ليس لنا فيه حاجة ثم لا بد لهذا الإنسان من رسالة يؤديها وإلا كان مثل البهائم ثم إن العزة والرسالة لا بد لها من عالم يتكلم عن العلم وبذلك يصل إلى نهاية الموضوع ونتيجة حتمية وهي وجود إنسان فاضل يبنى ولا يهدم .

وأحب أن أنوه أن محاضرة الداعية غير محاضرة أستاذ الجامعة فمحاضرة الداعية
يكتفي فيها بالقواعد والأحكام العامة حتى لا يشرد سامعها وقد ينتهي من موضوعه
في محاضرة واحدة وأسلوب بعيد عن الأسلوب الأكاديمي العلمي .

وتكون عناصر المحاضرة مشتملة على ما يجني الناس في الدنيا وفي الآخرة من جراء
العمل الصالح، ويجب على الداعية أن يكون غرضه من كل ذلك إحياء المشاعر وبعث
خواطر الخير والتقوى في القلوب، وبعبارة أخرى يجب أن يكون للداعية في موقف
المحاضرة هدفان أساسيان: الأول: علاج موضوعه الخاص، والثاني: إحياء هذه المشاعر
القلبية إحياء ربانياً. (١)

أن يكون الموضوع مشتملاً على مقارنات بين النظم الإسلامية وغيرها من النظم
القائمة مع إبراز محاسن النظم الإسلامية، وإظهار حضارة الإسلام التي وضحتها القرآن
الكريم والسنة النبوية، إلى غير ذلك من الموضوعات الهامة. (٢)

أما محاضرة الأستاذ الجامعي فهي تعنى بالجزئيات والتفاصيل وربما احتاج الأمر ^{لأنه} فصل ^{المادة} ^{صحيحة}
المحاضر موضوعه إلى عدة محاضرات .

ويعتبر أسلوبه أسلوباً أكاديمياً وموضوعياً بالصيغة المدنية البحتة وربما كان فيها
بعض النقاش بتوضيح بعض الجزئيات أو إزالة إشكال أو نقد للمخالفين .

(١) تذكرة الدعاة اليهبي الخولي ص (٣٧٦) وما بعدها بتصرف

(٢) أسس الدعوة وأداب الدعاة الدكتور / محمد السيد الوكيل ص (٢٦) بتصرف

{ المناظرة }

المناظرة هي وسيلة من وسائل نشر الدعوة تعتمد على الحوار بين المفكرين المختلفين في الفكر والمنهج، ويكون ذلك في الغالب على ملام من الناس فيشهدون الحوار، فهي تجري بين شخصين من ذوي المعرفة القادرين على الحديث عن موضوع معين، فحين يتغلب الداعية إلى الله على خصمه الفكري بقوة حجته وسعة حيلته ووضوح دليله فإن ذلك يكون خيراً وسيلة لنشر الدعوة الإسلامية.

ولن يتأتى ذلك إلا بسعة إطلاع الداعية، ووقوفه على مناظرات القرآن ودراسته لها، ومعرفة حجج الخصم للرد عليها .

تعتبر المناظرة صناعة الرسل والدعاة، لأنه ما من نبي أرسل إلا وقف أمامه قومه موقف المعاند الراض للحق، وكان الرسل يناظرون قومهم وقيمون الحجج عليهم، ولقد وردت في القرآن مناظرات كثيرة وقعت بين الأنبياء وبين أقوامهم .

والمناظرة تكون في مسألة معينة ولا تأخذ وقتاً طويلاً لأن المناظرة لا حشو فيها ولكن حجج وبراهين وأدلة .. فهي تعتمد على المنطق العقلي و الفعلي. ولقد كلنت شائعة في العهود الماضية .

والتاريخ الإسلامي ملئ بالمناظرات سواء بين علماء المسلمين المختلفين في المذهب أو الفكر أو بين علماء المسلمين وغيرهم من أصحاب الملل الأخرى وقد وردت في القرآن الكريم بين سيدنا إبراهيم والنمرود

قال تعالى: (ألم تر) إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك اذ قال إبراهيم ربي يحيي ويميت قال أنا أحي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين (١)

إن هذه المناظرة تمت بين إبراهيم عليه السلام وبين كافر منكر مدعى الألوهية وقد اختصر فيها سيدنا إبراهيم الطريق اختصاراً فقد عرض دليلاً على وجود الله فلما وجد أن الخصم يجادل فيه بالباطل تركه وجاء بدليل آخر يدل على وجود الله وأنه قادر ونخالق وهذا الدليل جعل الخصم يتحير ويهت ولا يجد إجابة ولا رد لهذا الدليل .

وقال صاحب الظلال .. " هذا الجدل الذي عرضه الله على نبيه صلي الله عليه وسلم وعلى الجماعة المسلمة مثل للضلال والعناد وتجربة يتزود بها أصحاب الدعوة الجدد في مواجهة المنكرين في ترويض النفوس على تعنت المتكبرين " (١) .
 وأن وسيلة المناظرة وسيلة جذابة وعلى الدعاة أن يعيدوا لها مجدها وأن يحرصوا عليها ونحن أمام أفكار هدامة انتشرت على الساحة فلماذا لا تقام مناظرات توضح للناس الحق من الباطل حتى يتعرف الناس على الفكر السليم والمنهج الصحيح فيتبعوه . (٢)

(١) في ظلال القرآن ج ١ ص ٢٩٨ سيد قطب - الشروق

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها وسائلها / الدكتور أحمد تالوني ص ٣٨٠ وما بعدها بتصرف

{ الدرس }

الدرس وسيلة من وسائل تعليم الناس أمور دينهم وما ينفعهم في الدنيا والآخرة من حض على فعل الخير وتحذير من فعل الشر.

والدرس غالبا ما يحضره عدد قليل من الناس جاءوا قاصدين سمع الدرس وراغبين في التعلم والتفقه في أمور دينهم وهذا يعطى فرصة طيبة للداعي لكي يتعرف عليهم ويوثق علاقته بهم ويقيم صلوات روحية بينه وبينهم ويستحسن أن يشارك الحاضرين معه ما أمكن حتى يضمن استمرارهم معه ولا يشرد أحد منهم ويذهب عنهم جو السامة والملل وتبقى العقول مشدودة نحو الدرس والقلوب مقبلة ومتفاعلة معه (١)

وينبغي على المدرس أن يتبع أسلوبا شيقا يجذب أسماع المخاطبين ويدفعهم إلى التفاعل مع عناصر الدرس ويسلك خطوات التدريس التي يستخدمها المدرس في صفوف التدريس المختلفة للطلاب . فيبدأ بمقدمة قصيرة يهيئ بها أذهان سامعيه ثم يبدأ بعرض المعلومات عرضا شيقا بأسلوب حوارى أو قصصى أو يمزج بينهما ويشارك الحاضرين بسؤالهم عن العبرة والعظة أو الحكم السابق ليربط بين أطراف الدرس وغالبا ما يكون الدرس تفسيرا لآية من القرآن أو شرحا لحديث من أحاديث النبي الصحيحة أو بيانا لمسألة فقهية أو سردا للقصة من قصص الأنبياء أو توضيح لمسألة من مسائل العقيدة الإسلامية كالإيمان بالملائكة أو ذكر تراجم لبعض الصحابة أو ذكر سيرة النبي مهلى الله عليه وسلم وغزواته أو توضيح خلق كريم والدعوة للتخلق به أو التحذير من خلق ذميم. (٢)

(١) أصول الدعوة الدكتور عبد الكريم زيدان ص ٤٧٤ بتصرف

(٢) تذكرة الدعوة البهي الخولى ص ٣٨٤ بتصرف

وعلى المدرس أن يحضر دروسه تحضيراً جيداً ويعده إعداداً يلزم بكل جوانب الموضوع الذي سوف يخوض فيه لأن الدرس أحوج إلى الدقة، وأن يربط كلامه بالواقع ويمثل لذلك ..

ويجربى في نهاية الدرس تقويماً حتى يتعرف على المستوى وحتى يعرف ما الذي فهم والذي لم يفهم .. ويا حبذا لو قام بتلخيص الموضوع أو ذكر العبر والعظات أو ما يؤخذ من الحديث أو الاستفادة من الآيات وهكذا .. وعليه أن يهيئ سامعيه لسماع ما سوف يدلي به .

وننقل قصة أوردها الدكتور البهي الخولي في كتابه تذكرة الدعاة وهو يتكلم عن تهيئة السامعين (حدث سليمان الفارسي رضى الله عنه قال .. كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فأخذ منها غصناً يابساً فهزه حتى تحات ورقه فقال يا سليمان ألا تسألني لما أفعل هذا ، قلت : لم تفعله ، قال : إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحات خطاياها كما تحات هذا الورق وقرأ : "أقم الصلاة طرقي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين" (١)

ألا ترى أن عقولنا وقلوبنا بعد هذا التمهيد العملي الجميل صارت أكثر تقبلاً بل أكثر حيوية وربما ما زجها من أنوار الآية وحسن توجيهها ، وأن أحدنا لن يبلغ من يقظة الشعور والعقل ما بلغه صلى الله عليه وسلم ولن يكون قلب أحدنا حياً بالقرآن كما كان قلبه عليه السلام ومع ذلك رأى الرسول الكريم أن يكون حسن التأني في عرض مواعظ كتاب الله فنحن إلى هذا المنهج أشد حاجة منه صلى الله عليه وسلم (٢)

(١) سورة هود آية (١٥)

(٢) تذكرة الدعاة البهي الخولي ص ٣٨٤ بتصريف

والدرس أشق من المحاضرة ، أو بعبارة أخرى أحكم ، لأن الدرس أحوج إلي دقة الداعية وحساسيته من المحاضر ، فالمحاضر يحرص همه في إقناع الجمهور بموضوع معين ولا يعنيه من الآية أو الحديث إلا وجه الدلالة ، أما المدرس فالآية تفرض عليه الدقة وطول التأمل والوقوف عند كل كلمة بل ربما عند كل حرف . (١)

إن درس المسجد له درجة من الأهمية عالية لأن الدرس يكون فيه تعليم الفقه والحديث والتفسير والأخلاق وفيه تعرض السيرة بما فيها من دروس وعبر ، والداعية عندما يفعل ذلك فهو يتشبه بالنبي -صلي الله عليه وسلم-

ويوجز الدكتور عبد الكريم زيدان ما يشترط للداعية في دروسه قائلا:

(١) أن يحضر الدرس تحضيرا جيدا .
(٢) ألا يستطرد كثيرا لأن ذلك يبعد السامع عن أصل الموضوع ويبعث في نفسه السامة.

(٣) يحسن في درس التفسير أن يكون بالقرآن نفسه .
(٤) في درس الفقه يحسن بيان الرأي الراجح ، إن قدر على الترجيح ، فإن لم يقار بين الحكم وفقا لأحد المذاهب ، دون ذكر الخلاف الفقهي في كل مسألة يتعرض لها فإن هذا يشقت أذهان السامعين . (٢)

فالدرس وسيلة جيدة من وسائل الدعوة الإسلامية وأتمنى أن يحافظ عليه الدعاة وخصوصا في عصرنا الحاضر الذي وصلت فيه الأمية الدينية إلى حد أن الناس لا يعرفون فرائض الصلاة أو سننها وهكذا باقي أحكام الدين والله وحده المستعان على هذا .

(١) تذكيرة الدعاة / البهي الخولي ص (٣٨٣) بتصرف

(٢) أصول الدعوة الدكتور / عبد الكريم زيدان ص (٤٧٦) وما بعدها بتصرف

{ العظة }

العظة هي فرصة يقتنصها الداعي ويغتتمها عندما يرى خطأ وقع، أو قصة حدثت، أو شاهد تصرفا غير لائق، وغالبا ما تصدر العظة من داعية مجرب وحريص على تنبيه الغافلين، أو مخلص يريد إصلاح المجتمع، أو قد يطلب الناس من الداعية أن يعظهم في مناسبة من المناسبات مثل حضور جنازة، أو احتفال بعرس، أو اجتماع لإصلاح بين متخاصمين، أو في وليمة من الولائم .

وعلى الداعية أن يكون يقظا لمثل هذا لأنه مصلح يبحث عن العلل فعندما يجد الفرصة سانحة، أو وجد شيئا غير لائق فعليه بالمبادرة والإسراع فربما كانت هذه العظة الصغيرة سببا لهداية بعض الناس أو تغيير منكر، أو تنبيه غافل.

والواعظ في مثل هذه الأحوال يستنبط من الحدث موضوع العظة والعبرة وينقلها إلى مستمعيه ليتفاعلوا معه ويتأثروا به (١)

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام الواعظين، وكان يقتنص الفرصة عليه الصلاة والسلام ليعلم وينبه، فكانت كلماته قليلة ولكن معانيها جمّة وكانت تستجيب النفوس لذلك وتقشعر الجلود عند سماع هذه الموعظة .

وأذكر مثالا يوضح أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يترك موقفا إلا ويعظ ويذكر به.

(١) تذكرة الدعاة الدكتور البهي الخولي ص ٣٩١ بتصرف

روى أبو الدر داء رضى الله عنه قال :- مر النبي صلى الله عليه وسلم بدمنة قوم فيها سخلة ميتة فقال ما لأهلها فيها حاجة قالوا يا رسول الله لو كان لأهلها فيها حاجة ما نبذوها.. فقال والله للدنيا أهون على الله من هذه السخلة على أهلها فلا **ألفيها أهلكت أحداً منكم** (١)

فهنا نرى الرسول صلى الله عليه وسلم عندما مر على هذه السخلة الميتة لم يجعل الموقف يمر دون أن يعظ أصحابه ويذكرهم بالدنيا وهوانها على الله تعالى، وأن الدنيا لا قيمة لها، وأنها حقيرة على الله تعالى فيجب أن تكون حقيرة عندكم ،
فيا ليت الدعوة يستفيدون من مواعظ النبي ومواعظ الصحابة وأن يستفيدوا من كل موقف ويغتنموا كل فرصة يجدوها سانحة للدعوة إلى الله تعالى، فيذكروا الناسي، ويعظوا اللاهي، وينبهوا الغافل .

(١) الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١٠١ رواه الإمام أحمد - دار الحديث - زكي الدين المنذري

{ الدعوة الفردية }

إن الداعية إلى الله تبارك وتعالى لا يترك طريقاً يمكن الدعوة إلى الله فيه إلا وهو سالكه، فهناك أناس لا يستجيبون إلا إذا دعوتهم فرادى لأنهم يكونون في حالة غير متأثرين بضغط خارجية .. لذلك كانت الدعوة الفردية شيئاً مهماً يجب ألا يغفلها الداعي فعندما يجلس بجوار شخص في مركبة عامة، أو دعي إلى طعام أو شراب عند بعض الناس، أو كان في زيارة مريض، أو زيارة عائلية، فعليه أن يغتنم الفرصة ويدعو إلى الله تعالى، فربما كان سبباً في هداية إنسان، أو في تصحيح مفهوم خاطئ أو في إزالة لبس أو غموض .

وهذه الطريقة قد استخدمها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه -رضوان الله عليهم- في بداية الدعوة الإسلامية في المرحلة السرية من تاريخ الدعوة الإسلامية، بل لقد ركز عليها ولم يكن مسموحاً بغيرها في البداية حتى أمر الله تعالى النبي بالصدع بالحق، وبهذه الطريقة أسلمت خديجة -رضى الله عنها- وهي أول من أسلمت من النساء، وأسلم سيدنا أبو بكر -رضى الله عنه- أول من أسلم من الرجال وهكذا سيدنا علي ابن أبي طالب رضى الله عنه وزيد بن حارثة وبلال ..

وإن كانت هذه الطريقة بطيئة وتحتاج إلى طاقات بشرية وقدرات مالية كبيرة، لأن الداعية يشغل وقته لشخص واحد في وقت معين، إلا أن هذه الطريقة تكون ناجحة في أغلب الظروف والأحوال، وهذه الدعوة نقترح أن تسير وفق مراحل حتى تأتي أكلها (١)

(١) أسس الدعوة وآداب الدعاء من ٢٥ يتصرف

والمرحلة الأولى كالاتي :-

وهي مرحلة التعارف المتبادل بين الداعية والمدعو... .. فيتم التعارف من حيث الاسم و الأسرة والعمل والحالة الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والبيئة العامة . وهذه المرحلة ينبغي أن تتكرر فيها اللقاءات و تتكثف بوسائل عديدة كالزيارات أو الرحلات الخاصة، أو الدعوات العامة، أو الخاصة، وعليه أي الداعية أن يغمر هذا الإنسان بالرحمة والعطف والكرم ويحسن معاملته، ويقدم له يد العون ويشعره أنه يحبه فالمطلوب في هذه المرحلة هي زرع الثقة بين الداعي والمدعو.

المرحلة الثانية :-

وهذه المرحلة هي التي يبدأ فيها الداعية محوراً للحديث مع المدعو، وإظهار الخطأ من الصواب، ويبين له إن الله يعطي المحسن الخير في الدنيا وفي الآخرة، فهي مرحلة ترغيب وترهيب ودعوة له لنبت الباطل وإتباع الحق والرجوع إلى الصواب وعدم التماذي في الخطأ .

المرحلة الثالثة :-

وهي مرحلة التعليم بعد استجابة المدعو و الانصياع لأوامر الله تعالى (١) يجب على الداعية أن يفقه المدعو ويعلمه أمور دينه ويوضح له ما يجعله يعيش سعيداً ويفوز في الآخرة .

وهذه هي الدعوة الفردية ومراحل يجب على الداعية ألا يغفلها لأنها مطلوبة ولكل مقام مقال، وليعلم أن الخلق الكريم الفاضل والشخصية المحبوبة ورحابة الصدر وسعة الإطلاع هي أهم العوامل لنجاح الدعوة الفردية.

(١) المرجع السابق يتصرف

المبحث الثاني

وسائل الاتصال الجماهيري

الغير مباشر

الباب الأول

الفصل الثاني

المبحث الثاني

وسائل الاتصال الجماهيري الغير مباشرة

أولا الكتاب:

إن الكتاب لهو من أبقى الوسائل مع الزمن إذا ما قورن بالخطبة والمحاضرة والدرس الخ

وتجئ أهمية الكلمة المكتوبة عن الكلمة المسموعة في أن الأولى تتداولها الأزمان وتتعاقب عليها الأجيال فلا يقتصر نفعها على جيل بعينه وإنما يستمر ما استمرت الحاجات في طلب العلم (١)

وهذا ما دعا الشاعر أفي بمدحها أي- الكلمة المكتوبة- إن كانت صالحة - ،
حاضا و حاثا الكتاب على أن يكتبوا ما فيه خير وصلاح البشر .

وما من كاتب إلا سيلى ويبقى الدهر ما كتب يداه

فلا تكتب بخط غير شئ يسرك في القيامة أن تراه

ولقد عظم الله سبحانه وتعالى من قيمة الكتاب حينما وصف قرآنه في أكثر من

آية بأنه كتاب قال تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (٢)

وقال تعالى (كتاب أنزلناه مبارك ليذبوا آياته وليتذكر أولوا الألباب) (٣)

وقال تعالى (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون) (٤)

وقال تعالى (والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق) (٥)

وقال تعالى (لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون) (٦)

(١) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة الشيخ محمد الغزالي ص ٢٩٨ بتصرف (٢) سورة البقرة الآية

(٣) سورة ص الآية ٢٩ ، ٧٧ ، ٧٨

(٤) سورة الواقعة الآية ٧٧ ، ٧٨

(٥) سورة فاطر الآية ٣١

(٦) سورة الأنبياء الآية ١٠

هذه الآيات السابقة التي تعكس أهمية القرآن ككتاب يشكل منهاجا تخلع قداستها وأهميتها على كل كتاب مرتبط بكتاب الله لكتب التفسير والفقه والحديث وغيرها ، والكتاب هو الوعاء المؤهل لأن يصب فيه جم التعاليم الإسلامية في شكل قطرات من المداد يسكبها العلماء الإجلاء على أوراقه .

وإن الكتاب كوسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية ، ولكي يسلك الطريق إلى قلوب وأخلاق الناس فإنه يحتاج إلى مكامن الإثارة التي فيها ما يلي: (١)

(١) يجب أن ينطوي الكتاب على آراء جديدة تتضمن معالجة فعالة للمسألة أو المسائل التي يدور حولها الكتاب .

(٢) يجب أن يكون هناك اتفاق وتوافق بين مضمون الكتاب ومضمون مؤلف الكتاب وإيضاح هذا نقول : إنه لكي يصل الكتاب إلى مراميه ومقاصده التبليغيه فإن مؤلف الكتاب يجب أن يكون مؤمنا بالآراء والحقائق التي يريد أن ينقلها لقرائه فغالبا ما يكون الدافع لشراء الكتاب وقراءته هو الرغبة في شخص مؤلف الكتاب والتي تنبع بدورها من عدم المفارقة بين رأي الكاتب وكتابه.

(٣) أن يصل إلى خلد القارئ انخلاع الآراء التي يحويها الكتاب على سلوك مؤلفه فلهذا الأمر جدواه وأهميته حيث يخلق لدى القارئ الإحساس بروح القدوة الحسنة ، كما ذكرنا في الحديث عن دور القدوة في تبليغ الدعوة ، وأما إذا حدثت المفارقة بين سلوك المؤلف وآرائه وأقواله فإن هذا الأمر يستنكر تماما كما استنكره الله سبحانه وتعالى في كتابه (يا أيها الذين آمنوا لما تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) (٢)

قال تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) (٣)

(١) أسس الدعوة وآداب الدعاة الدكتور محمد السيد الوكيل ص ٢٣ بتصرف

(٢) سورة البقرة آية (٤٤)

(٣) سورة الصف آية (٣،٢)

أولاً :- أهمية الكتاب الإسلامي المعاصر

إن أهمية الكتاب الإسلامي ليست وليدة عصر من العصور أو حقبة بعينها من الزمن بل لزمّت هذه الأهمية الدعوة الإسلامية في أوجها وقد كان عبد الله بن سعيد ابن العاصي يعلم الناس الكتابة في المدينة بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال عبادة بن الصامت :- (علمت ناساً من أهل الصفة الكتابة والقرآن)

ولقد ثبت في السيرة أنه لما أسرت جنود النبي -صلي الله عليه وسلم- سبعين رجلاً من صناديد قريش وغيرهم في غزوة بدر السنة الثانية من الهجرة قرر النبي صلى الله عليه وسلم على كل واحد من الأسرى فداء من المال ومن عجز عن الإفتداء فعليه أن يعلم الكتابة لعشرة من المسلمين فلا يطلقون سراحه إلا بعد تعليمهم فكان الواحد من المشركين يعلم عشرة من الغلمان الكتابة ويخلوا سبيلهم (١).

وعملياً الكتاب لمن يقرأه أكثر فائدة من الكلام، فمهما أحسن في عرض فكرة فهو لا يبلغ مبلغ عرض هذه الفكرة في كتاب كتبه عالم من علماء الإسلام الكبار، ولذلك كان نشر الكتاب الإسلامي أهم وسيلة من وسائل الجهاد اللساني (٢).

إن الكتاب يتجه إلى العقل ويقوم على الاستعراض المنظم للأدلة المؤيدة والمفندة، وهو أخلد على الزمن، وأعصى على الفناء، ويفيد مراجعة النظر، ومعاودة التأمل، واستدامة البصر بما ينتهي به إلى حكم صائب، وقناعة تامة (٣).

ومما زاد أهمية الكتاب الإسلامي أن العالم من حولنا قد نبتت فيه الأفكار الهدامة وظهرت فيه المفتريات وتتناول على الإسلام وهو دين الحق ومن هنا قد أصبح لزاماً على دعاة العالم الإسلامي أن يقفوا في وجه الباطل ويحاربوه بنفس السلاح الذي يستخدمه العدو ويكتبوا الكتب التي ترد عن الإسلام كيد الخصوم، إن دعاة العالم الإسلامي أصبحوا يواجهون حرباً ضروساً على صعيدين كل منهما أكثر من الآخر :

(٢) مع الله الشيخ/محمد الغزالي من (٢٩٨) بدورف

(١) زاد المعاد لابن القيم ج ٣ ص ٢١٥

(٣) الدعوة إلى الله فقها ومنهجها الشيخ/محمد زكي الدين محمد قاسم ص (٢٨٥)

أما الصعيد الأول : فهو تصحيح هذه الأفكار الخاطئة والمناهج الوضعية الآثمة التي جاءت نتاج التفكير الوضعي والنبوءات الوضعية مثل الماركسية والبهائية والقديانية .

أما الصعيد الثاني: فمواجهة الكيد الصريح للإسلام والذي يمثلته التطاول العلني على شريعة الحق واتهامها بالجمود وعدم قابليتها للتطور .

ففي هذه المجاهدة يقذف دعاة الإسلام بحقهم المؤيد من قبل السماء على الباطل من قبل النفوس الضعيفة قال تعالى(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) (١) إن الكتابة العلمية الواجبة في هذا العصر يجب أن تتسع وتطرد لتشمل موضوعات ذات بال تمم المجتمع الإنساني وتخدم البشرية ،وتجابه الباطل وتنصر الحق .

ثانيا : أهم موضوعات الكتاب الإسلامي المعاصر :

(١)الدين ضرورة اجتماعية:

يذهب بعض المثقفين الذين لم يتعمقوا في دراسة الأديان إلى أن الأديان لا تنهض إلا بين الشعوب البدائية، وأن المدنية الحديثة تغني عن اعتناق الأديان ،ومن الخير تأليف كتاب يعالج هذا الموضوع ويوضح فيه أن الدين الصحيح وحي نازل من السماء وليس إفكا وأن الدين ضرورة اجتماعية.

(٢)الإسلام والديانات السابقة:

يجب إثبات أن الإسلام لم يتعرض لتحريف أو تبديل مثل الكتب السابقة ولم يتعرض لسب الأنبياء أو الإساءة إليهم ، كما أنه دين سماحة ولا يعادي الديانات السماوية السابقة أو يعادي أتباعها .(٢)

(٣)الإسلام والمدنية الحديثة:

يدعي البعض أن سبب تأخر المسلمين في هذا العصر هو الإسلام لأنه غير صالح مع المدنية الحديثة ،وهو زعم خاطئ لأن الإسلام هو دين يحترم العقل ويحض على العلم،ويدعو للتأمل في ملكوت السماوات والأرض وهو صالح لكل زمان ومكان.

(١)سورة الأنبياء آية (١٨)

(٢) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة الشيخ /محمد الغزالي ص (٣٠٢) وما بعدها بتصرف

٢- { البحث }

البحث وسيلة لا يمكن إغفال دورها في نشر الدعوة الإسلامية، والبحث يختلف عن الكتاب في أنه يعالج مسألة محدودة بذاتها بعكس الكتاب الذي ربما يتناول أكثر من مسألة، بل إنه يتعدى ذلك ليناقد جانباً معيناً من جوانب مسألة محدودة فقد يركز البحث على دحض شبهة من الشبهات المثارة حول الإسلام من الحاقدين (١) وقد يكلف الداعية المدعو بعمل بحث مثلاً في الصلاة إن رأى أنه مقصر في فريضة الصلاة، لاستحلاء فضل الصلاة وعظيم نفعها على الفرد في عاجله وفي آجله، وكذلك على المجتمع بأسره، فربما بعدما يكتب هذا البحث : تجتمع لديه ما يجيبه في الصلاة، ويجفزه على أداء الصلاة فيداوم عليها .

وبذلك يتحقق مراد الداعية من المدعو . أو قد ينصح الداعية المدعو ، أن يقرأ بحثاً في الموضوع الذي يري الداعية أنه مقصر فيه .

وفوائد البحث عظيمة جداً وجليلة وخاصة تلك الأبحاث العلمية التي تزخر فيها الدراسة في فناء الجامعات ، ولا سيما الأبحاث العلمية المتخصصة للحصول على درجات الماجستير والدكتوراه وكذلك الأبحاث المقدمة لنيل درجة الأستاذية ومكمن الأهمية في هذه الأبحاث أنها تأتي من أناس متخصصين ، فيلعب الفهم الصحيح لتعاليم الإسلام فيها دور البطولة . ولكي تأتي هذه الأبحاث ثمارها ، فلا بد وأن تتحرى الأسس العلمية في كتاباتها وإخراجها، وكذلك لا بد وأن تأتي مواكبة لروح العصر ومسايرة للتغيرات التي تطرأ على الساحة ، وأن يكون اهتمام بالاستقراء فيها، وأن تنأى المعالجة بنفسها عن الدروب التقليدية والتكرار ، مع قابلية تلك المعالجة للتطبيق والاستفادة العملية منها في خدمة الدعوة الإسلامية (٢).

(١) أسس الدعوة وآداب الدعاة الدكتور/ محمد السيد الوكيل ص(٢٣) بتصرف

(٢) أصول الدعوة الدكتور/ عبد الكريم زيدان ص(٤٨٢) بتصرف

ويجب أن تكون هذه الأبحاث مكتوبة بأسلوب سهل ممتع يفهمه عامة الناس وخصتهم، على أن تركز هذه الأبحاث على الموضوعات المهمة فيركز على العقيدة ثم ما يخص الناس من مشكلات عامة وتقديم الحلول الإسلامية لها كما يجب أن يركز على المفاهيم التي حاول أعداء الإسلام أن يبعدونا عنها بحجة أنها ليست من الإسلام، مثل سياسة الحكم، وتنظيم الشؤون المالية، وإعداد الجيوش، ودعم الأمن إلى غير ذلك .

ويحسن أن تعرض هذه الأفكار في كتيبات يسهل حملها كما تسهل قراءتها، وتكون ميسورة للجميع، ولو ترجمت هذه الأبحاث إلى غير العربية لكانت الفائدة أعم وأشمل، ولعلم الخير الجميع (١).

(١) أسس الدعوة وآداب الدعاة الدكتور / محمد السيد الوكيل ص (٢٣) بتصرف

٣- { المقال }

يشكل المقال لبنة لا بد من وجودها في صرح التبليغ وتتجسد أهمية المقال في صغر حجمه بل يجوز القول أن نقول : إن المقال هو رقيقة من رقائق التبليغ يخلص فيه الكاتب إلي عرض فكره تحول بخاطره ، أو إلي الحث علي عادة حسنة يدعو الناس إلي التمسك بها ، أو عادة سيئة لينفر الناس منها .

والمقال في الغالب يكون مطبوعاً أو منشوراً في صحيفة يومية أو مجلة أسبوعية أو دورية شهرية، ووجود المقال في مجلة أو صحيفة رخيصة الثمن سهلة الحصول عليها يوسع من رقعة المدعوين ويجعل غالبية الناس مستفيدة منه، فهو "أي المقال" لا يحتاج إلي جهد مضني في إخراجه وكتابته ، ولكي ينجح المقال كوسيلة من وسائل الدعوة لا بد وأن يكون سهل الأسلوب ، واضح الألفاظ ، شيق البناء ، إذ أنه يخاطب عقليات متفاوتة الذكاء والخبرة والدراية (١)

إن الداعية اللبق يدرك أن الناس اليوم في عجلة من أمرهم فهم في حاجة إلي شيء سريع يفيدهم ويتفعلون به دون أن يأخذ وقتهم ، فهناك إقبال على الصحف اليومية، لأنها تعطيه ما يريد في عجلة دون تطويل ، فلو أدرك الداعية هذا الأمر فحرص على كتابة مقالة في صحيفة ، أو مجلة أسبوعية تخاطب القاعدة الشعبية فسوف يصل لهدفه . وفي كتابة المقال لا يكتب كلاماً فلسفياً لا يفهمه الجمهور وإنما سيكتب ما يخص الناس في حياتهم اليومية ، وواقعهم الذي يعيشونه ، فيحاول أن يصحح الأخطاء المنتشرة سواء كانت أخطاء في العقيدة أو المعاملات أو في الأخلاق إلي غير ذلك من أشياء يراها الداعية خطأ فيصححها من خلال المقال (٢)

(١) أسس الدعوة وآداب الدعاة ص (٢١) بتصرف الدكتور محمد السيد الركيل

(٢) تذكرة الدعاة البهي الخولي ص ٢٨٨ بتصرف

٤- { البيان }

البيان هو الحجة والمنطق الفصيح، وهو أحد علوم البلاغة ويشتمل على التشبيه والمجاز والكناية، ولكن المقصود به هنا صدور كلام من جهة معينة لتوضيح الأمر، وإقامة الحجة، وقد يكون تحذيراً من الوقوع في أمر ما .

والبيان من وسائل نشر الدعوة التي ينبغي ألا تفوت الدعاة في طريق سيرهم ودعوتهم حتى تبقى الجماهير في دائرة التأثير والتوجيه، والأصل في البيان أن يصدر عن جهة رسمية منظمة، أو جهة سياسية، أو جماعة إسلامية أو قيادة من قيادات الحركة الإسلامية، وهذه الجهات كلها جهات دعوية في مجالات مختلفة. (١)

وقد يكون رداً علي فهم خاطئ علي سياسة جهة صاحبة البيان، أو إمطة اللثام عن كثير من الأوهام التي تثار حول هذه الجهة، أو قد يكون البيان نفيًا لخبر من الأخبار نُسب للجهة أو تصحيحًا له .

وفي أحيان أخرى يكون البيان داحضاً لشبهة أثرت حول الإسلام أو حول علم من أعلامه بغرض التشكيك وإثارة الفتنة. وقد يكون البيان شفها أو مكتوباً، والمكتوب أفضل لاتساع مساحة التأثير فيه.

وكلما صغر في حجمه سهل نشره وتيسر فهمه، وعظم نفعه، وعم خيره، وأهم ما يميز البيان أنه يمس الحياة المعاصرة ويرتبط بالشئون اليومية للفرد والجماعة .

ومن أمثلة البيان / سلسلة البيانات التي قدمها الأزهر الشريف التي تعالج ظواهر معينة تكون موضع جدال فكري على الساحة كالمغالاة في الدين والتطرف ومعالجة القضايا الإسلامية المثارة على الساحة، وإظهار حكم الدين فيها، وإزالة اللبس المثار حول الشخصيات الإسلامية من الصحابة والتابعين إلى غير ذلك . (٢)

(١) أسس الدعوة ووسائل نشرها الدكتور/ محمد عبد القادر أبو فارس ص (٩٢) بتصرف

(٢) بيان للناس من الأزهر الشريف ج ٢ ص (٩٢،٩٧) بتصرف

٥- {الإذاعة}

تعتبر الإذاعة "الراديو" من أحسن وسائل الدعوة وربما أسهلها وتكمن أهميته وخطورته في سهولة اقتناؤه (١) ، وفي اتساع رقعة المستقبلين لها، إذ أنها تختلف عن وسائل الاتصال المكتوبة إذ أنه لا يحتاج إلى تعلم الكتابة والقراءة ومن الثابت أن الإذاعة تؤثر تأثيراً بالغاً ويزداد عمقها وخطورتها كلما كانت البيئة قليلة الحظ من الثقافة والتعليم .

وإذا اعتبرت الإذاعة مؤسسة توجيهية فيجب أن يراعى في برامجها أن ليست وسيلة للتسلية فحسب بل هي أداة فعالة في خدمة الجماهير، ووسيلة ناجحة للدعوة لدين الله تعالى، ونشر الوعي الديني بين الناس، بل هي وسيلة تثقيفية عظيمة .

من أجل ذلك يجب الأخذ في الاعتبار الأهداف التالية في برامجها :

١- العمل على نشر الإسلام الصحيح كمنهاج للحياة ليؤكد دوره في حياة الإنسان على امتداد العالم كله .

٢- نشر مزيد من التوعية الدينية وتعميق الثقافة الإسلامية وتدعيم الشخصية المسلمة.

٣- ربط الإسلام بقضايا الإنسان المعاصرة ، وعرض وجهة النظر الإسلامية حتى لا يحدث انفصام بين الدين والحياة (٢) .

ومما يعكس صدق الحديث السابق ذكره عن الإذاعة هو ما حققته إذاعة القرآن الكريم من نجاح من خلال برامجها التثقيفية الدعوية التي تقوم على إمداد المستمع بكل ما يتعلق بالإسلام تعريفاً به وشرحاً لأحكامه وترغيباً فيه وترهيباً عما سواه .

(١) أسس الدعوة وآداب الدعاة ص ٢١ بتصرف

(٢) د . نوال عمر " الإعلام الديني في تغير قيم الأسرة الريفية والحضرية " ص ٩٧ مكتبة النهضة س ١٩٨٤ م

وكذلك في نشراتها الإخبارية التي تبث أخبار المسلمين في أنحاء العالم أولاً بأول فتجعل المسلم على علم بكل ما يحدث في العالم الإسلامي من تغيرات على الساحة السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية والدينية ... الخ . (١)

وإذاعة القرآن الكريم تكون بهذا البث محققة لمفهوم الوحدة الإسلامية والترابط الأخوي كما يجب أن يكون، عملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم [مثل المؤمنين في توادهم وتعارفهم وترحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى] (٢)

وعلى بقية الإذاعات وخاصة في البلاد الإسلامية أن تحذوا حذو إذاعة القرآن الكريم في التحلي بروح الإسلام والدعوة إليه والترغيب فيه ، وهذا من السهل فبدل من الأعمال الهابطة التي تقدم فتفسد تقدم أعمالاً تفيد المجتمع ، فنقدم مسلسلاً تاريخياً أو قصة دينية من السيرة ، أو برنامجاً مفيداً .

مع العلم أنه توجد محطات إذاعية وتلفزيونية تعمل لصالح النصرانية فتقوم بعملية التبشير وبث أفكاره النصرانية وهذه المحطات وصلت تقريباً إلى (١٦٢٠) محطة وهذه إحصائية قديمة فكم وصلت الآن عدد المحطات التي تخدم النصرانية؟ (٣)

(١) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية د / محي الدين عبد الحليم ص ٢٩١ : ٣٠٠ بتصرف

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث (٢٦٧)

(٣) المجلة الدولية لأبحاث التنصير العا. ١١ مجلد ١١ سنة ١٩٨٧ م

٦- {التلفزيون}

يعتبر التلفزيون كوسيلة من وسائل الدعوة سلاحاً ذا حدين، وتتوقف حدته على المستخدم له، وتكمن أهميته وخطورته في أنه يستحوذ على حاستي السمع والبصر، وتجيء أهمية التلفزيون في قدرته على جذب الانتباه وإقبال الناس عليه إذا ما قورن بالوسائل المكتوبة والمسموعة .

ويؤكد هذا أن التلفزيون قد أغلق حتى الآن عشرات من الصحف والمجلات المصورة .

ولو قام باحث في هذه الآونة الأخيرة بإجراء بحث عن علاقة الناس بالتلفزيون وإقبالهم عليه ، لقات مسلمات بحثه أن السواد الأعظم من الناس يتخذ من التلفزيون وسيلة للتسلية، فكيف يتسنى لنا أن نخرج التلفزيون من دائرة التسلية إلى دائرة التوجيه والتعليم؟ خاصة وأن معظم جمهور التلفزيون من الأطفال والشباب، حتى أنهم في أمريكا سألوا الأطفال أيهم تحبونه أكثر أبوك أم التلفزيون؟ ولم يتردد ٤٤% من الأطفال بالإجابة على الفور التلفزيون . (١)

وللإجابة على السؤال المطروح آنفاً حول كيفية تحويل التلفزيون من دائرة التسلية إلى دائرة التلقين والتوجيه؟ والإجابة على هذا السؤال تأتي بإخضاع برامج التلفزيون للمعايير الإسلامية الصحيحة، وإخضاعه للرقابة الشديدة حتى لا يعرض فيه إلا كل ما هو نافع ومفيد للمجتمع وهناك تحدث الفائدة المرجوة من التلفزيون .

إن جهاز التلفزيون هو أهم الأجهزة التي استطاعت أن تجذب أكبر قدر من الجمهور فيجلس أمامه الصغير والكبير والمرأة والرجل والأمي و المثقف فهو يجمع أفراد الأسرة الواحدة أمامه، فيجلسون أمامه مدة طويلة دون كلل أو ملل.

(١) فن الأدب التلفزيوني سمير الجمل ص (١٣٩) بتصرف

فلماذا لا يسخر لخدمة الإسلام وخصوصاً في دولنا الإسلامية ويعرض فيه كل ما هو نافع وجاد وعرض برامج جادة تفيد الجميع.

ولقد قام بعض الغيورين علي دينهم بالمناداة لعمل قناة فضائية لا يعرض فيها إلا ما هو إسلامي مثلها مثل إذاعة القرآن الكريم التي لا يقدم فيها إلا ما هو إسلامي . وهذه القناة تفيد المسلمين وغير المسلمين ونحن نعلم أنه هناك قنوات تقوم ببث معتقدات غير صحيحة وباطلة ولكن هم ينشرون الباطل ويروجون له ونحن أهل الحق نتعاس عن ذلك مع أننا نملك كل الإمكانيات التي تمكننا من نشر ديننا (١).

إن القنوات الفضائية التي أصبحت منتشرة انتشاراً واسعاً فأصبح لكل دولة قناة فضائية بل عدة قنوات تبث برامجها وأفكارها وعاداتها، وتعرض ما عندها من فكر سواء كان بالبرامج أو بالأفلام، ونحن نعرف أن أغلب هذه القنوات موجهة لإفساد الشباب وتميعه وجعله بلا هوية، وإذا كان هذا حال القنوات الغير إسلامية فواجب على الدول الإسلامية أن تبث في قنواتها الفضائية ما عندنا من عقيدة صحيحة وأخلاق كريمة وعادات إسلامية، بدل من بث غناء فاحش ورقص ماجن، وأفلام هابطة، وبرامج غير هادفة.

(١) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية الدكتور / عي الدين عبد الحليم ص (٢٩١:٣٠٠) بتصرف

٧- {الصحافة المدرسية والمسجدية}

تعتبر من وسائل الاتصال غير المباشر بالجمهور، الاتصال عن طريق الصحيفة سواء كانت مدرسية أو مسجدية أو أي صحيفة في نادي أو مؤسسة .
والصحيفة لها أهميتها فينبغي مراعاة الموضوعات التي تكتب فيها بأن تكون ملبية لحاجات الناس الذين سوف يقرءونها وحتى تحقق الصحيفة غرضها وهدفها التربوي لا بد أن تكون منظمة ومنتظمة وسواء كانت أسبوعية أو شهرية . لا بد أن تخرج في موعدها .

وتكون هذه الصحيفة ملائمة للواقع ومناسبة للوقت فتخرج صحيفة في شهر رمضان مثلاً تتكلم عن أحكام الصيام ، وصدقة الفطر وآداب الاحتفال بالعيد، وهكذا نجعل لكل شهر صحيفة تفيد الجمهور وتعطيهم ما يحتاجون إليه في وقته و حينه .
وكم من مرة شاهدت رواد المسجد يتجمعون أمام صحيفة المسجد لما يجدون من موضوعات مفيدة نافعة فعلى الدعاة أن يحرصوا على مثل هذه الأنشطة المختلفة فإن فيها خيراً وفوائد جليلة . (١)

(١) دور المسجد في الإسلام دوريه لوزارة الأوقاف

٨- {الملصقات واللافتات والمدليات}

من النشاطات المؤثرة في نشر الدعوة الإسلامية تؤثر تأثيراً جيداً . عند توزيع ملصقات أو مدليات تحمل أفكاراً إسلامية أو مبادئ شرعية مثل مسطرة مرسوم عليها كيفية الصلاة . لو أعطيت لتلميذ ونظر فيها وتعلم كيفية الصلاة . أو مدلية تكتب عليها حكمة مثل [القناعة كثر لا يفنى] أو ملصقات تذكر بدعاء دخول البيت ، لو وضع على باب البيت أو مدلية تكتب عليها أذكار السفر أو دعاء السفر ، وتوضع في السيارة لتذكر المسافرين . أو لافتات توضع في الطريق لتذكر الناس برهم . مثل : الدعوة لذكر الله أو إقامة الصلاة أو تحذير من ترك الصلاة يذكر حديث أو آية (١) ولا بد أن توضع هذه اللافتات في مكان يراه الناس وأن تكتب بخط واضح . وأن نختار العبارات اختياراً صحيحاً . وأن تكون العبارات موجزة .

(١) دور المسجد في الإسلام - نشرة دورية لوزارة الأوقاف الكويتية

شريط الكاسيت :

لقد أنتج العلم لنا أجهزة ومخترعات حديثة مثل الكاسيت والفيديو والكمبيوتر — فعلى الدعاة أن يسخروا ويوظفوا هذه المنتجات الحديثة في نشر الدعوة الإسلامية .

ونحن في عصرنا الذي يسمى بعصر السرعة و استغلال كل دقيقة لا بد أن نقدم للناس ما يفيدهم فهذا ليس عنده وقت ليقرأ في كتاب أو ليجلس لداعية ليسمع منه ، فماذا لو قدمنا له شريط كاسيت يضعه في السيارة فيسمعه وهو منطلق إلى عمله أو منطلق إلى سفر ما ، وأيضاً ممكن يسمعه التاجر وهو في متجره، والمرأة وهي تعمل في البيت والصانع في مصنعه دون أن يضيع وقته ودون أن يشغله عن أداء عمله .

وأيضاً فإن شريط الكاسيت سوف يخدم الإنسان الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة

وهو وسيلة غير مكلفة مالياً ولا تحتاج إلى جهد كبير أو طاقة كثيرة بل هو وسيلة سهلة وميسورة ولكنه في نفس الوقت وسيلة خطيرة في زماننا هذا(١)

(٣) إلى دعاة الخير بيان عن جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت

شرائط الفيديو :

وهى من الوسائل الحديثة والمخترعات التي أحدثت ضجة في العالم، الفيديو ذلك الجهاز الذي لو استخدم استخداماً صحيحاً لأفاد إفادة عظيمة لأن له تأثيراً على مشاهديه لأنه يجمع بين الصوت والصورة... فهو يجذب المشاهد له ولكن للأسف هو مكلف مالياً ولكن ممكن استغلاله في تسجيل مناظرة أو مهرجان أو احتفال ديني أو تسجيل مناظر طبيعية تدلل وتثبت قدرة الله تعالى المطلقة فيراه المستطيع على شرايطه أو يعرض على ملأ من الناس.

وهو من المخترعات التي يمكن الاستفادة منها أيما استفادة وخصوصاً لو استغلت استغلالاً حسناً، على سبيل المثال يمكن تعليم الأطفال الصلاة من خلاله، بل وجدت شريط فيديو قد سجلت عليه مناسك الحج فلو وزع هذا الشريط على كل من أراد الحج لأدى المناسك صحيحة، وهناك موضوعات إسلامية كثيرة يمكن تسجيلها على شرائط الفيديو والاستفادة بها في نشر الدعوة. (٢)

الكمبيوتر :

نعلم أن العصر الحديث قد أخرج لنا أجهزة حديثة ومن هذه الأجهزة هذا الجهاز المسمى بالكمبيوتر الذي يعتبر أكبر جهاز ذمى نفع سواء في المجال الاقتصادي أو في المجال الطبي أو في المجال السياسي أو في المجال الثقيفي العام ونحن ندعو إلى الاستفادة بهذا الجهاز— وخصوصاً وقد بدأ يدخل المدارس ويصبح مادة أساسية— أن نوجهه الوجهة الصحيحة وندخل به برامج دينية مفيدة (١)

وقد نجح بعض المتخصصين بعمل برامج دينية مفيدة منها برنامج تفسير القرآن وبرنامج أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وهذه البرامج جميلة وهناك برامج خاصة بالأطفال مثل رسومات للأطفال تعلمهم الصلاة والوضوء وبعض أحكام الإسلام وإن كان العصر الذي نحن فيه سوف يصبح الأمي فيه هو الذي لا يعرف كيف يتعامل مع الكمبيوتر وليس الذي لا يعرف القراءة والكتابة .

فيجب علينا أن نستغل كل ما هو جديد لصالح الإسلام وصالح الدعوة إليه حتى نساير العصر وأدعو أيضاً لعمل برنامج لوضعه في شبكة الإنترنت عن الإسلام والمسلمين ويكون هذا البرنامج بجميع اللغات حتى يتسنى لطالب الخير التعرف على الإسلام ونبي الإسلام وحتى نصحح ما يشاع عن الإسلام من أنه دين الإرهاب ودين يحجر على الحريات ونكشف المؤامرات التي تحاك ضد الإسلام ونعلنها على الناس . (٢)

(١) مخترعات في الميزان محمد عدنان ص ٩٥ بتصرف

(٢) الكمبيوتر لغة المستقبل دكتور على الفهد ص ١١٦ بتصرف

{الإعلام الإسلامي ووسائل الدعوة الإسلامية}

بعد أن تكلمنا عن وسائل الإعلام على حدة وذكرنا أهمية كل وسيلة في خدمة الدعوة الإسلامية نتكلم هنا عن كل الوسائل مجتمعة في مفهوم الإعلام الإسلامي من خلال :-

- ١- تعريف الإعلام الإسلامي .
- ٢- عناصر الإعلام الإسلامي.
- ٣- مستويات الإعلام الإسلامي.
- ٤- أهمية الإعلام الإسلامي تكمن في خصائصه .

١- تعريف الإعلام الإسلامي

والإعلام بمفهومه العام : هو [التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير واتجاههم وميولهم في نفس الوقت ، وذلك عن طريق تزويد هذه الجماهير بالحقائق والمعلومات الصحيحة والثابتة ، والأخبار الصادقة التي تساعد على تكوين رأى عام صائب في واقعة من الوقائع، أو حادثة من الحوادث أو مشكلة من المشكلات] (١)

أما الإعلام الإسلامي فإنه يمكن تعريفه بأنه [تزويد الجماهير بصفة مباشرة وغير مباشرة من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة بواسطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة ومتعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها وذلك بغية تكوين رأى عام صائب يعي الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها في معتقداته وعباداته ومعاملاته] (٣)

المرجع (١) وكالات الأنباء رؤية جديده شفيق محمود عبد اللطيف بتصرف

(٢) د . محي الدين عبد الحليم : " الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العلمية " القاهرة ج ١ ص ١٩٨٤ ص ١٤٤

(٣) أنظر المرجع السابق ص ١٤٧

وبما أن الإعلام الإسلامي من خلال ذلك المفهوم يتضمن بث المعلومات والحقائق التي تخص الإعلام ودعوته، فإن الموضوع الأساسي لهذا الإعلام هو الدعوة الإسلامية ومن خلال المفهوم السابق للدعوة والإعلام يتضح أن العملية الإعلامية لها ركائزها وعناصرها التي تركز إليها وفيما يلي عرض لهذه العناصر بشيء من الإيجاز .

أولاً : المرسل :

وهو الشخص الذي يقوم بتوصيل الرسالة أو الخبر (١) ، قائداً كان أو حاكماً أو ^{تعديل} عالماً، ^{الفقرة} (أو نبياً أو مرسلًا) من قبل الله عزَّ وجل فهو مبلغ عن ربه بأوامره ونواهيه قال تعالي (ما على الرسول إلاّ البلاغ) والمرسل هو أولى الركائز التي يعول عليها إنجاح التبليغ ، فبمقدرته وحنكته وخبرته بطبائع وأمزجة وميول المرسل إليهم يجعله يتحرى أقرب طرق الإقناع وأجداها معهم .

والمرسل في الإعلام الإسلامي هو أحد المتخصصين في حقل الدعوة الإسلامية وقد يكون غير متخصص في هذا المجال وفي كلتا الحالتين ، فإن مرسل الرسالة الإعلامية يكون على قدر من الفهم الصحيح لموضوع الرسالة المرسله حيث إنَّ فاقد الشيء لا يعطيه ، فكل إنسان يمتلك قدرًا من الثقافة الإسلامية يزيد أو ينقص أو يختلف من شخص لآخر ، وعلى كل يجب أن تكون الرسالة متفقة في موضوعها مع هذا القدر من الثقافة ، حيث لا يجوز في الإسلام بأي حال من الأحوال أن يتكلم المرء في أمور لا يفهمها .

فالإسلام قد وضع الضوابط والمعايير اللازمة للقائم بعملية الاتصال في حقل الدعوة ومن هذه الضوابط الصدق ، الأمانة ، الذكاء ، حُسن الخلق ، الألفة ... الخ (٢)

(١) وكالات الأنباء رؤية جديدة شفيق محمود عبد اللطيف بتصرف .

(٢) المرجع السابق بتصرف .

هذا إلى جانب الصفات الإعلامية من قوة الحجة والبرهان ، قوة الإقناع والثقة بالنفس ، عدم الاستشارة ... الخ إلى جانب ذلك السيرة الحسنة للقائم بالاتصال في الإعلام الإسلامي حيث إنَّ تصور الجمهور للقائم بالاتصال يلعب دوراً أساسياً في تحديد الناتج النهائي للعملية الاتصالية .

٢ - الرسالة المبلغة

وهي مادة التبليغ ومحتوى الرسالة وموضوع الدعوة ، وقد كانت كل رسالة من رسالات الله التي جاء بها الأنبياء تهدف إلى هداية الناس إلى الحق والخير . ومن نجاح هذه الرسائل في صدقها وفي إصلاحها للفساد وتأهيلها للحسن من الخصال والتقاليد وتوجيهها للناس إلى التي هو أقوم . (١)

وتخرج هذه الرسالة من " المرسل " إلى " المرسل إليه " في أثواب متباينة فتارة ترتدى ثوب الخطبة ، والمقال ، والنشرة ، والبيان ، ... و الخ وتارة ترتدى ثوب البحث ، والرسالة كما ذكرنا آنفاً ، ونوع الرسالة ومضمونها هو الذي يحدد الوسيلة المناسبة لها فنجاح الرسالة هنا يتطلب مناسبة الوسيلة لها .

٣- المرسل إليه

وهو الذي يتلقى الرسالة يجب أن يتوفر فيه مجموعة من السمات منها ما يلي :

- ١- يشترط أن يكون على مستوى التبليغ .
- ٢- أن يكون مهتماً بالرسالة مقبلاً عليها ومتجاوباً معها .
- ٣- توفير المناخ النفسي والبيئي له حتى يتسنى له فهم الرسالة و استيعابها . (٢)

(١) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية الدكتور محي الدين عبد الحليم

(٢) المرجع السابق بتصرف

٤ - وسيلة التبليغ

وهي الطريقة التي يتبعها المرسل في تبليغ رسالته . وتجدر الإشارة هنا إلى العلاقة بينها وبين الأسلوب .

فالوسيلة يصاحبها الأسلوب الذي بمثابة الوجه الآخر لها أي (وسيلة التأثير) [وهو قياس الأثر الذي تتركه الرسالة في نفس وعقل المرسل إليه] ومعرفة النتائج التي أثمرتها الوسيلة . وذلك حتى يتسنى " للمرسل " أن يعيد حساباته أو يعدل مساره ، أو يكمل طريقه ، أو يبدأ من جديد ، أو يتخير وسيلة أخرى مناسبة " (١)

٣ - مستويات الإعلام الإسلامي

المستوى الأول : وهو إعلام الخالق لأتبيائه وسائر مخلوقاته وهذا هو أول أنواع الإعلام وقد كان لهذا الإعلام وسائله وتعددت وسائل الإعلام منها :-

الوحي المباشر قال تعالي (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً .. أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه على حكيم) (٢)
أو الوحي الغير مباشر قال تعالي (فبعث الله غرباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه) (٣)

كما اختلفت أنواع هذا الإعلام من حيث طبيعة الموحى إليه ... فقد كان لغير الأنبياء مثل وحيه سبحانه وتعالى لأم موسى قال تعالي (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) (٤)

وقد يكون لغير البشر مثل وحيه سبحانه وتعالى إلى النحل قال تعالي (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذوا من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون) (٥)

(١) مجلة الأزهر الجزء الثاني عشر ذو الحجة ١٤٠٤ هـ تحت عنوان الإعلام والدعوة الإسلامية الدكتور/محمد كمال الدين

(٣) سورة المائدة آية (٣١)

(٢) سورة الشورى آية (٥١)

(٥) سورة النحل آية (٦٨)

(٤) سورة القصص آية (٧)

المستوى الثاني :- هو الإعلام الذاتي الذي يتم بين المرء ونفسه وصورته ووسيلة التفكير والتأمل وبيئة هذا الاتصال ومجاله العمليات النفسية والعقلية من شعور ووعى وإدراك ووجدان وفكر... الخ (١) قال تعالي (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) (٢)

المستوى الثالث :- الإعلام الجماهيري وقد سبق الحديث عنه في وسائل الاتصال الجماهيري المباشر والغير مباشر .

ثالثاً :- أهمية الإعلام الإسلامي

إنّ العالم الإسلامي لا يعرف الحقائق الإسلامية إلا عن طريق وسائل الإعلام التي تنأى بنفسها عن كل دروب الموضوعية فتأتى أخبارها مشوبة بأهواء النفس ومشاعرها التي تكن كل لوا فح الحقد والحسد على الإسلام فينتج عن هذا تضليل المسلمين .. وتضيق الحقيقة حينذاك ، ولذلك أصبح لزاماً على المسلمين أن ينشئوا إعلاماً إسلامياً يواجه كل هذه الحملات المضادة التي تثار بشأن الإسلام والمسلمين ومن هنا تبرز لنا أهمية الإعلام الإسلامي كقوة ردع تنأى بالإسلام عن كل هذه الدعاوى الحاقدة .

ولمّا كانت أهمية الشيء تكمن في الآمال المعقودة عليه والأدوار المنوطة بتحقيقها والإعلام الإسلامي يتحمل مسؤولية كبرى في حقل الدعوة إذن أنه منوط بتحقيق المهام التالية (٣) :-

١- خلق التعاون مع أجهزة الإعلام في معظم دول العالم شريطة أن يخلق هذا التعاون الفرصة الملائمة لمواجهة الحملات الإعلامية المضادة للإسلام .

(١) انظر مذكرات في الرأي العام والإعلام الدكتور/ عبد الحميد الخير

(٣) سورة الزاريات آية ٢١

(٤) خطب الغزالي جـ ٢ ص ٥٧ بتصرف .

٢- محاولة خلق الكوادر الدعوية التي تمهد لجمع شمل الأقليات المسلمة في الخارج وتوحيد صفوفهم بما يمهد يجعلهم سفراء الإعلام في الدول التي لا تدين بالإسلام .

٣- تصحيح صورة الإسلام في أذهان العالم وتعريف العالم بموقف الإسلام من الديانات الأخرى .

٤- إرساء نظام اتصال إسلامي قوى يحقق الاتصال الدولي .

٥- إقامة المؤسسات والمراكز الدعوية الإسلامية في الخارج (١) ليتسنى لها الدعوة إلى الإسلام بالأساليب والطرق المتاحة .

٦- لكي يتسنى للإعلام الإسلامي تحقيق هذه المهام فإنه لابد أن يأخذ بزمام أمور

ثلاثة: -

الأمر الأول .. الإيمان المطلق بالدور الذي ينبغي أن يؤديه هذا الإعلام الإسلامي .

الأمر الثاني .. الالتزام الصادق بالدور الذي ينبغي أن يؤديه الإعلام الإسلامي .

الأمر الثالث .. العمل المخلص من أجل تحقيق الأهداف النبيلة التي أرادها الله

تعالى

للشعر قال تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) (٢)

وقبل أن ننتهي من مبحثنا هذا نقول : يجب علي الدعاة وكل الجهات الرسمية المعنية بالدين والشريعة الإسلامية أن تناشد المسؤولين عن الإعلام بأن يجعلوا أكثر الحظ وأوفر النصيب لخدمة هذا الدين وهذه الشريعة التي هي دستور قضائنا ومحاكمنا وأن يخلصوا نياتهم لله حتى يصلح المجتمع وتسكب الطمأنينة في قلوب الشعوب وتنأى الشعوب بنفسها عن الخراب والدمار والفساد .

(١) د . محي الدين عبد الحلیم الإعلام الإسلامي مطابع وزارة الأوقاف ١٩٩٢ ص ٨٨ بتصرف .

(٢) سورة آل عمران من الآية ١٩

الباب الثاني التطبيق العلمي للدعوة

ويشتمل على أربعة فصول

- الفصل الأول : الاقتداء بسنن الأنبياء والمرسلين
الفصل الثاني : سير بعض البارزين من الصحابة
والتابعين ودعاة العصر الحديث
الفصل الثالث : الجهاد وأثره في تبليغ الدعوة الإسلامية
الفصل الرابع : المؤسسات الدعوية وأثرها في تبليغ
الدعوة

الفصل الأول

الاقْتداء بسنن الأنبياء

والمرسلين

الباب الثاني

الفصل الأول

الاقتداء بسنن الأنبياء وبخاصة أولي العزم منهم

بين يدي الفصل الأول:

إن أولى العزم من الرسل هم الذين صبروا أمام المحن، وثبتوا أمام النوائب، وخاضوا الامتحان الإلهي معتصمين بقوة إيمانهم بالله تعالى، ويقينهم الخالص، وسمو رسالتهم

كان البلاء شديداً والامتحان معقداً، ولكن عزمهم وعزيمتهم التي منحهم الله إياها كانت السلاح الذي واجه الصعوبات وجابه المواقف بصبر وثبات وكانت النتيجة هي الفلاح والنجاح والفوز برضوان الله وجنته، ولقد مدحهم الله فقال "فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل"

إن بحثي هذا لا يتناول قصة حياتهم وسردها مفصلة وإنما المقصد منه هو التعرض لمنهجهم ومواقفهم مع قومهم في حياتهم الدعوية وما تعرضوا له من الأذى، وصرهم عليه، وذكر بعض أساليبهم التي استخدموها في الدعوة، مع ذكر بعض الصفات التي يجب أن يتصف بها الداعية إلى الله تعالى أثناء دعوته للناس، وربما تعرضت لموقف وأطلت فيه لأخذ العبرة والعظة منه، وكل ذلك لكي يكون نبراساً يستضيء به الداعية خلال دعوته .

دعوة سيدنا نوح

- عليه السلام -

أولاً: - سيدنا نوح عليه السلام

إن نوحاً عليه السلام هو أول رسول أرسله الله إلى الناس وقد ثبت ذلك في الصحيحين حدث أبو حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة .. قال أتى رسول الله صلي الله عليه وسلم يوماً بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منه فهشه فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة. هل تدرون بما ذلك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يتحملون، فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغ بكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلي ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض إيتوا آدم فيأتون آدم. فيقولون يا آدم: أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربك ألا تري ما نحن فيه؟ ألا تري ما قد بلغنا؟ فيقول آدم إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبل مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا إلي غيري ، اذهبوا إلي نوح فيأتون نوحاً فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلي الأرض ، سماك الله عبداً شكوراً فاشفع لنا إلي ربك ألا تري ما نحن فيه؟ ألا تري ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كان لي دعوة دعوت بها علي قومي . نفسي نفسي إلي آخر الحديث) (١)

هذا وقد ورد ذكر سيدنا نوح في ثلاثة وأربعين موضعاً في القرآن الكريم يضيّق

المقام عن سردها.

وأبدأ بذكر قصة نوح مع قومه . بذكر حالة قومه سواء الحالة الاجتماعية أو

الاقتصادية أو الدينية . (٢)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي المجلد الثالث الجزء الثالث ص ٦٩:٦٥ باب الشفاعة

(٢) قصص الأنبياء عبد الوهاب النجار ص ٣١:٣٠ بتصرف

أولا الحالة الاجتماعية :-

كان قوم نوح قد برز فيهم التفاوت الطبقي ، وكان فيهم طبقة السادة وهم المملأ وطبقة العبيد وهم الذين وصفوهم بأنهم الأراذل قال تعالى (فقال المملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أرذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين) (١)

كانوا يحبون الأموال والأولاد وقد حُبس عنهم المطر وعقمت أرحام نسائهم لما كذبوا نوحاً ووعدهم الله إن آمنوا أن يرزقهم الخصب ويرفع عنهم ما هم فيه . فلو كانوا غير محبين للأولاد ما كان نوع من العذاب أن يجرموا الأولاد فترة من الزمن .

ثانياً . الحالة الاقتصادية :-

كان قوم نوح عليه السلام قد تقدموا في العلوم والصناعات . فقد صنعوا التماثيل من الصخر وتقدموا في الزراعة فقد كانت لهم زراعات كثيرة وأيضاً عرفوا النقود .. قال تعالى " ويا قوم لا أسلكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله " (٢)

ثالثاً الحالة الدينية :-

رغم تقدم قوم نوح في الصناعة والزراعة وتقدمهم الحضاري كانوا متخلفين عقائدياً كانوا يعبدون أصناماً لا تضر ولا تنفع ، ورثوا عبادتها عن آبائهم وأجدادهم ورفضوا دعوة نوح الذي مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام ، ولكنهم عائدون ورفضوا الإذعان لدعوة نوح عليه السلام . (٣)

(٢) سورة هود آية (٢٩)

(١) سورة هود آية (٢٧)

(٣) قصص الأنبياء الشيخ/ عبد الروهاب النجار ص (٣١) بتصرف

الدعوة إلى الله تعالى :-

أرسل الله نوحاً إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وترك ما ورثوا عن آبائهم من عبادة للأصنام ، وحذرهم من عذاب الله إن لم يستجيبوا ، وبين لهم طريق النجاة قال تعالى (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذيرٌ مبينٌ ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذابَ يوم أليم) (١) وقال لهم إنكم إن أطعتم وآمنتهم واجتنبتم المعاصي والسيئات سوف تكون لكم العاقبة في الدنيا والآخرة فيغفر الله لكم ذنوبكم ويمتلككم في الدنيا ، وإن لم تستجيبوا فسوف يتزل بكم العذاب ، ويحل عليكم العقاب قال تعالى (قال يا قوم إني لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعوه يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) (٢)

منهج سيدنا نوح في الدعوة إلى الله تعالى :-

لقد سلك سيدنا نوح عليه السلام في دعوته إلى الله ثلاث طرق :-

أولاً :- التذكير

لقد ذكر نوح عليه السلام قومه بنعم الله عليهم والتي بموجب هذه النعم يستحق سبحانه وتعالى العبادة ، فذكرهم بأطوار خلقهم التي بدأت بالتراب وانتهت بإنسان عاقل قال تعالى (مالكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطوار) (٣)

ذكرهم بنعم الله عليهم في الكون من شمس وكواكب وقمر وأرض تنبت لهم غذاء وهم نباتوا من الأرض وسوف يدفنوا فيها بعد الموت ثم يبعثوا من الأرض ، والأرض هذه ممهدة مبسطة سهلة لكي يسلكوا منها طرقاً واسعة ، ويسعوا فيها سعياً جاداً وحثيثاً قال تعالى (ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً) (٤) ، (٥)

(٢) سورة نوح الآيات (٤:٢)

(١) سورة هود آية (٢٥، ٢٦)

(٤) سورة نوح الآيات (١٥: ٢٠)

(٣) سورة نوح آية (١٣)

(٥) مع الأنبياء في القرآن الكريم الدكتور/ عبد الفتاح طيارة ص (٦٢) بتصرف

ثانياً :- التخويف

سيدنا نوح عليه السلام علم أن هناك نفوساً لا تنفع معها الذكرى بل لا بد من تخويف وتهديد ووعيد بأنه إذ لم يرجع عن ما هو فيه فسوف يكون عاقبة العذاب الدمار والهلاك ، وربما كان هذا سبباً في الاستجابة للدعوة . (١)

قال تعالى (إنا أرسلنا نوحاً إلي قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم قال يا قوم إني لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعوه) (٢)

ثالثاً :- الترغيب والترهيب

لقد سلك نوح عليه السلام هذا المسلك لعل القوم يستحيوا فدعا مرغباً ومرهباً .. مرغباً فيما عند الله من مغفرة للذنوب ، ومتاع في الدنيا وتأخير الأجل قال تعالى : (اعبدوا الله واتقوه وأطيعوه يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى) (٣) ومرهباً من عذاب الله إن لم يستحيوا ، وعذاب الله شديد وإذا جاء لا يؤخر ولا يمنع شئ . قال تعالى (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) (٤)

و قال تعالى (إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) (٥)

ماذا رد عليه قومه عندما دعاهم إلى الله تعالى؟ (٦)

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم عبد الفتاح طيارة ص(٦٢) بتصرف

(٢) سورة نوح آية (٤)

(٣) سورة نوح الآيات (٣:١)

(٤) سورة هود آية (٢٦)

(٥) سورة نوح آية (٤)

(٦) المرجع السابق بتصرف

كان رد قوم نوح هو إنكار نبوة نوح -عليه السلام- ولقد أنكروا نبوته لعدة

أسباب :

السبب الأول: أنه إنسان يأكل ويشرب مثلهم قال تعالى (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا) (١) فالنبي في نظرهم يجب أن يكون من الملائكة.

السبب الثاني: من أسباب إنكارهم نبوة سيدنا نوح -عليه السلام- أن الذين اتبعوا نوحا من الضعفاء والفقراء والعمال وأصحاب المهن الوضيعة قال تعالى (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أرذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل) (٢)

السبب الثالث: من أسباب إنكارهم لنبوة سيدنا نوح -عليه السلام- أنه كذاب وليس ذلك الاتهام عن حقيقة وعلم أكيد ولكنه ظن وافتراء على سيدنا نوح -عليه السلام- قال تعالى (بل نظنكم كاذبين) (٣)

وقال تعالى (قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين) (٤)

السبب الرابع: من أسباب إنكارهم لنبوة سيدنا نوح -عليه السلام- العناد والكبر وهذا يعتبر أكبر الأسباب التي تصد الناس عن اتباع الحق، وعدم الإيمان برسول الله تعالى قال تعالى (قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي إلا فرارا وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا) (٥) (٦)

(٢) سورة هود آية (٢٧)

(٤) سورة الأعراف آية (٦٠)

(٦) مع الأنبياء والرسول الدكتور/ عبد الحلیم محمود ص (٩٢) بتصرف

(١) سورة هود آية (٢٧)

(٣) سورة هود آية (٢٧)

(٥) سورة نوح آيات (٧:٥)

صفات سيدنا نوح :-

من الصفات التي جعلت سيدنا نوحاً يستمر في دعوته نذكر هنا منها :
هدوهم وسعة أفقه وعدم انفعاله:

ليس عنده ثورة أو هياج وإنما هي السياسة .. ومناقشة المنطق فعندما اتهمه قومه بأنه في ضلال كان رده عليه السلام .. قال تعالى (قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالة ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون) (١) عندما أنكروا نبوءته معلنين بأنه بشر رد عليهم في هدوء قائلاً قال تعالي (قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون) (٢)

فهو يقول ماذا أفعل معكم إن رفضتم الدعوة هل أكرهكم عليها وأجبركم عليها، وعلى اعتناقها، أنا بشر وقد أعطاني الله النبوة، ولا أريد منكم أجراً على الدعوة وأنا لست ملك ولا أملك خزائن الأرض ولا أعلم الغيب إن أنا إلا رسول من رب العالمين ومن صفات سيدنا نوح -عليه السلام- الثبات والصبر :

لقد ضرب سيدنا نوح -عليه السلام- المثل الأعلى في الثبات وقوة العزيمة لقد صمد أمام قوة الشر والعناد والكفر زهاء عشرة قرون دون أن تلين له قناة أو يضعف أو ييأس .

قال تعالي (واتل عليهم نبأ نوح إذا قال لقومه يا قومي إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركائكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقبضوا إلى ولا تنظرون) (٤)

لقد كان واثقاً في ربه وهذه الثقة كانت زاده في كفاحه لقد ظل يدعو قومه دون أن يترك وسيلة أو أسلوباً تكون سبباً في هداية قومه إلا استخدمها في دعوته وذكر ذلك في تاريخ دعوته الحافلة بالأحداث .

(٢) سورة هود آية (٢٨)

(٤) سورة هود آية (٣٢)

(١) سورة الأعراف آية (٦٢)

(٣) ظلال القرآن ص ٩: ١٣ المجلد ٣ بتصرف

استمرار الدعوة :-

نوح يستمر في دعوته رغم العقبات التي واجهته من قومه فهم قوم عنادٍ وقوم كبر واستعلاء وكفر ، ولكن نوح يحاول أن يقنعهم بدعوته فيحاور ويجادل بالحسنى ولكن العناد القاتل الذي استحکم في نفوس القوم ، رفض المنطق السليم واتهموا نوحاً بأنه يجادل قال تعالى (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثر جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون) (١)

الشكوى إلى الله تعالى :-

بعد أن ضاق نوح ذرعاً بقومه لجأ إلى ربه مستغيثاً به مما يلاقى من قومه من إعراض فقال يا رب إني دعوت قومي إلى الإيمان بك وترك عبادة الأصنام وقد حرصت على دعوتهم لإيمانهم فلم أذع مناسبة إلا وقد دعوتهم فيها سواء بالليل أو النهار فلم يزيدهم حرصي ودعوتي لهم إلى عبادتك وحدك إلا تمرداً وعصياناً (٢)

وإني كلما دعوتهم لعبادتك .. وضعوا أطراف أصابعهم في آذانهم كراهية أن يستمعوا لدعوتي ، وبالغوا في الإعراض فتغطوا بشياهم كي لا يروني ، ولا يسمعوا الدعوة التي أتيتهم بها، وقد أصروا على إعراضهم عن دعوة الله ، وتكبروا عن اتباعي والابتهجاة لي تكبراً عظيماً.

(٢) سورة هود آيات (٣٣، ٣٤)

(١) ظلال القرآن ج ٤ ص (١٨٧٥) بتصرف

وإني يا رب دعوتهم إلى عبادتك مرة بعد مرة . بأساليب مختلفة فحيناً أدعوهم
 جهراً في مجتمعاتهم وحيناً أنفرد ببعضهم سراً، فكنت أقول لهم استغفروا ربكم وتوبوا
 إليه عن الكفر والمعاصي إنه يقبل توبة عباده ويعفو عن السيئات وسيجزيكم على
 توبتكم واستغفاركم فيرسل لكم المطر الغزير الذي يخصب أرضكم بعد جد بها
 ويرزقكم أموالاً تنعمون بها ، ويمنحكم الله بنيناً يشدون أزركم وحدائق غناء وأنهاراً
 تضمن الري لأرضكم (١) .

قال تعالى (قال رب إن دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدتهم دعائي إلا فراراً وإني
 كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا
 استكباراً ثم إني دعوتهم جهاراً ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً فقلت استغفروا
 ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم
 جنات ويجعل لكم أنهاراً) (٢)

(١) مع الأنبياء في القرآن عفيفي عبد الفتاح ص ٦٥، ٦٦ / دار العلم للملايين

(٢) سورة نوح آيات (١٢:٥)

تعرض نوح للتهديد والإيذاء :-

لقد تعرض سيدنا نوح -عليه السلام- للإيذاء من قومه وقد تبرموا من دعوته ورموه بالكذب ووصفوه بأنه مجنون ومنعوه من الدعوة بأساليب كثيرة فخوفوه وهددوه وتوعده بالآذى إن لم يرجع عن دعوته ولكنه صبر ، فهو الصابر المحتسب الذي استحق أن يكون من أولى العزم من الرسل.

قال تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر) (١)

قال تعالى (قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين) (٢)

وسخروا منه وهو يصنع السفينة قال تعالى (ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ

من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون) (٣)

وهذه السخرية وهذا الإيذاء ليس على سيدنا نوح -عليه السلام- فقط ولكن على

موكب الأنبياء والرسل ، فقد تعرضوا جميعاً للإيذاء من أقوامهم قال تعالى (وكم

أرسلنا من نبي في الأولين . وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن) (٤)

وقال تعالى (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون) (٥)

عاقبة المكذبين:

بذل نوح جهده في الدعوة وضافت في وجهه السبل التي سلكها لإصلاح قومه

ووصل إلى طريق مسدود مع قومه فلجأ إلى الله يشكو ظلم العباد لأنفسهم وإيذاءهم له

قال تعالى (قال إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين)

(٦)

(٢) سورة الشعراء آية (١١٦)

(٤) سورة الزخرف آيات (٦، ٧)

(٦) سورة الشعراء آية (١١٨، ١١٩)

(١) سورة القمر آية (٩)

(٣) سورة هود آية (٣٨)

(٥) سورة الذاريات آية (٥٢)

(٦) أنبياء الله في القرآن الكريم عفيف عبد الفتاح ص (٦٧) بتصرف

لقد سأل الله تعالى أن يهلك الكفار ولا يترك منهم أحدا لأنهم إن بقوا فسوف يضلوا الناس قال تعالى (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) (١) ودعوة نوح هذه ليست بأساً ولكن هي نتاج عقل راجح وتفكير سليم ، إن هؤلاء القوم جرائم ضارة لا بد من تخليص المجتمع منها فكانت الدعوة .

وأيضاً أخبر الله سبحانه وتعالى نوحاً أنه لن يؤمن معه أحد بعد الذي آمن معه فقال تعالى (وأوحى إلى نوح إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون) (٢) لقد استجاب الله دعوة نوح وأمره بصنع السفينة لينجو فيها ومن آمن معه ويتزل الله الهلاك على الكفار وصنع نوح السفينة كما أمره الله ، وكانوا يستهزئون منه وهو يصنع السفينة ولكنه صبر على استهزائهم حتى أتم صنع السفينة ، وركب نوح السفينة هو ومن آمن ونزل الماء من السماء وخرج من الأرض ، وحدث الطوفان العظيم الذي قدره الله لهلاك الكفار بدعوة نبيه نوح . ونجا الله نوحاً ومن آمن معه .

وكان من الكافرين ابن نوح عليه السلام ، الذي حاول نوح أن يركبه معه في السفينة لينجو من الغرق ولكنه رفض نداءه ، وتوسل إليه أبوه وأصر على عصيانه وظن أنه سوف ينجو بدون أن يركب في السفينة ، ولكن الطوفان كان شديداً والأمواج كانت عاتية ، جرفت الابن الضال وهنا تأتي شفقة سيدنا نوح على ابنه فسأل ربه ضارعا أن ينجي ابنه ولكن الله تعالى رد على نوح قائلاً إنه ليس من أهلك لأنه كافر وحذر الله نوحاً أن يسأله ما ليس له به علم فيكون من زمرة الظالمين الذين يشفقون على المجرمين في عقاب الله لهم، ندم سيدنا نوح على ما صدر منه وأقر بذنبه . وطلب المغفرة والرحمة . وانتهى الطوفان ورسى السفينة على جبل الجودي ونزل نوح ومن

معه من المؤمنين بسلام وهبط إلى الأرض ليعمرها ويعيد إليها البهجة . (٣)

(١) سورة نوح آية (٢٦، ٢٧)

(٢) سورة هود آية (٣٦، ٣٧)

(٣) في ظلال القرآن ج ٤ ص (١٨٧٩) بتصرف

لقد ذكر الله تعالى هذه القصة كاملة في سورة هود قال تعالى:

(وأوحى إلي نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون* واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون* ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون* فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم* حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل* وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم* وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يلبسني اركب معنا و تكن مع الكافرين* قال سآوي إلي جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل يارض ابلي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت علي الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين* ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين* قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين* قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين* قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم*) (١)

ما يستفاد من دعوة نوح عليه السلام :-

من المؤكد أن قصة سيدنا نوح مع قومه تحمل من الدروس والعبر والعظات التي ينبغي على الدعاة التزود بها في حياتهم الدعوية حتى تؤدي دعوتهم ثمارها المرجوة. ويصلوا إلى ما يريدون من استجابة المدعوين لهم .

أولا الإيمان الكامل بالله والوفاء والإخلاص في الدعوة إلى الله والداعية إلى الله لا بد أن يكون في قلبه إيمان كامل بالله لا يخاف لومة لائم ولا يخشى ذل سلطان . ولا بد أن يتأكد في فؤاده أنه يقوم على الحق وأن الموت والحياة والرزق والأجل والنفع والضرر لا يأتي أحدا إلا بإذن الله . وأن يحرص الداعية على إظهار الحق أمام جميع الناس سواء قبلوا أم رفضوا أحبوا أم كرهوا وبهذا الإيمان تحدى نوح عليه السلام قومه (١) وقال لهم قال تعالي (واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم افضوا إلى ولا تنظرون) (٢)

ثانيا تأدية الواجب وترك النتيجة لله :-

ظل نوح عليه السلام يدعو تسعمائة وخمسين عاما فأمن به قليل من الناس في هذه المدة . وذكر ابن كثير في البداية أن عددهم ثمانون نفسا معهم نساءهم (٣) . هذه حصيلة دعوة استمرت قرابة ألف سنة ، دعاء بالليل والنهار استعمل فيها شتى فنون القول ، وبذل فيها كل جهده ، ولكن بعد هذا الجهد الطويل الذي بذله نجد أن الحصيلة قليلة ، فهل هذا يكون سببا في اليأس والإحباط ؟ كلا إن الدعوة إلى الله تعالي لا يحدث لهم مثل ذلك لأنهم يؤدون ما عليهم ويتركون النتيجة لله تعالي .

(١) قصص الأنبياء عبد الوهاب النجار ص (٣٣) بتصرف

(٢) سورة يونس آية (٧١)

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص (١١١) بتصرف

ثالثاً: - إقامة العلاقة بين الداعية والمدعو على أساس الحب في الله تعالى:

إن رابطة العقيدة هي أخلد الروابط وأدومها وأعظمها، وما عدا رابطة العقيدة فسوف ينقطع ويذهب أدراج الرياح، فرابطة النسب ورابطة القومية ورابطة الوطن كله ينتهي ويتلاشى أمام رابطة العقيدة.

لما أخذت سيدنا نوحاً -عليه السلام- عاطفة الأبوة عندما رأى ابنه يغرق ونادى ربه قائلاً (إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) وجاء الرد عليه من قبل الله تعالى (قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح) هذه هي الحقيقة التي لا بد أن يعلمها الجميع أن قرابة النسب تنتهي وتموت إذا لم يكن هناك إيمان. (١) وعلى ذلك لا بد أن يتعامل الدعاة مع من يدعوهم وقيموا علاقتهم على أساس الحب والبغض في الله تعالى وليس على أساس القرابة والنسب.

رابعاً: القلة المؤمنة في معية الله تعالى دائماً.

الإيمان بالله تعالى ليس أمراً هيبناً إنه القوى الكبرى والحقيقة العظمى في هذا الوجود والمؤمنون بالله تعالى هم أولياء الله وحزبه، ويتضح هذا الأمر، ويتجلى هذا الشأن في أتباع سيدنا نوح -عليه السلام- رغم أنهم كانوا قليلاً العدد ضعاف الشأن ولكن هذه القلة المؤمنة كانت في معية الله تعالى، فنصرهم الله تعالى بطوفان أهلك به الكفار وأنجى هذه الفئة المؤمنة وحدها في سفينة تجري على موج كالجبال لا شبيه له، فسبحان من أجرى هذه السفينة على هذا الموج دون أن تغرق، إنها معية الله تعالى التي تكون دائماً مع المؤمنين. (٢)

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم عفيف عبد الفتاح طباره ص (٨٠) وما بعدها بتصرف

(٢) مع الأنبياء والرسول الدكتور/ عبد الحليم محمود ص (٨٩) وما بعدها بتصرف

خامسا: التوفيق بين الطبقات:

عرض القرآن الكريم لطبيعة المجتمع الإنساني الذي ينقسم دائما إلى طبقات طبقة الأشراف والأغنياء وهم الذين يعرفوا حاليا باسم الإقطاعيين والبرجوازيين، وطبقة العمال والفقراء وهم يعرفون باسم طبقة البروليتاريا.

وفي قصة نوح يضور لنا القرآن أن الطبقة الفقيرة العاملة هي التي تستجيب لدعوة الرسل لما فيها من عدالة ومساواة ورحمة، تسوى بينهم وبين الأغنياء وتنصفهم ممن يظلمهم ويستغلهم ولكن طبقة الأشراف والأغنياء تمردت على دعوة نوح وخاطبته بهذا الكلام وأمثاله قال تعالى (ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أرذلنا بادي الرأي) (١)

وهذا القول الذي يصف تفكيرهم الذي امتزج بالكبرياء والبطر كما يخاطبون الطبقة الفقيرة قال تعالى (وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين) (٢) أي أنهم أفضل منهم، فلا مجال لأن يلتقوا معهم عند أي معتقد أو كفاح مشترك ويظهر أن طبقة الأشراف قد وعدت نوحا بأن تجتمع وتتقبل دعوته إذا طرد هؤلاء العمال والفقراء من مجلسه ومعيته، ولكن نوحا أبا ذلك وأجابه قائلا (وما أنا بطارد الذين آمنوا إهم ملاقوا رهم ولكني أراكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصروني من الله إن طردتهم أفلا يفتكرون) (٣) ثم يتابع سيدنا نوح -عليه السلام- تنفيذ مزاعمهم قال تعالى (ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين) (٤)

(١) سورة هود آية (٢٧)

(٢) معالم الدعوة الدكتور/ إبراهيم حامد الأنصاري ص (٦٠:٥٠) بتصرف

(٣) سورة هود آية (٣٠)

(٤) سورة هود آية (٣١)

سادسا: قوة العزيمة والصبر

هذه الصفة بالذات يضرب سيدنا نوح- عليه السلام- فيها أروع الأمثلة، فلقد دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، دعاهم ليلا ونهارا وسرا وجهرا وفردا وجماعات دعوة متواصلة دون توقف أو ملل أو سأم، ولكنهم رفضوا دعوته جملة وتفصيلا، بل إنهم رفضوا حتى الاستماع إليه، أو النظر إليه، وتعرضوا له بالأذى فرموه بالجنون تارة وبالكذب تارة أخرى، وصفوه بالضلال والافتراء، تعرضوا له بالسخرية وهو يصنع السفينة، وهو في كل هذا صابر محتسب مطمئن لنصر الله له، واثق أن الله معه، وبذلك استحق أن يكون من أولي العزم من الرسل (١).

سابعا: الثورة على القرابات الفاسدة.

إن القرابة مهما اشتدت فإنها لا تغني عن الإنسان سيئ العمل شيئا، فها هو سيدنا نوح- عليه السلام- تأخذه الشفقة والعاطفة والرحمة على ولده فيطلب من ربه أن ينجي ولده الكافر من الغرق، فيعاتبه ربه على ذلك، ويعتبر طلبه هذا من أعمال الجاهلين، الذي لا يليق أن يتصف به سيدنا نوح- عليه السلام- إذاً النجاة في الآخرة لن تكون بالقرابة أو بالشفاعة من أحد لأحد مهما كانت درجة القرابة، بل بالعمل فقط ولقد أهلك الله تعالى أيضا زوجة سيدنا نوح- عليه السلام- وضرب بها مثلا في القرآن اوضح فيه أن القرابة مهما اشتدت لا يمكن أن تغني عن الإنسان سيئ العمل شيئا (٢).

هذه هي قصة سيدنا نوح- عليه السلام- بما فيها من عبر وعظات أضعها بين يدي الداعية لتكون نبراسا يضيء له الطريق فيمشي على هديه وصدق الله العظيم إذا يقول (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) (٣) وقال تعالى (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) (٤).

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم / عفيف عبد الفتاح ص (٨٠) بتصرف (٢) المرجع السابق ص (٨١) بتصرف

(٤) سورة الممتحنة آية (٦)

(٣) سورة الأنعام آية (٩٠)

دعوة سيدنا إبراهيم

- عليه السلام -

ثانيا: سيدنا إبراهيم - عليه السلام

متزلة سيدنا إبراهيم - عليه السلام:-

سيدنا إبراهيم - عليه السلام له متزلة عظيمة عند معتنقي الأديان الثلاثة الإسلام واليهودية والنصرانية، ويذكر اسمه دائما مقرونا بالإكرام والإجلال والتوقير.

هو خليل الله وواحد من أولي العزم من الرسل الذين صبروا أمام المحن، فقد جاهد في سبيل الدعوة لعبادة الله تعالى وتوحيده، وعرض نفسه للهلاك في سبيل العقيدة التي آمن بها، وكانت حياته سلسلة من التضحيات لربه، وكانت دعوته مثالا حيا لكافة الأمم.

هو أبو الأنبياء فكل نبي جاء من بعده هو من ذريته وشيعته، وكل كتاب أنزل من السماء على رسول بعده نزل على واحد من أبنائه، وهذه متزلة لا تعلق عليها متزلة (١).

فقد كان لسيدنا إبراهيم - عليه السلام - ولدان اصطفاهما الله بالنبوة هما سيدنا إسماعيل - عليه السلام - وهو جد النبي - صلى الله عليه وسلم - وجد العرب وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك قال تعالى (وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل) (٢).

أما سيدنا إسحاق - عليه السلام - فقد رزقه الله بولد هو سيدنا يعقوب - عليه السلام - وهو الذي يلقب بإسرائيل وإليه ينسب سائر أسباط بني إسرائيل، وهؤلاء الأسباط كان منهم كثير من الأنبياء وختموا بسيدنا عيسى بن مريم - عليه السلام - الذي قال لأتباعه كما يروي الإنجيل [إبراهيم أبوكم ابتهج حتى يرى يومى فرأى

وفرح] (٣)

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ١ ص (١٦٧)

(٢) سورة الحج آية (٧٨)

(٣) إنجيل يوحنا الإصحاح ٨ - ص (٥٦)

وقد أشار القرآن الكريم إلى أبوة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- لجميع الأنبياء الذين جاءوا من بعده قال تعالى (ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين *وزكريا ويحي وعيسى وإلياس كل من الصالحين* وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلا على العالمين) (١)

من هذا النص القرآني يتضح لنا أن سيدنا إبراهيم -عليه السلام- هو جد المسلمين واليهود والنصارى على السواء (٢)

خصائص الرسالة ومؤهلاتها عند سيدنا إبراهيم:

الله سبحانه وتعالى اختار رجالاً من بين خلقه وخصهم بتحمل الأمانة وهداية الناس إلى رب العالمين ، وقد شاء الله تعالى أن يكون لهؤلاء الرسل من المؤهلات والصفات ما ليس لغيرهم من الناس حتى يكونوا أهلاً للمهمة التي حملوها في أعناقهم وقد كان لئبي الله إبراهيم -عليه السلام- الكثير من هذه الصفات التي حباها الله تعالى بها ، وسوف نكتفي بالحديث عن أبرز هذه الصفات والمؤهلات في حياة سيدنا إبراهيم -عليه السلام- :- (٣)

(١) سورة الأنعام آيات (٨٤:٨٦)

(٢) مع الأنبياء في القرآن الكريم / عبد الفتاح طبارة ص (١٠٥)

(٣) أبو الأنبياء ومنهجه في الدعوة إلى الله الدكتور/ محمود على حمادة ص (٤٠) بتصرف

أولا الرشد:

هي أولى الخصائص التي منحها الله سيدنا إبراهيم وكان لها كبير الأثر في أقواله وأفعاله وقد أخبرنا الله تعالى أنه أنعم على عبده إبراهيم بهذه النعمة العظيمة قال تعالى

(ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) (١)

ومعنى الرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه .

والرشيد في صفات الله تعالى الهادي إلى سواء الصراط والذي حسن تقديره فيما

قدر (٢)

وقيل الرشد نقيض الغي - ورشد الإنسان بالفتح والضم وبالكسر وهو نقيض الضلال إذا أصاب وجه الأمر والطريق وقد ورد في الحديث عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى) وقال تعالى (يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد) أي سبيل

القص (٣)

ومن هذا يتبين لنا أن الرشد هو إصابة الحق والاستمسك به والحرص عليه وجمهور المفسرين يذكر أن الرشد هو الاهتداء إلى وجوه الصلاح في الدنيا والدين والمعنى متقارب بين ما قالوه وما ذكر في المعاجم .

وقال الأستاذ البهي الخولي (والرشد رشدان أما أحدهما فحالة الإدراك التي يميز بها المرء بين ما يصلح معاشه وما يضره وهو المعنى في قوله سبحانه في القاصرين من الأيتام (فإن أنستهم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم) (٤)

والرشد درجة رفيعة من إدراك البصيرة يهتدي بها المرء إلى حقائق الوجود ويميز بها قيم المعنويات فلا يشتهه عليه حق باطل ولا زيف رخيص بقيم نفيسة، وهذا هو الرشد الذي هدى الله سيدنا إبراهيم إليه .

(٢) القاموس المحيط ج ١ ص (٢٩٤)

(٤) كتاب آدم عليه السلام-الأستاذ/ البهي الخولي ص (١٠١)

(١) سورة الأنبياء آية (٥٢)

(٣) لسان العرب ج ٤ ص (١٥٦)

قد كان الرشد له أثره الواضح في حياة سيدنا إبراهيم-عليه السلام- تلمس ذلك في أقواله وأفعاله، عندما ينظر في صفحة الكون فيقرأ فيها ما لله من صفات القدرة والعلم والوجود وغير ذلك، فيجزم أن لهذا الكون ربا غير هذه الكواكب التي تغيب، والقمر الزائل، والله لا يغيب، وهذا هو الرشد الحقيقي، ويظهر الرشد عندما يطلب الله تعالى منه ذبح ولده فلذة كبده فيستجيب في رضا وتسليم لا لشيء إلا لأن الله تعالى أمره، وهذه هي غاية الطاعة والرشد. (١).

ثانيا كونه أمة:

يصف الله تعالى سيدنا إبراهيم-عليه السلام- فيقول تعالى (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين) (٢) ذكر الأصفهاني في مفرداته لغريب القرآن أن المراد بها أنه صلوات الله وسلامه عليه كان قائما مقام جماعة في عبادة الله نحو قولهم فلان في نفس القبيلة (٣).

ويقول الفخر الرازي في تفسير كلمة أمة وجوه :

الوجه الأول : أنه كان وحده أمة من الأمم لكمال صفات الخير .

الوجه الثاني : قال مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان وحده أمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله أمة وحدة

الوجه الثالث: أن يكون أمة يؤتم به ودليله قوله إني جاعلك للناس إماما (٤)

لقد بلغ سيدنا إبراهيم من الكلمات في صفات الخير ما استحق به أن يكون أمة وحده فكل ما تفرق في الناس من خلال طيبة وشيم مرضية وخلق طاهر قد جمعه الله تعالى لنبيه إبراهيم-عليه السلام- وبذلك صار أمة في الدعوة إلى الله تعالى.

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد .

(١) أبو الأنبياء ومنهجه في الدعوة إلى الله الدكتور/محمود علي حمادة ص (٤٥:٤٧) بتصرف

(٢) سورة النحل آية (١٢٠) (٣) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص(٢٣)

(٤) تفسير الفخر الرازي ج(٢٠) ص(١٤٣)

ثالثاً رؤية الملوك :

يذكر القرآن الكريم أن الخليل -عليه السلام- من الله عليه فأراه ملكوت السماوات والأرض فقال جل شأنه (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين) (١)

والملكوت يراد به الملك وزيدت الواو والتاء للمبالغة في الصفة واختلف العلماء في الرؤية هل هي بالعين أم بالبصيرة والعقل؟ فذهب بعضهم إلى أنها كانت بالعين وأن الله سبحانه شق له السماوات حتى رأى العرش والكرسي وما فيها من عبادة الملائكة والعجائب وشق له الأرض حتى رأى ما فيها من عصيان بني آدم .

والرأي الآخر أن هذه الرؤية كانت بعين البصيرة والعقل واحتج القائلون بما يأتي:

أولاً: أن ملكوت السماوات عبارة عن ملك السماء والملك عبارة عن القدرة وقدرة الله لا ترى وإنما تعرف بالعقل. وهذا التقدير يضيع لفظ الملكوت ولا يحصل منه فائدة.

ثانياً: أنه تعالى ذكر هذه الإراءة في أول الآية على سبيل الإجمال فسرهما بعد ذلك بقوله (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا) فترى ذكر هذا الاستدلال كالشرح والتفسير لتلك الإراءة

ثالثاً: أنه تعالى قال في آخر الآية (ولتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه) والرؤية بالعين لا تصير حجة على قومه لأنهم كانوا غائبين عنها وإنما كانت الحجة التي أورددها سيدنا إبراهيم على قومه في الاستدلال بالنجوم وتلك الأدلة كانت ظاهرة لهم .

رابعاً: أنه سبحانه وتعالى قال في حق إبراهيم عليه السلام (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض) قال في حق هذه الأمة (سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم) فكما كانت هذه الإراءة بالبصيرة الباطنة لا بالبصر الظاهر وكذلك كانت في حق إبراهيم -عليه السلام- (٢).

(٢) المرجع السابق ص (٥٠) وما بعدها بتصرف

(١) سورة الأنعام آية (٧٥)

خامسا: أن اليقين عبارة عن العلم المستفاد بالتأمل إذا كان مسبوqa بالشك وقوله (ليكون من المؤقتين) كالغرض من تلك الآراء ويصير تقرير الآية نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض لأجل أن يصير من الموقنين فلما كان اليقين هو العلم المستفاد من الدليل وجب أن تكون تلك الآراء عبارة عن الاستدلال وهذا يرجح أن الرؤية كانت بالعقل والفكر . (١)

ومن الصفات التي وصف الله تعالى بها سيدنا إبراهيم - عليه السلام - في القرآن الكريم قال تعالى (إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين * شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم * وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين) (٢) فقد وصفه تعالى بأنه حنيف ولم يك من المشركين أي أنه كان موحدا ومخلصا له العبادة ولم يجعل لله شريكا من خلقه ، وهو قانت أي خاشع مطيع له قائم بأمره ، كما أنه كان شاكرا لأنعم الله عليه ولذلك استحق هذه المترلة لاختياره لحمل رسالة ربه وتبليغها ، وهداه أيضا لصراطه المستقيم التي توصل في النهاية لرضى الله تعالى عنه ، ولم تقف العطايا عند هذا الحد بل أعطاه أجره في الدنيا وهو الذكر الحسن ، بل جعله إماما للناس يقتدون به ويتبعون سيرته ويسيروا خلفه وهذه درجة عالية قال تعالى (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما) (٣) وصفه أيضا بالصدقية قال تعالى (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا) (٤) وصفه تعالى بأنه وفي بجميع ما أمره الله تعالى به من خصال الإيمان وشعبه قال تعالى (وإبراهيم الذي وفي) (٥) وفي النهاية وصل سيدنا إبراهيم - عليه السلام - إلى درجة الخلق وهي أعلى درجات الحب وهو المحب الذي لا خلل في محبته قال تعالى (واتخذ الله إبراهيم خليلا) (٦) وسيكون في الآخرة من زمرة الصالحين المنعمين في جنات الله . (٧)

(١) أبو الأنبياء ومنهجه في الدعوة الدكتور / محمود علي حمادة ص (٥٣) بتصرف

(٢) سورة النحل آيات (١٢٠: ١٢٢) (٣) سورة البقرة آية (١٢٤) (٤) سورة مريم آية (٤١)

(٥) سورة النجم آية (٣٧) (٦) سورة النساء آية (١٢٥)

(٧) مع الأنبياء في القرآن الكريم / عفيف عبد الفتاح ص (١١٩: ١٣١) بتصرف - قصص الأنبياء لابن كثير ص (١٧٤) وما بعدها بتصرف

جواهر دعوة سيدنا إبراهيم - عليه السلام:

إذا نظرنا إلى دعوة سيدنا إبراهيم - عليه السلام - نراها مثل أي دعوة سابقة أو لاحقة تدعو لإفراد الله تعالى بالعبادة وتوحيده، وهذه كانت دعوة الرسل جميعاً قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) (١)

فدعوة سيدنا إبراهيم - عليه السلام - كانت مثل باقي الأنبياء فقد دعا قومه لعبادة الله تعالى وترك عبادة الأصنام قال تعالى (وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) (٢)

ولكن نجد أن دعوة سيدنا إبراهيم - عليه السلام - لم تقتصر على عباد الأصنام ولكن دعا عبدة الكواكب الذين اتخذوا النجوم أرباباً من دون الله فجادلهم ودعاهم لعبادة الله وحده الضار النافع الخالق الرازق المحي المميت، ودعا أباه لعبادة الله تعالى وترك عبادة الأصنام، وجادل الملك الذي كان يدعي الألوهية من دون الله تعالى ووضح له أنه عبد مخلوق لا يملك لنفسه شيئاً ولا لغيره .

قال تعالى (أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون) (٣)

وقال تعالى (إنما تعبدون من دون الله آوثاناً وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون) (٤)
وقال تعالى (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً) (٥)
إذاً نجد أن دعوة سيدنا إبراهيم كانت شاملة ولم تقتصر على عبادة الأصنام فقط (٦)

(٢) سورة العنكبوت آية (١٦)

(٤) سورة العنكبوت آية (١٧)

(٦) المرجع السابق بتصرف

(١) سورة الشورى آية (١٣)

(٣) سورة الصافات آية (٩٥)

(٥) سورة مريم (٤٢)

دعوته لأبيه:

لقد اتجه سيدنا إبراهيم أول ما اتجه إلى أبيه وكان حريصاً على هدايته محباً لصلاحه بل إن من حق أبيه أن يدعو لعبادة الله وحده فأخذ يدعو بأسلوب رقيق بلغ الغاية في الأدب قال تعالى (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً قال أرغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً قال سلام عليك سأستغفر لك رب إنه كان بي محضياً (١)

لقد شرح لأبيه أنه مرسل من قبل الله تعالى وأنه يعلم عن الله ما لا يعلمه أبوه وأنه يدعو إلى الله وأن من اتبعه فإنما يتبع الطريق الذي رسمه الله للهداية والرشد وشرح لهم أن عبادة الأصنام إنما هي اتباع لإغواء الشيطان وسير في طريق إبليس فهي في الواقع عبادة لإبليس نفسه لأنه الذي زين هذا الطريق وحببه إلى نفوس الضالين ثم بين أن مآل العصاة أن يحل بهم عذاب الله وأنه يخاف على أبيه أن يمسه عذاب منه من أجل ذلك يدعو إلى سلوك طريق الله معه وعبادة الله وحده ولكن الألف والعادة كانا قد تمكنا من نفس أبيه فأمره أن يذهب عنه وأن يفارقه إذا لم يكف عن دعوته تلك.

ما كان إبراهيم عليه السلام -أحمق ولا سفيهاً وما كان عاقلاً لأبيه ومن أجل هذه الصفات الكريمة التي فطر عليها سيدنا إبراهيم عليه السلام كان الجواب منه أن قال لأبيه سلام عليك أي أنا بالنسبة لك سلام تام فلن أسي إليك ولن أورد عليك بما تكره بل بالعكس سوف استغفر لك رب عسى ربى أن يغفر لك ويتوب عليك فإن الله كلن بي لطيفاً وهو بعباده لطيف (٢).

(١) سورة مريم آيات (٤١:٤٧)

(٢) مع الأنبياء والرسل الدكتور/ عبد الحليم محمود ص (١١٩:١٢١) بتصرف

ومع ذلك لن أدنس جبھتي بالسجود لصنم وإنما سأتجه بعبادتي ودعائي إلى الله وحده وأرجو أن أنجو من عذابه فلن أكون بدعاء ربي شقياً .
واستمر سيدنا إبراهيم يستغفر لأبيه برأ به وشفقة عليه حتى تبين له أنه عدو الله كف عن الاستغفار وتبرأ منه (١)

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم قال: يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قتره وغبه فيقول له إبراهيم ألم أقبلك لا تعصني؟ فيقول له أبوه: فالיום لا أعصيك . فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فأني خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين . ثم يقال يا إبراهيم ما تحت رجلك؟ فينظر فإذا هو يذبح متلطح فيؤخذ بقوامه فيلقى في النار (٢)

بعد هذا العرض لدعوة سيدنا إبراهيم لأبيه نجد أنها احتوت على:-

أولاً: الأدب الجم الذي لازم نبي الله عليه السلام في دعوته لأبيه فهو مثال للابن البار بأبيه الذي لا يريد إلا الخير فهو لم يقس عليه في الخطاب ولم يعنفه ولم يزرجه بل خاطبه بالطف عبارة وأحسن إشارة انظر كيف استهل إبراهيم كلامه عند كل نصيحة يقول يا أبت توسلاً إليه واستعطافاً لقلبه مع استعمال الأدب الجم (٣) لقد حاول سيدنا إبراهيم عليه السلام بهذا الأسلوب الرائع أن يهدى من ثورته حتى يستجيب لدعوته ويتبع رسالته يقول الإمام الفخر الرازي في تفسير (أورد عليه السلام هذا الكلام الحسن مقروناً بالطف والرفق فإن قوله في مقدمة كل كلامه يا أبت دليل على شدة الحب والرغبة في صونه عن العقاب وإرشاده إلى الصواب وختم الكلام بقوله إني أخاف وذلك يدل على شدة تعلق قلبه بمصالحه وإنما فعل ذلك لوجوه:

(١) المرجع السابق ص (١٢١) بتصرف

(٢) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء حديث رقم (٣١٠١)

(٣) مع الأنبياء في القرآن الكريم ص (١٠٩) بتصرف

الوجه الأول:

قضاء لحق الأبوة وإحسانه به والإرشاد لدين الله من أعظم أنواع الإحسان .

الوجه الثاني:

إن الهادي إلى الحق لا بد أن يكون رفيقا لطيفا يورد الكلام لا على سبيل العنف لأن إيراده على سبيل العنف يصير كالسبب في إعراض المستمع .

الوجه الثالث:

ما روى أبو هريرة-رضي الله عنه- أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال: [أوحى الله إلي إبراهيم-عليه السلام- أنك خليلي فحسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مدخل الأبرار فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله تحت عرشي وأن أسكنه حظيرة قدسي وأدنيه من جوارى] (١)

ثانيا :

الحلم وسعة الصدر الذي كان يتمتع بهما خليل الله-عليه السلام- فقد ما كان يخاطب أباه ويدعوه بالرفق واللين بقدر ما كان أبوه في غاية الفظاظة والقسوة، فهو يناديه بأرق كلمة يا أبت وهو لم يقابلها بقوله يا بني، بل لجأ إلى طريق التهديد والوعيد وقال له إن لم ترجع عن سب آلهتي فسوف أرحمك واهجرني، ولكن سيدنا إبراهيم-عليه السلام- لم يفقد خلقه أو عيّل صبره أمام هذا الجفاء .

وهكذا العظماء من الرجال ومنهم سيدنا إبراهيم-عليه السلام- لا يتخلون عن أدهم وحلمهم ولو في أخرج الساعات ومع أجهل الجهلاء . (٢)

(١) تفسير الرازي ج ٢١ ص (٢٢٦، ٢٢٧)

(٢) المستفاد من نص القرآن ج ١ ص (٢٠٩) بتصرف

ثالثاً:

لما كان سيدنا إبراهيم-عليه السلام-مطيعاً لوالده في غير معصية حلماً معه باراً به أكرمه الله بابنه إسماعيل-عليه السلام-الذي ضرب أروع الأمثلة في الطاعة لأبيه والسير به، فهذا هو سيدنا إبراهيم-عليه السلام-يقول له إني أرى في المنام أني أذبحك فيرد عليه بالكلمة التي نادى بها إبراهيم-عليه السلام-أباه يا أبت افعل ما تؤمر قال تعالي (فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) (١)

وهكذا كما فعل إبراهيم-عليه السلام-مع أبيه فعل معه ابنه إسماعيل-عليه السلام-وتلك سنة الله تعالي التي لا تتبدل ولا تتغير .

رابعاً:

نلاحظ أيضاً أن سيدنا إبراهيم-عليه السلام-حاول أن يقنع أباه وقومه أن يتركوا عبادة الأصنام لأنها لا تنفع ولا تضر ولا تغني شيئاً، ولكن أباه كما رأينا أصر على الضلال واستحب العمى على الهدى، ولم يستمع لنصح ابنه المشفق، وما كان من إبراهيم-عليه السلام-إلا أنه اعتزلهم وتبرأ منهم ومن آهنتهم، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، لقد عوض الله سيدنا إبراهيم-عليه السلام-بأهل هم غاية في الصلاح والتقوى بل هم الأنبياء، فقد وهب الله تعالي إسماعيل وإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب-عليهم جميعاً السلام-والله واسع العطاء وهو لا يضيع أجر المحسنين (٢).

خامساً:

استعمل سيدنا إبراهيم-عليه السلام-مع أبيه أسلوب الوعظ باللسان فلما لم يفلح معه لم يلجأ إلى اليد كما فعل مع قومه عباد الأصنام، وإنما لجأ إلى العزلة والابتعاد عنه ومقاطعته وهذا هو الإنكار بالقلب وهو ما يملكه سيدنا إبراهيم-عليه السلام-مع أبيه لأن الوالدين لهم حق الاحترام والطاعة حتى ولو كانوا كافرين .

(٢) مع الأنبياء في القرآن الكريم /عفيف عبد الفتاح طبار ص (١٠٩) بتصرف

(١) سورة الصافات آية (١٠٢)

دعوة سيدنا إبراهيم - عليه السلام - لعبدة الكواكب:

قص الله تعالى علينا في القرآن الكريم موقف سيدنا إبراهيم - عليه السلام - من عبدة الكواكب والطريقة التي سلكها معهم .

قال تعالى (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين * فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الإفلين * فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدي ربي لأكونن من القوم الضالين * فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون * إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين * وحاجه قومه قال أتجاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيئا علما أفلا تتذكرون * وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون * الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون * وتلك حجتنا آتيناهم إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم) (١)

لقد اختلف المفسرون في قول سيدنا إبراهيم - عليه السلام - (هذا ربي) فمنهم من قال: هذا ربي في زعمكم واعتقادكم، ومنهم من قال: المراد منه الاستفهام على سبيل الإنكار، ومنهم من قال: أن القول مضمّر تقديره: يقولون هذا ربي، ومنهم من قلل: إن إبراهيم - عليه السلام - قال هذا الكلام على سبيل الاستهزاء، احتقاراً للعقول

هؤلاء الذين يعبدون الكواكب من دون الله .

يقول الفخر الرازى فى تفسيره :

١. إن القول بربوبية النجم كفر بالاجماع والكفر غير جائز بالاجماع على الانبياء .
 ٢. إن ابراهيم - عليه السلام - كان قد عرف ربه قبل هذه الواقعة بدليل أنه قال لأبيه أزر أتخذ أصناما آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين .
 ٣. إنه دعى أباه للتوحيد وكان هذا قبل دعائه قومه لعبادة الله تعالى .
 ٤. إن الكواكب ظاهرة الحدوث من خمسة عشر وجها وأن أقل الناس عقلا يعرفها .
 ٥. إن هذه الواقعة كان السبب منها هو المناظرة والدليل فى آخر الآيات قوله تعالى (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه) .
 ٦. إنه عليه السلام أراد أن يستدرج قومه وهى مهارة من نبى الله حتى يقيم عليهم الحجة ، ويملى عليهم عقيدته الصحيحة بعد أن وضع لهم فساد ما يعبدون (١).
- لقد اختار سيدنا ابراهيم - عليه السلام - اسلوبا حكيمًا لدعوة قومه فهو لم يحقر معبوداتهم ولم يسفه معتقداتهم فى بادى الأمر فينفروا منه ويخاصموه ويصموا آذانهم عن سماع حجته ، بل جارهم فى معتقداتهم لينال ثقتهم وليكون لكلامه وقع فى نفوسهم يستطيع بعد ذلك أن ينفذ إلى قلوبهم ، ويبين موضع الخطأ فى معتقداتهم فيسمعوا له (٢).

(١) تفسير القرطبي ج ٧ ص ٢٩

(٢) مع الأبياء فى القرآن الكريم عرف عبد الفتاح ديار ص ١٧٧ بتصرف

لقد جلس سيدنا إبراهيم - عليه السلام - مع هؤلاء الذين يعبدون الكواكب وما أن أشرف أول كوكب حتى أشار إليه سيدنا إبراهيم - عليه السلام - مفترضا أنه الله فهش الجميع وبشوا وبدأ على وجوههم الأنس به والمودة له ، إنهم يعرفونه رجلا ناضجا حكيما وهاهو ذا يعترف بألتهم .

وأخذوا يتطلعون إلى الكوكب فى مسيره ثم انحداره إلى المغيب ، ثم هاهم أولاء يرونه قد زال عن أعينهم واختفى ، وبدأ الامتعاض على وجه سيدنا إبراهيم - عليه السلام - وقال لا أحب الأفلين ، لا أحب إلا الحاضر باستمرار أما ما يغيب ويختفى ويزول فإننى لا أقده ولا أعتبره إلها .

وبدءوا يفكرون ويتشككون ويضيقون زرعاً بألتهم ، وأبت العادات أن يستجيب العقل والمنطق فكان الضيق ، ولكن سيدنا إبراهيم - عليه السلام - فاجأهم بما خفف عن عقولهم بان نظر للقمر وقال هذا ربي ولكنه زال ثم نظر للشمس فزالت وفى النهاية خالص سيدنا إبراهيم - عليه السلام - إلى أن العقيدة الصحيحة هى الخالية من جميع الشرك المعروف ، وأن التوجه ينبغى أن يكون لله فاطر السماوات والأرض (١).

(١) مع الأنبياء والرسل الدكتور / عبد الحليم محمود ص ١٤٢ وما بعدها بتصريف

دعوة سيدنا إبراهيم-عليه السلام- لعبدة الأصنام:

قال تعالي (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين* إذ قال لبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون* قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين* قال لقد كنتم أنتم وأباؤكم في ضلال مبين* قالوا أحيئنا بالحق أم أنت من اللاعبين* قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين* وتعالى لا يكدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين* فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون* قالوا من فعل هذا بأهتنا إنه لمن الظالمين* قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم* قالوا فأتوا به أعين الناس لعلهم يشهدون* قالوا أنت فعلت هذا بأهتنا يا إبراهيم* قال بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم إن كانوا ينطقون* فرجعوا إلي أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون* ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون* قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم* أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون* قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين* قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم* وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخرسين) (١)

لقد واجه سيدنا إبراهيم-عليه السلام- قومه بكلام يدل على الرشد والوعي الذي منحه الله تعالي إياه، فهو ينكر عليهم انكباهم الدائم على الأوثان التي لا تضر ولا تنفع ولا تملك من أمرها شيئا .

لما سأهم سيدنا إبراهيم-عليه السلام- هذا السؤال الذي يدل على الاشمزاز والضييق الذي يحس به أمام هؤلاء الناس الذين امتهنوا عقولهم وراحوا يعكفون على أوثان صنعوها بأيديهم وأنفقوا أعمارهم في ملازمتها وعبادتها، ما كان الرد إلا أنهم فعلوا ذلك تقليدا للأباء والأجداد. (٢)

(١) سورة الأنبياء الآيات (٧٠:٥١)

(٢) أبو الأنبياء ومنهجه في الدعوة الدكتور/عمود على حمادة ص (٨٨) بتصرف

لقد أراد سيدنا إبراهيم-عليه السلام-أن يحرر قومه من عبادة الأصنام وما يستتبع ذلك من الاعتقاد بالخرافات والأساطير، ليوصلهم إلى الحقيقة العظمى التي يجب أن ينشدها الإنسان على هذه الأرض ألا وهي عبادة الله تعالى وحده الذي خلق السماوات والأرض. (١)

لقد بين لهم سيدنا إبراهيم-عليه السلام-أن ما يعبدونه إنما هي أصنام نحتوها بأيديهم وأنهم حينما يسمونها آلهة فإنهم يكذبون على أنفسهم، وهؤلاء الذين تعبدون لا يملكون لكم شيئاً. (٢)

إن قوم إبراهيم-عليه السلام-عبيد للتقليد أعطاهم الله نعمة العقل فعطلوها والأسماع فأصموها والأبصار فأعموها اعتماداً على الأباء، قال الزمخشري في تفسيره [ما أقبح التقليد والقول المتقبل بلا برهان وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وهم معتقدون أنهم على شيء ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم] (٣)

وقال الفخر الرازي في تفسيره [لما لم يجدوا ما يعولوا عليه في أمرهم إلتجوا إلى التشبث بالتقليد حيث قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين، فالقوم لم يجدوا جواباً إلا طريقة التقليد الذي يوجب المزيد من التكبر، لأنهم إذا كانوا على خطأ من أمرهم لم يعصمهم من هذا الخطأ آباؤهم، فكان رد سيدنا إبراهيم-عليه السلام-عليهم بقوله (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) فتبين أن الباطل لا يصير حقاً بسبب كثرة المتمسكين به] (٤)

لما وجد سيدنا إبراهيم-عليه السلام-أن البرهان العقلي لا يجدي في هؤلاء القوم الذين أصموا آذانهم عن سماع الحق، اتجه إلى البرهان العملي لأن له وقعاً كبيراً في النفس أشد من الوعظ والإرشاد .

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم/عفيف عبد الفتاح ص (١٠٨) بتصرف (٢) مع الأنبياء والرسول الدكتور/عبد الحلیم محمود ص(١٢٢)

(٣) تفسير الكشاف للزمخشري ج٧ ص(٣٥٤)

(٤) تفسير الفخر الرازي ج١٦ ص(١٩٠)

لقد تحين سيدنا إبراهيم-عليه السلام-الفرصة المناسبة لتحقيق ما أراد فعله من تكسير للأصنام ، وكان يوم عيد وخرج القوم إلي عيدهم وتحلف سيدنا إبراهيم-عليه السلام-بعذر ووصل إلي هيكلهم الذي أقيمت فيه التماثيل وكسره عدا كبير لهم تركه سيدنا إبراهيم-عليه السلام-وذلك لعلمهم يعودون إليه ، ورجع القوم ورأوا ما حل بأهنتهم ، وهنا تساءلوا من فعل هذا بأهنتنا ، وجاء الرد أن الذي فعل هذا هو إبراهيم وجاءوا به وسألوه على مشهد من الناس أنت فعلت هذا ، وجاءت الفرصة ليلبغ رسالته وليصل إلي الحقيقة التي أرادها وبأسلوب في غاية الحكمة والهدوء ، ويجب بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ، لقد غضب الصنم الكبير أن تعبدوا هذه الأصنام الصغيرة وهو أكبر منها فكسرها ، والشاهد باق وهي مكسرة ، وبلا وعي ولا تفكير يتزلق القوم في هذا المتزلق الذي دفعهم إليه سيدنا إبراهيم-عليه السلام-فيقول بعضهم لبعض أنتم الظالمون . (١)

لقد أفلح سيدنا إبراهيم-عليه السلام-في رد القوم إلي الحق فكانت النتيجة أنهم رجعوا إلي أنفسهم ، إنما لحظة من لحظات إضاءة الوجدان وإشراق الضمير يثوب فيها الضال إلي رشده فيستشعر خطأه ، بيد أن القوم سرعان ما انطفأت بصائرهم وعادوا إلي ضلالهم وما يجيئون فيه من ضلال وسفه ، ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هولاء ينطقون ، حقا كانت الأولي رجعة إلي النفوس وكانت الثانية نكسة على الرءوس ، فالأولى إشراق للنفس والثانية انتكاس على الرأس ، وأية حجة لهم بعد أن أوضح لهم سيدنا إبراهيم ما هم فيه من الغي والضلال . (٢)

ولكن الجهل إذا استحكم في النفوس والتعصب الأعمى إذا لامس القلوب يجعل النفوس تصل إلي مستوى حقير في الحكم على صحة الأشياء .

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم /عفيف عبد الفتاح طبار ص (١١٢) بتصرف

(٢) في ظلال القرآن الشيخ/سيد قطب ج ٤ ص (٢٣٨٧)

لما رأى القوم أنهم قد غلبوا على أمرهم وخافوا على افتضاح حالهم عدلوا عن
الجدل والمناظرة إلى القوة يسترون بها فضيحتهم، فأصدروا الحكم بحرق إبراهيم .
وشرع القوم في تنفيذ الحكم فجمعوا له الحطب الكثير، حتى أنه ورد أن المرأة
كانت إذا مرضت تنذر لئن عوفيت لتجمعن حطباً لحرق إبراهيم، ووضع الحطب
الذي جمعه في المكان المعد لحرق إبراهيم وأشعلوا فيه النار، ثم أخذوا إبراهيم
ووضعوه في كفة المنجنيق وألقوه في النار وهنا لجأ سيدنا إبراهيم إلى الله تعالى .
روى ابن عباس-رضى الله عنهما- أنه قال [حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم-
عليه السلام- حين ألقى في النار، وقالها محمد-صلى الله عليه وسلم- حين قالوا (إن
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) .(١)
وهنا أصدر الله تعالى أمراً للنار أن تكون برداً وسلاماً على إبراهيم ودحض الله
كيدهم وردهم نحاسين .

ويجب على الدعاة أن يتأملوا نجاة سيدنا إبراهيم-عليه السلام- ليروا قيمة الإيمان
والتوكل على الله تعالى، وكيف أن الخليل عليه السلام كان فرداً؟ ولكنه عمل بالحق
ودعا إلى الحق فاستحق أن يغير الله تعالى من أجله ناموس الكون بأن جعل النار لا
تحرق بل باردة وسلاماً على إبراهيم، فعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يقفوا على هذه
القصة ويستقوا منها العبرة والعظة، ويكونوا دائماً على ثقة من نصر الله تعالى لهم،
وأن الله تعالى لا يتخلى عن أوليائه وأنه معهم يدافع عنهم وينصرهم على أعدائهم .(٢)

(١) صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن حديث (٤١٩٧)

(٢) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة الدكتور/عبد الكريم زيدان ج ١ ص (٢١٠) بتصرف

منهج سيدنا إبراهيم - عليه السلام - في الدعوة:

إن رسل الله - عليهم السلام - هم خير من دعا إلى الله تعالى على بصيرة، ولقد كانت لهم وسائلهم الرشيدة ومنهجهم الفريد الذي استطاعوا به أن يقودوا قافلة البشرية إلى طريق الخير والرشاد، وسيدنا إبراهيم - عليه السلام - واحد من هؤلاء الذين منحهم الله الحجة البالغة - والقول الفصل فكان بحق المثل الأعلى للدعاة إلى الله .

أذكر بعضاً من منهجه في الدعوة وأساليبه التي استخدمها :

أولاً: السياسة الحكيمة :

ونعني بها أن يكون الداعية خبيراً بأبجح الوسائل وأفضل الطرق التي تحقق غرضه ، فيجعل لكل مقام مقالاً يناسبه ، فهو يخاطب كل طائفة من الناس بالأسلوب الذي يتناسب معهم .

ولقد حكى لنا القرآن الكريم كيف كان خليل الله تعالى - عليه السلام - يتخير الأساليب والطرق التي تخدم دعوته ، وكيف استطاع أن يجاج قومه الذين كانوا يعبدون الكواكب بطريقة الاستدراج . (١)

فلقد رأينا كيف حاجهم وهذه مهارة من نبي الله إبراهيم - عليه السلام - فقد استدراج قومه حتى أقام عليهم الحجة ووضع أيديهم على مواطن الضعف ، فقد انتقل من كوكب للآخر وكأنه يبحث معهم عن إله حتى لا ينفروا من مجادلته ، ووضع لهم أن هذه الكواكب لا تصلح لأن تكون آلهة ، فلما أقام الحجة أملى عقيدته وأوضح أنه برئ من هذا الشرك وأنه أسلم وجهه لله الذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما هو من المشركين . (٢)

(١) دعوة الرسل للشيخ/محمد أحمد الغدوي ص (١٤)

(٢) أبو الأنبياء ومنهجه في الدعوة الدكتور /محمود على حمادة ص(١١١) بتصرف

ثانياً: مراعاة مقتضى حال السامعين:

للدعوة إلى الله تعالى درجات يجب أن يراعيها الدعاة وهم يدعون الناس إلى الحق ، وكل درجة تتطلب سلوكاً ومنهجاً خاصاً لا يصلح سواه ، والداعية اللبيب هو الذي يلبس لكل حال لبوسها ، ويعطي كل موقف ما يتطلبه من القسوة أو اللين ، ومن وضع القسوة موضع اللين أو اللين موضع القسوة فهو داعية فاشل في دعوته ولن يصل إلى ما يريد .

ولقد كان سيدنا إبراهيم -عليه السلام- مثلاً للداعية الناجح الذي يعطي الدواء على قدر الداء ، فهو يرق ويلين تارة ويقسو ويشدد تارة أخرى حسب حالة المدعو ، فعندما وجه الدعوة إلى أبيه اختار أرق الكلمات وأعذب الجمل قال تعالى (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً* إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً* يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً* يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً* يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً (١)

ولكنه عندما يدعو قومه يشدد عليهم ويقسو ويغلظ لهم في القول قال تعالى (أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) (٢)

بل يثور ويغضب ويكسر الأصنام مع أنه هو الأواه الحليم كما وصفه الله تعالى ، ولكنه لما رأى ببصيرته أن النصح لن يجدي مع قومه لجأ إلى العنف ، وهذا من فطنته - عليه السلام -

فعلى الداعية أن يتخذ من الرفق واللين منهجاً لا يتركه ويلجأ إلى العنف إلا عند الضرورة القصوى وعند عدم جدوى اللين ويكون استعمال العنف بقدر الحاجة وفي نطاق الحق والعدل وعدم التهور ، فإن زاد عن قدر الحاجة فهو أرعن (٣).

(١) سورة مريم آيات (٤١:٤٤)

(٢) سورة الأنبياء آية (٦٧)

(٣) المرجع السابق ص (١١٣) بتصرف

ثالثا: البدء بالأقربين:

عندما بعث الله تعالى سيدنا إبراهيم-عليه السلام- بالهدى وأعطاه الرسالة بدأ بأبيه فدعاه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام قال تعالى (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين* إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) (١) والسبب في مسارعة إبراهيم-عليه السلام- في دعوة أبيه والحصر على إيمانه أمرين: أولهما: أن الوالد قد أحسن إلي ولده بالتربية والإنعام عليه، فكان من اللائق مكافأته على ذلك الإحسان بدعوته لعبادة الله وإنقاذه من النار .

ثانيهما: إقامة الحججة على قومه حتى لا يقولوا لماذا يترك أقاربه ويدعوننا، أليس من اللائق أن لا يفرق بين قريب وبعيد إذا كان ما يقوله حقا؟ وحتى تنقطع أعذارهم . ونجد ذلك واضحا أيضا في دعوة نبي محمد-صلى الله عليه وسلم- فقد نزل عليه الأمر بإنذار عشيرته قبل قومه قال تعالى (وأندر عشيرتك الأقربين) (٢)

والداعية إذا أراد نجاحا لدعوته عليه أن يبدأ بأقاربه وأقرب ما للإنسان نفسه التي بين جنبيه فيبدأ بها فيزيكها ويقومها حتى يسمع لقوله (٣).

رابعا: الصلابة في الحق والاعتزاز به :

من المعالم البارزة في دعوة سيدنا إبراهيم-عليه السلام- قوته في الحق واعتزازه به واستهانته بالباطل وازدراؤهم له، ونرى ذلك واضحا في أقواله وأفعاله أثناء دعوته لأبيه ولقومه فهو يقول لأبيه قال تعالى (إني أراك وقومك في ضلال مبين) (٤) وقال لقومه عندما احتجوا بالأباء والأجداد قال تعالى (لقد كنتم أنتم وأبائكم في ضلال مبين) (٥)

وكسر أصنام قومه وهم الغلاظ الشداد ولا يأبه لهم ويسألونه (أأنت فعلت هذا بأهتنا يا إبراهيم) فيرد ساخرا منهم (بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون)

(٢) سورة الشعراء آية (٢١٤)

(٤) سورة الأنعام آية (٧٤)

(١) سورة الأنبياء آية (٥٢،٥١)

(٣) المرجع السابق ص (١٢٠) بتصرف

(٥) سورة الأنبياء آية (٥٣)

إنه الإيمان الذي يغرس في صاحبه القوة التي تتصاغر أمامها القوى ، وليس هذا التحدي غرورا ولا تهورا وإنما هو الثقة في الله تعالى ، والجزم بصحة الطريق الذي يسير عليه ويدعو إليه .

وعلى الدعاة أن يواجهوا الباطل بقوة وثقة في نصر الله لهم وأن يطمئنوا لوعده الله تعالى ويعلموا أن العقابة للمتقين .

خامسا : الصبر على الأذى :

الذي يتتبع حياة الخليل إبراهيم - عليه السلام - يجد أنها سلسلة من الكفاح المتواصل ضد طواغيت البشر ، ولقد تحمل في سبيل الله تعالى والدعوة لدينه ما لم يتحمله إلا أمثاله من أولي العزم .

لقد بدأ الدعوة مع والده الذي كان غارقا في الضلال وما أن دعاه سيدنا إبراهيم - عليه السلام - إلى عبادة الله حتى أخذ يحاربه ويهدده ويتوعده بالطرد والهجر قال تعالى (قال أر اغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنتك لأرجمنك واهجرني مليا) (١)

وهنا نجد أن سيدنا إبراهيم - عليه السلام - لم ينتقم لنفسه بل صبر على أذى والده وتحمل في ذات الله تعالى ، وكان رده عليه بقوله قال تعالى (سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا) (٢)

وعندما دعا قومه لعبادة الله تعالى ورفضوا دعوته وكسر أصنامهم ، وأراد القوم أن ينتقموا لآلهتهم ويثأروا لكرامتهم فأشعلوا النار وألقوه فيها وهو صابر محتسب فكان المثل الأعلى في الصبر ، فنجاه الله تعالى من النار وجعلها بردا وسلاما عليه . (٣)

(١) سورة مريم آية (٤٦)

(٢) سورة مريم آية (٤٧)

(٣) المرجع السابق ص (١٢٧) بتصرف

ودعا طاغوت عصره وملك زمانه الذي حاجه وجادله وانتصر عليه سيدنا إبراهيم-عليه السلام-ولكنه وجد أن القوم مصرون على الضلال مستمرون في عبادتهم للأوثان، ووجد أن هذه الأرض التي يعيش فيها لا تنبت الخبز فتركها إلى أرض أخرى يبحث فيها عن أناس يعبدون الله ويستجيون للحق .

لقد هاجر سيدنا إبراهيم-عليه السلام-تاركا بلده متحملا في سبيل الله تعالي الآم الغربية والبعد عن أهله، ولكن الله عوضه بذرية طيبة وجعل فيهم النبوة والكتاب . فولد له إسماعيل-عليه السلام- وهو في حالة الضعف والكبر فكان قرة عينه، ولكن شاءت إرادة الله تعالي أن يتليه، فأمره أن يذهب به وبأمه إلى وادي مكة حيث لا زرع ولا ماء ولا أنيس فامثل لأمر الله تعالي، وذهب بهم وتركهم كما أمره الله وهو صابر محتسب .

ودارت الأيام وكبر إسماعيل-عليه السلام-وأصبح يسعى في مصالح أبيه وهنا كان الاختبار العظيم والبلاء المبين، فيرى في المنام أنه يذبحه، ورؤيا الأنبياء حق ووحى، فما كان من سيدنا إبراهيم-عليه السلام-إلا أنه امتثل للأمر وهو صابر محتسب(١) ونجاه الله من هذا البلاء ونجى إسماعيل-عليه السلام-من الذبح وأنزل الله تعالي كبشا فداء لإسماعيل-عليه السلام- ورحمة بإبراهيم-عليه السلام-الذي كان صابرا لله تعالي محتسبا لأجر عند الله تعالي، وحياة الأنبياء مليئة بالابتلاءات التي تناسب مقامهم فإن الأنبياء هم أشد الناس بلاء كما ورد في حديث النبي-صلى الله عليه وسلم- [فقد سئل أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة] (٢)

(١) أبو الأنبياء ومنهجه في الدعوة الدكتور /محمود على حمادة ص(١٢٩) بتصرف

(٢) سنن الترمذي كتاب الزهد حديث (٢٣٢٢)

سادسا: إقامة المجتمع على أساس العقيدة :

المتبع لحياة الخليل إبراهيم-عليه السلام-ومنهجه في الدعوة يجد أنه يربط علاقته بالمجتمع على أساس العقيدة فيقترب من الجماهير أو يتعد عنها بقدر قربها أو بعدها من العقيدة ، فقد اعتزل أباه الذي جاء من صلبه لما تبين له أنه عدو لله قال تعالى (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) (١)

وتبرأ من قومه وأهله لما كفروا بالله تعالى ورفضوا الاستجابة للدعوة قال تعالى (إننا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) (٢)

وعندما توجه بالدعاء لأهل مكة خص الذين آمنوا منهم دون غيرهم لأنهم ليسوا أهلا لفضل الله تعالى ونعمته قال تعالى (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا وارزق أهله من الثمرات امن آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير) (٣)

بهذا يعلمنا الخليل إبراهيم-عليه السلام-أن الوشيجة الحقيقية هي ما قامت على أساس العقيدة دون غيرها من وشائج الدم والجنس واللغة والنسب والعنصر وغيرها من الروابط المزعومة التي يرتبط بها الناس والتي لا تخضع لمنهج الله تعالى ، والتي أشاعها أعداء الإسلام لإضعاف شوكة المسلمين والسيطرة عليهم .

فعلى الدعاة أن يقيموا علاقتهم بالناس على أساس العقيدة ، وأن يعلموا أن التجمع على العقيدة هو أساس القوة والعزة والنصر ، وأن التجمع على غير العقيدة لا يدوم ولا يلبث أن يزول وينتهي وينقطع . (٤)

(١) سورة التوبة آية (١١٤)

(٢) سورة المنحة آية (٤)

(٣) سورة البقرة آية (١٢٦)

(٤) أبو الأنبياء ومنهجه في الدعوة الدكتور/عمود على حمادة ص (١٣٠) بتصرف

دعوة سيدنا موسى

- عليه السلام -

٣. دعوة موسى - عليه السلام -

سيرة موسى - عليه السلام - قبل البعثة

لقد اقتضت حكمته تعالى أن يولد موسى - عليه السلام - فى عام كان يقتل فيه كل مولود من اليهود بسبب الرؤية التى رآها فرعون ولكن تدبير الله تعالى جعل هذا المولود يربى فى القصر الملكى حيث العناية الصحية والثقافية وحيث الفرصة متاحة لمعرفة السياسة وأسرار الحكم وتدبير شئون الدولة وقيادة الأفراد وذلك تدبير الله تعالى الذى قال ((واصطنعتك لنفسى))^(١) وقال ((ولتصنع على عيني))^(٢) وتبدأ القصة عندما وضعت أم موسى طفلها وخافت عليه القتل وأصبحت فريسة للهواجس ولكن الله تعالى طمأنها وأمرها بالإلهام أن تضع الوليد فى صندوق وتلقيه فى نهر النيل وفعلت ما ألهمها الله تعالى إياه ولكن الشيطان لم يتركها فأمرت أخته أن تمشى على شاطئ النهر فتراقب الصندوق ويحمل النهر الصندوق ويوقف بأمر الله تعالى أمام قصر فرعون ويراه الخدم ويأخذونه ويذهبون به إلى زوجة فرعون فتسربه لعدم وجود الولد عندها فتطلب من فرعون أن يبقيه لعله ينفعه أو يتخذه ولدا^(٣) قال تعالى ((وقالت امرأة فرعون قرة عيني لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون))^(٤)

(٢) سورة طه آية (٣٩)

(١) سورة طه آية (٤١)

(٤) سورة القصص آية (٩)

(٣) قصص الأنبياء لابن كثير ص (٢٩٩)

ويأتون له بالمرضعات ولكن إرادة الله جعلت هذا الطفل يرفض
المرضعات جميعها وتأتى أخت موسى - عليه السلام - فتعرض
عليهم أن تأتى لهم بمرضعة وتأتى أمه لكى ترضعه . ويقبل الطفل
الرضاعة وهكذا رجع موسى إلى أمه قال تعالى ((فرددناه إلى أمه
كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا
يعلمون))^(١) ويشب موسى ويترعرع فى قصر فرعون ويصبح فتى
قويا ويمنحه الله تعالى العلم والحكمة قال تعالى ((ولما بلغ أشده
واستوى آتيناها حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين))^(٢)

فرجع موسى يوما من قصر فرعون ودخل المدينة فوجد رجلين
يتشاجران أحدهما إسرائيلي من قوم موسى والثانى ^{مصرى} فرعونى فطلب
الإسرائيلي من موسى النصرة فوكزة موسى -أى الفرعونى- ولكن
كانت الضربة القاضية ومات الرجل الفرعونى وندم موسى - عليه
السلام - على فعلته التى لم يكن قاصدا لها واستغفر ربه وتاب الله
عليه وغفر له^(٣) قال تعالى ((ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها
فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى
من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من
عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين قال رب إنى ظلمت نفسى فأغفر
لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم))^(٤)

(٢)سورة القصص آية (١٤)

(١) سورة القصص آية (١٣)

(٤)سورة القصص آية (١٦،١٥)

(٣)مع الأنبياء فى القرآن الكريم ص(٢٢٠،٢٢١) بتصرف

وفى اليوم الثانى خرج موسى إلى المدينة فوجد ذلك الإسرائيلى الذى نصره بالأمس يقاتل فرعونيا آخر فطلب ذلك الإسرائيلى النصره من موسى على عدوه فغضب موسى من هذا الإسرائيلى لأنه يميل للمنازعة والمشاجرة فتدخل موسى لفض النزاع ولكن الإسرائيلى ظن أن موسى يريد أن يقتله قال تعالى ((فلما أن أردا أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا فى الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين))^(١) وشاع الخبر أن الذى قتل الفرعونى هو موسى وجاء الرجل المؤمن [على أرجح الأقوال] يخبر موسى أن الملائكة يستعدون لقتله وأمره أن يخرج من المدينة قبل أن يقتلوه وخرج موسى - عليه السلام - وهو خائف يتربص وظل ماشيا حتى وصل إلى مدين بعد تعب ومشقة وقصد ماء ليشرب فوجد عند ذلك الماء الناس يتزاحمون على الماء كل واحد يعتمد على قوته فى التقدم والمسابقة إلى الحوض ولكن على مقربة من الماء رأى فتاتين تهشان غنمهما لئلا تقترب من الماء رأى موسى هذا المشهد فتقدم وسأل الفتاتين عن شأنهما فأجابته إننا لا نسقى حتى ينتهى الزحام لأننا لا نستطيع المزاحمة وأن أباهما شيخ كبير فهارت حمية موسى فتقدم وسقى لهما ولم يستطع أحد منع موسى لما رأوا من قوته ثم اتجه إلى ظل فجلس فيه شاكرا ربه^(٢) قال تعالى ((فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير))^(٣)

(١) سورة القصص آية ١٩ (٢) قصص الأنبياء لابن كثير ص(٣٠٥) (٣) سورة القصص آية ٢٤

وبعد فترة من الزمن قصيرة جاءت إحداهما إلى موسى تخبره أن أباه يدعوه ليعطيه أجر ما سقى لهما فوصل موسى إلى الشيخ الكبير وقص عليه قصته فبشره وطمأنه بنجاته من القوم الظالمين وعرض عليه أن يتزوج من إحدى ابنتيه وذلك لما رأى فيه من قوة وأمانته وفطانتته واشترط عليه خدمته ثمان أو عشر سنوات واختار موسى العشر ولما انتهت المدة توجه موسى إلى مصر راجعا إليها ومعه أهله وفي الطريق جاءت الرسالة وبدء الوحي وكلف بدعوة فرعون وملئه (١)

بدء الرسالة

وبعد أن أمضى موسى السنين المتفق عليها في خدمة الشيخ توجه بأهله نحو الجنوب حتى أدرك طور سيناء وفي ليلة مباركة أراد الله أن يخص موسى بكرامته ونبوته وكلامه وكان قد أخطأ الطريق وأمسى لا يدرك أين يتوجه وبينما هو على هذا الحال رأى نارا على بعد فقال لأهله إلموا مكانكم^(١) يقول ابن كثير في تاريخه :-

(فلما سار بأهله ومعه ولدان وغنم قد استفادها مدة مقامه قال واتفق ذلك في ليلة مظلمة باردة وتاهوا في طريقهم فلم يهتدوا إلى السير في الضرب المألوف وجعل ينظر فلا يرى شيئا واشتد الظلام والبرد .

(١) مع الأنبياء عفيف عبد الفتاح ص ٢٢٢

(٢) مع الأنبياء عفيف عبد الفتاح ص ٢٢٥

فبينما هو كذلك إذ أبصر عن بعد نارا تتأجج في جانب
الطور وهو الجبل الغربى منه عن يمينه فقال لأهله امكثوا إني أنست
نارا - وكان والله أعلم رآها دونه لأن هذه النار هي نور في الحقيقة
ولا يصلح رؤيتها لكل واحد - (١)

فلما وصل موسى إلى النار فإذا بها نور في الشجرة وهناك
نودى من قبل الله عز وجل قال تعالى ((فلما أتاها نودى من شاطئ
الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا
الله رب العالمين)) (٢) هناك سمع كلام الله وسكنت نفسه واستمع
للوحي وأمره الله أن يخلع نعليه لأنه في مكان مقدس وأبلغه أنه لا إله
إلا هو وحده سبحانه وخصه بالعبادة وأن القيامة آتية ثم أراه الله تعالى
بعض المعجزات التي تؤكد نبوته

فقال له ما الذى معك فى يدك - والله أعلم بما معه - فأخبره
موسى أنها عصاه وأطال الحديث فشرح بعض وظائفها وأمره الله أن
يلقى بالعصى فإذا بها حية تسعى فخاف موسى ولكن الله طمأنه
وأخبره أن الخوف ليس من صفات الأنبياء ، ثم سأله أن يضع يده
فى جيبه فخرجت يده بيضاء وليس فيها سواد وقال له هاتان آيتان (٣)
أذهب بهما إلى فرعون فادعه هو وقومه لعبادة الله وحده .

(١) البداية والنهاية ج ١ ص ٢٤٦ لابن كثير

(٢) سورة القصص آية ٣٠

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٢٤٧ بتصريف

قال تعالى ((وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غمى ولى فيها مأرب أخرى قال ألقها باموسى فألقاها فإذا هى حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آيتنا الكبرى . اذهب إلى فرعون إنه طغى))^(١) ولكن موسى عرف صعوبة المهمة فطلب من الله أن يعينه وأن يجعل معه من يساعده فى تلك المهمة فطلب من ربه أموراً وهى أولاً :-

١. أن يشرح له صدره فإن شرح الصدر مدعاة للصبر وتحمل المشاق والإقبال على الدعوة بهمة ونشاط .

٢. أن يبسر له أمره برفع العقوبات .

٣. أن يحل عقدة من لسانه ولا شك أن قوة البيان مطلوبة وخصوصاً للرسول ولقد أخبر موسى أن أخاه هارون أفصح منه لساناً لذلك طلب مؤازرته له^(٢)

وأجاب الله دعاء موسى وأعطاه ما طلب وزاده بأن قال له ربه لا تخف فإنى معك وسوف أدفع عنك وأحميك من فرعون وبطشه وسوف أكون معكما قال تعالى ((قال ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخف إبنى معكما أسمع وأرى))^(٣)

(١) سورة طه آية ١٧ - ٢٤

(٢) معالم الدعوة للإبراهيم حامد الأنصار ص ١٠٩

(٣) سورة طه ٤٥ - ٤٦

إن رسالة موسى هي من أشق الرسائل لأنها رسالة إلى طاغية يدعى الربوبية وليست رسالة إلى قوم ضالين كباقي الرسائل (١) .

المحاورة بين موسى وفرعون

انطلق موسى - عليه السلام - ومعه أخوه هارون إلى فرعون وبلغه الرسالة التي جاء بها من عند ربه أن لا يعبد إلا الله وأن لا يقول إلا الحق وأن يسمح له بخروج بني إسرائيل من مصر منطلقين معه إلى فلسطين وقد أخبره أن معه معجزات تشهد له على صدقه واستغرب فرعون كلام موسى الذي رباه ومنّ عليه وذكره بأنه تربي في بيته فليكن وفيما وذكره أنه قتل نفساً والذي يقتل لا يكون جديراً لحمل الرسالة قال تعالى ((ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت من الكافرين)) (٢) ورد موسى على هذه المسألة أنه لم يقصد قتل الفرعوني وأنه خاف من العقاب على القتل غير مقصود فهرب منهم فأعطاني الله تعالى من فضله الحكمة والعلم واصطفاني لرسالته وإن كنت قد ربيته وأنا صغير فأنت قد استعبدت بني إسرائيل فإن أعطيتني نعمة فقد لاقى قومي منك الذل والهوان (٣) قال تعالى ((قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل)) (٤)

(١) مع الأنبياء والرسول الدكتور عبد الحلیم محمود ص ٢٤٧ بتصرف

(٢) سورة الشعراء آية ١٨ - ١٩

(٣) مع الأنبياء في القرآن عفيف عبد الفتاح ص ٢٢٨ بتصرف

(٤) سورة الشعراء آية ٢٠ - ٢٢

بعد أن وجد فرعون أنه لا فائدة من محاوره موسى في ماضيه
اتجه إلى مجادلته في ربوبية الله تعالى فسأله عنه ومن هو رب العالمين
وأين كان في السنوات السابقة وفي النهاية وصف موسى بأنه مجنون
وأه ساجر وأنه يريد الإفساد في الأرض .

قال تعالى ((قال فرعون وما رب العالمين قال رب السماوات
والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال
ربكم ورب آبائكم الأولين قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون
قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون قال لئن اتخذت
إلهي غيري لأجعلنك من المسجونين قال أولو جنتك بشئ مبين قال فانت به
إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يديه
فإذا هي بيضاء للناظرين قال للملأ حوله إن هذا لساجر عليم))^(١)
هناك عمد فرعون إلى البطش والتهديد وتحذير قومه من اتباع موسى
ومع الأسف أطاعوه قال تعالى ((فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا
قوما فاسقين))^(٢) ألح موسى على فرعون بالدعوة إلى الإيمان بالله
تعالى هو وملاه ولكن الكبرياء منع فرعون من الإيمان وهناك عرض
موسى - عليه السلام - المعجزات التي معه على فرعون ولكن
فرعون أعلن أن موسى ساحر وأنه سوف يجمع له السحرة الذين
يقاوموه واتفق الفريقان على الموعد الذي تتم فيه المسابقة وأن يكون
ذلك يوم الزينة وهو يوم عيد عندهم .^(٣)

(٢) سورة الزخرف آية ٥٤

(١) سورة الشعراء آية ٢٣ - ٢٤

(٣) مع الأنبياء في القرآن الكريم عفيف عبد الفتاح طباره ص ٢٣١

وجاء هذا اليوم الموعود وحضرت الجماهير من كل مكان
لحضور التسابق وأقبل السحرة وهم واثقون بأنفسهم وينتظرون
المكافأة التي وعدها إياهم فرعون .

قال تعالى ((أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى
فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت
مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى))^(١) قال
تعالى ((فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن
الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين))^(٢)

وبدأ السباق وألقى السحرة ما معهم من سحر مفترى وبعدها ألقى
موسى العصى التي انقلبت بقدره الله إلى حية تلتف ما ألقى السحرة
وهنا رأى السحرة أن ما ألقاه موسى ليس بسحر ولكنه الحقيقة فألقى
السحرة ساجدين لله رب العالمين وذلك مما رأوه من حقيقة وليست
خيالاً وهنا توعد فرعون السحرة واتهمهم أن موسى هو الذى علمهم
السحر ولكن الإيمان خالط القلوب فلم يمنعهم توعد فرعون من
الإيمان ولكن ردوا عليه رد الواثق من نصر الله والذى ترك الدنيا بما
فيها واشترى الآخرة (٣) قال تعالى (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه
لكبيركم الذى علمكم السحر فلست تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم
من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون إنا
نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين)^(٤)

(٢) سورة الشعراء آية ٤١ - ٤٢

(١) سورة طه آية ٥٧ - ٥٩

(٤) سورة الشعراء آية ٤٩ - ٥١

(٣) مع الأنبياء والرسل الشيخ عبد الحلیم محمود ص(٢٥٨) يتصرف

موقف فرعون بعد انتصار موسى - عليه السلام -

لما فشل فرعون وملاه في هزيمة موسى - عليه السلام - وأمنت
السحرة فقال الملاء لفرعون أنترك موسى ومن معه ليفسدوا في
الأرض لقد جعلوا دعوة موسى التي يدعو فيها إلى توحيد الله وإنقاذ
الناس من ظلم فرعون إفسادا في الأرض . وهكذا شأن بطانة السوء
في كل زمان الذين يظهرون في الأوساط المظلمة وفي غيبة الحق
ولقد ساعدتهم على ذلك أنهم رأوا الحاكم عنده استعداد لهذا قال تعالى
((وقال الملاء من قوم فرعون أئذ موسى وقومه ليفسدوا في الأرض
ويذركم وأهلك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون))^(١)
وهنا يرد فرعون المتكبر المتأله مطمئنا الملاء بأنه سوف ينتقم من
موسى وقومه قال تعالى ((قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا
فوقهم قاهرون))^(٢) وكان موقف موسى - عليه السلام - من هذا
التهديد والوعيد من الطاغية وملئته أن أوصى بني إسرائيل بالصبر
وبشرهم بالنصر وطلب منهم الاستعانة بالله وحده والثبات على
الإيمان قال تعالى ((قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن
الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين))^(٣)

(١) سورة الأعراف آية ١٢٧

(٢) سورة الأعراف آية ١٢٧

(٣) في ظلال القرآن / سيد قطب ج ٣ ص ١٣٥٥ دار الشروق

يقول صاحب الظلال إنه ليس لأصحاب الدعوة إلى رب العالمين إلا ملاذ واحد وهو الملاذ الحصين الأمين وهو الولي القوي المتين وعليهم أن يصبروا حتى يأذن الولي النصير في الوقت الذي يقدره بحكمته وعلمه وألا يعجلوا وكان رد بنى إسرائيل يدل على سفاهتهم وأنهم هم لم يتغيروا قال تعالى ((قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا))^(١) وهنا يأتي رد النبي موسى - عليه السلام - الواثق بنصرة ربه قال تعالى ((قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون))^(٢) فهو يخبرهم أن النصر قادم لا محالة ولكن معه فتنة البلاء وهو استخلاف من الله لهم في الأرض للامتحان فينظر كيف يعملون . (٣)

خروج موسى - عليه السلام - من مصر ومعه بنى إسرائيل

انطلق موسى بقومه ذاهبا إلى أرض فلسطين قال تعالى ((ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى))^(٤) فخرج موسى سرا كما أمره الله تعالى ودون خوف من فرعون وملائه حتى وصل هو وبنو إسرائيل إلى ساحل البحر الأحمر عند خليج السويس .

(٢) سورة الأعراف جزء آية ١٢٩

(٤) سورة طه آية ٧٧

(١) سورة الأعراف جزء آية ١٢٩

(٣) المرجع السابق ج ٣ ص ١٣٥٥ بتصريف

وهناك أدركهم فرعون فظنوا أنهم هالكون لا محالة
وقالوا ذلك لموسى - عليه السلام - الذى يرد عليهم رد الواثق بنصر
الله له ولمن آمن (قال كلا إن معى ربي سيهدين) وعندئذ أوحى الله
تعالى إلى موسى أن يضرب البحر بعصاه فانشق الماء وكانت
المعجزة الكبرى فكان كل فرق كالطور العظيم ووقف الماء الذى له
خاصية السيلان وسكنت الأمواج ويبس الطريق كل ذلك بقدره الله
تعالى وسار سيدنا موسى - عليه السلام - ومعه بنو إسرائيل (١).
وجاء فرعون فرأى موسى ومعه بنو إسرائيل يعبرون البحر
ورأى طريقا فى البحر يبسا فنزل ومعه جنوده ولكن الذى أوقف الماء
لموسى - عليه السلام - أمره بالرجوع لحالته الطبيعية فأغرق
فرعون وجنوده وفى الوقت الذى أدرك فرعون الغرق قال آمنت أنه
لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ولكن هيهات
أن يقبل منه وأين دعوة موسى التى دعا بها فقال موسى (فلا يؤمنوا
حتى يروا العذاب الأليم) وها هو فرعون رأى الغرق فأمن فى وقت لا
ينفع فيه الإيمان قال تعالى ((وليست التوبة للذين يعملون السيئات
حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن)) (٢).

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٣٧٢ بتصريف

(٢) سورة النساء آية ١٨

نعم الله تتوالى على بنى إسرائيل

لما عبر بنو إسرائيل البحر ونجوا من فرعون مروا على قوم يعكفون على أصنام يعبدونها من دون الله فطلبوا من موسى أن يجعل لهم مثل ما لهؤلاء من آلهة وهنا رد عليهم موسى مذكرا لهم بنعم الله عليهم التي منها نجاتهم من فرعون والذل الذي كانوا يعيشون فيه ثم نجاتهم من الغرق ووضح لهم أن هؤلاء لا يعرفون الحق من الباطل قال تعالى ((وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهة كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغىكم إلهها وهو فضلكم على العالمين وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسمونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم))^(١) تابع بنو إسرائيل مسيرتهم وأحسوا بالعطش ولا توجد مياه وهنا طلبوا من سيدنا موسى - عليه السلام - السقى لهم ولدوا بهم وسأل موسى ربه فأمره أن يضرب بعصاه الحجر فانفجرت اثنتا عشرة عينا لكل قبيلة عين ترويهها ووصلوا لشبه جزيرة سيناء والشمس شديدة ولا مساكن ولا شجر فشكوا إلى موسى ما يلقون من عناء فدعا موسى ربه فساق لهم الغمام يقيهم من حرارة الشمس ولما نفذ الزاد سأل موسى - عليه السلام - ربه الطعام فأنزل عليهم المنّ والسلوى .(٢)

(١) سورة الأعراف آية ١٣٨ إلى ١٤١

(٢) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة ج١ ص ٣٥٢ بتصريف

والمنُّ مادة حلوة كالعسل ينزل من السماء ومثل نزول الظل
يجدونها على ورق الشجر، والسلوى طائر يأتي إليهم أسراباً متلاحقة
ولكنهم بعد هذه النعم كفروا وتولوا وظلموا أنفسهم قال تعالى
((وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما
رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون))^(١) وقال تعالى
((وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه
اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله
ولا تعثوا في الأرض مفسدين))^(٢).

موعد لموسى مع ربه وعبادة بنى إسرائيل للعجل

أمر الله تعالى موسى - عليه السلام - أن يقصد سفح الجبل
(الطور الأيمن) ويمكث ثلاثين يوماً صائماً متعبداً لله فلما أتم
الثلاثين أمره الله أن يزيد عشرة أخرى على ما ورد أنه تناول شيئاً
من نبات الأرض فمضغه ولما سأله ربه عن ذلك وهو أعلم أخبره أن
رائحة فمه كانت متغيرة وهنا أعلم الله موسى بأن رائحة فم الصائم
أطيب عند الله من ريح المسك وأتم موسى الأربعين وكان قد أوصى
أخاه هارون أن يكون خليفته على بنى إسرائيل وأمره أن ينظر في
مصالحهم وأن يرعى شئونهم وحذره من أن يتبع طريق المفسدين
وحذره من الفتنة ولكن بنى إسرائيل لما تأخر موسى - عليه السلام -
وكان قد أخبرهم أنه سوف يعود بعد ثلاثين يوماً قالوا إن موسى
أخلف الموعد. (٣)

(١) سورة البقرة آية ٥٧

(٢) سورة البقرة آية ٦٠

(٣) معالم الدعوة الدكتور /إبراهيم حامد الأنصاري ص ١٣١ بتصرف

وهناك تحركت نزعاً الشر في نفس السامري وأخذ ما مع بني إسرائيل من الحلى التي كانت نساءهم جلبنها من مصر وألقاها في النار وصنع منها عجلاً وصنعه بطريقة هندسية بحيث إذا دخلت الريح فيه تحدث صوتاً كصوت البقر أمرهم السامري بعبادته على أنه الإله وحاول هارون جاهداً أن يرد بني إسرائيل عن عبادة العجل ولكنه لم يفلح وعاد موسى - عليه السلام - إلى القوم وهو في أشد حالات الغضب بسبب عبادتهم للعجل وتوجه إلى أخيه هارون وقال له في عنف وهو يجذبه من لحيته ومن شعر رأسه ما الذي منعك إذ رأيت القوم قد عبدوا العجل أن تلحق بي وتخبرني قال خشيت أن تقول لي أنت سبب الفتنة وأنت أمرتني بالبقاء معهم حتى ترجع وهنا طلب موسى - عليه السلام - المغفرة من ربه له ولأخيه ثم توجه باللوم إلى السامري فأجابه السامري عن سبب صنعه للعجل قال تعالى ((قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي))^(١) ثم أخبره أنه رأى ما لم يره القوم وأنه أخذ جزءاً من أثر جبريل وهذا العذر الذي قدمه السامري لكي يتخلص من موسى هو كلام اخترعه من نفسه وقد استحق ما فعله الله فيه من أنه سوف يتعرض للمرض الذي لا يطيق أحد أن يمسه وأحرق العجل ونسفه في اليم إظهاراً لعجزه وندم بنو إسرائيل على فعلتهم هذه وأرادوا التوبة. (٢)

(٢) سورة طه آية ٩٦

(١) المرجع السابق ص ١٣٢ بتصرف

فأوحى الله تعالى إلى موسى أن من أراد أن يتوب فعليه أن يقتل نفسه وذلك بقتل الطائع أخاه العاصي وإن كانت هناك آراء لبعض العلماء تنفى القتل وإنما المقصود هو كبت الشهوات وتطهير النفس من الشرور وتحريرها من كل مرغوب عند ذلك يتوب الله عليهم^(١) وهذا قول بعيد عن الحقيقة الصحيحة اللفظ وصرحته "اقتلوا أنفسكم".

عقاب بنى إسرائيل ثم العفو عنهم

عندما ارتكب بنو إسرائيل الذنب وقارفوا الإثم وهو تبديل كلام الله اختار موسى سبعين رجلا للذهاب معه إلى جبل الطور الذى اعتاد أن يناجى ربه فيه ليقدموا الطاعة لله والندم على ما اقترفوا من إثم وهناك كلم الله موسى ولكن جماعة منهم لم يؤمنوا أن الله كلم موسى فعصوا وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة بأعيننا على أثر هذا الطلب أخذتهم الصاعقة جميعا ثم بعثهم الله بعد موتهم بعد أن تضرع موسى وطلب العفو عما صدر من السفهاء دون أن يؤاخذ الجميع بما فعله البعض^(٢) قال تعالى ((واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال ربى لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين))^(٣) وقال تعالى ((وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون))^(٤).

(١) مع الأنبياء فى القرآن الكريم / الدكتور عفيف عبد الفتاح ص ٢٤٦ - ٢٤٧

(٢) المرجع السابق ص ٢٤٧

(٣) سورة الأعراف آية ١٥٥

(٤) سورة البقرة آية ٥٥

استمر موسى في إصلاح بني إسرائيل ولكن القوم ما زالوا يحملون صفات الخسة والدناءة التي عودهم فرعون عليها فكثيرا ما عانى موسى - عليه السلام - معهم فكان يأمرهم بالأمر فيعصوا ويرفضوا الاستجابة للأوامر والنواهي الإلهية وكم من مرة نزل عليهم العذاب ولكن دعاء سيدنا موسى وتضرعه إلى الله برفع البلاء والعذاب وإجابة الله تعالى دعاء سيدنا موسى - عليه السلام - كان هو العاصم لهم من الهلاك، ولكن القوم يعودون إلى العصيان مرة أخرى ولقد أمرهم أن يأخذوا الكتاب بقوة ويتذكروا ما فيه من أوامر ونواهي ويعملوا بها ورفع فوقهم الطور وإذا لم يأخذوا بما في الكتاب سوف يسقط الله عليهم الجبل ولما رأوا ذلك تمسكوا بالكتاب فلما أزال الله عنهم هذه الغمة أعرضوا ورجعوا إلى ضلالهم قال تعالى ((وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما أتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلمكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلو لا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين))^(١) وأمرهم الله تعالى أن يدخلوا القرية المقدسة ولكنهم أيضا رفضوا وتعللوا بأن فيها قوما جبارين وإنما لا نستطيع أن ندخلها حتى يخرج هؤلاء منها ولا طاقة لنا بمحاربة هؤلاء وخرج رجالان من المؤمنين ونصحوا القوم بأن يدخلوا القرية وسوف ينتصرون على أهلها ولكن بني إسرائيل رفضوا النصيحة ورفضوا

الانصياع للأمر. (٢).

(١) سورة البقرة آية ٦٣ - ٦٤

(٢) مع الأنبياء في القرآن الكريم غفيف عبد الفتاح طيارة ٢٥٠ بتصرف

وقالوا لموسى جملة كلها لؤم وتمرد قالوا اذهب أنت
وربك فقاتلا هؤلاء الجبارين ونحن هنا ننتظر قال تعالى ((وإذ قال
موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء
وجعلكم ملوكا وأتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين يا قوم ادخلوا
الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا تترددوا على أديباركم فتقلبوا
خاسرين قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى
يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإننا داخلون قال رجلان من الذين
يخافون أنعم الله عليهما ادخلا عليهما الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون
وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا
ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون))^(١) ولكن
ماذا يصنع موسى - عليه السلام - والقوم تمردوا وقد بذل معهم
جهدا لكى يصلحهم، فتوجه إلى الله تعالى يشكوا ظلم بنى إسرائيل
وأنه لا يملك إلا نفسه وأخاه هارون - عليه السلام - وهنا يأتى
الحكم من الله بالنتية على بنى إسرائيل. (٢)

(١) سورة المائدة آية ٢٠ - ٢٦

(٢) المرجع السابق ص ٢٥١ بتصريف

منهج سيدنا موسى في الدعوة

لقد سلك سيدنا موسى - عليه السلام - في دعوته منهجين مختلفين منهج يخص فرعون وملاه ومنهج يخص بنى إسرائيل ، أما منهج سيدنا موسى - عليه السلام - مع فرعون فيتلخص فيما يلي :-

١. الدعوة باللين والكلمة الطيبة وهذا كان واضحا من البداية حيث أمره الله تعالى بقوله ((اذهب إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى))^(١) قال تعالى ((اذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى))^(٢).

٢. الدعوة بالمحاروة لقد حاور سيدنا موسى - عليه السلام - فرعون في المقصود بالألوهية والربوبية وأوضح له أن الإله الحق يملك ما في السماوات والأرض وأنه خلق كل شئ وأنه بيده كل شئ وأنه لا رب سواه ولا معبود غيره قال تعالى ((قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أطوارا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولى النهى))^(٣) وقال تعالى ((قال فرعون وما رب العالمين قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين)).

(٢) سورة النزعات آية ١٧ - ١٩

(١) سورة طه آية ٤٣ - ٤٤

(٤) معالم الدعوة الدكتور/حامد إبراهيم الأنصاري ص ١٤٢ بتصريف

(٣) سورة طه آية ٤٩ - ٥٤

٣. عرض المعجزات :-

لما لم يفلح أسلوبه اللين والمحاورة عرض سيدنا موسى - عليه السلام - ما معه من معجزات جاء بها من عند ربه ليثبت لفرعون أنه رسول الله حقا وأنه معه بينة على ذلك ولما طلب فرعون البينة أظهرها له سيدنا موسى - عليه السلام - وكانت معجزات سيدنا موسى - عليه السلام - هي العصا واليد قال تعالى ((قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا بيضاء للناظرين))^(١) ولم تكن العصا واليد هي الآيات فقط ولكن كان هناك آيات أخرى قال تعالى ((وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين))^(٢) .

ولقد عد بعض العلماء هذه الآيات فأوصلها إلى اثنتي عشرة آية نقلها الشيخ عبد الوهاب النجار في قصص الأنبياء فقال وأنا أعد الآيات هكذا :- (٣)

- | | | |
|----------------|----------------|---------------|
| ١. السنون | ٢. نقص الأموال | ٣. نقص الأنفس |
| ٤. نقص الثمرات | ٥. الطوفان | ٦. الجراد |
| ٧. القمل | ٨. الضفادع | ٩. الدم |

واعلموا أن هذه الآيات التسع غير الآيات التي أرسل بها موسى - عليه السلام - إلى بني إسرائيل وهي المذكورة في قوله تعالى ((ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا))^(٤) .

(٢) سورة النحل آية ١٢

(١) سورة الشعراء آية ٣٠ - ٣٣

(٤) سورة الإسراء آية ١٠١

(٣) قصص الأنبياء عبد الوهاب النجار ص ١٩٩

فقد فسرهما البيضاوي بأنها آيات أرسل بها موسى إلى بني إسرائيل وهي أحكام أمروا بالأخذ بها ولقد ذكرت التوراة الآيات التي جاء بها موسى - عليه السلام - وجعلتها ثنتي عشرة آية .

١. انقلاب العصا حية

٢. انقلاب نهر النيل دم سبعة أيام

٣. صعود الضفادع من النهر إلى أرض مصر ومضايقتها للمصريين

٤. كثرة البعوض بأرض مصر ولعله المعبر عنه بالقمل

٥. كثرة الذباب في أرض مصر وفي بيوت المصريين

٦. نفث الوباء في المواشي

٧. فشو الدماميل في الناس

٨. نزول برد عظيم يهلك الناس والبهائم

٩. إظلام أرض مصر ثلاثة أيام ^(١)

وعندما نزلت هذه الآيات كان ~~قوم~~ ^{عند} مصر يلجئون إلى موسى أن يرفع عنهم هذا العذاب قال تعالى ((ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن بك ولنرسلن معك بني إسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون)) ^(٢) .

قال صاحب الظلال (ولقد كان قوم فرعون على وثنياتهم وجاهليتهم وعلى استخفاف فرعون بهم كانت السلطات الحاكمة بعد ذلك تنكث ولا تستجيب لأنها تقوم على ربوبية فرعون للبشر وتفرغ من ربوبية الله إذ أن ذلك معناه هدم نظام الحكم الذي يقوم حاكمية فرعون لا حاكمية الله تعالى) ^(٣) .

(٢) سورة الأعراف آية ١٣٤ - ١٣٥

(١) قصص الأنبياء عبد الوهاب النجار ص ١٩٨ - ٢٠٠

(٣) في ظلال القرآن الكريم ج ٣ ص ١٣٥

٤. الدعوة على فرعون بالطمس على أموالهم والتشديد على القلوب
 لقد ظن موسى - عليه السلام - أن المال والسلطان الذي فيه
 فرعون وملأه هما سبب عدم الإيمان فطلب سيدنا موسى -
 عليه السلام - من الله تعالى أن يطمس على الأموال قال تعالى
 ((وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في
 الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم
 وأشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم))^(١).

قال صاحب الظلال (واتجه موسى - عليه السلام - إلى ربه وقد
 يئس من فرعون وملأه أن يكون منهم خير وأن يكون قد بقيت فيهم
 بقية وأن يرجي لهم الصلاح واتجه إليه يدعو على فرعون وملأه
 الذين يملكون المال والزينة تضعف إزائهم قلوب الكثيرين فتنتهي إلى
 التهاون أمام الحياة والمال وإلى الضلال . اتجه موسى إلى ربه يدعو
 أن يطمس هذه الأموال وأن يشدد على قلوب أهلها فلا يؤمنوا إلا
 حيث لا ينفعهم الإيمان فاستجاب الله دعاء موسى)^(٢).

أما منهج موسى - عليه السلام - في دعوته مع بني إسرائيل
 فيتلخص فيما يلي :-

١. التبشير وبث روح الأمل في نفوس مدعويه :-

ولقد كان هذا واضحاً عند ازدياد التعذيب من فرعون لبني
 إسرائيل فأعطاهم سيدنا موسى - عليه السلام - الأمل وبشرهم
 بأن ملك فرعون لن يدوم وأنه سيهلك وأن الله سوف يستخلفهم
 في الأرض .

(٢) في ظلال القرآن الكريم جـ ٣ ص ١٨١٦

(١) سورة يونس آية ٨٨

قال تعالى ((قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا أودينا من قبل من أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون))^(١) .

٢. الصبر على بنى إسرائيل وتذكيرهم بنعم الله :-

فعندما خرج بنو إسرائيل من مصر وعبروا البحر بقدره الله تعالى ونجاهم الله من فرعون .. مروا على قوم يعبدون أصناماً قالوا لموسى نريد إلها نعبده كما يعبدون هؤلاء (٢) .
وهنا جاء دور الداعية الحكيم فقد ذكرهم بنعم الله تعالى عليهم وأعلمهم أن الله هو الذى يستحق العبادة وحده وأن الذين يعبدون غير الله هم فى ضلال وسوف يعذبون فى الدنيا والآخرة قال تعالى ((وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فى وباطل ما كانوا يعملون أغير الله أبغىكم إلها وهو فضلكم على العالمين وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم))^(٣) .

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٢٦٢ بتصرف

(١) سورة الأعراف آية ١٢٨ - ١٢٩

(٣) سورة الأعراف آية ١٣٨ - ١٤١

٣. الشدة والعنف :-

استخدم سيدنا موسى - عليه السلام - هذا الأسلوب مع بنى إسرائيل عندما رجع من لقاء ربه ووجد القوم يعبدون العجل فكان لابد هنا من الشدة وحتى لا يفعلها بنو إسرائيل مرة أخرى فهو يعنف أخاه ويتوعد الذى صنع العجل ويحرق العجل ويذره فى الهواء قال تعالى ((قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعنى أفعصيت أمرى قال يا بنؤم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى قال فما خطبك يا سامرى قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى قال فاذهب فإن لك فى الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفه فى اليم نسفا))^(١) .

٣. استخدام المعجزات :-

لقد أظهر سيدنا موسى - عليه السلام - كثيرا من المعجزات لبنى إسرائيل حتى يؤمنوا ويزدادوا إيمانا ونجد ذلك واضحا فى شق الحجر ونبع الماء منه بل جعل لكل سبط منهم عينا خاصة به يشرب منها وأنزل عليه بإذن الله المن والسلوى ورفع الله فوقهم الطور كل ذلك كان من الله تعالى تثبيتا لسيدنا موسى -

عليه السلام - (٢)

(١) سورة طه آية ٩٢ - ٩٧

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٣ بتصريف

وتدليلاً لبني إسرائيل على أن موسى هو رسول الله قال
تعالى ((وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا
واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين))^(١).

قال تعالى ((وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً وأوحينا
إلى موسى إذ استسقى قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست
منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم
الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم
وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون))^(٢).

الدروس والعبر والعظات من قصة موسى - عليه السلام - مع قومه

إن قصة موسى - عليه السلام - مليئة بالعبر والدروس
والعظات وعلى الدعاة أن ينتفعوا بها ويقتدوا بصاحبها وأولى هذه
الدروس نذكر صفات موسى الداعية إلى الله تعالى لكي يقتدى بها
الدعاة :-

١. الثبات :-

نجد موسى - عليه السلام - في لقاءاته مع فرعون يمتاز
بالهدوء وثبات الشخصية فحواره مع فرعون يدل على ذلك قال
تعالى ((قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شئ
خالقه ثم هدى قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي
في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى))^(٣) فنرى الإجابة متوجهة
بالثبات والإتزان والهدوء (٤).

(٢) سورة الأعراف آية ١٦٠

(١) سورة البقرة آية ٦٠

(٤) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة ج ١ ص ٢٦٤ بتصرف

(٣) سورة طه آية ٤٩ - ٥٢

٢. الصدق :-

وهذا جانب آخر من جوانب شخصية موسى - عليه السلام - فهو صادق مع نفسه ومع ربه ومع فرعون فهو يظهر الواقع بلا مجاملة أو مداهمة ونجد ذلك واضحا في إجابته لأمر ربه عندما أمره بالذهاب إلى فرعون رد في صراحة فقال ربي إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأى صراحة بعد ذلك وكذلك في موقفه مع فرعون قال تعالى ((وقال موسى يا فرعون إني رسول رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بنى إسرائيل))^(١) ونجده كذلك صريحا مع قومه عندما رفضوا دخول القرية المقدسة أظهر سيدنا موسى الواقع فقال (قال ربي إني لا أملك إلا نفسي وأخي) .

٣. الشجاعة

إن شجاعة سيدنا موسى - عليه السلام - لا تحتاج إلى نقاش لقد واجهه طاغية من أبرز صفاته الشراهة في سفك الدماء واجهه بدعوة تهدم كيانه من أساسه وما كان لموسى أن يقف هذا الموقف لو لم يكن على جانب كبير من الشجاعة لقد كان موسى - عليه السلام - يتمتع بقوة جسمانية فقد وكز الفرعوني وكزة أرداه قتيلا كما أنه أفسح الطريق في وسط الزحام للمرأتين (٢).

(١) سورة الأعراف آية ١٠٤ - ١٠٥

(٢) مع الأنبياء والرسول الدكتور عبد الحليم محمود ص ١٣١ بتصريف

وتمتع بشجاعة أدبية عندما وقف وصبر أمام فرعون الجشع الطاغية الجبار دون خوف وحاوره فى شجاعة وإقدام وظهرت شجاعته عندما تحدى السحرة وأثبت أنه فى أتم استعداد للقائهم وأن حجتهم داحضة .

٤. قوة العزيمة والحلم وسعة الصدر:-

من الصفات التى تجلت فى موسى-عليه السلام- فى مواقفه مع قومه ويتضح ذلك عندما رجع فوجد القوم يعبدون العجل من دون الله تعالى فعزم على أن يعطى السامرى درسا لا ينساه وأحرق العجل ونسفه ،والحلم يتضح عندما ذهب ومعه شيوخ بنى إسرائيل للتوبة وإذا بهم يطلبون رؤية الله تعالى ويغضب رب العزة عليهم وهنا يتضرع موسى إلى ربه أن يغفر لهم جميعا وهذا يدل على الحلم وتحمله لمطالب قومه التى لا تنتهى ويدل كل ذلك على سعة صدره .(١)

٥. الصبر وقوة الاحتمال :-

لقد كان حظ موسى أن أرسل إلى متكبر جبار الذى فرض ألوهيته على الرعايا ووقع قدرة مع قوم اشتهروا بالعتى والتمرد والالتواء ولو لم يكن موسى-عليه السلام- صابرا لما كان فى استطاعته الاستمرار فى الدعوة ويتضح ذلك عندما رفض فرعون دعوة موسى وأعلن فرعون سياسة البطش والتعذيب لكل من آمن بموسى وإذ بموسى يوصى أتباعه بالصبر قال تعالى(قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا). (٢)

(٢) سورة الأعراف آية ١٢٨

(١) المرجع السابق ص ١٣٢ بتصرف

٦- تنزيه الخالق سبحانه من كل ما لا يليق به:-

ونرى ذلك واضحا في قصة موسى عندما طلب رؤية ربه وأبلغه الله أن ذلك ليس في مقدورك يا موسى ولما تجلى الله تعالى للجبل ودك الجبل خر موسى صعقا ولما أفاق نزه الله تعالى ولكن للأسف وصف في التوراة المزعومة وصفاً لا يليق بذات الله تعالى فهو موصوف عندهم بالضعف والعجز وأنه صارع يعقوب ولم يغلبه^(١) وهذا كفر .

٧- صمود العقيدة:-

إنه إذا رسخ الإيمان في القلوب لا تترزحه الجبال وذلك واضح في إيمان السحرة فقد هددهم فرعون بالعذاب والتنكيل ولكن كل هذا لم يرهبهم لأنهم آمنوا قال تعالى ((قال أمنتم له قبل أن أذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض وإنما تقتضى هذه الحياة الدنيا))^(٢) .

٨- انتصار الحق على الباطل

مهما استعلى الباطل وكثرت أنصاره فلا بد من الهزيمة فهو لاء هم السحرة الذين جاءوا بالباطل وكروا أعين الناس ولم يدور بخلداهم أن الله سوف ينصر الحق قال تعالى ((فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين))^(٣) وقال تعالى ((فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبيطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون))^(٤) .

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم الدكتور عفيف عبد الفتاح ص ٢٦٢

(٢) سورة طه آية ٧١ - ٧٢

(٣) سورة الأعراف آية ١١٨ - ١١٩

(٤) سورة يونس آية ٨١ - ٨٢

٩- ظهور الحق وسطوعه

إن الباطل مهما وجد من أعوان فلا بد من الهزيمة فمن كان يظن أو يتوقع أن فرعون وجنوده سوف يهزمون أمام موسى وبني إسرائيل لا شك أن الله هو الذي أيد موسى بالمعجزات التي كانت سبباً في هلاك فرعون ومن معه وهذه هي عاقبة الكفر والظلم والطغيان وهذه هي سنة الله في خلقه فلا بد للناس أن ينظروا وأن يسيروا في الأرض لكي يروا عاقبة الظالمين ، وعليهم أيضاً أن ينظروا بعين باصرة وبقلب واعٍ وبنظرة فاحصة وليعلموا أنه ما بعد الكمال إلا النقصان ومن على فأنه أعلي منه وبعد هذه الرحلة الشاقة والطريق المليء بالأشواك والمحن والشدائد التي مر بها سيدنا موسى -عليه السلام- ظل سيدنا موسى - عليه السلام - متمسكاً بدينه وبعقيدته ، دافعاً وراءه كل ما أصابه أو أصاب قومه فالجسد والروح لله . لقد استطاع موسى - عليه السلام - أن يصل إلى بر السلامة ويتفادى كل المحن والشدائد داعياً إلى ربه ، ومذكراً قومه بالخالق العظيم والرب الكريم الذي بيده ملكوت كل شئ وإليه المرجع والنشور . (١)

(١) معالم الدعوة الدكتور /إبراهيم حامد الأنصاري ص ١٣١ بتصريف

فعلي الدعوة الهداة والعلماء الأجلاء أن ينهلوا من
 هذا المعين الصافي وأن يحذوا حذوه وليجعلوا من سيدنا
 موسى-عليه السلام- ودعوته أسوة وقدوة حسنة مع أقوامهم
 وأهلهم وعشيرتهم وليسارع الدعوة على نشر دين الله بكل
 وضوح وصراحة ولا يخافون في الله لومة لائم .

وليجعلوا السماء لهم غطاء ولينتشروا في ربوع الأرض
 تاركين عن المتعنتين وقسوة الظالمين والمجرمين وليكن
 إيمانهم هو حصنهم فيفتحوا للعباد سبل الرشاد وليكن دورهم في
 الدعوة هو دور الطبيب الذي يكشف الأسقام ويضع لها الدواء
 حتى يفوزوا برضا الرحمن وتكتب لهم عنده أطيب الجنات .

دعوة سيدنا عيسى

- عليه السلام -

٤. عيسى - عليه السلام -

بعث الله عيسى - عليه السلام - إلى بنى إسرائيل وهو رابع أولى العزم من الرسل . ولقد أرسله الله وكلفه بمهمات ثقيلة يبلغها لبنى إسرائيل هذه المهمات هي صلب دعوته وصميم رسالته .

نسبه

عيسى - عليه السلام - هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وهو آخر أنبياء الله ورسله إلى بنى إسرائيل ، ذكر اسمه في القرآن الكريم بلقب المسيح تارة وهو لقب ، وبلفظ عيسى وهو اسمه العلمى وهو بالعبرية " يسوع " أى المخلص إشارة إلى أنه سبب لتخليص كثيرين من آثامهم وضلالهم وبكنيته ابن مريم^(١) .

ميلاد عيسى - عليه السلام -

لما جعلت^{وحي} أم مريم مريم محررة تخدم بيت المقدس وأنه كفلها زوج أختها أو خالتها فى ذلك الزمان زكريا - عليه السلام - وأنه اتخذ لها محرابا وهو المكان الشريف من المسجد لا يدخله أحد عليها سواه وأنها لما بلغت اجتهدت فى العبادة ، فلم يكن فى ذلك الزمان نظير لها فى فنون العبادات وظهر عليها من الأحوال ما غبطها عليه زكريا - عليه السلام - ، وأنها خاطبتها الملائكة بالبشارة لها باصطفاء الله لها وبأنه سيهب لها ولدا ذكيا يكون نبيا كريما طاهرا مكرما مؤيدا بالمعجزات فتعجبت من وجود ولد من غير والد لأنها لا زوج لها ولا هى من تتزوج .

(١) قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ٢٧١ دار إحياء التراث العربى

فأخبرتها الملائكة بأن الله قادر على ما يشاء إذا قضى أمراً
فإنما يقول له كن فيكون فاستكانت لذلك وأنابت وأسلمت لأمر الله
وعلمت أن هذا فيه محنة عظيمة لها فإن الناس يتكلمون فيها بسببه
لأنهم لا يعلمون حقيقة الأمر وإنما ينظرون إلى ظاهر الحال من غير
تدبر^(١) .

وظهرت علامات الحمل على مريم وخافت من قومها فهربت
وابتعدت عن عيون الناس ووصلت إلى مكان بعيد ليس فيه أحد من
الناس وجلست وهي تبكى، وشعرت بالآم الوضع وهنا تمننت مريم
الموت وأنها كانت غير موجودة في ذلك الوقت، وجاءت البشارة من
الله أن لا تخافى ولا تحزنى لأن هذا هو أمر من الله تعالى، وكلى
واشربى وقرى عينك، وضعت مريم طفلها وأمرها الله بالرجوع إلى
قومها ولا تتكلم إلا أن تشير إلى طفلها وترك الأمر لله يفعل ما يشاء
ورجعت مريم إلى قومها تحمل صغيرها وهنا تحدث المفاجأة : مريم
معها طفل من أين هذا يا مريم ولكنها تشير إلى الطفل دون أن تتكلم
ويستعجب القوم ويسألون مريم هل يرد علينا طفل فى أول مهده ولكن
الله تعالى القادر على كل شئ يجعل عيسى - عليه السلام - طفل
المهد يتكلم ويقر ويعترف ويقرر أنه عبد الله تعالى وأن الله هو ربه
وخالقه هذا ما قصه القرآن الكريم .

(١) البداية والنهاية - ابن كثير المجلد الثانى ص ٦٤ دار الفكر العربى

قال تعالى ((واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا * فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا * قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا * قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا * قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسنني بشر ولم أك بغيا * قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا * فحملته فانتبذت به مكانا قصيا * فأجاءها المخاض إلى جرز النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نيا منسيا * فنادها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا * وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا * فكلى واشربي وقرى عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا * فأنت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا * فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال إني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا * وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبرا بوذي ولم يجعلني جبار شقيا * والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا * ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون * ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون)) (١) .

نبؤه المسيح

ذكر ابن جرير في تاريخه أن الإنجيل أنزل على عيسى - عليه السلام - وهو ابن ثلاثين سنة ومكث حتى رفع إلى السماء وهو ابن ثلاثة وثلاثين سنة ، ولم يذكر القرآن الكريم ابتداء نبؤه عيسى - عليه السلام - ولا كفييتها ولكن ورد ذلك في الأنجيل الأربعة حيث أوردت بعض العبارات التي تفيد أنه في الثلاثين من عمره (٢) .

ذكر
المواضع

(٢) المستفاد من قصص القرآن ج ١ ص ٤٧٥ بتصرف

(١) سورة مريم الآية ١٦ - ٣٥

فهذا إنجيل برنابا يخبر فى عبارة موجودة فى الإنجيل بالنص :
يسوع وهو ابن ثلاثين يتلقى على جبل الزيتون الإنجيل من الملاك
جبريل^(١) .

تكليف عيسى - عليه السلام -

كلف عيسى - عليه السلام - بمهمات وأفعال من قبل المولى
عز وجل تجاه قومه وهذه المهمات هى :-

- إنذار بنى إسرائيل بغضب الله عليهم لأنهم حرفوا التوراة
واتبعوا الشهوات قال تعالى ((لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل
وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم
فريقا كذبوا وفريقا يقتلون))^(٢) .

- رد بنى إسرائيل إلى عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر وأن اليوم
الآخر هو يوم الجزاء وذلك لأن فريقهم الصدوقين من اليهود
كانوا يقولون إنه لا توجد قيامة ولا نشر ولا حساب وأن جزاء
الأعمال الصالحة البركة فى الدنيا وعقاب الأعمال الخبيثة عقاب
فى الدنيا قال تعالى فى كتابه الكريم ((لقد كفر الذين قالوا إن
الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله
ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه
النار وما للظالمين من أنصار))^(٣) .

(١) قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ٣٨٨ دار إحياء التراث العربى

(٢) سورة المائدة آية ٧٠

(٣) سورة المائدة آية ٧٢

- إصلاح فساد الكهنة وتكالبهم على الدنيا يجمعونها وهم فى ذلك يظهرن للناس بمظهر الزهد والورع قال تعالى فى قرآنه الكريم ((يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله))^(١) .

- الإنكار على كل من ادعى أن عيسى - عليه السلام - هو ابن الله أو ثالث ثلاثة قال تعالى ((لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم))^(٢) .

- التبشير برسول يأتي من بعده قال تعالى ((وإذا قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين))^(٣) .

منهج سيدنا عيسى - عليه السلام - فى الدعوة

لقد سلك سيدنا عيسى - عليه السلام - طرقا شتى فى دعوته

مع قومه منها ما يلي :-

١. استخدم المعجزات :- (٤)

لتكون وسيلة وأسلوباً من أساليب الدعوة ،فكان يعالج المرضى ويبرئ الأكمة والأبرص ويحيى الموتى وكل ذلك إنما يفعله بإذن الله تعالى قال تعالى ((ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بأية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرى الأكمة والأبرص وأحى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تآكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين))^(٥) .

(٢) سورة المائدة آية ٧٣

(١) سورة التوبة آية ٣٤

(٥) سورة آل عمران آية ٤٩

(٤) معالم الدعوة ص ١٤٩ بتصريف

(٣) سورة الصف آية ٦

وهذه الوسيلة التي استخدمها سيدنا عيسى - عليه السلام - لترغيب الناس في الإيمان قد استخدمها الرسول - صلى الله

عليه وسلم { عندما أعطى المؤلف قلوبهم من الزكاة تطيبا

لقلوبهم وترغيبا لهم في الإيمان / وأيضا ما أورده البيهقي في

معجزات النبي عندما جاء رجل ومعه ضرب وقال للرسول -

صلى الله عليه وسلم - إن شهد هذا الضرب أنك رسول الله آمنت

بك فسأل الرسول - صلى الله عليه وسلم - الضرب قائلا له من

أنا فقال رسول الله فآمن الرجل وهذا يدل على أن المعجزات

هي وسيلة من وسائل الدعوة وأسلوب من أساليبها التي يؤمن

بها البشر .

٢. طلب النصر من الجماعة المؤمنة (١)

من أساليب دعوة عيسى - عليه السلام - فلقد طلب سيدنا

عيسى - عليه السلام - من الحواريين أن يتعاونوا معه

وينصروه قال تعالى ((فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من

أنصاري الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا

مسلمون)) (١) .

وقد استعمل الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذا الأسلوب

كما ورد ذلك في القرآن الكريم قال تعالى ((يا أيها الذين آمنوا

كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين . من

أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فأمنت طائفة

من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم

فأصبحوا ظاهرين)) (٢) .

(٣) سورة الصف آية ١٤

(٢) المرجع السابق ص ١٣٥ بتصرف

(١) سورة آل عمران آية ٥٢

٣. ضرب الأمثال واستعمال الحكم البالغة :-

لكي يستميل الجمهور من الأساليب التي نهجها سيدنا عيسى - عليه السلام - في دعوته وقد ورد ذلك كثيرا في الأناجيل الأربعة وأيضا في إنجيل برنابا وقد نقل الإمام الغزالي في كتابه الإحياء أقوالا وأمثالا وحكماً نسبها لسيدنا عيسى - عليه السلام - وهي مجردة من السند وربما لا يعرف أحد سندها . والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها لأنه هو أولى بها قال تعالى ((وإذ علمتكم الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل))^(١) قال تعالى ((ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون))^(٢) .

الحواريون ودعوة سيدنا عيسى - عليه السلام -

لا بد من ذكر دعوة الحواريين عند ذكرنا لدعوة سيدنا عيسى - عليه السلام -، والحواريون هم أصحاب المسيح - عليه السلام - وخاصته الذين اختارهم ليكونوا تلاميذه وبادروا إلى الإيمان به وتعلموا له وتعلموا منه فكانوا إثني عشر رجلا، وهذا اللفظ - حواري - لم أعرفه عبريا أو عربيا فقد قال صاحب القاموس وقد جاء إطلاق حواري رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الزبير بن العوام ويظهر أن لفظ أنصار في جانب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمنزلة الحواريين في جانب المسيح - عليه السلام - والأناجيل تعبر عنهم بلفظ التلاميذ^(٣) .

(٢) سورة الزخرف آية ٦٣

(١) سورة المائدة آية ١١٠

(٣) قصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار ص ٤٠٥ دار إحياء التراث العربي

أسماء الحواريين الأثني عشر كما في إنجيل برنابا

- | | |
|------------------|-------------------------------------|
| ١. أندراوس | ٢. بطرس الصياد |
| ٣. سمعان | ٤. برنابا |
| ٥. متى العشار | ٦. يعقوب بن زبدي |
| ٧. تداوس | ٨. يهوذا |
| ٩. برثولماوس | ١٠. فيلبس |
| ١١. يعقوب بن حلف | ١٢. يهوذا الأسخربوطي ^(١) |

ولقد ذكر القرآن الكريم الحواريين أربع مرات وأنهم آمنوا بعيسى واتبعوه ونصروه قال تعالى ((فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا من الشاهدين))^(٢) قال صاحب الظلال (في هذه الآية من أنصاري إلى دين الله ودعوته ومنهجه ونظامه ؟ من أنصاري إلى الله لأبلغ إليه وأؤدي عنه ؟ ولا بد لكل صاحب عقيدة ودعوة من أنصار ينهضون معه ويحملون دعوته ويحاضرون عنها ، ويبلغونها إلى من يليهم ويقومون بعده عليها فذكروا الإسلام بمعناه الذي هو حقيقة الدين وأشهدوا عيسى - عليه السلام - على إسلامهم هذا وانتدابهم لنصرة الله ... أي نصرة رسوله ودينه ومنهجه في الحياة ومتى قام الرسول بإبلاغه فقد انتهت مهمة الرسول من ناحية الاعتقاد ، وانعقدت البيعة مع الله فهي باقية في عنق المؤمن بعد الرسول وفيه كذلك تعهد الله باتباع الرسول)^(٣) .

(١) قصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار ص ٤٠٥ دار إحياء التراث العربي

(٢) سورة آل عمران آية ٥٢ - ٥٣

(٣) في ظلال القرآن - سيد قطب المجلد الأول ص ٤٠٢

الآية الثانية يقول تعالى فيها ((إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا وتكون عليها من الشاهدين))^(١) .

إنهم الحواريون الذين ألهمهم الله الإيمان به وبرسوله عيسى فأمنوا وأشهدوا عيسى على إسلامهم ومع هذا فهم بعد ما رأوا من معجزات عيسى ما رأوا يطلبون خارقة جديدة تطمئن بها نفوسهم ويعلمون منها أنه صدقهم ويشهدون بها له لمن وراءهم^(٢) .

الآية الثالثة قال تعالى ((وإذا أوحيت إلى الحواريون أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون))^(٣) . إنها النعم التي أتاهها الله عيسى بن مريم لتكون له شهادة وبينة . فإذا بكثرة من أتباعه تتخذ منها مادة للزيغ ، وتصوغ منها وحولها الأضاليل فما هو ذا عيسى يواجه بها على مشهد من الملأ الأعلى ومن الناس جميعا ومنهم قومه . الغالون فيه ها هو ذا يواجه بها ليعلم قومه ويروا وليكون الخزي أوجع وأفصح على مشهد من العالمين^(٤) .

الآية الرابعة قال تعالى ((يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فأمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين))^(٥) .

(١) سورة المائدة آية ١١٢ - ١١٣

(٢) في ظلال القرآن الكريم - سيد قطب المجلد الثاني ص ٩٩٨

(٣) سورة المائدة آية ١١١

(٤) في ظلال القرآن ج ٢ ص ٩٩٨ سيد قطب الشروق

(٥) سورة الصف آية ١٤

والحواريون هم تلاميذ المسيح - عليه السلام - قيل الإثنا عشر كانوا يلونون به وينقطعون للتلقى عنه وهم الذين قاموا بعد رفعه بنشر تعاليمه وحفظ وصاياه، والآية هنا تهدف إلى تصوير موقف لا إلى تفصيل قصة^(١). لقد نصر الله الحواريين على الكفار بأن جعلهم الله ظاهرين بالحجة والبرهان على من ادعى أن المسيح ابن الله أو من أراد أن يثبث أو من ألهم، وقد وعى القرآن المؤمنين أن يكونوا مثل الحواريين فينصرون الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويقفون معه في دعوته وإذا فعلوا ذلك كانت لهم العاقبة والغلبة كما فعل الله مع الحواريين وبنى إسرائيل .

خاتمة أمر المسيح - عليه السلام -

لما جاء عيسى - عليه السلام - بنى إسرائيل وأقام عليهم الحجج وأثبت لهم بالبراهين القاطعة أنه عبد الله ورسوله وجاءهم بالمعجزات الواضحة التي أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أنه رسول الله إذا بفريق من بنى إسرائيل يعاند ويكفر ويتمسك بالضلال ويستمر في الطغيان وآمن فريق آخر بعيسى - عليه السلام - ووقفوا معه ونصروه وعزروه وكانوا له أنصاراً ولكن الفريق الكافر وشى به إلى بعض ملوك ذلك الزمان فعزموا على قتله وصلبه ولكن الله الذي أرسله علم كيدهم ومكرهم قال تعالى ((ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين))^(٢) .

(١) في ظلال القرآن ج ٦ ص ٣٥٦ سيد قطب الشروق

(٢) سورة آل عمران آية ٥٥

فأنقذه الله تعالى ورفعته إليه ونجاه منهم وألقى شبه المسيح على واحد منه فأخذوه وقتلوه وصلبوه وهم بذلك يعتقدون أنه هو المسيح - عليه السلام - وهم بذلك مخالفون للحق مكابدون وللأسف سلم لهم كثير من النصارى ما ادعوه والكل فى ذلك مخطئ قال تعالى (إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) (١).

قال تعالى (وقولهم إن قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما) (٢).

رسل أصحاب القرية من الحواريين :

قال تعالى فى قرآنه العظيم (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون * إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون * قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ إن أنتم إلا تكذبون * قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون * وما علينا إلا البلاغ المبين * قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم * قالوا طائركم معكم أنن نكرتم بل أنتم قوم مسرفون * وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون * وما لى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون * أعتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغنى عن شفاعتهم شيئا ولا ينقذون * إنى إذا لفى ضلال مبين * إنى أمنت بربكم فاسمعون * قيل ادخل الجنة قال يا ليت قوم يعلمون * بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين * وما أنزل على قومى من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين * إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون) (٣).

(١) سورة آل عمران آية ٥٦

(٢) سورة النساء آية ١٥٧

(٣) سورة يس آية ١٣ - ٢٩

أكثر المفسرين سلفا وخلفا على أن هؤلاء المرسلين هم من الحواريين الذين بعثهم سيدنا عيسى - عليه السلام - إلى مدينة أنطاكية ويؤكد ذلك الحديث (السبق ثلاثة فالسابق إلى موسى يوشع ابن نون والسابق إلى عيسى صاحبه يس والسابق إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - على بن أبي طالب) وذهب ابن كثير في تاريخه وفي تفسيره إلى أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله عز وجل من جهة المسيح^(١) . *نخرج الحديث*

وأورد الإمام الرازي في تفسيره في المسألة الثالثة عند تفسيره لهذه الآيات قال:- والقرية أنطاكية والمرسلون من قوم عيسى وهم أقرب مرسل أرسل إلى قوم الجن زمان محمد - صلى الله عليه وسلم - وهم ثلاثة كما بين الله تعالى ثم ذكر في لطيفة من اللطائف وهي أن في القصة أن الرسل كانوا مبعوثين من جهة عيسى - عليه السلام - أرسلهم إلى أنطاكية فجعل الله تعالى إرسال عيسى - عليه السلام - هو إرسالنا، ورسول رسول الله بإذنه هو رسول الله فلا يقع لك يا محمد أن أولئك كانوا رسل الرسول وأنت رسول الله فإن تكذيبهم كتكذيبك فتم التسلية^(٢) .

كما أورد صاحب كتاب صفوة التفاسير عند تفسير هذه الآيات قال : واذكر يا محمد لقومك الذين كذبوك قصة أصحاب القرية " أنطاكية " التي هي في الغرابة مثل سائر وقول عجيب ، إذ جاءها المرسلون أي حين جاءهم رسلنا الذين أرسلناهم لهدايتهم .

(١) معالم الدعوة - إبراهيم حامد الأنصاري ص ١٥٤

(٢) مفاتيح الغيب ج ١٣ ص ٩٣

قال القرطبي وهذه القرية هي أنطاكية في قول جميع المفسرين أرسل الله إليهم ثلاثة رسل وهم صادق ومصدوق وشمعون . أمر - صلى الله عليه وسلم - بإنداز هؤلاء المشركين بأن يحل بهم ما حل بكفار أهل القرية المبعوث إليهم ثلاثة رسل من الله وقبلهم رسل عيسى - عليه السلام - (١).

مكان دعوة المسيح :

اختار الحواريون بعد رفع عيسى - عليه السلام - ثلاث مدائن لتكون مراكز دعوتهم اختاروا القدس لأنها مدينة المسيح واختاروا أنطاكية لأنها أول مدينة أمنت بالمسيح واختاروا الاسكندرية لأن اصطلاحوا على اتخاذ البطارقة والمطارنة . وكان اليهود يطلقون على سيدنا عيسى - عليه السلام - ناصر نسبة إلى الناصرة . قرية شمال الجليل وهي قرية أم عيسى مريم - عليها السلام - وأطلقوا اسم النصارى على من اتبع عيسى - عليه السلام - وكان أتباع عيسى - عليه السلام - ينقسمون إلى ثلاث طبقات رسل وتلاميذ ومسيحيين نسبة إلى المسيح - عليه السلام - أما بالنسبة للانجيل فإن النصارى لا يعتقدون أن هناك إنجيلا مكتوبا بعد النبي عيسى - عليه السلام - بل كل ما يعتقدونه أنه كان يقرأ في التوراة وسائر كتب الأنبياء ويفسرها بتفسيرات مليئة بالحكم والأمثال وأن الكهنة والصدّيقين كانوا يوجهون إليه المسائل العويصة فيحلها لهم بأسلوب الحكمة .

(١) صفوة التفاسير - محمد على الصابوني ج٩ دار الرشيد - سوريا - حلب .

وهذا غريب فهم يعتقدون أن للأنبياء السابقين كتباً ولتلاميذ عيسى - عليه السلام - كتباً ولا يعتقدون أن للمسيح كتاباً ولكن الإسلام يقرر أن للنبي عيسى - عليه السلام - كتاباً وهو الإنجيل وهو منزل من عند الله سبحانه وتعالى ((ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل))^(١) .

أسباب سرعة انتشار المسيحية

١. معجزات النبي عيسى - عليه السلام - والخوارق التي ظهرت على أيدي الحواريين.

كان لها أكبر الأثر في إيمان الناس قال تعالى ((ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئكم بأية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين))^(٢).

٢. تضحية المبشرين بأنفسهم ونفائسهم:-

ولو تكلمنا عن هذا الأمر لقلنا إنه لم يمت من الحواريين موتا طبيعيا غير يوحنا أما الباقيون فقد ماتوا جميعا شهداء فى سبيل التبشير فهذا هو متى الإنجيلي كان مبشرا حتى مات على أثر ضرب مبرح أو طعن موجع على يد جنود ملك أثيوبيا فى بلاد الحبشة وأما بطرس الرسول فقد حكم عليه فى روما بالموت صلبا ويهوذا الملقب بندراوس مات شهيدا على يد المجوس (٢).

ويعقوب الصغير أو أسقف مات فى أورشليم تأمر عليه اليهود
 وحكموا عليه ورجموه وسمعان القانونى تألب عليه الكهنة عبدة
 الأصنام وصلبوه وسلخوا جلده وقطعوا رأسه وفليس مات
 مصلوبا بأسيا الصغرى ومتياس مات رجما بحكم رئيس أحبار
 اليهود وبولس الرسول قطع رأسه فى روما فى حكم نيرون
 ولوقا الإنجيلى استشهد فى حكم نيرون فها هم المبشرون الأوائل
 تحملوا القتل والصلب والإلقاء فى النار بالصبر العجيب والعقيدة
 التى كانت عندهم أن المسيح مات مصلوبا إقتداء للبشرية
 وكفارة لخطاياهم فهم يقتدون به .

٣. إخضاع الدين لرغبات المدعويين:-

وهذا معناه تغير الدين حسب رغبة المدعويين فكل من منعه من
 اتباع المسيحيين شئ يراه أنه خطأ فيها غيروا هذا الشئ وإن
 كان حراماً أحلوه له وإن كان حلالاً وهو يريد حراماً حرموه
 ومجامع المسيحية التى بلغت عشرين مجمعا وكانت كلها تعقد
 لتغيير حكم أو نسخ آخر وإدخال حكم جديد وتحليل حرام
 وتحريم حلال كل ذلك مشهور ومعروف ومدون فى الكتب
 ويعرفه القاصي والدانى (١).

(١) المرجع السابق ص ١٦٢ بتصريف

٤. إغراء البسطاء بالوسائل المادية والأدبية:-

ولقد سمعنا الكثير عن هذه الوسائل فلقد بذلوا الغالى والنفيس وكل ما يملكون فى سبيل التبشير فهم قاموا ببناء المستشفيات والمدارس والعيادات الطبية والمعونات الغذائية .

لقد حاربوا الجهل والمرض والفقر وأنشأوا المطابع لكى تطبع فيها الأناجيل والمجلات التى تخدم التبشير، وأنشأوا أخيرا الإذاعات الخاصة بالتبشير ييثون من خلالها أفكارهم ومعتقداتهم ولا ننسى أنهم يملكون جمعيات الصليب الأحمر التى تنتشر على مستوى العالم ونجدها فى النكبات والحوادث تتقدم دون أن يكون لها منازع فهم يقتصون الفرص ولا يضيعون الوقت وأنشأوا جامعات تخرج لهم المبشرين الذين يحملون الدعوة إلى المسيحية ويتحملون ما لا يتحمله أحد فى سبيل ذلك . (١)

وبعد فهذا كلام له قيمته وله أثره فى نفوس الغيورين على دينهم فيجب على الدعاة أن يستيقظوا لتلك المؤامرات الهادفة ولنجعل من أنفسنا جنودا لهذا الدين بالدفاع عنه بالحجة والبرهان واستتارة العقول والوقوف بالمرصاد أمام تلك الشبهات والدعوات الهدامة ولنعلم أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

(١) المرجع السابق ص ١٦٤ بتصرف

دعوة سيدنا محمد

- صلى الله عليه وسلم -

٥. سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

حالة العرب قبل بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

قبل الخوض في الحديث عن المنهاج الدعوى في حياة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - لابد من التعرف على طبيعة البيئة وعلى العقلية التي تعامل معها فنجد أن هؤلاء القوم دعاهم سيدنا إسماعيل - عليه السلام - إلى اتباع دعوة أبيه إبراهيم - عليه السلام - فاستجابوا له واستمروا على ذلك يعبدون الله ويوحدونه ويتبعون دينه حتى طال عليهم الأمد ففسحوا حظاً مما ذكروا به حتى جاء عمرو بن لحي رئيس خزاعة وكان رجلاً معروفاً بالصلاح والحرص على أمور الدين فاتبعوه ظناً منهم أنه من أكابر العلماء وأفضل الأولياء حتى سافر إلى الشام فوجدهم يعبدون الأصنام والأوثان فاستحسن ذلك ظاناً أنه الحق حيث إن الشام محل الرسل والكتب وقدم معه هبل فوضعه في جوف الكعبة ودعا الناس إلى عبادة الأوثان فاستجابوا له وقيل إنه كان له رأى من الجن فأخبره بمكان أصنام قوم نوح ودا وسوعا ويغوث ويعوق وفسرا . فأتى بهم ودفعهم إلى القبائل وهكذا أصبح في كل قبيلة صنم بل في كل بيت .

ومما يذكر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما فتح مكة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنماً أمر بها فحطمت وأحرقت وهكذا أصبحت عبادة الأصنام والأوثان من مظاهر الشرك في المجتمع الجاهلي العربي .

ناهيك عن الفوضى الأخلاقية التي كانت تسود البيئة العربية في هذا الوقت فالزنا كان منتشراً بصورة رهيبية و خاصة في عالم الإمام و يبدو أن العرب كانوا لا يحسون بعار في الإنتساب إلي هذه الفاحشة ،فمما روي عن عبد الله بن عمر و عن أبيه عن جده أن رجلاً قال يا رسول الله إن ابني فلان عاهرت بأمه في الجاهلية فقال صلى الله عليه و سلم لا دعوة في الإسلام قد مضى زمان الجاهلية " هذا بالإضافة إلى صور النكاح التي كانت منتشرة و كلها تدل على الفساد الأخلاقي . (١)

فحين بعث صلى الله عليه و سلم كانت الدنيا تشهد حالة من الفوضى لا مثيل لها في عالم الإنسان فلا مبادئ و لا مثل و لا قيم و لا أخلاق و لا احترام لأدمية الإنسان .
و لقد كانت الإنسانية تعيش في ظلمات و ضلالات ظلمات الشرك و ظلمات الظلم و الطغيان و ظلمات الجهل و الأمية و ظلمات الفساد و الإباحية .

وكانت العقلية التي كان يتعامل معها الرسول صلى الله عليه و سلم عقلية معقدة صعبة و يكفي أن تعرف أن أصحابها كانوا ينحتون الحجر أو الخشب ثم يسجدون له دون أن تتحرك هذه العقلية لتمنع صاحبها من هذا العمل إذا كيف تعامل الرسول صلى الله عليه و سلم مع أمثال هؤلاء ؟

وكيف استطاع أن يغير وجه الأرض المظلم القبيح إلى وجه مشرق صبيح .

و كيف استطاع صاحب الرسالة أن يؤثر في الناس و يعدل موازين الكون لقد غير النبي -صلى الله عليه و سلم- الإنسان من داخله بمنهج أوحى الله به إليه ظل ينتزل ثلاثة عشر عاماً على النبي صلى الله عليه و سلم ليبنى ذلك الإنسان و يربي فيه الإيمان و يعرفه بالله تعالى و يربطه بخالقه و بارئه .

منهج النبي صلى الله عليه و سلم في الدعوة

إن منهج النبي - صلى الله عليه و سلم - في دعوته هو منهج فريد من نوعه لأنه وحي من الله تعالى أوحى الله به إلى حبيبه - صلى الله عليه و سلم - ليغير به الإنسان من داخله فيظهر أثره عليه استجابة و امتثالاً و انكساراً و ذلاً لله و وحده الذي عنت الوجوه لكبريائه و عظمته قال تعالى ((و عنت الوجوه للحي القيوم و قد خاب من حمل ظلماً))^(١) .

و كان منهجه في الدعوة يعتمد على الكتاب المسطور وهو القرآن الكريم و الكتاب المنظور و هو الكون الفسيح .
فكان المسلم يقرأ القرآن الكريم فيجمله القرآن على الكون ليطبق عليه ما قرأ ، يقرأ القرآن و يتدبر و ينظر إلى الكون و يتأمل^(٢) .

(١) سورة طه آية ١١١

(٢) تذكرة الواعظين أحمد عبد الخالق ط الأولى ١٩٩٧ م - ١٤١٨ هـ المركز العربي للنشر و التوزيع ص ١٣٠

١- بدأ الدعوة و الاستعداد لها : -

قال تعالى ((يا أيها المزمّل))^(١)

فكان هذا النداء العلوي بانتداب النبي صلى الله عليه و سلم لهذا الأمر الجلل و انتزعه من النوم و التدثر و الدفاء إلى الجهاد و الكفاح و المشقة كما جاء في سورة المدثر ((يا أيها المدثر . قم فانذر))^(٢) فهو دعوة إلى إنذار البشرية و إياقتها و تخليصها من الشر في الدنيا و من النار في الآخرة و توجيهها إلى طريق الخلاص قبل فوات الأوان ، و هو واجب ثقيل و شاق حسن يناط بفرد من البشرية مهما يكن نبياً رسولاً فالبشرية من الضلال و العصيان و التمرد و العثور و العناد و الإصرار ، بحيث تجعل الدعوة أصعب و أثقل ثم يأتي التوجيه من الله تعالى لرسوله في خاصة نفسه إذ كلفه بإنذار غيره .

يوجهه على تكبير ربه ((و ربك فكبر)) ربك وحده فهو وحده الكبير الذي يستحق التكبير إن كل أحد و كل شئ و كل قيمة صغيرة و الله وحده هو الكبير .

و هذا المعنى يجعله و هو يمضي في دعوته يستصغر كل كيد و كل قوة و كل عقبة ثم يوجهه إلى التطهر ((و ثيابك فطهر)) و طهارة الثياب كناية في الاستعمال العربي عن طهارة القلب و الخلق و العمل و طهارة الذات التي يحتويها الثياب .^(٣)

(١) سورة المزمّل آية ١

(٢) سورة المدثر آية ١ - ٢

(٣) المستفاد من قصص القرآن الكريم عبد الكريم زيدان ج ٢ ص ٢٧ بتصرف

ثم يأتي التوجيه إلى هجر الشك و موجبات العذاب ((و
الرجز فاهجر)) و الرسول صلى الله عليه و سلم كان هاجراً للشرك
و لموجبات العذاب حتى قبل النبوة .

و لكن هذا التوجيه يعني المفصلة وإعلان التمييز الذي لا صلح
فيه ولا هوادة .

ثم يأتي التوجيه إلى إنكار الذات و عدم المن بما يقدمه من
الجهد أو استكثاره أو استعظامه ((و لا تمن تستكثر)) و هو صلى
الله عليه و سلم سيقدم الكثير و سيبذل الكثير و سيلقى الكثير من
الجهد و التضحية و العناء و لكن ربه يريد منه ألا يظل يستعظم ما
يقدمه ويمتن به و هذه الدعوة لا تستقيم في نفس تحس بما تبذل فيها
فالبذل فيها من الضخامة بحيث لا تحتمله النفس إلا حين تتساه بل
حين لا تستشعره من الأصل لأنها مستغرقة في الشعور بالله ، شاعرة
بأن كل ما تقدمه هو من فضله و من عطاياه .

ثم يأتي التوجيه إلى الصبر . الصبر لربه ((و لربك فاصبر))
والصبر هو الزاد الأصيل في هذه المعركة الشاقة ، معركة الدعوة
إلى الله^(١) .

ثم جاء الأمر من السماء و صوت الكبير المتعال ((قم)) للأمر
العظيم الذي ينتظره و العبء الثقيل المهياً لك قم للجهد و النصب قم
فقد مضى وقت النوم و الراحة ثم كان الإعداد للمهمة الكبرى بوسائل
الإعداد الإلهية المضمونة قيام الليل أكثر من نصف الليل و دون ثلثيه
و أقله ثلث الليل و ترتيله للقرآن الذي يستمد منه منهاج دعوته صلى
الله عليه و سلم فقام للأمر العظيم و لم يرقد و لقد عرف حقيقة الأمر
فقال لخديجة و هي تدعوه ليطمئن و ينام (مضى عهد النوم يا خديجة)
أجل مضى عهد النوم و ما عاد منذ اليوم إلا السهر و التعب .

(١) في ظلال القرآن الكريم سيد قطب ص ٣٧٥٤ - ٣٧٥٥ الشروق ص ١٢ س ١٩٨٦ -

٢ - الدعوة سرّاً : -

أمر الله تعالى نبيه بالتبليغ و الإنذار و اقتضت حكمته أن تكون الدعوة سرّاً و أن يبدأ بها أقرب الناس منه و كان أن استجاب لأمر الله فأخذ يسر بدعوته إلى من يطمئن إليه من أهله فكانت خديجة أول من آمن من الناس و تبعها علي و هو ابن عشر سنين فزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم و أخذ صلى الله عليه و سلم يختار من بين الناس أصفاهم لدعوته و كان في مقدمتهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه و كان أوثق الناس صلة برسول الله صلى الله عليه و سلم و أعرفهم به فآمن به من دون تردد .

و هكذا تم إسلام مجموعة من الصفوة و شاء الله أن يكون الصف الأول خيرة الرجال الذين باعوا أنفسهم و أموالهم في سبيل الله .

و بذلك تهيأت الدعوة للخروج من السرية التي اقتضتها حكمة الله لتبدأ بإذن الله طوراً جديداً تشق فيه الطريق علانيةً إلى القلوب و تعلن فيه كلمة التوحيد في كل مكان .

غير أنه قبل أن يخرج صلوات الله وسلامه عليه بدعوته على الناس جاهراً بها أمر أن يأخذ نفسه بعدة أمور فيها .

١ - البدء بدعوة عشيرته الأقربين لأنهم أولى الناس بها و أخصهم بخيرها و معروفها و هم إن آمنوا به أو لم يؤمنوا الصق به من غيرهم و قرابتهم له ستزيده قوة و منعة .

٢- خفض الجناح للمؤمنين بالإلانت الجانب و التواضع في معاملاتهم و الرحمة بهم تأليفاً لقلوبهم و تثبيتاً لإيمانهم و تقديراً لوفائهم وإخلاصهم .

٣- عدم المبالاة بإعراض المشركين أو معصية المفرطين اكتفاء بالإعراض عنهم و التبرء منهم .

٤- الاستمرار في الدعوة دون مبالاة بما يصادفها من عقبات مع التوكل على الله و التفويض له (١)

٣- التطبيق العملي : -

و لم يتردد صلى الله عليه و سلم في النهوض بأمر الله سبحانه و تعالى فدعا قومه إلى طعام و هم يومئذ يقاربون الأربعين عدداً ثم قال لهم : يا بني عبد المطلب إني و الله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به إني جئتمكم بأمر الدنيا و الآخرة (((٢) ولكن القوم أعرضوا عنه و سخروا منه فلم يزد ذلك إلا إصراراً على تبليغ دعوته و الإصرار على الجهر بها (٣) . قال تعالى ((فاصدع بما تؤمر و أعرض عن المشركين)) (٤) فبدل بالدعوة سرا الدعوة جهراً .

متمثلاً أمر ربه و اتقا بوعده و نصره ، فصعد على الصفا فجعل ينادى يا بني فهر ، يا بني عدى لبطون قريش فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر الخبر فجاء أبو لهب ابن عبد المطلب و قريش .

(١) الدعوة و الدعاة علماء و عملاً الشيخ إبراهيم الدسوقي رسالة تصدرها وزارة الأوقاف العدد ١٩ لسنة ١٩٩٦-١٩٩٧

(٢) البهيقى فى الدلائل

(٣) الدعوة الإسلامية علماء و عملاً ص ١٠

(٤) سورة الحجر آية ٩٤

فقال - عليه السلام - أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قال ، فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب : تبأ لك ألهدا جمعتنا ، فأنزل الله تعالى في شأنه سورة المسد ثم نزل في سورة الشعراء قال تعالى ((وأنذر عشيرتک الأقربين)) وهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو نوفل ((واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين))^(١) فجمعهم عليه الصلاة والسلام وقال لهم : إن الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة والله لتموتن كما تتامون ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا وإنها لجنة أبدا أو لنار أبدا فتكلم القوم كلاما لينا غير عمه أبي لهب الذي كان خصما لدودا له فإنه قال : خذوا على يديه قبل أن تجتمع العرب فإن أسلمنوه حينئذ ذلتم ، وإن منعته قتلتم فقال أبو طالب والله لنمنعنه ما بقينا ثم انصرف الجميع^(٢) ، وبعد الجهر بالدعوة سخرت منه قريش واستهزءوا به في مجالسهم .

ولكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو الداعية الصادق لا توهنه العقبات ولا يزيده إعراض المعرضين إلا ثباتا ويقينا فاستمر يدعو إلى الله ليلا ونهارا وسرا وجهرا ، يتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ويترقبهم في المواسم يدعو كل من يقابله من حر وعبد ولعل في ذلك ما يحفزهم الدعاء إلى الله إلى المضي في رسالتهم غير يائسين .

(١) سورة الشعراء آية ٢١٤ - ٢١٦

(٢) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضري ص ٤٧ - ٤٨

٤. التركيز على الجانب الروحي

ولقد اعتمد الرسول - صلى الله عليه وسلم - في منهاج دعوته إلى الله سبحانه وتعالى على بناء الجانب الروحي .

فلا شئ أكبر أثرا في النفس في مرحلة البناء من التركيز على العبادة والطاعة والنوافل فهي التي تصل القلب بالله وتجعله أكبر من المحنة وأعصى على الفتنة وأثبت من الحق .

إنها مرحلة العبادة والتبذل وقيام الليل وناشئته .

فقد روى البزار عن محمد بن عقيل بن جابر قال اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا : سموا هذا الرجل اسما يصد الناس عنه فقالوا كاهن : قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون قالوا ساحر قالوا ليس بساحر ففترق المشركون على ذلك فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فترمل في ثيابه وتدثر فيها ، فأتاه جبريل - عليه السلام - فقال : ((يا أيها المزمل يا أيها المدثر)) .

كما روى الإمام أحمد عن عائشة رضی الله عنها قولها : - إن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حولا حتى انتفخت قدماه ، وأمسك الله خاتمها في السماء اثني عشر شهرا ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا .

ومن خلال المنهج الروحي الموحى به إليه في القرآن الكريم استطاع أن يبني الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمة التي تستطيع أن تتحمل الأذى والاضطهاد وبذلك تكون حرارة المواجهة مع أعداء الله وأعداء الدعوة تذوب أمام حرارة العبادة والتبذل لله والثقة بنصر الله وانتقامه من الكافرين (١) .

(١) مختصر تفسير ابن كثير ج ٣ المنهج الحركي للسيرة النبوية ص ٥٥

٥- الإصرار على تبليغ الدعوة

وبالإعتماد على البناء الروحي لجماعة المسلمين قام النبي - صلى الله عليه وسلم - وبأمر ربه يبلغ دعوة الله سبحانه وتعالى .

ولقد لقي الرسول - صلى الله عليه وسلم - من المشركين كثير الأذى وعظيم الشدة خصوصا إذا ذهب إلى الصلاة عند البيت ، وكان من أعظمهم أذى لرسول الله جماعة سموا لكثرة أذاهم بالمستهزئين .

فأولهم وأشدهم أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي ، قال يوما : يا معشر قريش إن محمداً قد أتى ما ترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه أحلامكم وسب آبائكم إنى أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر لا أطيق حمله ، فإذا سجد في صلاته رضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني ، فليصنع بي بعد ذلك بنو بني عبد مناف ما بدا لهم ، فلما أصبح أخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينتظره وغدا عليه الصلاة والسلام كما كان يغدو إلى صلاته وقريش في أندبتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل فلما سجد عليه الصلاة والسلام احتمل أبو جهل الحجر وأقبل نحوه حتى إذا دنا منه ، رجع منهزما منتقعا لونه من الفرع ورمى حجره من يده ، فقام إليه رجال من قريش فقالوا مالك يا أبا الحكم ؟ قال لقد قمت إليه لأفعل ما قلت لكم فلما دنوت منه عرض لي فحل من الإبل والله ما رأيت مثله قط هم بي أن يأكلني ، فلما ذكر ذلك لرسول الله قال ذاك جبريل ولو دنا لأخذه (١) .

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص ٥٠

وكان أبو جهل إذا سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وأخزاه وأوعد بإبلاغ الخسارة الفادحة في المال والجاه وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به .

وقال ابن هشام ^(١) حدثني بعض أهل العلم : أن أشد ما لقي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قريش أنه خرج يوما فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وأذاه ، لا حر ولا عبد ، فرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى منزله متدثرا من شدة ما أصابه فأنزل الله تعالى ((يا أيها المدثر قم فأنذر)) ^(٢)

وكذلك تعرض أصحابه رضوان الله عليهم للأذى الشديد مما اضطر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يجيز لهم النطق بالكفر عند الإكراه كما حدث لعمار رضى الله عنه حين كانوا يعذبونه بالحر تارة بوضع الصخر الأحمر على صدره وأخرى بوضعه في الرمضاء ، وقالوا لا نتركك حتى تسب محمدا أو تقول في اللات والعزى خيرا ، فوافقهم على ذلك مكرها وجاء باكيا معذرا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله تعالى ((من كفر بالله بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)) ^(٣) .

٦. الثبات على المبادئ

وبعد محاولات كفار قريش المتعددة ، ظن المشركون أن محمدا يريد بدعوته دنيا أو جاها لنفسه أو مجدا لشخصه : فأرسلوا إليه من يكلمه وقالوا له :-

(٢) سورة المدثر

(١) سيرة ابن هشام دار الفكر العربي ص ٢٠٤

(٣) سورة النحل الآية ١٠٦

(يا محمد إنا بعثنا إليك لنكلمك . إنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا . وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا . وإن كان هذا الذى يأتيك رثيا غلب عليك -رثيا مساس الجن- بذلنا أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذرك فيه، فيرد عليهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - قائلا :-

(والله ما بى ما تقولون ما جئت بما جئتم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا منى ما جئتم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم إليه بينى وبينكم)^(١) .

وأمام هذه الصلابة والقوة أحس المشركون أن باطلهم يتهاوى وأن الهزيمة وشيكة الوقوع بهم فقالوا يا محمد ما بالك وأنت رسول الله ، تأكل الطعام وتمشى فى الأسواق فرد الله عليهم أبلغ رد قائلا (وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق - لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا . أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا . تبارك الذى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا)^(٢)

(١) الدعوة الإسلامية علما وعملا ص ١٧

(٢) سورة الفرقان آية ٧ - ١٠

وواصل المشركون عنادهم ومكابرتهم فقالوا لرسول الله -
صلى الله عليه وسلم - :-

إنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيّق بلدا ولا أقلّ مالا
ولا أشدّ عيشا منا فسل ربك الذى بعثك به فليسير عنا هذه الجبال
وليبيسط لنا بلادنا وليفجر لنا أنهارا وليبعث لنا من مضى من آبائنا
وليكن فيمن يبعث لنا قصى بن كلاب فإنه كان شيخ صادق فنسألهم
عما تقول أحق هو أم باطل ، فإن صدقوك صدقناك فقال لهم - صلى
الله عليه وسلم - (ما بهذا بعثت إليكم إنما جئتم من الله تعالى بما
بعثنى به) .

واستمرت قريش فى الجدل والاقتراحات على النبى - صلى الله
عليه وسلم - .

ورغم ما كان من قريش فى عنادها ولدد خصومتها للإسلام
وأمام صلابة الرسول فى الاستمساك بالحق والثبات على مبادئه
وسمو هذه الدعوة وصدق وإخلاص صاحبها وحين رأوا أن كل
جهودهم فى صدّه عن الدعوة التى نادى بها قد باءت بالفشل لجئوا
إلى أسلوب جديد .

٧. الرسول مبلغ فقط وليس مكلفاً بالهداية :-

لقد بعثوا إليه عقبة بن ربيعة يساومه على الملك أو الغنى أو
السيادة ويترك ما يدعو إليه فرد عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم
- بقراءة صدر سورة فصلت^(١) .

(١) الدعوة إلى الله علما وعملا ص ١٨

قال تعالى ((حم* تنزيل من الرحمن الرحيم* كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون* بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون* وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون* قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم من أمر ربنا فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين))^(١)

ولقد ذكرنا مواقف المشركين من الدعوة الإسلامية ومن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما انطوت عليه تلك المواقف منه وللدعوة ورفض لها مع إصرار على هذا الرفض واستهزاء بها وبرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتقديم اقتراحات وطلبات تبريرا لعنادهم وكفرهم .

ولقد وضح القرآن أن النبي كلف بالبلاغ فقط وليس مكلفا بالهداية فقال تعالى ((فمن اهتدى فانفسه ومن ضل فانما يضل عبثا))^(٢)
قال تعالى لنبيه ((قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل))^(٣) .

وفي الآية يقول تعالى أمرا لرسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يخبر الناس أن الذي جاءهم به من عند الله هو الحق الذي لامراء فيه فمن اهتدى به واتبعه فانما يعود نفعه على نفسه ومن ضل فانما يرجع وبال ذلك عليه ((وما أنا عليكم بوكيل)) أي وما أنا موكل بكم حتى تكونوا مؤمنين وإنما أنا نذير لكم والهداية على الله تعالى^(٣) .

(١) سورة فصلت ٦:١ (٢) سورة يونس آية ١٠٨

(٣) مختصر بن كثير م ٢ ص ٢٠٩ دار التراث العربي للنشر تحقيق محمد علي الصابوني

البلاغ المبين:-

وهذا مبدأ عظيم وقاعدة أصيلة ، وهي أن المكلف به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو قيامه بالتبليغ أى تبليغ من أرسل إليهم بما أوحاه الله إليه وكلفه بتبليغه وعلى هذا لا يسأل الرسول عن كفرهم ولا عن إصرارهم عليه وقد جاءت الآيات تبين وتؤكد هذا المبدأ العظيم منها قوله تعالى ((فإن توليتم فاعلموا أننا على رسولنا البلاغ المبين))^(١) فإن توليتم وأعرضتم عن رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وعما يدعوكم إليه فاعلموا أنكم تضرون أنفسكم وليس على رسولنا شئ من إعراضكم .

ومنها قوله تعالى ((قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين))^(٢) .

أى عليكم طاعة الله وطاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فإن تتولوا فما ضررتموه وإنما ضررتم أنفسكم^(٣) .

٨. الدعوة إلى الله بالحكمة

لقد اعتمد النبي - صلى الله عليه وسلم - فى منهاج دعوته على تبليغ دعوة الله بالحكمة والموعظة الحسنة متمثلاً بقوله تعالى ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين))^(٤) وهذه الآية دستور بين يدي الدعوة إلى الله عليهم أن يأخذوا أنفسهم به وأن يعلموا أن لكل مقام مقالاً فالناس قد فطروا على ثلاثة أنواع :-

(٢) سورة النور آية ٥٤

(١) سورة المائدة آية ٩٢

(٤) سورة النحل آية ١٢٥

(٣) المستفاد من قصص القرآن ص ٥٩

النوع الأول :-

نوع يميل بفطرته إلى الحق يدرك مدى نصيب الدعوة من الصدق ومدى أمانة الداعية فلا يلبث أن يستجيب لنداء الحق لأول وهلة ولا يتردد في العمل لنصرته والجهاد في سبيله وهكذا كان شأن الرعيل الأول من أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

النوع الثاني :-

قوم لم يبلغوا حد الكمال الذى وصل إليه الأولون ولم ينزلوا إلى حضيض النقصان الذى غرق فيه الكافرون فهم على فطرة سليمة ولكنهم لا زال الباطل الذى شبوا عليه يشغلهم فهؤلاء يحتاجون إلى الموعدة الحسنة والأسلوب الذى يستثيرهم ويشد انتباههم إلى دعوة الحق .

النوع الثالث :-

الجدال بالتي هي أحسن وذلك هو الطريق لدعوة الذين ملكت قلوبهم حمية الجاهلية وأخذتهم العزة بالإثم فأصروا على الباطل ووقفوا من دعوة الحق موقف العناد والاستكبار ((وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم))^(١) .

إن هؤلاء لا تجدى فيهم بلاغة القرآن ولا تنفعهم الموعدة الحسنة بل لابد من مجادلتهم بالتي هي أحسن ، مع الترفق بهم واللين معهم ، لأن الغلظة والقسوة لا تزيدهم إلا نفورا واستكبارا وقد وجه الله تعالى نبيه إلى التعامل مع هؤلاء بأساليب خاصة منها :-

١. أدب الخطاب :-

ضرب الله لرسوله مثلاً هو قمة الأدب في خطاب المشركين في قوله سبحانه ((قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين))^(١) .

فكون الرسول - صلى الله عليه وسلم - على هدى من ربه لا ريب فيه وكون خصومه فى ضلال أمر مقطوع به ومع ذلك فقد علمه كيف ينبه القوم إلى باطلهم دون إثارتهم أو جرح لشعورهم مع إقامة الحجة والبرهان القاطع لهم .

٢. آداب المجادلة :-

يقول تعالى ((ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون))^(٢) .

ففى هذا الأسلوب منتهى الحكمة فى إقامة الحجة فبعد أن اعترف القوم بأن الله هو خالق السموات والأرض، وجهه الله إلى سؤالهم عن آلهتهم ومدى قدرتها فى رفع الضر أو إمساك الرحمة مع علمه اليقيني أنها لا تملك شيئاً ، فبدل أن يواجههم بهذه الحقيقة سألهم عنها فلما عجزوا عن الإجابة صرعهم بما أمره الله من القول الفصل قال تعالى ((حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون))^(٣) .

(١) سورة سبأ آية ٢٤

(٢) سورة الزمر آية ٣٨

(٣) سورة الزمر آية ٣٨

٩. موقف الحزم والشدة بعد الملاينة :-

وحين لا تجدى الملاينة ولا تنفع الحجة فإن الموقف يحتاج إلى الحزم لدحض الباطل وإرغام أنفه فهذا أبو لهب : يرى النبي - صلى الله عليه وسلم - فوق الصفا والناس حوله وهو يقول (أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذباً ، فيقول لهم إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) .
ثم يدعوهم إلى الإيمان بالله وحده ، فيصيح فيه أبو لهب : تبا لك ألهذا جمعنا فيقول الحق سبحانه وتعالى رداً عليه ((تبت يدا أبي لهب وتب))^(١) .

تحقيراً له ودحضاً ورداً لتطاوله على النبي - صلى الله عليه وسلم - وهذا هو الأخنس بن شريق كان يلمز الناس ويعيبهم مقبلين ومدبرين وقد ظن أنه لن يقدر عليه أحد فأنزل الله تعالى قوله ((ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده))^(٢) .

وهكذا تبين الآيات ما يجب أن يكون عليه الداعية من استعداد لتفهم أحوال الناس وقدرة على مخاطبة كل فريق بما يليق من تطف ورفق أو شدة وحزم فبذلك تأتلف القلوب .

ولقد استمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة يقابل العدوان بالصبر والأذى بالصفح الجميل والإساءة بالإحسان رغم ما كان من أصحابه الذين ضاقوا ذرعاً بما يلاقوا من أذى وطلبوا منه الإذن في الدفاع عن أنفسهم وقتال المشركين^(٣) .

(٢) سورة الهمزة آية ١ - ٢

(١) سورة المسد آية ١

(٣) الدعوة الإسلامية علماً وعملاً ص ٢٤ - ٢٥

واستمر النبي - صلى الله عليه وسلم - على ذلك حتى أذن الله له بالقتال ولكن لا يعنى ذلك تخلى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن حكمته وموعظته الحسنة وأسلوبه بالدعوة .

١٠. تربية النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه :-

لقد اعتمد أيضا النبي - صلى الله عليه وسلم - فى نشر دعوته على تربية أصحابه وكانت البداية فى دار الأرقم بن أبى الأرقم وذلك لما للتربية من دور عظيم فى تثبيت القيم والمبادئ والأخلاقيات .
ولقد نجح النبي - صلى الله عليه وسلم - فى تربية أمة مسلمة لها من الصفات والخصائص ما أهلها لأن تكون قائدة لأمم العالم أجمع .

أمة لها مقوماتها الفكرية والسلوكية والأخلاقية والتشريعية والدستورية واللسانية ، وكان من عوامل نجاحه فى ذلك أن الله بعثه معلما ومربيا فقد قال - صلى الله عليه وسلم - عن نفسه وإنما بعثت معلما ومربيا ، وأوضح الله عز وجل ذلك حيث قال ((هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين))^(١) .

وذلك لأن التربية هى الجانب الذى تتطرق منه الأمم إلى الطريق الصواب وقد كانت تربيته - صلى الله عليه وسلم - فى أعلى مقامات التربية لم تسبق ولن تلحق ، وآتت الثمار المرجوة منها وكانت الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس كما شهد بذلك - الله عز وجل - وكفى بالله شهيدا .(٢)

(١) سورة الجمعة آية ٢

(١)المستفاد من قصص القرآن الكريم ص٦٣ بتصرف

قال تعالى ((كتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) وقد شهد بذلك غير المسلمين حيث يقول هيل: (ولا تعرف فى التاريخ دعوة كان صاحبها سيدا مالكا لزمانه ولقومه كما كان محمد لقد أخرج أمة إلى الوجود ولكن لعبادة الله فى الأرض وفتحها لرسالة الطهر والفضيلة ووضع أسس الفضيلة والمساواة الاجتماعية بين المؤمنين وأحل النظام والتناسق والطاعة والعزة فى أقوام لا تعرف غير الفوضى) .

ولنقارن بين حياة المسلمين قبل الإسلام وبعده لنذكر مدى النجاح الذى حققه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى تربية أمتة .

١. صور من تربية الرجال:-

قد يصعب على الأب قيادة طفله الذى هو نقى بفطرته ، فكيف برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يقود مجتمعا دنسته عقيدة الشرك ، فيه أبو جهل وأبو لهب وغيرهما من صنائيد الكفر ولكن تربيته أنت نتائجها جليلة فى كثير من شخصيات مكة .

وأوضح مثل ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فهو فى الجاهلية ، رجل قبلى الكفر والطبيعة همة فى الحياة اللهو والبطالة مع أصدقائه ولكنه ما إن شرب كأس الإسلام من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح عمر العبقرى الفذ ورجل الدولة العظيم الكبير ورمز العدل مع الحزم والرحمة وسعة الأفق وصدق الإدراك وحسن

الفراسة .(١)

فأين عمر في الإسلام من عمر في الجاهلية أين جفوة القلب
وخشونة الحس والعناد الأصم من رقة عمر حين أسلم ولين جانبه إلى
الحق وانعطافه إليه وحساسيته المرهفة وبكائه لآلام الناس؟

ودليل نجاح التربية في ذلك أن الطابع العام لعمر رضى الله
عنه لم يتغير وما كان مطلوباً منه في الإسلام أن يتغير ، بقيت له
قوته وصرامته وحسه وعزمه ولكن في الحق والخير وإنفاذ كلمة الله،
ثم قوم الإسلام ما كان فيه من انحراف وغلو فصار عمر رضى الله
عنه في إسلامه آية من آيات الإسلام .

وقد ظهرت التربية مكتملة في حياة الصحابة عندما خرجوا
ناشرين لدين الله في الأرض ومن خلال حوارهم مع ملوك الدول
يظهر لنا نجاح التربية ، فهذا ربيع بن عامر يسأله رستم قائد الفرس
: ما الذي جاء بكم ؟ فكانت إجابته : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من
عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا
والآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

وهذه هي التربية وما أيقظت من روح التمكين لدين الله في
الأرض وما فتحت من مشارق الأرض ومغاربها وأنارت طرق
الضالين وأصبح المسلمون هم القوة الأولى في العالم التي يقتدى بها
كل من يريد القوة والتقدم .

أريت قائداً وحربياً جعل مكانة من يربيه بين الناس كما جعل
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكانة المسلمين بين الأمم (١).

٢. صور من تربية النساء:-

وجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليعطى المرأة حقوقها ويقر لها ما لم تكن تحلم به وجاء بالإسلام فأعزها وأكرمها واهتم بها وأصبحت تستطيع أن تشكو هضم حقها وتجد من يسمع لها، قال تعالي ((قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاور كما إن الله سميع بصير))^(١) .

ولم تعد المرأة تطالب بحقها فقط بل بحقوق غيرها وتعلمهن أن لهن حقوقا فقد أخرج النسائي عن عائشة رضى الله عنها أن فتاة قالت للنبي - صلى الله عليه وسلم - :- إن أبى زوجنى من ابن أخيه ليرفع بى خسيسته وأنا كارهة فأرسل النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى أبيها فجاء فجعل الأمر إليها فقالت يا رسول الله قد أجزت ما صنع أبى ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للأبء من الأمر شئ ()^{كثير} ولم نعلم مرييا على هذا القدر من احترام حقوق الآخرين والمحافظة عليها ، فى مثل هذا الأسلوب التربوى العظيم ، ووصل الحد فى تربية النساء إلى الدرجة التى سمح لهن أن يبدين رأيهن فيما يعرض من مشكلات وكان أول من يأخذ برأى النساء وهو النبى - صلى الله عليه وسلم - وتروى سيرته العطرة عن ذلك عندما : تردد المسلمون فى الذبح أو التقصير بعد صلح الحديبية فأشارت عليه زوجته أم سلمة رضى الله عنها بما أصلح الأمر وجعل المسلمين يقتدون برسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٢).

ولو قارنت المرأة بين تربية الرسول - عليه الصلاة والسلام - لنساء عصره وبين أسلوب التربية في العصر الحديث لو جدت أنها الخاسرة لأنهن ربحن الدين والدنيا في تربية الإسلام وغنى عن البيان خسارة المرأة المتحضره وما تعانيه من مشكلات ، فهلا عادت المرأة إلى رشدتها وجعلت أمهات المؤمنين قدوتها .

صور من تربية الغلمان :-

إذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد بلغ الغاية العظمى في تربية الرجال والنساء فهو كذلك مع الغلمان .
وليس أدل على ذلك من حياة على بن أبي طالب كرم الله وجهه الذي كان أول من آمن من الغلمان ولولا هذه التربية الناجحة لما عرض نفسه للموت بالمبيت في فراش النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلة الهجرة .

وتبدو التربية واضحة في غلام حدث هو عبد الله بن الزبير ابن العوام الذي جمع أترابه من الغلمان وتوجه معهم إلى بيت الرسول - صلى الله عليه وسلم - لمبايعة الرجال ولم يملك الرسول الكريم إلا أن يمد يده ليبياعه .

وها هو نفس الغلام في مشهد رائع مع عمر بن الخطاب رضی الله عنه لما فر الصبيان عندما رأوا عمر وتركوا عبد الله بمفرده فيسأله عمر رضی الله عنه لما لم تفر كما فر أصحابك ؟ فماذا كانت إجابة الغلام الذي رباه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنها إجابة لا تدل إلا على التربية ، تربية من نوع خاص فقد قال لست مذنباً فأخاف منك وليست الطريق ضيقة فأوسع لك (١).

(١) أصول التربية النبوية ص ٦٥ بتصريف

ولم تسنح فرصة إلا سخرها رسول الله التسخير
 الأمثل ليعلم أطفال الأمة فما هو ذا يعلم عبد الله بن عباس رضى الله
 عنهما عندما كان ردفا له قائلا (يا غلام إنى أعلمك كلمات احفظ الله
 يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت
 فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن
 ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعت على أن يضروك لن
 يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفع الأقاليم وجفت الصحف) (١٠) حجرت
 والمتتبع لحياة عبد الله بن عباس يجد كيف كان لهذه النصيحة
 أكبر الأثر فى حياة عبد الله بن الأمانة وترجمان القرآن .

ملاح متفرقة فى التربية

لم يترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جانبا من جوانب
 الحياة إلا كانت له فيه لمسة تربوية :-

- رأيت وهو يهتم بزينة المسلمين فيما روى أن أتاه رجل ثائر
 شعر الرأس واللحية فأشار إليه - صلى الله عليه وسلم - كأنه يأمره
 بإصلاح شعره ففعل ثم رجع فقال - صلى الله عليه وسلم -
 ليس هذا خيرا من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان .
- أريته - صلى الله عليه وسلم - مع الأعرابي الذى بال بالمسجد
 وقام إليه الصحابة ولكنه - صلى الله عليه وسلم - أمرهم ألا
 يقطعوا عليه بول له وتركه حتى انتهى من بوله ثم علمه أن
 المساجد لا تصلح لشيء من البول ولكنها لذكر الله تعالى
 والصلاة وقراءة القرآن وأمر بدلو من الماء فصبه عليه . (١)

- رأيت اللمسة السامية منه - صلى الله عليه وسلم - في تربية أصحابه حتى الأسماء فقد قال أبو دواد وغير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اسم العاص وعزيز وعتلة وشيطان والحكم وغراب وحباب وشهاب فسماه هشاما وسمى حربا سلما .

- رأيت التربية الأخلاقية للنبي - صلى الله عليه وسلم - معلما أصحابه لما ينبغي أن يكون عليه تعامل الأخوة المسلمين في المجتمع المسلم من الإصلاح بين المتخاصمين وتحريم سخرية المؤمنين بعضهم ببعض أو لمز أنفسهم أو التجسس أو الغيبة وتوجيهاته بعدم دخول البيوت إلا باستئذان وبغض البصر ومنع الفتنة .

- رأيت التربية الاجتماعية بحماية الضعفاء في المجتمع المسلم من نساء أو ولدان أو رجال ضعفاء ويتامى وعبيد .
وبكل هذه التوجيهات وغيرها نجح الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تربية أمة أصبحت قدوة للأمم العالم (١) .

أثر منهج النبي - صلى الله عليه وسلم - في تغيير المجتمع

أما أثر ذلك المنهج فيمن رباهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقد كان واضحا في سلوكياتهم وأخلاقهم وانضباطهم ، فحين خرج إلى بدر فإنه لم يقصد قتالا لأنه خرج للغير ليفجع قريشاً في مالها ، لكن الله قد اختار له النفير " المعركة " ولولا المسلمون الذين كانوا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - قد تربوا تربية إيمانية قوية لما ثبتوا في معركة قد فرضت عليهم ولختلت صفوفهم بفرار البعض منهم .

(١) مجلة منار الإسلام العدد الثالث السنة الثامنة عشر

عدد ربيع الأول ١٤١٣ هـ من مقال الأستاذ / علاء محمد حسنين ص ٩٤ - ٩٧

ولكن أثر التربية كان واضحا فى قول بعضهم يا رسول الله " لقد آمانا بك واتبعناك واتبعنا النور الذى أنزل معك فوالله لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك إنا لصبر فى الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله.

والآخر يقول :- فوالله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون " .

ويظهر أثر التربية الإيمانية أيضا فى غزوة الأحزاب التى وصفها رب العالمين حين قال ((إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا))^(١) .

ففى هذه الغزوة ظهرت آثار التربية على المؤمنين الصادقين وظهرت آثار عدم التربية على المنافقين ، فالمنافقون ظهر فيهم الهلع والفرع وانهاروا من داخلهم وصاروا يتفلتون زاعمين كذبا وزورا أن بيوتهم عورة ، ظانين أن الرسول والمؤمنين لن ينجو منهم أحد ، وظنوا أن الله خاذل نبيه ومضيعه وخابت ظنونهم وجاء القرآن ليفضح هذه الفئة المريضة (٢).

فقال تعالى ((وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا . وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتهم عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارا* ولو دخلت عليهم من أقطارهاثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا* ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا* قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا* قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا* قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون بالبأس إلا قليلا* أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا))^(١).

أما المؤمنون الذين تربوا على الإيمان وأثر فيهم منهج النبى - صلى الله عليه وسلم - فى دعوته فلقد كان لهم منطق عجيب ، فهم على الرغم من أنهم زلزلوا زلزالا شديدا إلا أنهم واثقون كل الثقة فى ربهم ونبىهم وقالوا ما ذكره الله عنهم ((ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما* من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا* ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان عفورا رحيفا* ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا))^(٢) .

(١) سورة الأحزاب آية ١٢ - ١٩

(٢) سورة الأحزاب آية ٢٢ - ٢٥

وإننا لنلاحظ أثر هذا المنهج فى البناء والتغيير فى نفوس هؤلاء الصفوة حين جاءهم الإعلان الأخير بتحريم الخمر تحريما نهائيا قال تعالى ((يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون* إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون))^(١) .

فحين نزلت هذه الآية فهل أنتم منتهون قالوا : انتهينا ربنا .
ولولا أنهم يخافون الله تعالى ويعملون حسابا ليوم يحاسبهم فيه الجبار سبحانه وتعالى لما تخلوا عن مثل هذه الأمور التى تعودوها منذ صغرهم وظلت معهم طوال حياتهم والأمثلة فى كتب السنة والسيرة كثيرة^(٢) .

ونحب أن نقول إن منهج النبى - صلى الله عليه وسلم - الذى أحدث هذا التحول والتغيير فى هذا المجتمع الذى كان يعانى من الظلمات والجهالات ، لم يذفن مع النبى - صلى الله عليه وسلم - ولكنه مازال حيا ومازال غضا طريا بين أيدينا فسر هذا المنهج الذى غير به الرسول - صلى الله عليه وسلم - وجه الحياة هو كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - " تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "

(١) سورة المائدة آية ٩٠ - ٩١

(٢) تذكرة الواعظين أحمد محمد عبد الخالق، ص ٣٤ - ١٣٨

من صفات الرسول - صلى الله عليه وسلم - التي ساعدته على

نشر الدعوة :-

١. الصبر

ولقد اعتمد - صلى الله عليه وسلم - في دعوته على سلاح الصبر فكان سلاحه الذي واجه به طغيان قريش وبغيها وزاده في جميع مواقف الشدة التي فاقت ما لاقى الأنبياء قبله، وبالصبر عليها ، وسيرته الشريفة حافلة بالكثير من الأمثلة التي تجلى فيها صبره صلوات الله وسلامه عليه حتى جاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا وأكمل الله له الدين وأتم عليه النعم وهو يعتمد في خلال هذه الفترة على الصبر متمثلا قوله تعالى ((واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا))^(١)

وقوله تعالى ((ولربك فاصبر))^(٢)

فالصبر هو الزاد الأصيل للداعية وهو يواجه الأمواج العاتية من الطغيان والعناد والتمرد والإصرار على الكفر.

ومن أبرز صفاته - صلى الله عليه وسلم - الحلم والاحتمال والعفو مع المقدرة وقد تكون هذه الأخلاق من آثار الصبر الذي يجب أن يتحلى به كل الدعاة إلى الله فالحلم حالة توقر وثبات عند الأسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند الآلام والمؤذيات وأما العفو فهو ترك المؤاخذة (٣).

(١) سورة المزمل آية ١٠

(٢) سورة المدثر آية ٧

(٣) مع الأنبياء في القرآن الكريم - عفيف عبد الفتاح ص ٤٢٨ بتصرف

قال القاضي عياض : وهذا كله مما أدب الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - فقال تعالى ((خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين))^(١) روى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما نزلت هذه الآية عليه سأل جبريل - عليه السلام - عن تأويلها فقال له حتى أسأل العالم . ثم ذهب فأتاه فقال يا محمد إن الله أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك .

وقال تعالى ((واصبر على ما أصابك))^(٢) وقال ((فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل))^(٣) فكان - صلى الله عليه وسلم - لا يزيده مع كثرة الأذى إلا صبرا وعلى إسراف الجاهل إلا حلما .

ولما كسرت ربايعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه وقالوا لو دعوت عليهم فقال ((إني لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة . اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون))

ويروى أن عبد الله بن أبي رأس المنافقين غضب يوم غزوة بني المصطلق وذلك بسبب ما حدث من شجار بين غلام أنصاري وغلام مهاجري ولطم المهاجري الأنصاري ، فقال ابن أبي ما صحبنا محمداً إلا لنلطم . ما مثلنا ومثلهم إلا كما قيل . سمن كلبك يأكلك ، والله لن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وطلب منه بعض أصحابه أن يقتل ابن أبي بما تفوه من الكفر والخيانة فقال - صلى الله عليه وسلم -

- [لا لئلا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه] (٤)

(٢) سورة لقمان آية ١٧

(١) سورة الأعراف آية ١٩٩

(٤) الاستفادة من قصص القرآن ج ٢ ص ٢٩٤ بتصرف

(٣) سورة الأحقاف آية ٣٥

وعن أنس رضى الله عنه قال كنت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه أعرابي بردائه جذبه شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه قال يا محمد : احمل لى على بعيرى هذين من مال الله الذى عندك فإنك لا تحمل من مالك ولا مال أبيك . فسكت النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم قال المال مال الله وأنا عبده ثم قال : ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بى قال لا : قال : ولم ؟ قال لأنك لا تكافئ السيئة بالسيئة فضحك النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم أمر أن يحمل له على بعيره شعير وعلى الآخر تمر .

وجاءه ابن كعبنة اليهودى يتقاضاه ديناً فجذب ثوبه عن منكبه وأخذ مجامع ثوبه وأغلظ له ثم قال : إنكم يا بنى عبد المطالب قوم مطل فانتهره عمر وشدد له فى القول والنبي - صلى الله عليه وسلم - بيتسم فقال - صلى الله عليه وسلم - أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر تأمرنى بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضى ثم قال لقد بقى من أجله ثلاثة أى من أجل الدين وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعاً لما روعه - أى بسبب تخويفه إياه بالقتل - فكان ذلك سبب إسلام ابن ثعنة وكان أفضل من أسلم من اليهود أخلاقاً وأكثرهم مالاً .

وصدق الله العظيم إذ يقول ((وإنك لعلى خلق عظيم)) (١) .

ورحم الله شوقى إذ يقول :-

وإذا عفوت فقادراً مقدرًا لا يستهين بعفوك الجهلاء (٢) .

(١) سورة القلم آية ٤

(٢) الدعوة الإسلامية علماً وعملاً ص ٣٥ من مقال الأستاذ صلاح أحمد الطنون ص ٨

٢. الجود :-

ومن أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان أجود الناس جميعا وكان الخير يتدفق من بين يديه يسابق الريح المرسله فيما تأتي من سحب تهطل منها الأمطار مدرارا .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال كان النبي - صلى الله عليه وسلم - " أجود الناس بالخير وأجود ما يكون فيه فى شهر رمضان لأن جبريل كان يلقاه فى كل ليلة فى شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : القرآن فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسله "

وأمضى الرسول - صلى الله عليه وسلم - عمره ينفق كل ما يصل يديه من المال لا يدخر منه شيئا خشية إملاق فى غده أو بعده ، بل يعطى عطاء من لا يخشى فقرا .

ولقد دأب النبي - صلى الله عليه وسلم - على الرفق بالناس فجعل يختار لهم من أمورهم أيسرها وأرحبها مجتبا ما حرمه الله فعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما خير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها (١).

٣. حسن الخلق

اعتمد - صلى الله عليه وسلم - فى دعوته على حسن الخلق
ولقد عرف الجميع النبى - صلى الله عليه وسلم - بحسن خلقه
قبل البعثة وبعدها.

ولقد أكد القرآن الكريم على ذلك حين وصف محمدا - صلى الله
عليه وسلم - فى قوله تعالى ((وإِنَّكَ لَعِىَ خَلْقٍ عَظِيمٍ))^(١) فعندما
استعظم خلقه لفرط احتماله الأذى من قومه وحسن مخالفته ومداراته
لهم وصفه بالخلق العظيم .

وقال الحسن رضى الله عنه هو أدب القرآن ، وقال قتاده : هو ما
كان يأمر به من أمر الله وينهى عنه الله ، والمعنى إنك لعلى الخلق
الذى أترك الله به فى القرآن (٢).

ومما تجدر الإشارة إليه أن وصف النبى - صلى الله عليه وسلم
- بالعظمة الأخلاقية لم يرد لأى إنسان بهذه الصورة فى القرآن
الكريم .

وفى الآية لفت نظر الناس إلى أن مبلغ هذه الرسالة العظمى
ليس إنسانا هينا وإنما هو مؤهل بأجمل الأخلاق .

ويذكر صاحب المدارج أن الله تعالى جمع لرسوله - صلى الله
عليه وسلم - مكارم الأخلاق فى قوله تعالى ((خذ العفو وأمر
بالعرف وأعرض عن الجاهلين))^(٣) .

(٢) المستفاد من قصص القرآن ج ٢ ص ١٤٥ بتصرف

(١) سورة القلم آية ٤

(٣) سورة الأعراف آية ٩٩

قال جعفر بن محمد : أمر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم -
بمكارم الأخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه
الآية .

وقد ذكر أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - لجبريل : (ما هذا ؟) قال لا أدري حتى أسأل .. ثم
رجع إليه فقال : إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من
حرملك وتعفو عمن ظلمك .

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال (لم يكن النبي
- صلى الله عليه وسلم - سبابا ولا فحاشا ولا لعانا كان يقول لأحدنا
عن المعيبة ماله ترب جبينه .

وقد شهد بسمو أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم - وعظيم
قدرة نفع من المستشرقين فيقول " واشنجتون أرفنج : " كانت طباع
الرسول - صلى الله عليه وسلم - هادئة متلائمة وكان يمزح أحيانا
ولكنه كان في معظم الأحوال جادا وإن كانت له ابتسامة خالصة) .
ويقول عنه موير : إن أوثق برهان على صدق محمد وإخلاصه
، أن كان أسبق الداخلين في الإسلام من ذوى الاستقامة في خاصة
أصفيائه وأهل بيته (١) .

٤. خلق العفو :-

ومن الأركان الأساسية التي اعتمد عليها - صلى الله عليه وسلم -
- في نشر دعوته وكان سببا في إسلام الكثير وكان العفو خلقاً بارزاً
في شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - . وقد استزاد القرآن
من خلق العفو عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عندما أمره
في قوله تعالى ((خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)) (٢) .

(١) مجلة المنار الإسلامية السنة ٥٩ العدد ٣ ربيع أول ١٤٢١ هـ من مقال للأستاذ محمد السيد المليجي ص ٧٨ - ٧٩

(٢) سورة الأعراف آية ٩٩

أى خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم
وتسهل من غير كلفة ولا تطلب منهم الجهاد وما يشق عليهم حتى لا
ينفروا .

وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية
الزكاة فلما نزلت أمر أن يأخذهم بها طوعا أو كرها ، فكان -صلى الله
عليه وسلم- أقدر الناس على العفو وأسبقهم إليه .

ومما روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى العفو
ما ذكره صاحب الإحياء عن الإمام على كرم الله وجهه حين قال (يا
عجبا لرجل مسلم أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو
كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا ، لقد كان ينبغى أن يسارع إلى
مكارم الأخلاق فإنها مما تدل على سبيل النجاة) فقال له رجل :
أسمعتك من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .. فقال : نعم وما
هو خير منه ، لما أتى بسبايا طيئ ووقفت جارية فى السبى فقالت : يا
محمد إن رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب ، فإنى
بنت سيد قومى ، وإن أبى كان يحمى الزمار ويفك العانى ويشبع
الجائع ، ويطعم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا
ابنة حاتم الطائي فقال - صلى الله عليه وسلم - (يا جارية هذه صفة
المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباهما
كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق) (١) .

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ج ٧ ص ١٢٨١ ط دار الشعب القاهرة .

ولقد تجلى عفو الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن أعدائه
فقد روى جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال لما تصدى غورث ابن
الحارث لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليفتك به والرسول -
صلى الله عليه وسلم - متكئ تحت شجرة وحده قائلاً ، والناس قائلون
فى غزاة ، فلم ينتبه الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلا وهو قائم
والسيف صلتا فى يده فقال : من يمنعك منى ؟ فقال - صلى الله عليه
وسلم - " الله " فسقط السيف من يده ، فأخذه النبى - صلى الله عليه
وسلم - وقال " من يمنعك منى " فقال كن خير آخذ فتركه - صلى
الله عليه وسلم - وعفا عنه فجاء غورث إلى قومه فقال جئتكم من
عند خير الناس .

وروى أنس رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عنه وسلم
عفا عن اليهودية التى سمته بعد اعترافها^(١) .

وتتعد صور العفو من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع
أعدائه فى الحرب و غير الحرب وتكثر المواقف التى تستخرج صفة
العفو من طيات أطهر القلوب وأصفاها وأنقاها ، ليستلهم منها
المسلمون رشدهم فى الأخذ بالعفو وترسيخ مبدأ الصلح حتى تنهض
بعاداتها وسجاياها إلى مراتب النفوس الذكية السامية التى تملك القدرة
على العفو .

٥. خلق الرحمة ولين الجانب :-

كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هينا لينا يحب الرفق في قضاء الأمور وينهى عن العسر وقد جذبت رحمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - كثيرا من الناس إلى الإسلام وكشف لين الجانب عنده عن سر التفاف الناس من حوله ومن ثم قال تعالى ((فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين))^(١).

فانظر رحمك الله إلى قول الله تعالى ((فبما رحمة من الله))

وما فيه من معاني البشر والسرور وبقدوم خير البرية .

فكان - صلى الله عليه وسلم - رفيقا بأهله وأصحابه بل وغير أصحابه أيضا فعن السيدة عائشة رضی الله عنها قالت دخل رهط اليهود على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : السام عليكم ، قالت عائشة ففهمتها فقالت : وعليكم السام واللعنة ، قالت فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " مهلا يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله " ، فقلت يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد قلت وعليكم .

ويظهر جليا مدى رحمة النبي ولين جانبه عندما فتح الله عليه مكة دخل الكعبة وكسر الأصنام وأمر بالصور فمحيث ثم أغلق عليه الباب وعلى أسامة وبلال فاستقبل الجدار الذي يقابل الباب حتى إذا كان بينه وبينه ثلاثة أذرع وقف وجعل عمودين عن يساره وعمودا عن يمينه وثلاثة أعمدة وراءه وكان البيت على ستة أعمدة ثم صلى هناك ، ثم دار في البيت وكبر في نواحيه ووجد الله ثم فتح الباب وقریش قد ملأت المسجد صفوفًا ينتظرون ماذا يصنع ؟ (٢)

(١) سورة آل عمران آية ١٥٩ (٢) المرجع السابق ج٢ ص ٤٠٥ بتصريف

فأخذ بعضادتي الباب وهم تحته فقال :-

لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة أو مال أو دم تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ألا وقتيل الخطأ شبه العمد ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أو ولادها ، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيها بالأباء، الناس لآلهم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير))^(١)

ثم قال : يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم .. قال : فإنى أقول لكم كما قال يوسف لإخوته لا تثريب عليكم اليوم إذهبوا فأنتم الطلقاء^(٢) .

ومن بالغ رحمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالناس أجمعين ما رواه البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن أعرابيا بال فى المسجد فقاموا إليه فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا ترموه - أي لا تقطعوا عليه بوله - ثم دعا بدلو من الماء فصب عليه وما ذلك إلا من عظم رحمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمسلمين وبغير المسلمين .

٦. خلق التواضع :-

عرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالتواضع فى قوله وفى سلوكه وفى تعامله مع الناس بشتى أصنافهم ومراتبهم .
وكان يأكل على الأرض ويجلس على الأرض ويلبس العباءة ويجالس المساكين ويمشى فى الأسواق وينقص من نفسه .

(١) سورة الحجرات آية ٣

(٢) الرحيق المختوم المباركفورى ص ٢٨٦ مكتبة السنة ط الأولى ١٩٩٤ م

وكان يقول (إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد ولو دعيت إلى ذراع لأجبت ولو أهدى إلى كراع لقبلت).

ومما روى عنه أنه كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحلب الشاة لأهله ويعلف البعير ويأكل مع الخادم ويجالس المساكين ويمشى مع الأرملة واليتيم في حاجتهما ويبدأ من لقيه بالسلام ويجيب دعوة من دعاه ولو إلى أيسر شئ؟

وقد لاحظ الصحابة هذه السمائل واقتدوا بها في حياتهم ومع أهلهم فسادوا البلاد وفتحوا المدن والقرى وحطموا الحصون وكونوا بتواضعهم حضارة إسلامية مزدهرة دانت لها أوربا والعالم أجمع وذلك لأن تواضعهم كان من غير مذلة وإنما كان من هدى رسولهم وقدوتهم محمد - صلى الله عليه وسلم - ومن ثم دفعهم إلى العمل الجاد والالتفات إلى جوهر الأشياء ومضمونها لا إلى الشكل أو الصور الزائفة التي تستتر وراءها الأوهام الكاذبة وانظر إلى قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى الرجل الذي جئ به إليه فأرعد من هيبتة فقال له - صلى الله عليه وسلم - " هون عليك فلست بملك وإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد " (١).

إن هذا الخلق كان عاملا من عوامل نجاح الرسول - صلى الله عليه وسلم - في دعوته فقد كان له أبلغ الأثر فيمن حوله .

(١) منير الإسلام من مقال الجانب الإنساني في شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - ص ٨١

٧. شجاعته - صلى الله عليه وسلم - :-

لم تمنع رحمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا تواضعه
ولين جانبه من إقدامه في الحرب أو شجاعته في المواجهة بل كان -
صلى الله عليه وسلم - أشجع الناس وأقربهم إلى العدو ، كما كان -
صلى الله عليه وسلم - لا يخشى في الله لومة لائم ولا يحجبه عن
حدود الله ونفاذها حاجب مهما بلغت قوته أو عظم جاهه .
ومما يؤثر عن شجاعته - صلى الله عليه وسلم - ما رواه
البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنهما أنه قال كان النبي -
صلى الله عليه وسلم - أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ولقد
فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فاستقبلهم النبي
- صلى الله عليه وسلم - وقد سبق الناس إلى الصوت (لن تراعوا
لن تراعوا) وهو على فرس لأبى طلحة عرى ما عليه من سرج في
عنقه سيف فقال (لقد وجدته بحرا أو إنه لبحر)
فكانت شجاعته - صلى الله عليه وسلم - تفوق كل شجاعة
وكان بأسه يسبق كل بأس ومن ثم روى عن الإمام على كرم الله
وجهه أنه قال لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي - صلى الله عليه
وسلم - وهو أقربنا وكان من أشد الناس يومئذ بأسا وقال أيضا : كنا
إذا احمرت الحدق وحميت الحرب اتقينا برسول الله - صلى الله عليه
وسلم - فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه .
ومما روى عن عمران بن حصين أنه قال ما لقي رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - كتيبة إلا كان أول من يضرب وقالوا كان
قوى البطش ولما غشيه المشركون نزل عن بغلته فجعل يقول أنا النبي
لا كذب أنا ابن عبد المطلب ، فما روى يومئذ أحد كان أشد منه (١) .

وهكذا امتزجت رحمته - صلى الله عليه وسلم - بشجاعته وبأسه وشدته واجتمع حسن خلقه مع عدله وإقامته لحدود الله من غير خشية ولا وهن .

وهكذا وجدنا الجانب الأخلاقي له دور عظيم في فتح قلوب غلف وأذان صم وأعين عمى ، لقد حولهم من أعداء للإسلام إلى مسلمين وبعد أيام بسيطة نجدهم يحملون لواء الإسلام ويدخلون مكة فاتحين كما حدث لقبائل غطفان بعد غزوة ذات الرقاع وما تبعها من سرايا (١).

وبناء على ذلك ينبغي للمسلم أن يتطلع إلى الاقتداء بالنبي - صلى الله عليه وسلم - في صورة مكتملة غير تلك التي يفهمها كثير من الناس ، إن الصفات والسجايا النبوية يجب أن تمتلك كل فرد من الأمة المحمدية حتى تحدث تغييرا جوهريا في شخصيته ويبدأ ذلك بالإقتداء بالنبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - في فكره وسيرته ومفهوم غايته ووظيفته ، لقد كان فكر النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي يجب أن يكون هو فكر كل مسلم - كيف نتحقق الهداية لكل البشر ؟ وكيف يدخل الناس في دين الله أفواجا ؟ لذلك لم يكن النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - يرى إلا رائحا أو غاديا ، دائم الفكر ، متواصل الأحزاب ، مهتما بدخول الناس في الإسلام، حريصا على اتباعهم للحق، يكاد يرهق نفسه في ذلك قال تعالى ((فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا)) (١) .

كما حدد جانب عمله في الأمة فقال تعالى ((وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض))^(١) .
 ومع الحرص النبوي على هداية كل البشر كان رحمة لهم أيضا ، حيث دعا إلى الله بالتي هي أحسن وكان طريقه في ذلك فريدا فقد كان يتهدد الليل شكرا ودعاء واستدراارا لعون الله ((يا أيها المزمّل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ، إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً))^(٢) .

فإذا أتى النهار خرج في سبيل الله للدعوة مستعينا بالله ((يا أيها المدثر قم فأندر))^(٣) وكانت العواطف النبوية تتوجه إلى الرحمة باستنقاذ الخلق من عبودية المادة والطواغيت إلى عبودية الله وحده ومن التعلق بالأسباب الأرضية إلى التعلق بقوة الله وقدرته وعظمته وتوجيه الفكر من الدنيا إلى الآخرة وتوجيه العمل البشري في طريق العمل الصالح وفي سبيل الله وحده .

ولم تقتصر دعوته - صلى الله عليه وسلم - على بعض الناس دون بعض، ولم يتفاضل الناس أمامه لأموالهم أو أحسابهم أو أنسابهم، فدعوة الإسلام مثل المطر تريد أن تنال برحمتها ونورها وخيرها الناس جميعا دون تفرقة عرقية أو مادية لأنها رحمة تتسع لكل البشر، ومن ثم كان على كل داعية يقوم بأمر هذه الدعوة سائر في طريق النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يسلك منهج النبي - صلى الله عليه وسلم - دعوته فتكون وظيفته في الحياة السعي لنشر الدين وإعزازه وتبليغه وتعليمه بالإقناع والحكمة والموعظة الحسنة لكل الخلق (٤).

(٢) سورة المزمّل آية ١ - ٥

(١) سورة المشورى آية ٥٢ - ٥٣

(٤) المستفاد من قصص القرآن ج ٢ ص ٧٣ بتصريف

(٣) سورة المدثر آية ١ - ٢

دروس وعبر من دعوة النبي - صلى الله عليه وسلم -

١. الترهيب أسلوب من وسائل الدعوة إلى الله تعالى :-

فآيات سورة المدثر التي ذكرناها سالفًا فيها دليل واضح على أن الترهيب من أساليب الدعوة فلا يجوز إغفاله من قبل الدعاة والأصل أن يكون الترهيب من عذاب الله وسخطه وذلك بسبب عدم الانقياد إلى شرعه .

٢. الدعاة لا يمتنون بعملهم على أحد :-

وهذا واضح في قوله تعالى ((ولا تمنن تستكثر)) وقول الحسن البصري في معنى هذه الآية وهو ولا تمنن بعملك على ربك تستكثره، وعلى هذا لا يجوز للدعاة أن يمتنوا على الله أو على أحد من الناس بما يقومون به من نشر الدعوة إلى الله ، أو يستكثروا جهادهم في الدعوة ، فمهما يقدموا فهو في جنب الله قليل ، فعليهم أن يجعلوا إشعارهم كل بذل في سبيل الله ودعوته قليلًا .

٣. الصبر عدة الدعاة إلى الله :-

فالداعي لابد أن يصبر عند الإبتلاء بأذى المدعوين فعليه أن يقابل ذلك بالصبر الجميل ويحتسب الأجر عند الله تعالى .

٤. حاجة الدعاة إلى قيام الليل :-

فقيام الليل والصلاة والقراءة فيه الدعاة من أكثر الناس حاجة إليه لأنهم يقومون بأعباء الدعوة إلى الله وهي بطبيعتها تحتاج إلى قوة روحية عظيمة مع إيمان عميق واتصال دائم بالله عز وجل (١).

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٣ بتصرف

٥. الدوام على ذكر الله تعالى:-

ومما يحقق للدعاة اتصالهم الدائم بالله دوام ذكرهم له لقوله تعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم - ((واذكر اسم ربك)) أى دم واستمر على ذكره تعالى ليلا ونهارا على أى وجه كان هذا الذكر من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة ونحو ذلك فهذا الذكر الدائم المتواصل من الدعاة يزودهم بقوة هائلة من الإيمان يعينهم على تحمل أعباء الدعوة وتكاليفها (١) .

٦. استكمال متطلبات الفترة قبل البدء بها:-

وهذا واضح فى مرحلة الدعوة السرية التى سبقت فترة الدعوة الجهرية وذلك لإيجاد القاعدة الصلبة التى تركز عليها الدعوة فى فترات المحن والشدائد وذلك عندما يحدث الصدام مع المشركين فتستطيع الفئة المؤمنة المقاومة التحمل للأذى بالصبر والثبات على الدعوة مهما كان الأذى الذى يصيبهم .

٧. ضمان الله للقائمين بالدعوة الجهرية:-

قال تعالى ((إنا كفيناك المستهزئين)) (٣) وهذه الآية ضمان من الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - لينهض بالدعوة نهضة من لا يهاب ولا يخشى .

ولا شك أن وعد الله لرسوله بالحفظ والصيانة من شرور أعدائه والمستهزئين به سيشد أزره صلى الله عليه وسلم ويزيده قوة وثباتا على تبليغ رسالة ربه كما قال تعالى فى خطابه له فى آية أخرى قال تعالى ((يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)) (٣) .

(١) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة د / عبد الكريم زيدان مؤسسة الرسالة ط ٢٠٠٠ ص ١٧ - ٢٣

(٢) سورة الحجر آية ٩٥

(٣) سورة المائدة آية ٦٧

ويستنتج من ذلك أن الدعوة بحاجة إلى ما يشد أزرهم ويقويهم في تبليغ الدعوة دون خوف يمنعهم من هذا التبليغ ، ومما يقويهم على متطلبات الدعوة والقيام بتبليغها بعد الاعتماد على الله ، هو قيام رابطة فيما بينهم تكون سندا لهم بعد الله تعالى تدافع عنهم بكل ما تستطيع من قوة (١) .

٨. الطعن في الدعوة :-

لقد رد المشركون في مكة دعوة الإسلام وقابلوها بالتكذيب والطعن في الرسول صلى الله عليه وسلم واتهامه بالكذب والسحر وهو برئ من ذلك كله .

فعلى الدعوة أن لا يأخذهم العجب والبهر والانزعاج إذا ما رأوا بعض الناس أو بعضهم يردون دعوتهم ويعادونها ويتهمونهم بالتهمة الباطلة ، فليسوا - أى الدعوة - بأحسن حالا ولا أقوى حجة ولا أكثر تأييدا من الله ولا أنصح بيانا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك اتهمه أهل الباطل بما اتهموه به ، وردوا دعوته وهى دعوة الحق فإذا فقه الدعوة لذلك لم يلتفتوا إلى تكذيب المكذبين وطعنهم في أشخاصهم ، ومضوا فى دعوتهم بإصرار ويقين بنصر الله لهم (١) .

٩. إن الدعوة إلى الله تعالى بحاجة إلى تقوية الجانب الروحي :-

لديهم فى وسط هذا الركام من المشاغل والأعباء الدنيوية لابد أن يكون لهم قسط من قيام الليل والخلوة إلى الله سبحانه وتعالى وهذا يقوى عزيمتهم أمام التيارات المختلفة التى أصبح همها النيل والتقليل من شأن العالمين فى حقل الدعوة إلى الله تعالى .

(١) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة ص ٤٢ - ٤٤

(٢) المرجع السابق

١٠. المشركون يردون الدعوة ويطعنون في دعواتهم:-

لقد رد المشركون في مكة دعوة الإسلام وقابلوها بالتكذيب والطعن في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واتهامه بالكذب والسحر والنعوت القبيحة وهو - صلى الله عليه وسلم - برئ منها بل ويعلمون هم أنه منها برئ لأنهم يعرفونه بأنه الصادق الأمين ولكن كفرهم وعنادهم دفعهم إلى معادته والطعن في شخصه ودعوته .
فعلى الدعاة أن لا ينزعجوا إذا رأوا الناس يردون دعوتهم أو يعادونها فليسوا هم بأحسن حال ولا أقوى حجة ولا أكثر تأييداً من رسول الله ومع ذلك اتهمه أهل الباطل بما اتهموه وردوا دعوته ولكنه - صلى الله عليه وسلم - لم يلتفت إلى تكذيبهم ولا إلى طعنهم في شخصه ومضى في دعوته (١) .

قال تعالى ((ولقد استهزى برسلك من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون)) .

١١. واجب على الدعاة الثبات على دعوتهم:-

إن الدعاة هم أولى بالثبات على الدعوة من الكفار الذين يتمسكون بعقيدتهم الباطلة فقد اتفق اليهود مع كفار مكة على محاربة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وثبتوا على ذلك ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ثبت على دعوته ولم يردده كيدهم أو اجتماعهم ضده ، وفي العصر الحديث تتفق اليهودية والنصرانية والشيوعية والعلمانية على محاربة الإسلام والمسلمين والطعن في الدعاة فعلى الدعاة أن يقابلوا هذا الإصرار بثبات وعزيمة صادقة في تبليغ الدعوة ولهم في رسول الله أسوة حسنة وليذكروا قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - (والله الذي لا إله إلا هو لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه) (٢) .

(١) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة عبد الكريم زيدان ج ٣ ص ٥٤

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٧

١٢. وظيفة الدعوة هي وظيفة الرسل وهي البلاغ:-

إن تبليغ الدعوة إلى الناس هي وظيفة الرسل وبعد تبليغ الرسل يتحمل الدعوة هذه المهمة فيقوموا بالتبليغ ولكن ليس الإيجار أو الإكراه وإنما هو العرض والبلاغ .

قال تعالى ((وما على الرسول إلا البلاغ المبين))^(١) .

قال تعالى ((فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين))^(٢) .

فمن قبل الدعوة فقد اهتدى وكان نفع قبوله إلى نفسه ومن رفضها كان ضرر ذلك على نفسه قال تعالى ((قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل))^(٣) .

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - ليس بوكيل ولا حفيظ ولا مسئول عن الهداية وإنما هو مبلغ وكذلك الدعوة فما عليهم إلا أن يبلغوا الرسالة والله يهدي من يشاء^(٤) .

١٣. الابتعاد عن مجالس السوء ومواطن الشبه عند العجز عن

تغيير المنكر:-

لا يجوز للداعية أن يجلس في مجلس فيه استهزاء بآيات الله أو احتقار لشرعه أو سخرية من رسوله وخصوصا إذا كان لا يستطيع الإنكار أو تغيير هذا المنكر ولقد خاطب الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - في القرآن قائلا له :-

(١) سورة النور آية ٥٤

(٢) سورة النحل آية ٨٢

(٣) سورة يونس آية ١٠٨

(٤) تفسير القربطى ج١٦ ص ٤٧

قال تعالى ((وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين))^(١) .

فيجب على الدعاة أن لا يجلسوا فى مجلس فيه فسق أو حتى مجالسة الظلمة وخصوصا إذا أظهروا بعض المنكرات ولم يستطع الدعاة أن يأمرؤا بالمعروف أو ينهؤا عن هذا المنكر وعلى الداعية أن يبعد نفسه عن مواطن الشبهات فربما قيل لأنه يخالط الفسقة والظلمة ويقلدهم أو يوافقهم على ما هم فيه من منكر^(٢) .

١٤ . معجزة القرآن وبيان دلالتها:-

إن معجزة القرآن هى أكبر المعجزات الدالة على نبوة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وعموم رسالته وهذه المعجزة لا تزال قائمة بين أيدينا تتحدى كل من يكذب أو يشك فى نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وخصوصا أن معجزات الأنبياء السابقين انتهت بانتهاء حياتهم ولم يبق منها إلا أخبارها .

فعلى الدعاة أن يوضحوا هذه المعجزة وبيّنوا دلالتها للناس ويثبتوا أن هذا القرآن هو كلام الله الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأنه تحدى به العرب البلغاء الفصحاء فعجزوا أن يأتوا ولو بأية واحدة منه^(٣) .

(١) سورة الأنعام آية ٦٨

(٢) المستفاد من قصص القرآن الكريم / عبد الكريم زيدى ج ٢ ص ٧٧

(٣) المرجع السابق ص ٧٩

١٥ . العقيدة الباطلة قد تعلو على صلة الرحم :-

إن الداعية لا يتردد في قبول حماية أو دفاع قريب عنه وعن الدعوة وحتى إن كان هذا الذي سوف يقوم بالدفاع لم يستجب للدعوة ولكن ليعلم الداعية أنه ربما كانت العقيدة الباطلة مانعا عن الدفاع عن القرابة لأن الكراهة الشديدة للدعوة ربما كانت هي الغالبة لرسوخها في قلب صاحبها فتستولى عليه وتعلو على رابطة القرابة ومثال ذلك ما حدث من أبي طالب فقد قام مدافعا حاميا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكن في المقابل نجد أن أبا لهب وهو عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان في موقف مخالف لموقف أبي طالب بل على الضد منه فهو لم يكتف بعدم الاستجابة للدعوة ولكنه وقف محاربا لها صاداً عنهما للرسول - صلى الله عليه وسلم - بالكذب وهو يعلم أن ابن أخيه ليس بكذاب ولا مفترى فيما يدعو إليه ولكن العقيدة الباطلة طغت على القرابة وجعلت صاحبها يقاتل من أجلها أقرب الناس إليه وقد رأينا ذلك واضحا في غزوة بدر عندما وقف ابن أبي بكر في وجه أبيه وغيره من أعمامهم وأولاد أعمامهم وكانت الأغلبية في هذه الغزوة أقرباء ولكن العقيدة الباطلة طغت على القرابة وصلة الرحم (١) .

(١) المستفاد من قصص القرآن ج ٢ ص ٨٣

١٦. الأخذ بالأسباب:-

إن الأخذ بالأسباب لهو الإيمان بعينه والتوكل بذاته والدعاة هم أولى الناس بالأخذ بالأسباب والعمل بها ولقد وجدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو أول من أخذ بالأسباب وعمل بها ففي الهجرة لم يترك سبباً واحداً إلا أخذ به فهو قد ترك سيدنا علياً - رضي الله عنه - ينام في فراشه وخرج من بيته خفية واختفى في الغار ثلاثة أيام ووزع العمل فهناك من يأتي بالأخبار وهناك من يأتي بالطعام وهناك من يخرج معهم ليدلهم على الطريق أليس كل هذه الأمور تدل على أخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - بالأسباب (١) .

١٧. الحيطة والحذر:-

إن الحيطة والحذر واجب إسلامي فعلى الدعاة أن يأخذوا حذرهم ولقد أمرنا الله تعالى بذلك فقال تعالى ((يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم فانفروا ثباتاً أو انفروا جميعاً)) (٢) .

ولقد رأينا كيف كان النبي - صلى الله عليه وسلم - ومعه أصحابه يأخذون حذرهم ويستعدون لملاقاة أعدائهم، وفي الهجرة عندما ذهب الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى أبي بكر وقال له الرسول - صلى الله عليه وسلم - أخرج من عندك فقال أبو بكر إنما هم أهلك وخروج النبي - صلى الله عليه وسلم - من بيت أبي بكر من الباب الخلفي ومكثه في الغار ثلاثة أيام حتى يهدأ الطلب أليس كل هذا أخذاً بالحيطة والحذر (٣) .

(٢) سورة النساء آية ٧١

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٧

(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٨

١٨ . اشتراك الدعوة في أعمال البر :-

عندما يقوم الدعوة بالدعوة لعمل خير ما أو التحريض على بر كبناء مسجد أو مدرسة أو تعديل طريق أو ردم مستنقع أو غرس شجرة ونحو ذلك فلا بد أن يشتركوا مع الناس في هذه الأعمال ليكونوا القدوة الحسنة للناس وهذا رأينا في سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعند بناء المسجد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يعمل مع الصحابة وهو واحد منهم ولقد أنشد بعض الصحابة قائلاً :-

لئن قعدنا والنبى يعمل فذاك هو العمل المضلل (١)

وفى حفر الخندق كان معهم أيضا يحمل التراب ويعين على الحفر . وفى أحد الأسفار وكان معه بعض أصحابه وأرادوا ذبح شاة فقال واحد منهم على ذبحها وقال الآخر على سلخها وقال الآخر على طبخها وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا على جمع الحطب .

فلا بد من الاشتراك حتى يتدافع الناس إلى العمل والتعاون على البر والتقوى (٢) .

١٩ . عوامل نصر الدعوة والدعاة :-

على الدعاة أن يتذكروا ما بينه الله تعالى فى كتابه من عوامل النصر قال تعالى ((يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ولا تكون كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورتاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط)) (٣) .

(١) السيرة النبوية لابن شهبه ج٢ ص ٢٣

(٢) المستفاد من قصص القرآن الكريم / عبد الكريم زيدان ج٢ ص ١١٠

(٣) سورة الأنفال آية ٤٥ - ٤٧

والآية تشتمل على ما يأتي :-

أ- الثبات

الآية التي ذكرناها تخاطب المؤمنين وتأمّرهم بالثبات في وجه الكفار وتطلب منهم عدم الفرار من أمامهم لأنهم على الحق وخصومهم على الباطل وقد ثبت النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحابة معه في وجه أعدائهم وقاتلوهم حتى نصرهم الله عليهم في جميع الغزوات التي خاضوها .

والدعاة مطلوب منهم من باب أولى لأن الجهاد بالكلمة أيسر من الجهاد بالسلاح ، فلا يجوز للدعاة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدع بالحق ودعوة الناس إلى الإسلام ويتركوا المجال لأعدائهم ويخلوا لهم الساحة ليفعلوا ويقولوا ما يريدون وهل يليق بالداعية المسلم أن يترك الساحة لأهل الباطل يعبثون بها ويمثلون الدنيا بباطلهم وهو ساكت بيخل عن الدعوة بكلمة حق يقولها .

ب- دوام الإتصال بالله تعالى ودوام ذكره

والآية تطلب أيضا من المؤمنين أن يذكروا الله تعالى كثيرا بقلوبهم وبألسنتهم ومن كان معه الله فهو المؤيد المنصور ، وبذكر الله يشعر الداعية أن معه الله وأنه سوف ينصره ويؤيده (١) .

ج- طاعة الله ورسوله

إن طاعة الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - لهي من لوازم الإيمان فواجب على الدعاة أن يطيعوا الله باتباع ما أمر الله به

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ١٥٤

فى كتابه ويطيعوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - باتباع سنته والإقتداء به وتنفيذ أوامره وأهم هذه الأوامر تبليغ دعوته .

د- عدم التنازع والاختلاف

لا أضر على الجماعة المسلمة وجماعة الدعوة خاصة من التنازع أو الاختلاف ولهذا حذرنا الله منه وقد قدم الأمر بطاعة الله ورسوله على النهى عنه مما يشعر بأن العاصم من التنازع والاختلاف هو بطاعة الله ورسوله (١) .

هـ- الصبر

إن الصبر لهو ضرورى لكل عامل يريد الوصول لهدفه وغايته والدعاة هم أحوج من غيرهم إلى الصبر ومصايدة خصومهم ومن يدعوهم حتى يصلوا إلى نتيجة معهم ولا بد أن يكون صبر الداعية لله وبالله فله أى فى سبيل مرضاة الله وبالله أى يستعينوا بالله لصبرهم ولهذا قرن الله الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالصبر فقال تعالى ((يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور)) (٢) .

و- إخلاص العمل لله

إن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان صحيحا وخالصا لوجهه وصحته بموافقته الشرع وخلوصه يكون بعدم إشراك العامل غير الله فى عمله فلا يرأى وخصوصا الدعوة حتى يبارك الله فى أعمالهم ويوفقهم ويسدد خطاهم وفى النهاية النصر من عند الله قال تعالى ((وما النصر إلا من عند الله)) (٣) .

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ١٥٤

(٢) سورة لقمان آية ١٧

(٣) سورة الأنفال آية ١٠

فالأخذ بأسباب النجاح شئ حسن ومطلوب شرعا ولكن الإعتدال
على الله وحده لأنه هو الناصر المؤيد ، فالأسباب ليست هي التي
تفعل بذاتها ولكن هو التوفيق الإلهي والمتتبع لسيرة النبي - صلى الله
عليه وسلم - يجد ذلك واضحا والقرآن نزل في أعقاب غزوة بدر
يؤكد هذا الكلام قال تعالى ((فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ
رمىت ولكن الله رمى))^(١) .

فالنصر من الله والتوفيق من الله والهداية من الله ولو علم
الداعية ذلك فلن يزكى نفسه ولن يعجب بها أو يفتخر بها أو يتعالى
على الناس^(٢) .

٢٠. إشراك المؤمنات في الدعوة إلى الله تعالى:-

يجب على الدعاة أن يحرصوا على إعداد المؤمنات للقيام
بأعمال الدعوة إلى الله في أوساط النساء فهن أقدر من الرجال في
الدعوة في مجال النساء ولقد شاركت النساء في غزوات النبي -
صلى الله عليه وسلم -

فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن ثابت عن أنس بن مالك
قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يغزو بأهله ونسوة
من الأنصار معه إذا غزا فيسقيهم الماء ويداوين الجرحى^(٣) .

وفي معركة أحد قال أنس وهو يتحدث عنها ولقد رأيت عائشة
بنت أبي بكر وأم سليم - رضى الله عنهم - وأنها المشمرتان تنقلان
الضرب على متونها ثم تفرغانه في أفواههم ثم ترجعان فتملأنها
تجيبان تفرغانه في أفواه القوم^(٤) .

(١) سورة الأنفال آية ١٧

(٢) المرجع السابق جـ ص ١٥٦

(٣) صحيح مسلم يشرح النووى جـ ١٢ ص ١٨٨

(٤) صحيح مسلم يشرح النووى جـ ١٢ ص ١٨٩

بل ولقد شاركت أم سليط الأنصارية في معركة أحد وغيرها من نساء الأنصار وتكليف النساء بالدعوة وتعليمهم إياها مطلوب لأن هناك أموراً تخص النساء في الفقه والإسلام من الأفضل أن تعلم النساء امرأة مثلهم وربما كانت أقدر على توصيل المعلومة والكلمة في أوساط النساء من الرجل ولقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم يخصص النساء بالموعظة والتذكير فعلى الدعاة أن يعدوا المسلمات ليكن داعيات والدعوة إلى الله تعالى لا تخص الرجال وحدهم وإنما هي عامة للنساء والرجال على السواء^(١) .

٢١. المقام السامى ^{العالى} للصحابية الكرام :-

لقد أثنى الله على الصحابة ومدحهم سواء المهاجرين أو الأنصار في القرآن الكريم قال تعالى ((للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوء الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن بوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون))^(٢) .

فعلى الدعاة تعريف المسلمين بالمقام السامى للصحابية الكرام والمنزلة العالية التي نالوها في خدمة الإسلام ، وتفهم المسلمين بان حب الصحابة وموالاتهم والاستغفار لهم واجب وأن بغضهم حرام ولا يجوز سبهم أو الحقد عليهم أو تنقيصهم ويعلموا المسلمين أن الله مدحهم في كتابه وشهد لهم بالصدق والإيمان ورضى عنهم وهناك أحاديث وردت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مدح الصحابة والثناء عليهم والتحذير من سبهم أو بغضهم وهذه بعضها:-

(١) المستفاد من قصص القرآن ج ٢ ص ٢٧

(٢) سورة الحشر آية ٨ - ٩

- عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم" (١) .

- وفي حفر الخندق قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اللهم

اغفر للأنصار والمهاجرة .

- وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا تسبوا أصحابي فلو

أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصفه .

- وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال سعد النبي - صلى الله

عليه وسلم - أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم

فضربه برجله وقال اثبت أحد فما عليك إلا نبي . و صديق

وشهيدان .

فهناك أحاديث كثيرة تخص أشخاصاً بأعينهم من الأنصار

والمهاجرين يضيق المقام . لذكرها ولكن يكفيهم أنهم شرفوا بصحبة

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولقد شهد لهم الله بالفضل وتوفى

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو عنهم راض . ولقد جاهدوا

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدموا أرواحهم وأولادهم وبذلوا

الغالى والنفيس فى سبيل الله وبلغوا الدعوة إلينا ولم يكتموا شيئاً

فجزاهم الله عنا خير الجزاء وجمعنا الله بهم .

٢١. الحذر من المنافقين :-

إن المنافق يريد إشاعة التفرقة والتهم بين المؤمنين وإيقاع الشر فيما بينهم بل ربما وجد من يسمع له من المؤمنين ويروج لإشاعته كما حدث في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث أشيع حادث الإفك وتأثر المجتمع المسلم به ولقد حذرنا الله من المنافقين فقال تعالى ((لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خيالاً ولأوضعوا خلا لكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين)) (١) .

فعلى الدعاة أن يحذروا الناس من المنافقين ومن صفاتهم ولقد جاءت صفات كثيرة للمنافقين في سورة التوبة فعلى الدعاة أن يحذروا المنافقين وليعلموا أن المنفاق كله واحد وهم يبطنون الكره للدعوة والدعاة فهم يبنون الأكاذيب ويثبطون الهمم بين الناس ويفرحون بمصائب المؤمنين قال تعالى ((المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون)) (٢) .

٢٢. لا بد من النظام والتنظيم في الدعوة :-

إن المتتبع لسيرة النبي - صلى الله عليه وسلم يجد أنها من البداية إلى النهاية حياة منظمة كل شيء فيها يسير بنظام محكم ولكن لنا أن نقتطف من هذه الدعوة الحكيمة موقف يتضح فيه الدقة والنظام وهذا الموقف في غزوة حنين (٣) .

(١) سورة التوبة آية ٤٧

(٢) المستفاد من قصص القرآن الكريم ج ٢ ص ٤٢١ بتصريف .

(٣) سورة التوبة آية ٦٧

وبعدها عندما جاء وفد هوزان يطلبون منه رد ما أخذ منهم ولقد خيرهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بين رد أموالهم أو نساءهم فاختاروا النساء فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخطب في المسلمين في ذلك فوافقوا على رد النساء فقال - صلى الله عليه وسلم - (إنا لا ندرى من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا) (١).
وهناك لا بد أن نقف فالإمام لا يمكنه مباشرة جميع الأمور بنفسه فيحتاج إلى من يعاونه في الأمر فإذا أوفد لكل قوم عريفاً منهم لم يسع كل أحد إلا القيام بما أمر به وهنا هو النظام والتنظيم .

٢٣ . الأسلوب العلمي في الإقناع :-

المتتبع لمسيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجد أن الأسلوب العلمي هو السائد فيقل أن يأمر بأمر أو ينهى عن نهى - صلى الله عليه وسلم - إلا كان أول الآخذين أو المنتهين وفي صلح الحديبية عندما أمر أصحابه أن يتحللوا ويحللوا ويذبحوا وكانوا غير راضين عن الصلح ووجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - أصحابه لا ينفذون أمره فخاف عليهم الهلاك فدخل الخيمة فقالت أم سلمة - رضى الله عنها - ما بك يا رسول الله فقال لها إن أصحابي قد أمرتهم بذبح الهدى ولكنهم لم يمتثلوا للأمر فقالت لها اخرج وانحر واحلق وسوف يفعلون مثلك وعندما خرج الرسول - صلى الله عليه وسلم - وحلق ونحر قام الصحابة جميعا بالنحر والحلق فالأسلوب العلمي أكثر تأثيراً وأنفع في الإقناع (٢) .

(١) صحيح البخارى بشرح العسقلانى ج ١٢ ص ١٦٩

(٢) المستفاد من قصص القرآن ج ٢ ص ٢٤٣

وفى غزوة الطائف عندما طال الحصار بالطائف ولم تظهر
 بوادى الفتح أخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - أصحابه فى
 رغبته فى الرجوع ولكنهم ثقل عليهم أن يرجعوا قبل فتح الطائف
 ورغبوا فى الاستمرار فى الحصار والقتال فنزل الرسول - صلى الله
 عليه وسلم - على رغبتهم ليعلمهم أنه لا فائدة من الحصار واستمراره
 فى الحصار فلما لم يحصل لهم فتح للطائف بل زادت جراحاتهم
 واشتد تعبهم والامهم كرر النبى - صلى الله عليه وسلم - رغبته فى
 الرجوع فأظهر الجميع رضاهم بذلك هذا هو الأسلوب العلمى الذى
 يجعل الداعية ينجح فى دعوته ويؤثر فى الناس وتؤتى دعوته ثمرته
 المرجوة (١) .

تعليق

لقد أرسل سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى العالم أجمع وأنزل عليه القرآن رحمة للعالمين وقد كانت المهمات التي أرسل من أجلها محددة معينة وكانت معلنة للجميع فقد جاء لجمع الرسائل في دائرة واحدة متماسكة وجاء وفاء لعهد الله لفرع إسماعيل واستجابة لدعوة إبراهيم .

وجاء لإخراج أهل الكتاب من الضلال إلى الإيمان . وإصلاح العالم وجاء أخيرا ليتم مكارم الأخلاق .

ولقد قام - صلى الله عليه وسلم - بتنفيذ هذه المهام وأداها على أكمل وجه وسيرته وحياته تشهد بذلك فلم يكن في أخلاقه - عليه الصلاة والسلام - إلا ما يدل على صدقه ووفائه وكمال عقله واستقامة نفسه وسلامة ما يدعو إليه .

فلو قام الدعاء بسرد لسيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وتوضيح المواقف التي تعرض لها والأعمال التي أداها لكانت وحدها كفيلا لاستجابة الناس لدعوته واتباع سنته والسير على منهجه فعلى الدعاء أن يهتموا بسيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تطبيقا واتباعا وقولا وسردا للناس والله الموفق والهادي .

الفصل الثاني

سير بعض البارزين من

الصحابة ومن التابعين

ومن الدعاة المعاصرين

المبحث الأول

سير بعض البارزين من

الصحابة

الفصل الثاني

المبحث الأول

أبرز الدعاة في عصر الصحابة

تمهيد

إن المؤمنين الذين صحبوا النبي -صلى الله عليه وسلم- واقتربوا من حياته أتبع لهم ما لم يتبع لغيرهم من وسائل الارتقاء، إن مشاعرك ترق عندما تسمع النغم العذب، وعواطفك تسمو عندما تقرأ البطولة الرائعة، فما ظنك بقوم يتبعون رجلاً تكلمه السماء، ويتفجر من جوانبه الكمال، ويسكب على من حوله آيات الطهر، فإذا ثقلت نفوسهم عن الخير دفع بهم إلى الأمام، إن للعظماء إشعاعاً يغمر البيئة التي يظهرون فيها، كما يقترب المصباح الخامد من المصباح المشتعل فيضيء منه وكذلك النفوس.

لقد التف بسيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- فريق من الربانيين الأتقياء كانوا له تلاميذاً مخلصين، فزكت بصحبتهم للنبي نفوسهم، وشفقت طبائعهم، وظهرت أرواحهم فكانوا خير جيل أخرج للناس.

قال عبد الله بن مسعود عنهم |من كان مستنفاً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- كانوا أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً وأعماقها علماً وأقلها تكلفاً، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم|

إن أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- قاموا بتبليغ الدعوة والدفاع عنها وتعميق مفاهيمها بين الناس، دون يأس ولا كلل، وتحملوا الأذى، وهانت عليهم أنفسهم، وصغرت أمامهم الدنيا، في سبيل الله ونصرة هذا الدين وتبليغه للناس، فعلياً أن نقتدي بهم ونسير على هديهم ونتبع أثرهم لعلنا نفوز كما فازوا.

١- مصعب بن عمير

رضى الله عنه

أولا ترجمته:

هو مصعب بن عمير بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار بن كلاب بن مرة القرشي العبدري .

يكني : أبا عبد الله . (١)

ولد في مكة ونشأ وترعرع في ربوعها ، ونشأ في أحضان أسرة عريقة اشتهرت بالغي والثراء ، وقد ظهرت على مصعب آثار الغني فكانت أمه تكسوه أحسن الثياب وأنعمها ، وكان له عطر معروف به ، وكان يلبس أغلى النعال فكان يلبس الحضرمي منها .

أورد الواقدي في كتابه : قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو يصور حياة مصعب بن عمير في مكة قائلاً : [ما رأيت بمكة أحداً أحسن لمة ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير] (٢)

هذا الشاب المدلل المنعم الذي ولد في وسط مباحج الحياة ومفاخرها ، بين أبوين يحوطانه بالرعاية والحنان ، ويفيضان عليه بالمال .

إذا به يرى يوماً أناساً في مكة يعذبون ويحرمون من أبسط وأقل النعم ، والسبب أن أهل مكة أعلنوا الحرب عليهم لأنهم دخلوا في دين محمد - صلى الله عليه وسلم - وهذا كان كفيلاً بأن يبعد مصعباً عن الإيمان لأنه ليس هناك ما يدفع مصعباً لأن يترك هذه الحياة الهائلة إلى حياة كلها ألم وتعذيب وحرمان ، وهذا يترأى للنفس من أول وهلة ولكن هداية الله ورحمته وتوفيقه ترتفع فوق كل المؤثرات ، وتدفع بالفتي المدلل ليبحث ويسأل عن الدين الجديد .

(١) أسد الغابة لابن الأثير ج ٥ ص (١٨١) بتصرف

(٢) الطبقات الكبرى للواقدي ج ٣ ص (٨٢) بتصرف

لقد انشرح صدر مصعب للإسلام وأذن الله له بالهداية، نقل الواقدي [أن مصعب بلغه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعو إلى الإسلام في دار الأرقم ابن أبي الأرقم فدخل عليه فأسلم وصدق به وخرج فكنتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه، فكان يتخفى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سرا، فمر به عثمان ابن طلحة وهو يصلي فأخبر أمه وقومه فأخذوه فحبسوه، فلم يزل محبوساً حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى ثم رجع مع المسلمين حين رجعوا، رجع متغير الحال] (١)

وقال عنه عبد الرحمن الجوزي: [كان من أنعم الناس عيشاً قبل إسلامه فلما أسلم زهد في الدنيا فتحسف جلده تحسف الحية] (٢)
لقد تحول مصعب إلى رجل فقير يعيش في شظف مع نور الإيمان وكان يجد في ذلك لذة وسعادة بعد أن كان يلبس أحسن الثياب وألونها وأرقاها، ها هو يلبس وبر الغنم مرقعاً.

وعن علي رضي الله عنه قال جئت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجلست إليه وهو في عصابة من أصحابه فطلع علينا مصعب في بردة مرقعة بفرو غنم، وكان غلاماً بمكة فلما رآه النبي - صلى الله عليه وسلم - ذكر ما كان فيه من النعيم فزرفت عيناه وبكى وقال: [انظروا إلى هذا الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين أبيوين يغذونه بأطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة اشتراها بمائتي درهم فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون] (٣)

هذا هو مصعب بن عمير يتحول من حال إلى حال وليس ذلك إلا حباً في الله ورسوله، وذلك ما جعل النبي - صلى الله عليه وسلم - فرحاً له وحزناً عليه.

(١) الطلاقات الكبرى الواقدي ج ٣ ص (٨٤)

(٢) صفة الصفوة لعبد الرحمن الجوزي ج ١ ص (١٦٣)

(٣) أسد الغابة لابن الأثير ج ٥ ص (١٨٢)

سفير الرسول إلى المدينة:

انصرف أهل العقبة الأولى الإثنا عشر إلى المدينة وبدا الإسلام ينتشر في المدينة، وأرسلت الأنصار إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يسألونه أن يرسل لهم رجلاً لكي يفقههم في الدين، فبعث الرسول -صلى الله عليه وسلم- مصعب بن عمير -رضى الله عنه- إلى المدينة ليكون أول سفير لرسول الله، وأول داعية لدين الله تعالى يرسله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ووصل سيدنا مصعب إلى المدينة ونزل ضيفاً على أحد المبايعين الأول هو سيدنا أسعد ابن زرارة، وصار يدعو بقية الأوس والخزرج للإسلام. (١)

وكان يطوف على بيوت المدينة يدعوهم إلى الإسلام، ويقرأ عليهم القرآن، فكان يسلم الرجل والرجلاين، حتى انتشر الإسلام في دور الأنصار كلها، ولم يبقى بيت إلا وصله خبر عن الإسلام إن لم يكن فيه من قد أسلم بالفعل، وكل ذلك بسبب دعوة سيدنا مصعب -رضى الله عنه- الذي اختاره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليكون مبلغ رسالة الرسول، وداعية يدعو للإسلام، ومعلماً لمن دخل الإسلام.

منهج سيدنا مصعب -رضى الله عنه- في الدعوة:

لقد سلك سيدنا مصعب في دعوته أسلوب الإقناع وحسن العرض واستقطاب الزعماء لأنهم هم الذين يمهّدون الطريق لنشر الدعوة بين بقية الناس، فبدأ بدعوة الرؤساء، يروى ابن هشام في سيرته [أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب يريد دار ابن عبد الأشهل ودار بني ظفر، فدخل حائطاً من حوائط بني ظفر وجلس في الحائط، واجتمع إليه رجال ممن أسلموا، وفي الحائط سعد بن معاذ وأسيدي بن حضير وهما يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومهما]

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين الشيخ/محمد الحضري ص (٨٥) بتصرف

.. فلما سمعا بهما ، قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير لا أبا لك انطلق إلي هذين الرجلين اللذين آتيا ديارنا يسفهان ضعفاءنا لتزجرهما ، فإنه لولا أن سعد ابن زرارة مني حيث قد علمت لكفيتك ذلك - وكان سعد بن معاذ بن النعمان ابن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل هو ابن خالة أسعد بن زرارة - فأخذ أسيد بن حضير حربته فأقبل إليهما ، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فأصدق الله فيه ، فلما وقف عليهما قال : ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا اعتزلا إن كان لكما بأنفسكما حاجة ، فقال مصعب : أو تجلس فتسمع؟ فإن رضيت أمرا قبلته وإن كرهته كففتنا عنك ما تكره ، قال : أنصفت ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام ، وقرأ عليه مصعب القرآن ، فقالا : فيما يذكر عنهما والله لقد عرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ثم قال ما أحسن هذا الكلام وأجمله ، كيف تصنعون إذا أردتم الدخول في هذا الدين؟ قال له تغتسل فتتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ، فقام فاغتسل وطهر ثوبه ، وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال : لهما إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ، وسأرسله إليكما ، ثم أخذ حربته ورجع إلي سعد بن معاذ فلما نظر إليه قال سعد بن معاذ أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليه سأله سعد عما فعل؟ فقال : والله ما رأيت بالرجلين بأسا ، وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت ، وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلي سعد بن زرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ، فغضب سعد وقام مبادرا متخوفا للذي ذكر له عن بني حارثة ، فأخذ الحربة في يده ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئا ، ثم خرج إليهما فلما رأهما مطمئنين عرف سعد أن أسيد أراد منه أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لأسعد بن زرارة : يا أبا أمامة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني أتغشانا في ديارنا بما نكره .. .]

..فقال له مصعب أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ،قال سعد :أنصفت ثم ركز حربته وجلس فعرض عليه الإسلام ،وقرأ عليه القرآن-وفعل معه كما فعل مع أسيد فهده الله للإسلام ،ورجع لرجال بني عبد الأشهل-وهم بطن من الأوس-فقال لهم :ما تعدوني فيكم ؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا ،قال :كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تسلموا، فلم يبق بيت من بيوت بني عبد الأشهل إلا أجابه ،وما أمسى في دار بن عبد الأشهل رجل أو امرأة إلا أسلم (١)

نجد في هذه القصة أن سيدنا مصعب يتعامل مع من يدعو به بحكمة وشجاعة وقوة احتمال ،فعندما رأى أسيداً قادمًا معه حربته يهدده ويتوعده إن لم يعتزل، تقبل مصعب هذا الأمر بصبر ورد بحكمة قائلا له :أو تجلس فتسمع .. لقد امتص مصعب غضب أسيد ،وجعله يجلس وسمع منه ،وهكذا الداعية .

ونجد أيضا مصعباً يقنع الخصم بأسلوب سهل يجذب النفوس ويلين القلوب فأسلم أسيد وكذلك سعد عن طواعية واقتناع ولولا أنهم وجدوا في أسلوب مصعب ما يقنعهم ما اقتنعوا ولا أسلموا بهذه السرعة .

لقد أقنع السادة فلما أسلم السادة تبعهم بقية القوم ،في يوم واحد ،وهذا هو الداعية الناجح يبدأ بالسادة فإن أسلم السادة تبعهم باقي القوم بالإسلام .

بعد أن أدى مصعب مهمته في المدينة ولاقت دعوته القبول ،ووفق فيها ، وأسلم على يديه كثير من أهل المدينة ،ومهد الطريق لهجرة الرسول-صلى الله عليه وسلم-إليها بعد أن أسلم غالبية أهلها ،عاد إلي مكة .(٢)

(١) الروض الأنف للسهيلى ج ٢ ص (١٨٦، ١٨٧)

(٢) الخطابة للدكتور /محمود علي حمادة ص (١٠٤) بتصرف

عودة مصعب-رضى الله عنه- لمكة:

عاد مصعب إلى مكة للقاء الرسول-صلى الله عليه وسلم-ولما وصل إلى مكة كان أول بيت طرقة بيت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-تاركاً بيت أمه التي اشتاقت إلى رؤيته وتألّت لفراقه، لقد أدرك مصعب أهمية مقابلة الرسول-صلى الله عليه وسلم-فبدأ به قبل أمه، وهذا درس آخر من منهج سيدنا مصعب للدعاة لتقدير الأمور وإدراك المسؤولية التي كلفوا بها. (١)

عندما رجع مصعب إلى مكة ولم يبدأ بيت أمه وبدأ بيت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ووصل الخبر إلى أمه بوصول مصعب إلى مكة أرسلت إليه وقالت له: يا عاق أتقدم بلداً أنا فيه ولا تبدأ بي، فقال: ما كنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله-صلى الله عليه وسلم-. (٢)

بقي مصعب في مكة حتى هاجر النبي-صلى الله عليه وسلم-إلى المدينة ثم هاجر بعد رسول الله-صلى الله عليه وسلم-بأثنى عشرة ليلة، ولما وصل مصعب إلى المدينة آخى النبي-صلى الله عليه وسلم-بين مصعب وبين أبي أيوب الأنصاري، وكان مصعب يدعى في المدينة بالمقرئ.

ولقد نقل عبد الرحمن بن الجوزي عن ابن شهاب أن أول من جمع الجمعة في المدينة بالمسلمين قبل أن يقدمها رسول الله-صلى الله عليه وسلم- كان مصعب بن عمير-رضى الله عنه-. (٣)

(١) الخطابة الدكتور /محمود علي حمادة ص (١٠٤) بتصرف

(٢) الطبقات الكبرى ج ٢ ص (٨٤)

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص (١٦٤)

جهاد مصعب-رضى الله عنه:

لم يكتف مصعب-رضى الله عنه-بجهاد الكلمة بل جاهد بنفسه في سبيل الله تعالى ، ففي غزوة بدر كان حامل لواء رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وهذه ثقة من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-في مصعب ، وكان أهلا لها فقد ثبت في المعركة وأبلى بلاء حسناً.

وقد حدث موقف في أعقاب تلك الغزوة يدل على أن مصعب-رضى الله عنه-يوالي من والى الله تعالى ويعادي من عادى الله تعالى ولو كان أخوه من النسب، فالعقيدة تعلو على ما سواها.

يروى ابن كثير عن ابن إسحاق قال حدثني نبيه بن وهب أخو بني عبد الدار أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-حين أقبل بالأسرى وفرقهم بين أصحابه وقال استوصوا بهم خيراً ، قال وكان أبو عزيز بن عمير بن هشام أخو مصعب ابن عمير لأبيه وأمه في الأسرى قال أبو عزيز : مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني ، فقال شدد وثاقه فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك ، قال أبو عزيز فكنت في رهط من الأنصار حين أقبل بي من بدر فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله-صلى الله عليه وسلم-بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا خصني بها فأستحي وأردها فيردها علي ما يمسه ، قال ابن هشام وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين بيدر بعد النضر بن الحارث ، وكما قال أخوه مصعب لأبي اليسر وهو الذي أسره ما قال له ، كان رد أبي عزيز يا أخي أهذه وصيتك بي ؟ فقال له مصعب إنه أخي دونك ، وقد سألت أمه عن أغلى ما تفدي به قريش فقبل لها أربعة آلاف درهم فبعثت أربعة آلاف درهم ففدته به . (١)

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص (٣٠٦، ٣٠٧)

وفي غزوة أحد التي كانت فيها نهاية حياة مصعب-رضي الله عنه-الحياة التي كانت مليئة بالتضحيات والجهاد والدعوة في سبيل الله تعالى، وهذه الغزوة حاولت قريش أن تثأر لنفسها مما أصابها في بدر .

أعطى النبي-صلى الله عليه وسلم-اللواء لمصعب-رضي الله عنه-فحمله وأخذ يقاتل في سبيل الله تعالى دون تراجع أو تأخر بل في المقدمة، ولا يبالي أوقع عليه الموت أم وقع هو على الموت، وكاد المسلمون أن ينتصروا في تلك الغزوة لولا مخالفة الرماة لأمر رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فلما خالف الرماة أمر رسول الله-صلى الله عليه وسلم-تمكّن جيش المشركين من المسلمين، وتحولت المعركة لحساب الكفار، وكاد رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أن يقتل فلقد جرح في وجنته وكسرة رباعيته وسقط في الحفرة التي حفرها أبو عامر وسال منه الدم حتى أجهده، وفي هذه اللحظات العصيبة كان مصعب يقف بجوار النبي-صلى الله عليه وسلم-يدفع عنه ويفديه بنفسه، نقل الواقدي [حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد فلما جال المسلمون ثبت به فأقبل ابن قميئة وهو فارس فضرب يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه فضرب يده اليسرى فقطعها فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) ثم حمل عليه في الثالثة بالرمح فأنفذه واندق الرمح ووقع مصعب وسقط اللواء] (١)

وهكذا استشهد مصعب بن عمير-رضي الله عنه-الداعية المجاهد الشجاع، الذي جاهد بالكلمة والسيف من أجل إعلاء كلمة الله تعالى فرضي الله عنه.

خاتمة حياة مصعب -رضى الله عنه :

استشهد مصعب بن عمير -رضى الله عنه- وعندما رآه النبي -صلى الله علي وسلم- منظر حيا على وجهه يوم أحد شهيدا قال : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) (١)

لقد استشهد مصعب ولم يجد له أصحابه ما يكفونونه فيه ، مصعب الذي كلن يلبس أحسن الثياب وأرقها وأغلاها عندما كان في كفر إذ به يترك كل هذا من أجل دين الله تعالى ،وعندما يموت وهو مؤمن لا يجدون له ثوبا يكفنه *

يروى خباب بن الأرت قال :[هاجرنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في سبيل الله نبتغي وجه الله فوجب أجرنا على الله تعالى فمنا من مضى ولم يأخذ من أجره شيئا ومنهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد فلم نجد له شيئا نكفنه به إلا نمير فكنا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه وإذا وضعناها على رجليه خرجت رأسه فقال لنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اجعلوها على رأسه واجعلوا على رجليه من الأذخر] (٢)

ها هو مصعب بن عمير الذي كان قبل إسلامه من أنعم شباب قريش وأكثرهم مالا وجمالا وأحسنهم ملبسا، وكانت أمه شديدة الكنف به وكان يبيت وقعب الحيس عند رأسه يستيقظ فيأكل فلما أسلم أصابه من الشدة ما غير لونه وأذهب لحمه ونهك جسمه حتى كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعليه فروة قد رقعها فييكي لما كان يعرفه من نعمته ،ولقد حلفت أمه إن أسلم لا تأكل ولا تشرب ولا تستظل بظل حتى يرجع إليها ولكنه تركها لله عز وجل. (٣)

(١) سورة الأحزاب آية (٢٣)

(٢) الطبقات الكبرى للواقدي ج ٣ ص (٨٢) بتصرف

(٣) الروض الأنف للسهيلى ج ٢ ص (١٩٥)

مصعب الفتي المثل الذي اشترى الدار الآخرة ووهب نفسه وحياته لله تعالي،
عندما أخبر عثمان بن طلحة أمه بخبر إسلامه وحبسته أمه فلم يزل محبوسا حتى
خرج إلي أرض الحبشة ثم رجع مع من رجع من المسلمين ولكنه رجع متغير
الحال. (١).

لله درك يا ابن عمير فمن يملك زمام نفسه ويكبح جماحها تجاه هذا الصراع
العتيق بين حنان الأمومة وحب الله تعالي ورسوله، ذلك هو الفتي الريان المثل
المنعم، حديث حسان مكة، ولؤلؤة ندواتها ومجالسها، يتحول إلى أسطورة من
أساطير الإيمان، وها هو يقف حائرا بين حنان الأمومة وحب الله ورسوله، ولقد
همت أمه أن تسكنه بلطمة قاسية ولكن اليد التي امتدت كالسهم ما لبثت أن
استرخت وترنحت أمام النور الذي زاد وسامة وجهه بهاؤه جلالاته يفرض
الاحترام، وهدوءا يفرض الإقناع، لقد استطاع مصعب أن يعيد صياغة حياته
المنعمة وعودها على النسق الجديد الذي كان سيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم-
النموذج المختار والقدوة الحسنة له، لقد اطمئن مصعب إلي أن حياته قد صلوت
جديرة بأن تقدم قرابة لبارئها الأعلى وخالقها العظيم.

لقد خرج يوما على أصحابه وهم جلوس حول رسول الله-صلى الله عليه
وسلم-فما بصروا به حتى حنوا رؤوسهم وغضوا أبصارهم وذرفت عيونهم دمع
شجيا، وذلك أنهم رأوه يرتدي جلبابا مرقعا، لقد أصبح الفتي المتألق المعطر لا
يرى إلا مرتديا أحسن الثياب، ويأكل يوما ويجوع أياما، ولكن روحه تسمو
بالعقيدة وتتألق بنور الإيمان الذي جعله إنسانا آخر يملأ الأعين جلالاته وفخرا
ويملاً الأنفس روعة وجمالا. (٢).

(١) حياة الصحابة / محمد يوسف الكاندهولي ج ١ ص (٢٨٣) بتصرف

(٢) رجال حول الرسول / خالد محمد خالد ص (٣٢) بتصرف

كان مصعب من أجمل شباب مكة كان وسطا بين الطول والقصر، وكان من أحسن الناس خلقا وخلقا فقد كان يشبه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى إن ابن قميئة لما قتله قال قتلت محمدا لأنه لم ير من مصعب إلا عينيه فقد كان يلبس مغفر على وجهه، وكانت عيناه تشبه عيني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهكذا أشيع مقتل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كانت وفاة مصعب في السنة الثالثة من الهجرة في غزوة أحد وهو ابن أربعين سنة أو يزيد، فرحمه الله وجزاه عن الدعوة خيرا ورضي الله عنه وأجزل له العطاء وسلام عليه في سجل الخالدين .

دروس وعبر من حياة مصعب -رضي الله عنه:

- ١- أن الغنى لا يؤثر في صاحبه ولا يمنعه من الإيمان، حتى ولو كان سيحرم من هذا الغنى وسيعيش فقيرا، فنور الإيمان إذا دخل القلب أشرق القلب وأضاء وقنع.
- ٢- الجهاد بالكلمة لا يمنع الجهاد بالنفس، ويا حبذا لو جمع الدعاة بين الجهاد بالكلمة والجهاد بالنفس كما فعل مصعب -رضي الله عنه-
- ٣- عرض هذه النماذج على الشباب حتى يجذوا حذوه وخصوصا الشباب الذين عاشوا في الملذات والنعيم الذي يمنعهم من الإيمان، ونذكرهم بقول عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- [احشوشنوا فإن النعيم لا يدوم]
- ٤- الإقتداء بمنهج وسيرة هؤلاء الدعاة الأطهار الذين صحبوا النبي واقتدوا به وتأسوا به وساروا على هديه فكانوا بحق خير جيل وخير قرن وجد على الأرض.
- ٥- دراسة سيرة الصحابة ووضع منهج لها متكامل حتى يستفيد به الدعاة إلى الله تعالى .

نوشته

٢- سعد بن معاذ

رضى الله عنه

أولا ترجمته:

هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جم ابن الحارث بن الخزرج بن البت ، واسمه عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ثم الأشهلي ، وأمه كبشة بنت رافع ، لها صحبة ومواقف مضيئة في حياة سعد .

أسلم سعد-رضى الله عنه-على يد مصعب بن عمير-رضى الله عنه-عندما أرسله النبي-صلى الله عليه وسلم-إلى المدينة ليعلم أهلها الإسلام ويدعوهم إليه . لقد امتلأ قلبه بالإيمان منذ اللحظة الأولى لإسلامه ، وشعر أن الدخول في الإسلام نعمة كبيرة وخير عظيم ، فأراد هذا الخير لقومه فدعاهم للإسلام ، فلقد روي أنه لما أسلم جمع قومه وقال لهم : كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تسلموا ، فأسلموا فكان أعظم الناس بركة على قومه في الإسلام .(١)

تلك هي بداية سعد في الإسلام ، بداية مضيئة وعهد جديد كله بركة وخير وكفاح وجهاد في سبيل الله تعالى فرضى الله عنه .

إنه من الرجال الذين قال الله تعالى فيهم (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) (٢)

كانت محبة الله تعالى ورسوله-صلى الله عليه وسلم-أقوى عندهم من فلذات أكبادهم بل أقوى من حبهم لأنفسهم ، وليس ذلك قولاً منهم وادعاء كاذباً بل حقيقة واقعة أثبتتها الوقائع والأحداث على مر حياتهم التي عاشوها في الإسلام .

(١) أسد الغابة لابن الأثير ج ٢ ص (٢٧٣) بتصرف

(٢) سورة الأحزاب آية (٢٣)

جهاد سعد بن معاذ-رضى الله عنه:

لقد جاهد سعد في سبيل الله جهاداً كبيراً وأبلي بلاءً عظيماً، إنه كان يجيّد معالم التضحية والتفاني في سبيل الله تعالى .

نقل ابن هشام في سيرته [أن النبي لما سار إلي بدر وأتاه خبر نجاة العير وخروج النفير-نفير قريش-استشار النبي-صلى الله عليه وسلم-المسلمين في دخول معركة مع قريش فقام المقداد فقال وأحسن، وقام أبو بكر فقال وأحسن وقام عمر فقال وأحسن، ولكن النبي-صلى الله عليه وسلم-يريد الأنصار لأنهم عاهدوه وبليعوه أن ينصروه ما دام بين أظهرهم-داخل المدينة-فإن فيها: يا رسول الله إنا برآء من ذمتك حتى تصل إلي دارنا فإذا وصلت إليها فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، وهم الآن خارجها-فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أشيروا علي أيها الناس فقام سعد بن معاذ-رضى الله عنه-وقال: وكأنك تريدنا يا رسول الله قال: أجل قال سعد لقد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك على ذلك عهدونا، فامض لما أمرك الله فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضناهم معك، وما نكره أن نكره أن تلقى العدو بنا غداً، إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله. فأشرق وجه رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وسر بذلك وقال: [ابشروا والله لكأني أنظر إلي مصارع القوم] (١)

هذا هو موقف سعد-رضى الله عنه في هذه الغزوة التي كانت أول لقاء بين الإيمان والكفر وكانت معركة فاصلة، لقد سر النبي-صلى الله عليه وسلم-من موقف سعد وأشرق وجهه-صلى الله عليه وسلم-واستنار بسبب مقولة سعد-رضى الله عنه .

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص (٦١٥) - نور اليقين في سيرة سيد المرسلين الشيخ/محمد الحضري ص (١١٧) بتصرف

وموقف آخر من حياة سيدنا سعد بن معاذ-رضى الله عنه- المليئة بالمواقف العظيمة ، في غزوة الأحزاب التي تجمع فيها الكفار يريدون القضاء على الإسلام ورسول الإسلام ، يروي ابن جرير الطبري [لما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلي عيينة بن حصن وإلي الحارث بن عوف ابن أبي الحارث ، وهما قائدا غطفان- وكانت غطفان ممن تحزب- وجرى التفاوض على أن يأخذوا ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا بمن معهم عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه ، وقبل أن يتم الصلح النهائي على ذلك، أشار رسول الله- صلى الله عليه وسلم- على أصحابه بما رأى واهتم الرسول- صلى الله عليه وسلم- برأي سعد بن معاذ-رضى الله عنه- ورأي سعد بن عباد-رضى الله عنه- فهما زعيما المدينة ، فقال سعد بن معاذ-رضى الله عنه-: يا رسول الله أمرت بجه فتصنعه لنا ؟ قال لا بل لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحد وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم .

فقال سعد : يا رسول الله لقد كنا نحن وهؤلاء على الشرك وعبادة الأصنام لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا من مدينتنا ثمرة ، إلا قرى أو يبعأ أبعد أن أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك ، نعطهم أموالنا ، والله ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فأنت وذاك [(١)]

هذا موقف إن دل على شيء فإنما يدل على مدى شجاعة سعد بن معاذ ، واستعداده للجهاد وإقباله على الموت في سبيل الله تعالى ، وعدم الخوف من أحد إلا الله سبحانه وتعالى ، ولو تحزب عليه كل العرب .

(١) تاريخ الطبري / أبو جعفر بن جرير الطبري ج ٢ ص (٩٥) بصرف

دعوة سعد بن معاذ - رضى الله عنه:

وفي إحدى الجولات بين المسلمين والمشركين في غزوة الخندق تلقى ذراع سعد سهمًا، قذفه أحد المشركين، وتفجر الدم من وريده وأسعف سريعًا إسعافًا مؤقتًا يرقأ به دمه وأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بنقله إلى المسجد وأن تنصب له خيمة، حتى يكون على قرب منه .

قال ابن إسحاق: وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري، أخو بني الحارثة: أن عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق، وكان من أحرز حصون المدينة، قال: وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن، فقالت عائشة: وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فمر سعد وعليه درع له مقلصة، وقد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربته يرفل بها وهو يقول:

لبث قليلا يشهد الهيجا جمل لا بأس بالموت إذا حان الأجل

قال فقالت له أمه: الحق أي بني فقد والله أخرجت، قالت عائشة: فقلت لأمه: يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبع مما هي، قالت: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه، فرمى سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكل، رماه حبان بن قيس بن العرقة، فلما أصابه قال: خذها مني وأنا ابن العرقة، فقال له سعد: عرق وجهك في النار. (١)

ورفع سعد بصره إلى السماء وقال: [اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقني لها، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهد هم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه، وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعل إصابتي اليوم طريقًا للشهادة، ولا تميمني حتى تقر عيني من بني قريظة] (٢)

(١) الروض الأنف / السهيلي ج ٣ ص (٢٦٤)

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص (٩٦)

هذه دعوة سعد التي سأل الله إياها، تجرد من خلالها حرصه على الجهاد فهو لا يسأل دنيا يجيا فيها ويتنعم بها وإنما يسأل الآخرة، ومن ذا الذي يستطيع أن يقول مثل هذا القول في مثل هذا الموقف سواء (١).

تحكيم سعد في بني قريظة:

قال ابن هشام: [فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فتواثبت الأوس فقالوا يا رسول الله: إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت- وقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل بني قريظة قد حاصر بني قينقاع، وكانوا حلفاء الخزرج فترلوا على حكمه فسأله إياهم عبد الله بن أبي بن سلول، فوهبهم له- فلما كلمته الأوس قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا بلي، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: فذاك سعدا بن معاذ، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها ربيعة في مسجده، كانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخنديق: اجعلوه في خيمة ربيعة حتى أعوده من قريب، فلما حكمه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في بني قريظة، أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوه له بوسادة من آدم، وكان رجلا جسيما جميلا، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة، قبل أن يصل سعد، عن كلمته التي سمع منه ...] (٢)

(١) رجال حول الرسول / خالد محمد خالد (٥٠٥، ٥٠٤) بتصرف

(٢) الروض الأنف السهيلي ج ٣ ص (٢٦٩)

فلما انتهى سعد إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والمسلمين ، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : قوموا لسيدكم -فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الأنصار وأما الأنصار فيقولون : قد عم بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقاموا إليه ، فقالوا يا أبا عمرو : إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد ابن معاذ : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا نعم ، وعلى من هاهنا في الناحية التي فيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو معرض عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إجلالا له ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : نعم قال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسي الذراري والنساء ، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات [(١)]

لقد أقر الرسول -صلى الله عليه وسلم- حكم سعد وقال له إن هذا الحكم يوافق حكم الله تعالى في بني قريظة القوم الذين نقضوا العهد ، وهذا جزاء الخائن الذي ينكث العهد ، وهذا ليس حكماً جائراً وإنما هو العدل بعينه ارتضاه الله تعالى ورسوله -صلى الله عليه وسلم- .

ولكن ما سبب نزول بني قريظة على حكم سعد بن معاذ دون غيره ، قال ابن هشام : [حدثني من أثق به من أهل العلم أن علياً بن أبي طالب صاح وهم محاصرون بني قريظة : يا كتيبة الإيمان ، وتقدم هو والزبير بن العوام وقال : والله لأذوقن ما أذاق حمزة أو لأفتحن حصنهم فقالوا يا محمد نزل على حكم سعد ابن معاذ] (٢) لقد ظنوا وتمنوا الحياة في حكم سعد بن معاذ فإذا هو الموت ، وبعد أن صدر الحكم ونفذ في بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ ومات رضى الله عنه متأثراً به ، بعد حياة مليئة بالجهاد والكفاح في سبيل الله تعالى فرضى الله عنه .

(١) الروض الأنف السهلي ج ٣ ص (٢٩٦)

(٢) الروض الأنف السهلي ج ٣ ص (٢٧٠)

دروس وعبر من حياة سعد بن معاذ -رضى الله عنه :

١- إسلامه كان بركة على قومه ، فأول ما دخل الإسلام ووجد حلاوته دعا قومه ، ويذكرنا هذا الموقف بموقف الجن عندما سمعوا القرآن ولو إلى قومهم منذرين ، وكذلك فعل سعد بن معاذ .

٢- أنه يجوز مقاطعة الأهل وهجرهم إن كانوا مخالفين لشرع الله ، فسعد -رضى الله عنه- قال لقومه إن كلامكم على حرام حتى تؤمنوا ، وهذه مقاطعة من سعد لكل عاصي لله تعالى .

٣- جهاد سعد وشجاعته وعدم الخوف من أحد إلا الله تعالى وهذا يظهر واضحا عندما عرض الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهم في أشد المواقع حرجا وقد وصفها الله تعالى في قرآنه فقال تعالى (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) الأحزاب (١٠) عليه أن يعطي غطفان ثلث ثمار المدينة حتى يرجعوا عنهم ، ولكنه يرفض ويتمسك بالجهاد في سبيل الله تعالى حتى الموت .

٤- قول الحق والحكم بالعدل ولو كان يخص أقرب الناس إليه ، وهكذا شأن الداعية لا يخاف في الله لومة لائم ولا يخشى في الحق شيئا ، وهذا ما فعله سعد عندما حكم في بني قريظة بقتل الرجال وسي الذراري والنساء .

٥- الدفاع عن الإسلام ونبى الإسلام هي مهمة كل مسلم ، وعندما دعا سعد ربه دعاه بدعاء يتمنى فيه أخذ الثأر للنبي -صلى الله عليه وسلم- ممن آذوه وطرده وأخرجوه من بلده ، وهذا يثبت مدى حب الصحابة -رضوان الله عليهم- للنبي -صلى الله عليه وسلم- .

٦- عندما يخلص العبد لربه يجعل الله الحق على لسانه ، ويجعله ينطق بالحكمة ويكون كلامه موافقا لكلام الله تعالى ، وهذا ما حدث مع سعد بن معاذ -رضى الله عنه- في حكمه في بني قريظة .

خاتمة سعد بن معاذ - رضی الله عنه:

لقد استشهد سعد بن معاذ - رضی الله عنه - بعد تنفيذ حكم واستجاب الله تعالى لدعائه .

قال ابن إسحاق : حدثني معاذ بن رفاعة الزرقني قال : حدثني من شئت من رجال قومي : أن جبريل - عليه السلام - أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجرا بعمامة من إستبرق فقال : يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له عرش الرحمن ؟ فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سريعا يجر ثوبه إلى سعد فوجده قد مات .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت : أقبلت عائشة قافلة من مكة ومعها أسيد بن حضير فلقية موت امرأة له فحزن بعض الحزن ، فقالت له عائشة : يغفر الله لك يا أبا يحيى أتحنن على امرأة وقد أصبت بابن عمك وقد اهتز له عرش الرحمن !

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن الحسن البصري قال : كان سعد رجلا بادنا ، فلما حمله الناس وجدوا له خفة ، فقال رجال من المنافقين : والله إن كان لبادنا وما حملنا جنازة أخف منه ، فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : إن له حملة غيركم والذي نفسي بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثني معاذ بن رفاعة عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو عن جابر بن عبد الله قال : لما دفن سعد ونحن حول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سبح رسول الله فسبح الناس معه ، ثم كبر فكبر الناس معه ، فقالوا : يا رسول الله مم سبحت ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله عنه . (١)

(١) الروض الأنف السهيلي ج ٣ ص (٢٧٤، ٢٧٥)

قال ابن هشام: ومجاز هذا الحديث قول عائشة: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: إن للقبر لضممة لو كان أحد منها ناجيا لكان سعد بن معاذ .

قال ابن إسحاق: ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتز عرش الله من موت هالك سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو

وقالت أم سعد حين احتمل نعشه وهي تبكيه :

ويل أم سعد سعداً صرامة وحداً

وسؤداً ومجداً وفارساً معداً

سد به مسداً يقدها ما قدماً

يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد ابن

معاذ .(١)

وقال سعد بن أبي وقاص قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لقد نزل من الملائكة

في جنازة سعد بن معاذ سبعون ألف ما وطئوا الأرض قط .(٢)

ولقد رثي حسان بن ثابت -رضى الله عنه- سعد بن معاذ -رضى الله عنه- فقال

لقد سحمت من دمع عيني عبرة وحق لعيني أن تفيض على سعد

قتيل ثوى في معرك فجعت به عيون ذواري الدمع دائمة الوجد

على ملة الرحمن وارثة جنة مع الشهداء وفدها واكرم وفد

فإن تك قد ودعتنا وتركتنا وأمست في غيراء مظلمة اللحد

فأنت الذي يا سعد أبت بمشهد كريم وأثواب المكارم والحمد

بحكمك في حي قريظة بالذي قضى الله فيهم ما قضيت على عمد

فوافق حكم الله حكمك فيهم ولم تعف إذ ذكرت ما كان من عهد

هذه دعوة سعد وسيرته وعلى الدعاء أن ينهلوا من هذا المعين الصافي ويقتدوا به

(١) الروض الأنف / السهيلي ج ٣ ص (٢٩٠)

(٢) حياة سعد بن معاذ / محمود شليلي ص (٥٤) بتصرف

المبحث الثاني

سير بعض البارزين

من التابعين

الفصل الثاني

المبحث الثاني

بعض الدعاة من التابعين

١- الحسن البصري

رضي الله عنه

نسبه ومولده:

هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن الفقيه الزاهد، وهو تابعي ولد بالمدينة سنة ٢١ من الهجرة، كان أبوه مولي لرجل من الأنصار وكانت أمه مـولاة لأم سلمة زوج الرسول-صلى الله عليه وسلم- وأم المؤمنين-رضي الله عنها-توفي في حجرها وأرضعته بلبنها، فعادت عليه بركة النبوة فتكلم بالحكمة وسار إمام أهل البصرة. (١)

نشأته:

نشأ بوادي القرى وتلقى الفصاحة عن العرب الذين شب بين ظهرانينهم، وكان لنشأته بالمدينة واتصاله بأصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وأخذه العلم والحديث عن طائفة منهم كابن عباس، وابن عمر أعظم الأثر في حياته. وما أن بلغ الرابعة عشرة من عمره حتى شبت الفتنة التي قتل فيها عثمان-رضي الله عنه- وشهد مصرعه ومنذ ذلك الحين نفرت نفسه من الفتن نفورا لازمه طول حياته، وما لبث أن رحل مع أسرته إلى البصرة، وأخذ يختلف إلى مسجدها ويلتقي بطائفة من علماء الصحابة كابن عباس، وأنس بن مالك، وأخذ عنهم ألوانا من الثقافات الدينية والفقهية واللغوية. (٢)

(١) صفة الصفوة ابن الجوزي ج ٢ ص (٥٧)

(٢) محاضرات في الخطابة الدكتور/جميل أحمد منصور الشوادفي ص (١٨) بتصرف

وانشغاله بالعلم لم يمنعه من المشاركة في الفتوحات الإسلامية، فقد اشترك في فتح كابل وزابجستان وغيرهما، فقد أمضى ثلاث سنوات في الجهاد ثم رجع إلى البصرة، وقد عزم أن ينقطع للعلم والدين، فعاد إلى المسجد ليتزود بالعلم ويتسلح بالدين، حتى بلغ في العلم مكانة عليا، فعقد حلقة في مسجد البصرة، وارتفع صوته بالوعظ، والتف حوله التلاميذ والمريدون ينهلون من علمه. (١).

منهجه في الدعوة:

١- الدعوة بالقدوة الحسنة، والتأسي بالنبي-صلى الله عليه وسلم- من خلال اتصافه بأخلاق النبي-صلى الله عليه وسلم- فقد كان-رحمة الله عليه- زاهدا ورعا وقد روى أن أعرابيا نزل البصرة فقال: من سيد هذا المصر؟ فقيل له: الحسن ابن أبي الحسن، فقال فيما ساد أهله قالوا: استغنى عما في أيديهم من دنياهم واحتاجوا إلي ما عنده من أمر دينهم، فقال الأعرابي: لله دره هكذا فليكن السيد. (٢)

٢- قول الحق والجهر به، ووعظ الأمراء، وكان لا يخاف في الله لومة لائم، وما أدل على ذلك من موقفه مع ابن هبيرة والي العراق، فقد روى أنه أحضر الحسن والشعبي وقال لهما: أصلحكما الله تعالى- إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك يكتب إلي كتابا أعرف في تنفيذه المهلكة، فأخاف إن أطعته غضب الله، وإن عصيته لم آمن سطوته، فما تريان لي؟ فقال الحسن للشعبي: يا أبا عمرو أجب الأمير فارق له، فأرفق له في القول وانحط في هوى ابن هبيرة، ولكن ابن هبيرة لم يشفع قول الشعبي له ما في صدره فأراد أن يسمع قول الحسن، فقال: ما تقول يا أبا سعيد؟ فقال: أقول يا عمر بن هبيرة، يوشك أن يتزل بك ملك من ملائكة الله فظ غليظ لا يعصي الله ما أمره فيخرجك من سعة قصرك إلي ضيق قبرك، يا عمر بن هبيرة إن تتقى الله عز وجل يعصمك من يزيد بن عبد الملك ولا يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله عز وجل،

(١) المرجع السابق ص (١٨) بتصرف

(٢) الحسن البصري لابن الجوزي ص (٨٠) بتصرف

يا عمر بن هبيرة لا تأمن أن ينظر الله إليك وأنت تعمل في طاعة يزيد نظيرة
 بمقتك بما فيغلق عنك باب الرحمة ، يا عمر بن هبيرة إنني أذكرك مقام خوفك الله
 تعالي قال تعالي (ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد) يا عمر بن هبيرة إن تك
 مع الله تعالي في طاعته كفاك بوائق يزيد ، وإن كنت مع يزيد في معصية الله
 وكلك الله إلي يزيد حين لا يغني عنك شيئا . فبكي عمر بن هبيرة بكاء شديدا ،
 ثم أرسل بعد ذلك إلي الحسن والشعبي الجوائز ولكنه أكثر للحسن ، فخرج
 الشعبي إلي المسجد فقال : يا أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله تعالي على
 خلقه فليفعل ، فو الذي نفسي بيده ما علم منه الحسن شيئا فجهلته ولكن أردت
 وجه ابن هبيرة فأقصاني الله عنه . (١)

ويروى أن الحجاج بني دارا بواسط ، فلما دخلها الحسن البصري قال : الحمد لله
 إن الملوك ليرون لأنفسهم عزا وإنما لئرى فيهم كل يوم عبرا ، يعمد أحدهم إلي
 قصر فيشيدده وإلي فراش فينجدده وإلي ملابس ومراكب فيحسنها ، فيحسف به
 ذباب طمع وفراش نار وأصحاب سوء ، فيقول : انظروا ما صنعت ، فيقال قد
 رأينا ، أيها المغرور فماذا كان يا أفسق الفاسقين ؟ أما أهل السماوات فقد مقتوك
 وأما أهل الأرض فقد لعنوك ، بنيت دار الفناء وخربت دار البقاء ، وغررت في دار
 الغرور ، لتترل في دار القبور ، ثم خرج وهو يقول إن الله تعالي أخذ عهوده على
 العلماء ليبينه للناس ولا يكتمونه ، فبلغ الحجاج ما قال الحسن البصري فاشتد
 غضبه ، وجمع أهل الشام فقال : يشتمني عبيد أهل البصرة وأنتم حضور فلا
 تنكرون ، ثم أمر بإحضار الحسن البصري ، فجاء الحسن وهو يحرك شفقه بما لا
 يسمع حتى دخل على الحجاج ، فقال : أما كان لإمارتي عليك حق حين قلت مله
 قلت ، فقال : يرحمك الله أيها الأمير ، أنا أخوفك حتى تبلغ أمنك أرفق بك
 وأحب فيك ممن أمنك حتى تبلغ خوفك ، وما أردت الذي سبق إلي وهمك ،

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصفهاني ج ٢ ص (١٤٩، ١٥٠)

والأمر أن بيدك العفو والعقوبة، فافعل الأولى بك وعلى الله فتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل، فاستحى الحجاج منه واعتذر إليه وأكرمه (١).

وهذا كان ديدن الحسن البصري الجهر بالحق، وعدم الخوف إلا من الله تعالي وتذكير الأمراء وتخويفهم من عذاب الله تعالي، فهو يتحين الفرصة السانحة أمامه لكي يذكر ويبين الحق، ولم يكن من منهجه الخروج على الأمراء ولا إثارة الفتنة وإنما هو الوعظ والتذكير فقط، من أجل ذلك كان بني أمية يأمنون جانبه ويحثون الناس على حضور مجالسه، وكانوا يسمعون لوعظه ويستجيبون له.

٣- الدعوة عن طريق الوعظ والنطق بالحكمة وإلقاء المحاضرات والخطب، يقول الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس بكلام الأنبياء، وأقربهم هداية للصحابة وكان في غاية الفصاحة، تنصب من فمه الحكمة وكان من جملة كلماته [والله لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا حزن وذبل ونصب وتعب]

٤- إرسال رسائل للملوك والأمراء يعظهم ويذكرهم ويذكركمهم، ومن أهم كتاباته كتابه إلى عمر بن عبد العزيز-رضي الله عنه- والسياق لأبي حميد الشلمي [اعلم أن التفكير يدعو إلى الخير والعمل به، والندم على الشر يدعو إلى تركه، وليس ما يغني وإن كان كثيراً يعول ما يبقى وإن كان طلبه عزيزاً، واحتمال المؤنة المنقطعة التي تعقب الراحة الطويلة خير من تعجيل راحة منقطعة تعقب مؤنة باقية، وأحذر هذه الدار الخادعة الخائنة التي تزيت بخدعها وغررت بغرورها وقتلت أهلها بأملها، وتشوفت لخطابها فأصبحت كالعروس المجلية العيون إليها ناظرة والنفوس لها عاشقة والقلوب إليها والعة والألباب بها وامغة، وهي لأزواجها قاتلة، فلا الباقي بالماضي يعتبر ولا الآخر بما رأى من الأول مزدجر، ولا اللبيب بكثرة التجارب منتفع، ولا العارف بالله المصدق له حين أخبره عنها مذكر، فأبت القلوب لها إلا حبا، وأبت النفوس بها إلا صفا ...] (٢)

(١) الحسن البصري لابن الجوزي ص (٨١) بتصرف

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصفهاني ج ٢ ص (١٤٩)

بعض مواعظ ووصايا الحسن البصري:

وصية الحسن البصري لبعض طلابه : قال : يا بني خذ هذه البطاقة فهي خير لك من ألف كتاب :

١- لا تغتر بمكان صالح ، فلا مكان أفضل من الجنة وقد لقي فيها أبونا آدم ما لقي .

٢- لا تغتر بكثرة العبادة ، فإن إبليس بعد مكثه في العبادة فانظر ماذا لقي ؟

٣- لا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أعظم من المصطفى -صلى الله عليه وسلم- ولم ينتفع به الكفار ولا المنافقين .

٤- لا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام بن باعوراء بعد نظره في اللوح المحفوظ فانظر ماذا لقي . (١)

قال في موعظة له يعظ فيها الناس [يا ابن آدم بع دنياك بأخرتك ترجهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا ، يا ابن آدم إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم به ، الثواء هاهنا قليل والبقاء هناك طويل ، أمتكم آخر الأمم وأنتم آخر أمتكم أسرع بخياركم فما تنتظرون المعاينة ، هيهات ، هيهات ذهبت الدنيا بحاليها وبقت الأعمال قلائد في أعناق بني آدم] (٢)

وفاة الحسن البصري:

في مستهل رجب من عام ١١٠هـ توفي الحسن البصري ، وكانت وفاته حدثا عظيما شغل أهل البصرة جميعا ، حتى أنه روى أن الناس كلهم تبعوا جنازته واشتغلوا بها حتى أنه لم تقم صلاة العصر بالمسجد الجامع ، وهذا أمر لم يحدث من قبل ، فرحمه الله ورضى عنه ، وجزاه خيرا على ما قدم للإسلام .

(١) حتى تكون خطيبا الشيخ/عبد الحميد كشك ص (١٤٤)

(٢) البحر الرائق في الزهد والرفائق أحمد فريد ص (١٧٣) بتصرف

٢- سعيد بن جبيررضي الله عنهنسبه:

هو سعيد بن جبير الأسدي الوالي، مولاهم أبو محمد، ويقال عبد الله الكوفي المكي، ويقال مولى لبني والبة، يكنى بأبي عبد الله بن الحارثية من بني أسد ابن خزيمية.

الإمام الحافظ المقرئ المفسر، من أكابر أصحاب ابن عباس-رضي الله عنه- كان من أئمة الإسلام في التفسير والفقه وجميع العلوم، الشهيد أحد الأعلام المشاهير (١).

عبادته:

لقد وردت روايات كثيرة تفيد كثرة عبادته وخشيته لله وخشوعه له، فقد روى عبد الله بن مسلم قال: { كان سعيد بن جبير إذا قام إلى الصلاة كأنه وتد } فهو لا يتحرك ولا ينشغل بمن حوله وإنما الخشوع والإنابة لله تعالى، فهو يتمثل قول الرسول-صلى الله عليه وسلم- [ما زال الله مقبلاً على العبد في صلاته ما دام العبد مقبلاً على ربه] (٢).

فهو يقوم الليل يبكي من خشية الله تعالى، فلقد روى القاسم بن أبي أيوب الأعرج قال: كان سعيد بن جبير يبكي بالليل حتى عمش، وروى أيضاً عن أصبغ بن زيد الواسطي قال: كان لسعيد بن جبير ديك يقوم الليل بصياحه قلل: فلم يصبح ليلة من الليالي حتى أصبح فلم يصلي سعيد تلك الليلة فشق عليه، فقال ماله قطع الله صوته؟ قال: فما سمع له صوت بعدها، فقالت أمه: يا بني لا تدع على شيء بعدها.

(١) صفة الصفوة ج ٢ ص (٤٤، ٤٥) بتصرف

(٢) رجال حول الرسول الشيخ /خالد محمد خالد بتصرف

علمه:

بلغ سعيد بن جبير مكانة في العلم جعلت كثيرا من علماء عصره يشيرون إليه ويرجعون إليه ويعترفون له بالفضل والعلم، فقد روى أن سفيان الثوري قال عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال: لقد مات سعيد بن جبير وما على وجه الأرض رجل إلا وهو محتاج إلي علمه .

لقد قرأ القرآن على ابن عباس -رضي الله عنه- الذي قال فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- [حبر هذه الأمة وترجمان القرآن] وهذا الشرف الذي ناله سعيد ابن جبير جعل له مكانة بين العلماء .

ويكفيه شرفا ما قاله ابن عباس -رضي الله عنه- عندما أتاه أهل الكوفة يستفتونه قال لهم أليس فيكم ابن الدهماء ؟ -يعني سعيد بن جبير- (١)

وكان ابن عباس يقول لأهل الكوفة أفيكم هذا الرجل وتأتوني تسألوني ؟ ولقد روى أن ابن عباس قال لسعيد ذات يوم حدث قال له سعيد أحدث وأنت هاهنا ؟ قال : أو ليس من نعم الله عليك أن تحدث وأنا شاهد ؟ فإن أصبت فذاك وإن أخطأت علمتك . (٢)

وليس ابن عباس الذي يحيل المسائل إلي سعيد ولكن عبد الله بن عمر ابن الخطاب -رضي الله عنهما- كذلك كما روى عنه ذلك ، فهم يحيلون إليه المسائل لكي يفتي فيها ، وهذا وإن دل على شيء فإنما يدل على علم سعيد بن جبير .

فقد روي أن رجلا سأل ابن عمر عن فريضة فقال ائتي سعيدا فإنه أعلم مني بالحساب وهو يفرض فيها ما أفرض . (٣) قال عصف: وهو يتكلم عن التابعين كان أعلمهم بالقرآن مجاهد، وأعلمهم بالحج عطاء، وأعلمهم بالحلال والحرام طاووس، وأعلمهم بالطلاق سعيد بن المسيب، وأجمعهم لهذه العلوم سعيد بن جبير

(٢) المرجع السابق ص (٣٣٥) بتصرف

(١) سير أعلام النبلاء ج ٤ ص (٣٢٢، ٣٢٥)

(٣) الطبقات لابن سعد ج ٦ ص (٥٦) -- وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص (٣٧١)

منهجه في الدعوة:

١- الجلوس في المسجد لتفقيه الناس وتعليمهم أمور دينهم، فقد روي عنه عبد الواحد بن زياد قال حدثنا أبو شهاب قال: كان سعيد يقص لنا كل يوم مرتين مرة بعد صلاة الفجر ومرة بعد العصر. (١)

فتراه-رضى الله عنه-يتفقد الناس ويتخير الأوقات التي يكون فيها نشاط الناس وفراغهم فيه، حتى يجد آذناً تسمع وقلوباً تفقه، وهو في هذين الوقتين يتشبه بالملائكة الحفظة الذين يسجلون الأعمال على بني آدم فهم يتزلون ويصعدون في هذين الوقتين، وكأنه يريد أن تشهد الملائكة عند الله بأنهم اشتغلوا بالعلم ولم تلهم الدنيا.

٢- اقتناص الفرص للتذكير والوعظ، لقد كان سعيد بن جبير يعظ ويذكر كلما وجد الفرصة سانحة لذلك، وليس معنى أنه كان يجلس بعد الفجر وبعد العصر فقط ويكتفي بذلك وإنما كان يبادر لتعليم الناس وتذكيرهم كلما وجد فرصة، فقد روي أنه خرج يوماً في جنازة فكان يحدث في الطريق ويذكر حتى بلغ فلما جلس لم يزل يحدث حتى رجع وهو كذلك. (٢)

٣- كان يحاول نشر علمه بكل طريقة ووسيلة متاحة وفي كل وقت يجد فيه فرصة لذلك وكان يقول فيما روى عن حبيب بن أبي ثابت عنه {لأن أنشر علمي أحب إلي من أن أذهب به إلي قبري} (٣)

وكان يعلم أن العلماء إذا لم ينشروا علمهم ويصدعوا بالحق فسوف يكون ذلك وباللآ عليهم وعلى الناس جميعاً فقد سأله هلال بن خباب قال لقيت سعيد بن جبير بمكة فقلت له من أين هلاك الناس؟ قال: من قبل علمائهم. (٤)

(١) طبقات ابن سعد ج ٦ ص (٢٥٩)

(٢) حلية الأولياء/الأصفهاني ج ١ ص (٢٨٠)

(٣) سيرة أعلام النبلاء للشيرازي ج ٤ ص (٣٢٦)

(٤) البداية والنهاية ج ٩ ص (١١٠)

مقتل سعيد بن جبير:

كان سبب قتل الحجاج بن يوسف الثقفي لسعيد بن جبير ، أن الحجاج كلن قد جعل سعيد بن جبير على نفقات الجند حين بعثه مع ابن الأشعث لقتال رتبيل ملك الترك ، فلما خلعه ابن الأشعث وأصحابه خلع معه سعيد ابن جبير ، فلما ظفر الحجاج بابن الأشعث وأصحابه هرب سعيد بن جبير إلى أصبهان ، فكتب الحجاج إلى نائبها أن يبعثه إليه ، فلما سمع سعيد بن جبير بذلك هرب منها ثم لجأ إلى مكة فأقام بها إلى أن وليها خالد بن عبد الله القسري ، فأشار علي سعيد بعض أصحابه بالهرب من مكة ، فقال سعيد : والله لقد استحيت من الله مما أفر ولا مفر من قدره ، وجاء خالد بن عبد الله وأخذ سعيد وقيده وأرسله إلى الحجاج .

ولما مثل سعيد بين يدي الحجاج قال الحجاج : يا سعيد ألم أشركك في إمارتي ألم أستعملك ، ألم أفعل كذا ، ألم أفعل كذا ؟ كل ذلك وسعيد يقول نعم ، حتى قال : فما حملك على الخروج على وخلعت بيعة أمير المؤمنين ؟

واستمر الحوار بين سعيد والحجاج حتى قال الحجاج : أنت الشقي بن كسير

قال سعيد: أمي أعلم باسمي منك .

قال الحجاج : شقيت أنت وأمك .

قال سعيد : إنما يشقى من كان من أهل النار، فهل اطلعت على الغيب .

قال الحجاج : ما تقول في محمد ؟

قال سعيد: أتعني النبي -صلى الله عليه وسلم- ؟ قال نعم ، قال : سيد ولد آدم

المصطفى خير من بقي وخير من مضى .

قال الحجاج: فما تقول في أبي بكر الصديق ؟

قال سعيد : خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مضى حميدا وعاش سعيدا

ومضى على منهاج النبي ولم يغير ولم يبدل . (١)

(١) بين عالم وطاغية الدكتور يوسف القرضاوي ص (٣٥) بتصرف

قال الحجاج :فما تقول في عمر ؟

قال سعيد :عمر الفاروق خيرة الله وخيرة رسوله مضى حميدا على منهاج صاحبيه لم يبدل ولم يغير .

قال الحجاج :فما تقول في عثمان ؟

قال سعيد : المقتول ظلما ،المجهز جيش العسرة ،الحافر بئر رومة ،المشتري بيته في الجنة ،صهر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ابنتيه ،زوجه النبي بوحى من السماء .

قال الحجاج :فما تقول في علي ؟

قال سعيد :ابن عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأول من أسلم ،وزوجه الرسول -صلى الله عليه وسلم- من ابنته فاطمة الزهراء ،وأبو الحسن والحسين .

قال الحجاج :فما تقول في معاوية ؟

قال سعيد : لقد شغلني أمر نفسي من تتبع أعمال الرجال والحكم عليهم .

قال الحجاج : فما تقول في ؟

قال سعيد : أنت أعلم بنفسك .

قال الحجاج :بث علمك .

قال سعيد : إذا نسوتك ولا نسرك .

قال الحجاج بث علمك .

قال سعيد : أعفني . قال الحجاج :لا أعفاني الله إن أعفيتك .

قال سعيد :إني لأعلم أنك مخالف لكتاب الله تعالي ،ترى من نفسك أمورا

تريد بها الهية ،وهي التي تقحمك الهلاك وسترد غدا فتعلم .

فقال الحجاج :أما والله لأقتلنك قتلة لم اقتلها أحدا قبلك ولا أقتل أحدا بعدك .

فقال سعيد : إذا تفسد علي دنياي وأفسد عليك آخرتك .

قال الحجاج : يا غلام السيف والنطع .

فلما ولى ضحكك (أي سعيد) قال الحجاج: قد بلغني أنك لم تضحك .

قال سعيد قد كان ذلك .

قال الحجاج: فما أضحكك عند القتل؟

قال سعيد: من جرأتك على الله تعالى وحلم الله عليك .

قال الحجاج: يا غلام اقتله .

فاستقبل سعيد القبلة وقال (وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) (١)، فأمر الحجاج أن يصرف وجهه عن القبلة، فقال سعيد (أيما تولوا فثم وجه الله) (٢)، فقال الحجاج: يضرب به الأرض، فقال سعيد (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) (٣)، فقال الحجاج: اذبح عدو الله فما أنزعه لآيات القرآن، فقال سعيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، خذها مني يا حجاج حتى ألقاك يوم القيامة، اللهم لا تسلطه على أحد بعدي. (٤)

وقد ورد أن رأس سعيد بعد أن بانته منه قال لا إله إلا الله، ثلاث مرات .

لقد بقي الحجاج مدة ليست بالطويلة بعد قتله لسعيد بن جبيرة وتقول الروايات أنه عاش خمسة عشر يوماً وكان يردد دائماً في هذه المدة اليسيرة ملياً ولسعيد بن جبيرة، وتقول روايات أنه مات بعده بستة أشهر، المهم أنه لم يقتل أحداً ولم يسلط على أحد بعد سعيد بن جبيرة، فقد استجاب الله تعالى دعوة سعيد بن جبيرة التي دعا بها عند موته .

وكان عمر سعيد عند قتل الحجاج له سبعة وخمسون عاماً وكان ذلك في شهر

شعبان عام ٩٤ أو ٩٦ هـ . (٥)

(١) سورة الأنعام آية (٧٩)

(٢) سورة البقرة آية (١١٥)

(٣) سورة طه آية (٥٥)

(٤) بين عالم وطاغية الدكتور / يوسف القرضاوي ص (٧٠) بتصرف

(٥) صفة الصفوة لابن الجوزي ج ٢ ص (٤٦، ٤٧) بتصرف

تعقيب

وانتهت حياة الداعي الورع التقي النقي الشهيد الذي صدع بالحق وقال كلمة الصدق وهو **هو** أحلك المواقف دون أن يخاف من أحد أو يهاب أحداً إلا الله تعالى ، فهو رجل من رجال العلم والدين الذين تربوا على الكرامة والعزة وقول الحق ولو كان في ذلك ذهاب روحه لأنه يعلم قول النبي -صلى الله عليه وسلم- [إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر] (١)

لقد وقف في وجه الحجاج وواجه الطاغية الجبار دون خوف منه حتى نال الشهادة ، لأنه على ثقة في نصر الله تعالى له ، وأن الله سوف يأخذ له حقه من ظلمه في الآخرة .

هذه هي الصفات التي يجب أن تتوفر في الداعية ، شجاعة وقوة وقول للحق ونشر للعلم وتقديم الموعدة للناس وتعليمهم دينهم ، وفوق كل ذلك الإيمان بالله تعالى الذي يبعث في النفس اليقين والسكينة والرضى .

بل كان سعيد من أعبد الناس فهو لا ينقطع عن زيارة البيت الحرام فقد روى أنه كان يزور البيت مرتين في العام مرة للحج ومرة للعمرة ، بل كان لا يتكلم بالليل إلا بذكر الله تعالى ، وكان يصلى بالليل ويطيل الصلاة لله عز وجل . فعلى الدعاة أن يقتدوا بمثل هؤلاء الدعاة الذين نشروا العلم فكانوا أعلام الهدى أدلاء على الخير ، فرضى الله عنهم جميعاً .

(١) سنن الترمذي كتاب الفتن حديث رقم (٢١٠٠)

٣- سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب

رضى الله عنهم جميعا

نسبه:

هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب-رضى الله عنهم جميعا-أمه أم ولد ويكنى أبا عمر، وكان سالم شديد الأدمة، وكان خشنا غليظا يلبس الصوف الخشن، وكان على سمت أبيه في عدم الرفاهية، وكان يقال أشبه ولد عمر به عبد الله وأشبه ولد عبد الله به هو سالم، فكأن سالم يشبه جده عمر-رضى الله عنه- في خشونة العيش وكان سالم غليظا كأنه جمال، وكان من الزهاد والعباد وهو أحد الفقهاء المعدودين، وهو أحد العلماء العاملين، وهو ثقة حجة كثير الحديث، ورعا تقيا، ولقد أكثر من رواية الحديث عن أبيه وعن جده وعن كثير من الصحابة. (١).

يروى أن جماعة من المصريين قدموا المدينة فأتوا باب سالم بن عبد الله، فسمعوا رغاء بعير فبينما هم كذلك خرج عليهم رجل شديد الأدمة متزرا بكساء من صوف إلى شدوته فقالوا له: مولاك داخل؟ قال: من تريدون؟ قالوا: سالم قال: ها أنا ذا فما جاء بكم؟ قالوا: أردنا أن نسألك، قال: سلوا عما شئتم، وجلس ويده ملطخة بالدم والقيح الذي أصابه من البعير، فسألوه وأجابهم. (٢).

وروي عنه أنه كان يخرج ليشتري حاجاته بنفسه فعن حنظلة قال رأيت سالم يخرج إلى السوق يشتري حوائج نفسه. (٣).

(١) طبقات ابن سعد ج ٥ ص (٢٠٠) بتصرف

(٦) سيرة الأعلام النبلاء ج ٤ ص (٤٥٩)

(٣) صفة الصفوة ج ١ ص (٣٨٧) بتصرف

زهده ومعيشته:

لقد كان سالم من الزهاد الحقيقيين وليس من الذين يدعون الزهد وهم متكالبون على الدنيا يتقاتلون عليها، فقد قال الإمام مالك عنه: لم يكن أحد في زمن سالم بن عبد الله أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والقصد في العيش منه .

كان سالم يلبس الثوب بدرهمين، خشنا من الصوف .

قال له سليمان بن عبد الملك وراه حسن السحنة أي شيء تأكل قال الخبز والزيت وإن وجدت اللحم أكلته فقال له عمر بن عبد العزيز- وكان جالساً- أو تشتهي؟ قال: إذا لم أشتهي تركته حتى أشتهي. (١)

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن سالم كان يسلك طريق جده عمر ابن الخطاب-رضى الله عنه- الذي كان يأكل الزيت حتى اسمر جلده في عام الرمادة ورفض أن يأكل اللحم وقال حتى يأكله كل المسلمين .

وكان يشبه جده عمر بن الخطاب-رضى الله عنه- حتى في الثياب فقد كان عمر-رضى الله عنه- يلبس الثوب وفيه إحدى عشرة رقعة، وكذلك كان سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب-رضى الله عنهم جميعاً .

فقد روي أن سالم دخل على سليمان بن عبد الملك وهو خليفة وكانت ثيابه بالية، وكان في المجلس عمر بن عبد العزيز، وهو خاله فقال رجل من آخر القوم: أما وجد لخاله ثوبا يأتي فيه، فرد عمر الزاهد الورع فقال: إن حسن ثيابك لن ترفعك إلى مكانته وإن سوء ثيابه لن تنزل من قدره. (٢)

فهذا هو الزهد الحقيقي وليس الزاهد الذي لا يجد، ولكن الزاهد الذي يجد ويترك، فهو يجعل الدنيا في يده ولا يجعلها في قلبه فرضى الله تعالى عنه .

(١) سيرة الأعلام النبلاء ج ٤ ص (٤٥٩) بتصرف

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص (٢٠١) بتصرف

كان مثالا في الزهد والبعد عن الخلفاء حتى لا يصيبه منهم شئ . وقد روي عن سفيان بن عيينة قال دخل هشام بن عبد الملك الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد الله بن عمر فقال له : يا سالم سلني حاجتك ، فقال : إني لأستحي من الله أن أسأل أحداً في بيت الله غير الله تعالي ، فلما خرج سالم بن عبد الله خرج في إثره هشام بن عبد الملك وقال له : الآن قد خرجت فسلني حاجتك ، فقال له سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ، فقال هشام : بل من حوائج الدنيا ، فقال له سالم : ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها . (١)

عبادته لله تعالي :

كان من عبادته ما وري محمد بن أبي سارة قال رأيت سالم بن عبد الله ، قدم علينا حاجا فصلى العشاء ثم قام إلي ناحية مما يلي باب بني سهم في الصلاة ولم يزل يمينا وشمالا حتى طلع الفجر ثم جلس فاحتبى بثوبه . (٢)
فهو يتعبد ويصلى طول الليل ويتأسى بمن وصفهم الله تعالي (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون) (٣)
لقد عاش -رضى الله عنه- زاهدا ورعا عابدا لله تعالي فكان يصوم النهار ويقوم الليل تقربا إلى الله تعالي ، ترك ملذات الدنيا التي تفني وآثر ما عند الله تعالي .

منهجه في الدعوة:

لقد سلك سالم بن عبد الله بن عمر في دعوته منهج سيد الدعوة وإمامهم سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- ومنهج السابقين له من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين :-

أولا: طريق القدوة فقد كان داعية أولا بالقدوة الحسنة ، فهو داعية بالفعل لا بالقول ، وهذا ما يجب على الداعية أن يفعله أن يكون قدوة لغيره ولا بد أن يوافق قوله فعله ، وإلا لم يكن لكلامه أي أثر ، ولا لدعوته استجابة .

(٣) سورة الذاريات آية (١٧، ١٨)

(٢) المرجع السابق

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ج ١ ص (٣٨٨)

ثانياً: التواضع لمن أراد التعلم، ألم يأتيه أهل مصر يريدون منه أن يعلمهم فخرج وجلس معهم وعلمهم دون أن يتعالى عليهم ودون أن يعتذر لهم .

ثالثاً: نشره للعلم لقد كان سالم بن عبد الله ينشر العلم لكل طالب له ولا يكتمه لأنه يعلم أن من كتم علما أجمه الله بلجام من نار يوم القيامة وحقاً لقد كان كما قيل حق لطالب العلم أن لا ينام، وطالب الجنة لا ينام والهارب من النار لا ينام .

لقد ظل سالم بن عبد الله بن عمر-رضى الله عنهم جميعاً- داعياً بالقدوة الحسنة والسيرة الطيبة مثالا للداعية العامل بعلمه حتى مات في آخر سنة ست ومائة وقيل ثمانية ومائة هجرية في خلافة هشام بن عبد الملك وصلى عليه هشام بن عبد الملك، فرحمه الله تعالى ورضى الله عنه وأرضاه.

وعلى الدعاة أن يقتدوا بمثل هؤلاء الدعاة الذين عاشوا لله وماتوا لله تعالى، وبلغوا دعوتهم ولم يكتموا علما عن طالبه، لقد أفنوا حياتهم في طلب العلم، فعلى الدعاة أن يسلكوا مسلكهم ويسيروا على هديهم وينهلوا من معينهم ويقتفوا آثارهم .

المبحث الثالث

بعض البارزين من

الدعاة المعاصرين

الفصل الثاني

المبحث الثالث

أبرز الدعاة المعاصرين

الشيخ / محمد الغزالي

مولده ونشأته:

لقد ولد الشيخ / محمد الغزالي في عام ألف وثلاث مائة وستة وثلاثين من الهجرة - الثاني والعشرين من شهر سبتمبر عام ألف وتسعمائة وسبع عشرة ميلادية ، في قرية نكلا العنب التابعة لمركز إيتاي البارود التابع لمحافظة البحيرة ، مسقط رأس صاحب السيف والقلم محمود سامي البارودي والإمام حسن البنا وأئمة الأزهر الشريف الشيخ سليم البشري والشيخ إبراهيم حمر وش والشيخ محمود شلتوت رحمهم الله جميعا .

كان الشيخ الغزالي أكبر إخوته السبعة وأسماء والده "الشيخ أحمد السقا" التاجر الأمين محمد الغزالي لأنه كان يجب شيخ الإسلام أبا حامد الغزالي ، وهذه التسمية لم تؤثر في الشيخ محمد الغزالي فقد قال إن التسمية اقتزنت بشخصي ولم تؤثر في تفكيري فأنا أنتفع من تراث أبي حامد الغزالي صاحب [تهافت الفلاسفة] كما أنتفع من تراث خصمه ابن رشد صاحب [تهافت التهافت]

كان والده الشيخ أحمد السقا رحمه الله تعالى حافظا للقرآن الكريم فنشأ الشيخ محمد الغزالي نشأة دينية فحفظ القرآن وهو في العاشرة من عمره ثم التحق بأقرب معهد أزهرى وكان هذا المعهد في الإسكندرية واستطاع أن يحصل على الشهادة الابتدائية بعد أربع سنوات دراسية ثم بعد ثلاث سنوات أخرى حصل على شهادة الكفاءة ثم الثانوية بعد سنتين ، وتأخر عن الدراسة لمدة عام بسبب مشاركته في نشاط طلابي ضد الإنجليز ، ودخل السجن وخرج بكفالة . (١)

(١) الداعية الشهيد محمد الغزالي / عبد الله المصري ص (١١، ١٢) بتصرف

بعد أن أنهى دراسته بالمعهد الأزهرى فى الإسكندرية توجه إلى القاهرة ليلتحق بإحدى كليات الأزهر الشريف، فالتحق بكلية أصول الدين وتخرج منها فى علم (١٣٦٠هـ - ١٩٤١م) وحصل على الشهادة العليا ثم التحق بكلية اللغة العربية وحصل منها على العالمية مع إجازة التدريس فى الدعوة والإرشاد وهذه الشهادة تعادل الماجستير .

وكان منذ نعومة أظافره مجاباً للقراءة يقرأ فى كل شىء وفى أى علم، وكان يرى أن القراءة هى الشىء الوحيد الذى يعطى فكرة صحيحة عن العالم وأوضاعه، وأن قصور الفقهاء والدعاة يرجع إلى فقرهم فى القراءة، بل كان يقول فقر الدعاة فى القراءة أشد خطورة من فقر الدم عند المريض .

شخصيات أثرت فى حياته:

تأثر الشيخ محمد الغزالي منذ نعومة أظافره بوالده فحفظ القرآن مثله، ثم تأثر بمشايخه فى المعهد الدينى فى الإسكندرية فتأثر بالشيخ إبراهيم الغرباوى والشيخ عبد العزيز بلال، ثم تأثر بشيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت، وتأثر بالشيخ عبد العظيم الزرقانى الذى كان مدرساً بكلية أصول الدين وهو صاحب كتاب [مناهل فى علوم القرآن الكريم] وكان عالماً بجميع العلوم والأدب كما تأثر بالشيخ الشهيد حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، ولقد شارك الشيخ محمد الغزالي فى نشاط هذه الجماعة بعد أن انضم إليها فكان عضواً لهيئة التأسيسية، شغل منصب سكرتير تحرير مجلة الإخوان التى كان يرأس تحريرها الأستاذ صالح العشماوى، كما كان رئيساً للجنة الدعوة ووكيل عام للجماعة .

تأثر بالشيخ الغزالي فقرأ تراثه وقرأ تراث ابن رشد وتعلمذ فى مدرسة ابن تيمية الفقهية فجمع بين الفلسفة والفقه معا، وهكذا الداعية الناجح (١).

(١) المرجع السابق ص (١٤، ١٥) بتصرف

المناصب التي تقلدها:

عين إماما وخطيبا لمسجد عز بان بالعتبة الخضرة بالقاهرة، وكانت هذه هي أول وظيفة حكومية له، ثم عمل مفتشا للمساجد بالقاهرة، ثم نقل إلى الأزهر فعمل واعظا ومرشدا في مركز أبو قرقاص بمحافظ المنيا، ثم نقل إلى القاهرة ليعمل واعظا، ثم عمل رئيسا لتحرير مجلة نور الإسلام لمدة عامين التي كان يصدرها الأزهر، وكانت هذه المجلة تخص علماء الدعوة الإسلامية.

ثم عاد مرة أخرى إلى الأوقاف ليعمل وكيلا لإدارة المساجد ثم مدير عام للمساجد، وظل يتدرج في المناصب والوظائف فعين مراقبا عاما للشئون الدينية ثم مديرا عاما للتدريب ثم مديرا عاما للدعوة والإرشاد وأخيرا وكيل وزارة الأوقاف لشئون الدعوة في عام ١٩٨١ م.

ولكن بجوار هذه الوظائف الحكومية كانت هناك وظائف علمية أخرى، فقد عمل مدرسا للدعوة بكلية أصول الدين جامعة الأزهر، ومدرسا لمادة المجتمع العربي أيضا، وعمل مدرسا للسيرة التحليلية بكلية التربية، وعمل مدرسا للحديث النبوي بكلية الدراسات العربية والإسلامية.

بل لقد انتقل للعمل خارج مصر فعمل رئيسا لقسم الدعوة وأصول الدين في كلية الشريعة بجامعة أم القرى في مكة المكرمة، وعمل أستاذا للدعوة في جامعة قطر، وأمين أمناء الجامعة الإسلامية في دولة باكستان، وعمل رئيسا للمجلس العلمي لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بالجزائر والتي بدأها بكلية واحدة ثم توسعت حتى أصبحت سبع كليات في عهد الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد. (١)

وهكذا ظل الشيخ الغزالي ينتقل من منصب إلى منصب ومن بلد إلى بلد عاملا في حقل الدعوة، ومجاهدا في سبيل الله تعالى بالقول وبالقلم فرحمه الله تعالى.

(١) المرجع السابق ص (٢٢٥، ٢٢٦) بتصرف

المؤتمرات والندوات التي شارك فيها الشيخ الغزالي:

لقد شارك الشيخ الغزالي في العديد من المؤتمرات والندوات وملتقيات الفكر على مستوى العالم منها :

- مؤتمر الدعوة الإسلامية في السعودية.
- مؤتمر الدعوة الإسلامية في الخرطوم .
- مؤتمر الدعوة الإسلامية في سيريلانكا .
- مؤتمر التعليم الإسلامي في السعودية .
- مؤتمر الطلاب العرب في أمريكا .
- مؤتمر رابطة العالم الإسلامي .
- مؤتمر الفكر الإسلامي في الجزائر .
- مؤتمر الحضارة الإسلامية في عمان بالأردن .
- مؤتمر الخريجين في بيروت بلبنان .
- شارك في مواسم ثقافية ودينية كانت تقام في دول الخليج .
- كما أنه دعي كمحاضر في جميع بلاد العالم الإسلامي .
- أجريت له لقاءات وأحاديث إذاعية وتلفزيونية سواء في مصر أو في غيرها من البلاد العربية على القنوات الداخلية وعلى القنوات الفضائية .
- وكان آخر مؤتمر حضره مؤتمر الجنادرية في المملكة السعودية الذي أصابته فيه أزمة قلبية فأسلم الروح ونال الشهادة في سبيل الله وهو يجاهد بالقول ويصدع بالحق ، فرحمة الله عليه . (١)

(١) المرجع السابق ص (٢٧) وما بعدها بتصرف

أسلوبه في الدعوة والوسائل التي اتخذها:

لقد تنوعت أساليب الشيخ الغزالي في الدعوة، فلم يترك أسلوباً ولا وسيلة إلا أخذ بها في سبيل تبليغ الدعوة والدفاع عن الإسلام من هذه الأساليب ما يلي :-

١- الخطابة: لقد كان خطيباً مفوهاً، فكان يطنب في مواضع الإطناب

ويسهب في مواضع الإسهاب، فهو لا يطيل في الافتتاحية حتى يمل السامع وإنما يقصر فيها، بل لقد كانت له افتتاحية واحدة يفتح بها كل خطبه، هذه الافتتاحية هي [الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً رسول الله الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير، اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين]. (١)

بل كان دائماً يوصي الدعاة والخطباء فيقول لهم [إن خطبة الجمعة من شعائر الإسلام الكبرى، ومعانيها تنساب إلى النفوس في لحظات انعطاف إلى الله وتقبل لوصاياه، ومن ثم كان موضوعها جليل الأثر كبير الخطر]. (٢)

كان يعلم مدى خطورة خطبة الجمعة ومدى ما لها من تأثير على الناس فكلن بعدها إعداداً جيداً ويتخير لها الموضوع ويوحده ويجعله واضحاً لجميع المستويات ويجعله عناصر متسلسلة تسلسلاً منطقياً، لا يدخل في الأمور الخلافية ولا يتعصب لمذهب من المذاهب، يواكب العصر ويتابع الأحداث، كان يحاول من خلال خطبه أن يعالج الأمراض الاجتماعية المنتشرة في المجتمع، وكان يعرض بعض المواقف التاريخية التي توضح حالة المسلمين الأوائل والتي تحكي أجدادهم، وكان قبل عرض أي فكرة أو الخوض في أي موضوع لا بد أن يكون مقتنعا به ومؤمناً به، حتى يستطيع أن يقنع غيره به، وهو في كل ذلك يوجز الكلام ولا يكثره.

(١) كتاب خطب الشيخ الغزالي ص (٧)

(٢) الداعية الشهيد/عبد الله المصري ص (٥٧) بتصرف

٢- الندوات والمؤتمرات: تكلمت عن حضور الشيخ الغزالي للمؤتمرات والندوات التي كانت تعقد على مستوى العالم الإسلامي ومشاركته فيها، ولقد كانت تمثل جانباً كبيراً وهاماً في حياته الدعوية، فكان لا يتأخر عن حضور أي ندوة أو مؤتمر بل كان لا يعتذر عن أي دعوة توجه إليه مادامت لله ومن أجل دين الله تعالى، ولقد رأينا أن نهايته كانت في ندوة دعي إليها ورغم تعب وإرهاقه لم يعتذر أو يتأخر عن الحضور .

٣- الكتابة: لقد ترك الشيخ الغزالي وراءه ثروة مكتبية لا غني للداعية عنها ولقد كتب في كل ما يخص المسلم المعاصر من قضايا إسلامية معاصرة، ولقد دافع عن الإسلام من خلال كتاباته في الصحف القومية والحزبية والمجلات الإسلامية فكان يكتب في جريدة [المسلمون] السعودية تحت عنوان [الحق المر] وفي جريدة الشعب عمود ثابت له تحت عنوان [هذا ديننا] كما كان يكتب بصفة مستمرة في جريدة عقيدتي، بالإضافة إلى بعض المقالات في الصحف القومية وأذكر بعضاً من كتبه التي أثنى بها المكتبة الإسلامية التي منها: فقه السيرة - - خلق المسلم - عقيدة المسلم - جدد حياتك - كيف تفهم الإسلام - ليس من الإسلام - تأملات في الدين والحياة - التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام - نظرات في القرآن الكريم مع الله دراسات في الدعوة والدعاة - علل وأدوية هذا ديننا - كفاح ودين - هموم داعية - مائة سؤال عن الإسلام - الحق المر - سر تأخر العرب والمسلمين - جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج - كيف نفهم القرآن - حصاد الغرور - قذائف الحق - الدعوة الإسلامية تستقبل القرن الخامس عشر - فن الذكر والدعاء - دفاع عن العقيدة والشريعة . (١)

هذه بعض من كتبه وهناك الكثير منها نسأل الله أن يجعلها في ميزان حسناته .

(١) المرجع السابق ص (٢٩) وما بعدها بتصرف

٤- الدعوة بالخلق الكريم والقدوة الحسنة: لقد كان الشيخ الغزالي رحمه الله تعالى مثالا في الأخلاق الطيبة والصفات الكريمة ولقد قال عنه الدكتور/سعد ظلام: يمتاز الغزالي على جميع الدعاة بأدبه الجم وخلقه النظيف يزينه عمله بما يعلم، فكان تأثيره في القلوب وسيطرته على المشاعر لأنه لا يقول إلا ما يعتقد ولا يأمر الناس بتطبيق شيء إلا بعد أن يطبقه على نفسه فكان هو نفسه منهجا وعمله تطبيقا، والمنهج والتطبيق يكفلان لفكره البقاء والخلود (١).

إسهاماته في الدعوة:

لقد أسهم في الدعوة إسهامات لم تقف عند حدود مصر ولا العالم العربي بل لقد امتدت إلي العالم الإسلامي أجمع، فلم يكن تقليديا في دعوته بل كان ذا عقل نافذ ورأي صائب فهو بعيد كل البعد عن الانغلاق أو التحيز أو الجمود أو التعصب .

فلقد استطاع أن يقود حركة التعريب في الجزائر، وأسهم في تأسيس الجامعة الإسلامية هناك، بل كانت له آراء في المؤتمرات الإسلامية التي شارك فيها وحضرها، كانت له مناظرات عقدها مع بعض الماديين والعلمانيين، ووضح فيها بطلان آرائهم وعقم تفكيرهم .

قال عنه الدكتور/محمد عمارة: هو من أبرز علماء الأمة في هذا العصر الذي نعيش فيه جمع ما يندر أن يجتمع في عالم واحد، جمع بين قلب الداعية وعقل الفقيه المجدد وشجاعة المجاهد المرابط على ثغور الإسلام الفكرية .

قال عنه الدكتور/عبد الرشيد صقر: كان من أعظم الدعاة في هذا العصر لم يدخر وسعا في خدمة دينه، وكان لا يمل من خدمة الدين وألف عشرات الكتب وألقى ألوف المحاضرات والدروس والخطب وله أثر طيب في كيان كل مخلص (١).

(١) الداعية الشهيد/عبد الله المصري ص (٩٠) بتصرف

(٢) المرجع السابق ص (٨٨) وما بعدها بتصرف

تعليق

كان الداعية الإسلامي محمد الغزالي -رحمه الله تعالى- مثالا نادرا لما يجب أن يكون عليه الداعية الإسلامي، لقد كان يمتلك أسلوبا متفردا متميزا في إلقاءه وفي بيانه، ولقد أدرك خطورة دور الداعية في لم شمل الأمة والبعد بها عن التفاهات، فلم يكن يهتم بالفروع، ولا يزج بنفسه وبالناس في القضايا الفرعية الخلافية لأنه كان مهتما بما يحيط بالإسلام من مكائد ومؤامرات .

كان أعظم ما يتصف به الشيخ الغزالي -رحمه الله تعالى- أنه كان رجل حق لا يخشى في الله لومة لائم، رغم أنه تعرض للأذى وسجن وتهم عليه بعض الصغار والسفهاء إلا أنه كان لا يبالي، وكان لا يتخل عن موقفه أبدا وكان يقول الحق في أخطر المواقف، وهذا هو السر في ثقة الجماهير فيه وحبهم له والاستماع إليه. كان داعية ذا هموم وقضايا يحمل عبئها ويواجه الدنيا برأيه في كتبه التي كتبها ولم تكن من النوع المخطط، ولم يجب المماحكات اللفظية ولا التعليقات النحوية، بل كان يرى أن القرآن والسنة نبع دافق لا ينقطع تدفقه أبدا، وكان دائما يوصي الدعاة بالقرآن والسنة ويقول إن فيهما متسعاً يغني في الوعظ والإرشاد .

إن ما ترك الشيخ الغزالي -رحمه الله تعالى- من تراث مكتوب هو نافع ومفيد لكل مسلم، فكل كتاب يحمل فكرا جديدا، أو ردا على أعداء الدين، أو حلا لمشكلة معاصرة ظهرت على الساحة، كان يريد أن ينهض بالدعوة والدعاة فقدم لهم كتابه [مع الله - دراسات في الدعوة والدعاة]، بل هو أول من طالب بزي الإمام، وطالب بسكن الإمام، وثقافة الإمام، بل كان كثيرا ما يقدم النصيحة للدعاة كلما وجد الفرصة سانحة لذلك، أوصى بإنشاء دورات تدريبية في القاهرة والمحافظات للنهوض بالإمام، وكذلك أوصى بعمل مسابقات دورية بين الدعاة وتقديم حوافز مادية وأدبية لرفع المستوى العلمي للداعية (١).

(١) المرجع السابق ص (٩) وما بعدها بتصرف

استشهد الداعية المهموم بالدعوة إلى الله في آخر معاركه دفاعاً عن الإسلام وأمته ونال أمنيته التي تمنّاها من الله، فقد تمنى أن يموت شهيداً ويدفن بجوار النبي - صلى الله عليه وسلم - وهاهو في مهرجان الجنادرية في المملكة السعودية وهو في ندوة دينية كانت تحت عنوان [الإسلام والغرب] وأثناء حديثه وافته المنية وهو يزود عن الإسلام، فنال ما تمنى ودفن بالبقيع بجوار الحبيب محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان ذلك في مساء السبت الموافق ١٩ شوال عام ١٤١٦ هـ / ٩ مارس عام ١٩٩٦ م عن عمر يناهز ٧٩ عاماً إقليلاً .

لقد فقدت الأمة الإسلامية بموت الشيخ الغزالي علماً من أعلام الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، كان من الدعاة المستنيرين الفاهمين لكتاب الله تعالى، لقد كان علامة مضيئة في تاريخ الدعوة، كان من الدعاة العاملين .

كان يقول متواضعاً [إن كل ما نبغيه هو إنصاف الإسلام من سوء الفهم وسوء

الاستغلال]

كان يوجه النصائح للدعاة فيقول لهم [إن من العبث خدمة الإسلام بالنصائح المجردة أو العواطف المفتعلة .. بل لا بد قبل ذلك أن نعمل على تخليص أمتنا الإسلامية من ثلوث الفقر والمرض والجهل، فقد أضاعت هذه الأمراض معني الإيمان في نفوسنا]

قال عن الإسلام [الإسلام الذي ندعو إليه هو إسلام محمد بن عبد الله - أعظم مقرر للاشتراكية والديمقراطية السياسية في الأرض وليس هو ما تدخل به الوثنيات السياسية في الشرق على قطعان العبيد المغفلة]

هذا هو الداعية الشهيد الشيخ الغزالي - رحمة الله تعالى عليه - الذي أضاء الأرض بنور علمه وسماحة صدره، وعلى الدعاة أن يقتدوا به ويتعلموا منه، ويسلكوا طريقه، ويقرءوا كتبه التي تذخر بها المكتبة الإسلامية لينتفعوا بها في دعوتهم إلى الله تعالى . نسأل الله أن ينفعنا بعلمه ويسكنه فسيح جناته .

الفصل الثالث

الجهاد وأثره في تبليغ

الدعوة الإسلامية

الباب الثاني

الفصل الثالث

الجهاد وأثره في تبليغ الدعوة الإسلامية

تعريف الجهاد:

لغة: يعني المشقة والتعب - يقال جاهد العدو مجاهدة - وجهادا قاتله - وهو بذل الجهد والطاقة ، وشرعا :قتال غير المؤمنين من الكفار .(١)

وقيل الجهاد شرعا هو :بذل النفس والنفس في سبيل نشر العقيدة الإسلامية عقيدة التوحيد ،وفي سبيل الدفاع عنها .(٢)

وقال ابن الأثير :الجهاد هو محاربة الكفار وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول وفعل ،ويقال جاهد الرجل في الشيء أي جد فيه وبالغ .(٣)

والجهاد في سبيل الله تعالى هو المقصود من الجهاد الشرعي ،وهو ما جاءت به الآيات والأحاديث تحض عليه وتأمر به ،بخلاف الكافرين جهادهم وقتالهم في سبيل الشيطان قال تعالى (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا)(٤)

وقد جاء في الحديث الشريف [سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الرجل يقاتل شجاعة ويقا تل حمية ويقا تل رياء ،فأي ذلك في سبيل الله ؟فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله](٥)

إذن الهدف من الجهاد هو إعلاء كلمة الله التي هي التوحيد وإظهار الإسلام الذي هو دين الله الذي اختاره للبشرية ليكون لها دين .

(٢) معالم الدعوة الدكتور/إبراهيم حامد الأنصاري ص (٢١٣)

(١) المعجم الوجيز ص (١٢٢)

(٤) سورة النساء آية (٧٦)

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج ١ ص (٨٩٠)

(٥) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير من رواية أبو موسى حديث رقم (٢٥٩٩)

مراحل تشريع الجهاد في سبيل الله:

مر الجهاد الإسلامي بمراحل أربعة أذكرها فيما يلي :-

المرحلة الأولى:

كانت هذه المرحلة قبل الهجرة حيث كان المسلمون ضعفاء لا يمكنهم رد الإيذاء، ولم يكن للرسول -صلى الله عليه وسلم- سلطان مادي، وكان المشركون يؤذون النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه ولم يأمر النبي أصحابه برد العدوان وإنما كان يأمرهم بالصبر، ويصور هذا حديث خباب بن الأرت -رضى الله عنه- قال شكونا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا فقال: [قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصدده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون] (١)

والسلبية هنا اقتضتها الظروف، فالمسلمون ضعفاء، وقليلو العدد ولو حاولوا الدفاع لأخذهم الكفار وقتلوهم وهذه تعتبر نعمة من الله من بها عليهم بعد النصر فقال تعالي (واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون) (٢)

فالمرحلة كانت تستوجب الصبر والعفو والصفح والإعراض عن الجاهلين :

قال تعالي (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) (٣)

وقال تعالي (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا) (٤)

(٢) سورة الأنفال آية (٢٦)

(١) صحيح البخاري كتاب المناقب حديث رقم (٣٣٤٣)

(٤) سورة المزمل آية (١٠)

(٣) سورة الأعراف آية (١٩٩)

وحتى يكون التحمل أمرا سهلا عرف الله المؤمنين أنه يدافع عنهم قال تعالى
(إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور) (١)
ويجب أن يكون واضحا أن سلبية هذه المرحلة كانت في ترك المقاتلة وتحمل
الإيذاء، وما عدا ذلك فالإيجابية موجودة ففي مجال الدعوة وتبيينها وشرح
أهدافها وإقامة الحجج والرد على اتهام المعاندين كل ذلك لم يتوقف أبدا. (٢)

المرحلة الثانية:

أذن الله تعالى لهم بالقتال وكان ذلك بعد الهجرة وبدأت مرحلة الدفاع الإيجابي
فقام المهاجرون ببعض الغارات التأديبية ضد من ظلموهم في المرحلة الأولى
وكانت تعرف هذه الغارات بالسرايا وجميع من اشترك في هذه السرايا كانوا من
المهاجرين .

قال ابن القيم [فلما استقر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالمدينة وأيده الله
بنصره بعباده المؤمنين من الأنصار، وألف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي
كانت بينهم، فمنعته أنصار الله وكتيبة الإسلام من الأسود والأحمر وبذلوا
نفوسهم دونه وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج وكان أولي بهم من
أنفسهم، رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة، وشمروا لهم ساق العداوة
والمحاربة، وصاحوا بهم من كل جانب، والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو
والصفح، حتى قويت الشوكة واشتد الجناح فأذن لهم حينئذ في القتال ولم يفرضه
عليهم. (٣)

فقال تعالى (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) (٤)
هذه هي أول آية نزلت في القتال، ولم تفرض هذه الآية الجهاد وإنما كان الإذن
فقط وإباحة الدفاع عن النفس وهو متروك لقدرة المسلمين واستطاعتهم .

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها الدكتور / أحمد غلوش ص (٢٦٤)

(١) سورة الحج آية (٣٨)

(٤) سورة الحج آية (٣٩)

(٣) زاد المعاد لابن القيم ج ٣ ص (٧٠)

المرحلة الثالثة:

جاء في هذه المرحلة الأمر بالقتال ، وإنما احتاج المسلمون إلى الأمر بالقتال بعد الإذن به لأن منهم من أسلم حديثاً لم يقع عليه أذى ، ومنهم من طبع على الضعف الفطري ، ومنهم من بينه وبين أهل مكة قرابة ، وهؤلاء جميعاً لا ينفع معهم الإذن بل لابد لهم من الأمر به ليشعروا بوجوبه ويقيموه مخافة الإثم من تركه . (١)

قال تعالي (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين * واقتلوهم حيث ثقتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين) (٢)

وهذه المرحلة لم تخرج عن مبدأ الدفاع كما يستفاد من الآيات فيها (لا تعتدوا) وفيها (ولا عدوان إلا على الظالمين) وعلى المسلمين أن يرهبوا عدوهم وقد بدأت هذه المرحلة بعد بدر مباشرة حيث بدأت قريش الحرب العامة وأخذت تستعد للانتقام وأخذ الثأر ، وكان الله مع المؤمنين فوجههم بعد بدر مباشرة إلى الاستعداد للحرب ولزوم الثبات فيها قال تعالي (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين * وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير) (٣)

إذا مرحلة الإذن انتهت وبدأت مرحلة فرضية القتال ، قتال أهل مكة ومن ظاهريهم من القبائل الأخرى التي اعتدت على المسلمين أو حاولت الاعتداء ، أما من لم يعتد فلا يقاتل ولا يعتدي عليه .

(١) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها الدكتور / أحمد غلوش ص (٢٦٨) وما بعدها بتصرف

(٢) سورة البقرة آيات (١٩٠، ١٩١)

(٧) سورة الأنفال آية (٣٩، ٣٨)

المرحلة الرابعة:

الأمر بقتال المشركين كافة أيا كان نوعهم وجنسهم ومكانهم وزمانهم قال
 تعالي ﴿قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ (١)
 يقول بعض العلماء إن هذه المرحلة بدأت بعد غزوة الأحزاب ، ورأي يقول إنها
 بدأت بعد فتح مكة ، وعلى كل كانت هذه المرحلة هي بمثابة مرحلة إعلان
 الجهاد في سبيل الله تعالي لكل من صد عن سبيل الله تعالي وكل من وقف في
 وجه الدعوة وكل من لم يؤمن من العرب قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-
 أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقيموا
 الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق
 الإسلام وحسابهم على الله﴾ (٢)

قال الرازي ﴿فإن قيل ما السبب في أن الله تعالي أمر أولا بقتال من يقاتل ثم في
 آخر الأمر أذن في قتالهم سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا ؟ قلنا لأن في أول الأمر كان
 المسلمون قليلين ، فكان الصلاح استعمال الرفق واللين والمجاملة ، فلما قوي
 الإسلام وكثر الجمع ، وأقام من أقام منهم على الشرك بعد ظهور المعجزات
 وحصل اليأس من إسلامهم فجاء أمر الله تعالي بقتالهم على الإطلاق﴾ (٣)
 هذه هي المراحل التي مر بها الجهاد على عهد رسول الله -صلى الله عليه
 وسلم- ومنه يتضح أن قتال عموم المشركين كان هو الحالة الأخيرة التي استقر
 عليها الأمر لئلا شرع الله تعالي الجهاد دفعا للظلم ، وحماية للدعوة ، وتمكيننا
 للدعاة من مباشرة البلاغ ، ونشرا للأمن ، وحماية للحريات ، ولم يكن أبدا
 للاضطهاد أو الاعتداء أو القهر أو ترويع الآمنين . (٤)

(٢) صحيح البخاري كتاب

(١) سورة التوبة آية (٣٦)

(٨) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ج ٥ ص (٧٥) بتصرف

(٩) سبيل الرشاد في الدعوة والإرشاد الدكتور / محمود على حمادة ص (٧٤) بتصرف

فضل الجهاد في سبيل الله تعالى:

لقد ورد في فضل الجهاد آيات وأحاديث كثيرة توضح فضل الجهاد في سبيل الله تعالى وفضل الاستشهاد في سبيل الله تعالى نذكر منها ما يلي :-

قال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (١)

إن الشهداء الذين يقتلون وهم يجاهدون في سبيل الله تعالى ليسوا بأموات لأنهم أحياء في جنات عدن عند ربهم يتمتعون وينعمون بما أعد الله لهم من نعيم دائم . قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لجابر بعد أن استشهد أبوه في غزوة أحد [يا جابر ألا أخبرك ما قال الله لأبيك؟ قال : بلى قال : ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحا فقال : يا عبدي تمن علي أعطك ، قال : يارب تحييني فأقتل فيك ثانية قال : إنه سبق القول مني أنهم إليها لا يرجعون ، قال : يارب فأبلغ من ورائي ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ..) [٢]

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب ، فقال الله : أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله قوله " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ... "] (٣)

(١) سورة آل عمران آية (١٦٩، ١٧٠)

(٢) سنن الترمذي كتاب الجهاد حديث (٦٧٤)

(٣) صحيح مسلم كتاب الإمارة باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة حديث (١٨٨٧)

وقال تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهد من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (١)
قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين في سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة] (٢)

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [والذي نفسي بيده لا يكلم -لا يجرح- أحد في سبيل الله -والله أعلم بمن يكلم في سبيله- إلا جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك] (٣)

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيل وما عليها] (٤)

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها] (٥)

إن فضل الجهاد في سبيل الله تعالى وثوابه في كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- أكثر من أن تحصى بل لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها -كما يقول ابن تيمية- مثل ما ورد في فضل الجهاد، وسبب ذلك أن الجهاد نفعه عام وهو يشمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة مثل محبة الله والإخلاص له والصبر والزهد وهو بين أمرين إما النصر وإما الشهادة وبعدها الجنة. (٦)

(٢) صحيح مسلم كتاب الإمارة حديث (١٨٨٤)

(١) سورة التوبة آية (١١١)

(٣) صحيح البخاري كتاب الوضوء حديث (٢٣٧) و(٢٨٠٣) (٤) صحيح مسلم كتاب الإمارة حديث (١٨٨١)

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٨ ص (٣٥٣)

(٥) جزء من الحديث السابق

أنواع الجهاد:

١- جهاد النفس: قال تعالى (قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دساها) (١)، أي دنسها بالموبقات أو طهرها بفعل الصالحات، فالنفس هي أعدي أعداء الإنسان إن لم يطهرها ويزكها، وجهادها شاق وهو أساس النجاح في كل أنواع الجهاد وقد جاء في الحديث قول النبي -صلى الله عليه وسلم- [المجاهد من جاهد نفسه لله عز وجل] (٢)

ومن وسائل جهاد النفس فعل العبادات من مواظبة على الصلاة في مواعيدها والمحافظة على الطهور وعلى أركانها ~~مكاملة~~ والإكثار من النوافل، والصلاة تفيده في منع الإنسان من فعل المنكرات كما قال الله تعالى (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) (٣) فالصلاة تحارب الكبر والغفلة في الإنسان، والصيام يصفى النفس ويهدبها، والزكاة تحذ من أنانية النفس وبخلها، وهكذا باقي العبادات وهذا هو المقصود بجهاد النفس، فهو حثها على فعل الطاعة والبعد بها عن معاصي الله تعالى .

٢- جهاد الشيطان: لقد حذرنا الله تعالى من الشيطان وأمرنا بجهاده ومحاربه ومجاهدته فقال تعالى (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) (٤)، وقال تعالى (ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) (٥)، والمقصود بجهاد الشيطان هو دفع وساوسه وعدم طاعته فيما يوسوس به ومخالفته ويكون ذلك بذكر الله تعالى والإكثار من الاستغفار.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [إن الشيطان ليحري من أحدكم بحري

الدم من العروق] (٦)

(٢) سنن الترمذي كتاب الجهاد حديث (٣٧٦٥)

(١) سورة الشمس آية (١٠،٩)

(٤) سورة فاطر آية (٦)

(٣) سورة العنكبوت آية (٤٥)

(٦) صحيح البخاري كتاب البر والصلة حديث (٣٥٤٢)

(٥) سورة يس آية (٦٠)

٣- جهاد الفقر: وهذا النوع من الجهاد المقصود منه هو العمل والسعي في الأرض لكسب العيش من طريق حلال وتعمير الأرض وإصلاحها، ولقد عد الرسول -صلى الله عليه وسلم- هذا نوعاً من الجهاد فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندما رأى الصحابة شاب خرج يحمل فأسه ليحتطب نشيطاً مبكراً فقالوا: لو كان هذا في سبيل الله -فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [إن كان قد خرج يسعى على نفسه ليغفها عن المسألة فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف فهو في سبيل الله] (١)

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله] وفي رواية [كالصائم الذي لا يفطر والقائم الذي لا يفتر] (٢) بل كان النبي -صلى الله عليه وسلم- كثيراً ما يستعيد من الفقر ويقرنه بالكفر فيقول -صلى الله عليه وسلم- [اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر] (٣)

٤- الجهاد باللسان: ويكون الجهاد باللسان بمنع الظالم من ظلمه والجهر بكلمة الحق مهما كانت العواقب والرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول [أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قال كلمة حق عند سلطان جائر فقتله] (٤) وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده] (٥)

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإعلان أن هذا معروف وهذا منكر من دواعي الإيمان، وقد أمرنا الله تعالى بهذا الأمر فقال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (٦)

(٢) صحيح البخاري كتاب البر والصلة حديث (٢٧٦٥)

(١) رواه الطبراني بسند صحيح

(٤) سبق تخريجه في صفحة (٣٤٧)

(٣) سنن أبو داود كتاب الدعاء حديث (٢٣٤٥)

(٦) سورة آل عمران آية (١٠٤)

(٥) صحيح مسلم كتاب الأمر بالمعروف حديث (٣٢٤٥)

الدعوة إلى الفضائل والمكرمات ، ونشر الأخلاق الكريمة وهذا من واجبات الإسلام ، والرسول -صلى الله عليه وسلم- قال [التأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم] (١) وهذه مهمة العلماء والدعاة الذين هم ورثة الأنبياء ، أن يجهروا بالحق ويصدعوا به ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وينشروا الفضائل ، كتب الدكتور عبد الله ناصح علوان يقول [يا علماء الأجداد : اسمعوا صرخة مدوية صداها كل من كان في قلبه ذرة من إيمان ، أو شعور من ضمير ، أو حاسة من وجدان : من ينهي الظالم عن ظلمه ، ويكف المستبد عن استبداده غير العلماء ؟ ومن الذي يقف في وجه المعطلين لحدود الله ، والحاكمين بغير ما أنزل الله غير العلماء ؟

ومن الذي يأمر الناس بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويدعوهم إلى الله غير العلماء ؟

ومن الذي يقود الأمة الإسلامية نحو الفضيلة وأفاق النور ، ويبين لها الطريق السوي ، وسبل الهداية غير العلماء ؟

إن الرجل العادي من الأمة ليس عنده منطق وقوة البرهان ، وثبات اليقين ، والجرأة في الحق .. لإقناع العقول المتحجرة ومقاومة الظلم والظالمين ، وإنما عنده حمية الإيمان ونخوة الإسلام ، والتضحية الغالية حين يسمع من علمائه الأجداد كلمات الجهاد والفداء وعبارات الاستبسال والاستشهاد يا علماء الإسلام ويا دعواته المخلصين لا تظنوا أن النصر يأتي بالأمر الهين اليسير ، وأن الطريق مخوف بالورد والرياحين ، وإنما يتطلب منكم واجب الدعوة إلى الله ومسئولية الإسلام أن تثابروا على الجهاد وتتخطوا كل عقبة كئود وتتأسوا بسيد المرسلين سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- فتضحوا كما ضحى وتجاهدوا كما جاهد] (٢)

(١) سنن أبو داود باب الأمر بالمعروف (٢) إلى ورثة الأنبياء والدعاة إلى الله عبد الله ناصح علوان ص (٤٣) وما بعدها يتصرف

٥- الجهاد من أجل الدفاع عن الوطن

وهذا النوع من الجهاد يشمل كل من اعتدى على النفس أو العرض أو المال أو صد عن دين الله تعالى أو اعتدى على الأرض التي ملك للمسلمين أو اعتدى على المقدسات الإسلامية، أو حاول زعزعة الآمنين، أو محاربة الله ورسوله .^(١) وهذا هو المقصود بالجهاد في سبيل الله ، وحمل السلاح فيه واجب ، وكانت أكثر الآيات والأحاديث تحض عليه وتأمر به قال تعالى (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) (١)

وحكم هذا الجهاد فرض عين على كل قادر عليه إن أغار العدو على ديار الإسلام وداهمها ، وأيضاً إذا استنفر الإمام الناس لقتال العدو وجب الخروج لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا من الآخرة لا قليل) (٢) وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا] (٣) وفرض كفاية إن لم تكن هناك إغارة من العدو أو استنفر من الإمام .

قال الإمام ابن العربي {إذا كان النفير عاما لغلبة العدو على الحوزة أو استيلائه على الأسارى كان النفير عاما ووجب الخروج خفافا وثقالا وركبانا ورجالا وعبيدا وأحرارا، ومن كان له أب خرج من غير إذنه حتى يظهر دين الله وتحمى البيضة وتحفظ الحوزة ويخزي الله العدو ويستنقذ الأسرى ولا خلاف في ذلك} (٤)

(١) سورة التوبة آية (٤١)

(٢) سورة التوبة آية (٣٨)

(٣) صحيح البخاري كتاب الحج باب فضل الحرم حديث (١٥٨٧)

(٤) أ- أحكام القرآن لابن العربي المالكي ج ٢ ص ٦٤٣

أسباب الجهاد:

أولاً: الدفاع عن الدين والنفس والمال وهو ما يسمى في الإسلام بالضرورات الخمس والتي جاءت تشريعات الإسلام كلها للمحافظة على هذه الخمس وحمايتها من كل اعتداء قال تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) (١)

ثانياً: حماية الدعوة حتى لا يقف في طريقها معترض يمنع وصولها إلى الناس، أو يصد عنها فيؤدي الذين يقومون بالدعوة، أو يفتن الناس الذين يستجيبون للدعوة قال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) (٢)

فلا بد من الدعوة من قوة تحميها من أعدائها، والحق إذا لم تسنده قوة تغلب الباطل عليه، بل إن الحق القوي يجعل الناس ينظرون إليه بفهم وإعجاب وعدم خوف من المخالفين له. (٣)

ثالثاً: تأديب الذين يتمرّدون على المؤمنين، أو يخرجون على الإمام، أو ينكثون الأيمان قال تعالى (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إلهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون) (٤)

إذاً الإسلام يجرد الجهاد في سبيل الله تعالى من غاية دنيوية أو دوافع شخصية، فليس في الإسلام حرب تقوم لتحقيق مطامع دولية أو أجماع شخصية، أو حرب تقوم على استغلال الشعوب وأكل خيراتهما، أو حرب تقوم على القهر والاستعباد وسيادة قوم على قوم، فالقتال في الإسلام يجب أن يكون هدفه أولاً وأخيراً إعلاء كلمة الله تعالى وسيادة سلطانه في الأرض، وحتى يتحقق للبشرية الخير والبركة والكرامة والعدل والعزة. (٥)

(٢) سورة البقرة آية (١٩٣)

(١) سورة البقرة آية (١٩)

(٤) سورة التوبة آية (١٢)

(٣) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها الدكتور/ أحمد غلوش ص (٢٦٢)

(٥) سبيل الرشاد في الدعوة والإرشاد الدكتور/ محمود على حياة ص (٩٤)

قواعد ومبادئ الجهاد في سبيل الله تعالى:-

لقد شرع الله تعالى الجهاد وجعل له أسلوباً خاصاً لتظهر من خلاله الغاية السامية منه ، ولأن الإسلام هو دين الرحمة وهو الدين الذي جاء لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وهو ليس دين سفك للدماء ولا دين هتك لأعراض ولا دين اعتداء على الحرمات .

من أجل ذلك نجد أن الإسلام شرع مبادئ للجهاد يسير عليها ولا يتعداها وهذه المبادئ تنقسم إلى ثلاثة أقسام : قسم قبل القتال وقسم أثناء القتال وقسم بعد القتال وسنتناول كل قسم بشيء من التفصيل :-

أولاً : مبادئ الجهاد في سبيل الله تعالى قبل القتال:-

١- الشورى:

وهي مبدأ عام من مبادئ الإسلام ولكنه يتأكد في الجهاد لأنه أمر يشترك فيه الجميع ولا بد أن يكون لهم رأي فيه وقد نزل القرآن يؤكد هذا الأمر قال تعالى (وشاورهم في الأمر) (١) وقال تعالى (وأمرهم شورى بينهم) (٢) .

وحديث أبو هريرة -رضي الله عنه- قال ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (٣)

ولقد ثبت في كتب السير أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- استشار أصحابه في غزوة بدر وغزوة أحد ، بل في كل غزواته -صلى الله عليه وسلم- كان يستشير مع أنه مويد بالوحي ولكنه يأخذ بالشورى حتى يكون قدوة لمن يأتي من بعده .

لقد وضع الإسلام مبدأ الشورى وعمل به النبي -صلى الله عليه وسلم- في حياته والخليفان من بعده ، وكان له في صدر الإسلام شأن تجلّى به سمو الإسلام في تقرير حق الإنسان وكان الأساس فيه الحرية التامة في إبداء الرأي من أهل الرأي (٤) .

(٢) سورة الشورى آية (٣٨)

(١) سورة آل عمران آية (١٥٩)

(٤) الإسلام عقيدة وشريعة الشيخ/محمود شلتوت ص(٤٤٢)

(٣) مسند الإمام أحمد

٢- الكتمان:-

والكتمان هو مبدأ عام في زمن السلم وفي زمن الحرب ولكن في زمن الحرب أكد قال تعالي (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلي الرسول وإلي أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا) (١)

وروى كعب بن مالك أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- كان إذا أراد غزوة وري بغيرها (٢).

وكان الرسول-صلى الله عليه وسلم-يقول [الحرب خدعة] بل لقد أجاز النبي-صلى الله عليه وسلم-الكذب في الحرب وهو من الثلاثة أشياء التي أجاز النبي الكذب فيها فلقد روت السيدة أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط-رضي الله عنها-قالت: [ما سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الإصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها] (٣)

فيجوز للجندي المسلم أن يكذب على العدو فيعطيه أخبارا غير حقيقية إذا وقع في الأسر لكي يضل العدو، بل يجوز له إخفاء شخصيته عن العدو، وكتب السير مليئة بالمواقف التي تثبت مدى فائدة الكذب على العدو، منها موقف نعيم بن مسعود في غزوة الأحزاب عندما أسلم وقال للرسول إني قد أسلمت ولم يعلم أحد بإسلامي فمرني بما شئت فقال له الرسول-صلى الله عليه وسلم-خذل عنا إن استطعت، وأخذ نعيم بن مسعود يسعى بالإيقاع بين اليهود والمشركين حتى أوقع بينهم وهم لا يعلمون أنه أسلم بل كل فريق يظن أنه تابع لهم وأنه لهم ناصح (٤).

(٢) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير حديث رقم (٢٧٢٨)

(١) سورة النساء آية (٨٣)

(٣) الترمذي كتاب البر والصلة حديث رقم (١٨٦٢) (٤) الاستفادة من قصص القرآن الدكتور عبد الكريم زيدان ج ٢ ص (٢٥٤) بتصرف

٣- جمع المعلومات :

إن معرفة أخبار القوم ومكانهم وعدتهم وعددهم ومن يمدهم ومن يحالفهم ضروري، وذلك حتى نستعد لهم ولا نفاجأ بعدتهم أو بعددهم أو بمكانهم، وكيف ينتصر من يجهل من يحاربه، ولقد طبق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذا المبدأ فكان يرسل العيون ليتعرف على القوم ويتحسس أخبارهم .

فكان يخرج بنفسه ليتعرف على أخبار القوم، [وقد خرج صلى الله عليه وسلم- في غزوة بدر مع أبي بكر-رضى الله عنه- ولقي الرجل الضمري وسأله عن أخبار القوم فقال له أخبرني من أنت فقال لهم أخبروني أنتم فقال له-صلى الله عليه وسلم- إن أخبرتني أخبرناك فقال سلوا عما شئتم فقال النبي-صلى الله عليه وسلم- أخبرنا عن قريش؟ قال الرجل الضمري: بلغني أنهم خرجوا يوم كذا وكذا من مكة فإن كان الذي أخبرني صادقاً فإنهم يجنب هذا الوادي، قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فأخبرني عن محمد وأصحابه؟ قال الرجل: خبرت أنهم خرجوا من يثرب يوم كذا وكذا فإن كان الذي أخبرني صادقاً فهم بجانب هذا الوادي، ثم قال الرجل الضمري فمن أنتم؟ قال النبي-صلى الله عليه وسلم- نحن من ماء وأشار بيده نحو العراق، وقد انصرف فقال الرجل أمن ماء العراق أم من ماء الشام] (١)

وهذا النص فيه دالتان عسكريتان :

الأولي: جمع المعلومات والتأكد منها ومن رواية الراوي .

الثانية: إخفاء الشخصية الإسلامية وكتمان أمر المسلمين .

(١) المغازي ج ٢ ص (٥٣،٥٢)

٤- دعوة الكفار قبل بدء القتال إلى الإسلام:

لابد قبل أن تبدأ المعركة من دعوة العدو إلى الإسلام وعرضه عليه أو دعوته إلى دفع الجزية والبقاء على دينه مع دخوله تحت إمرة المسلمين فإن أبي فهذا نعلمه أننا سوف نقاتله، وذلك لأنه ليس الهدف من الجهاد هو مجرد الحرب والقتال وإنما هو نشر الإسلام ورفع كلمة الله تعالى فلو تم ذلك بدون قتال فسيكون أفضل .

روى الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس -رضي الله عنه- [قال ما قاتل رسول

الله -صلى الله عليه وسلم- قوما إلا دعاهم إلى الإسلام] (١)

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى وبمن معه من المسلمين خيراً ثم قال : اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال فآيتهن آجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم ، ادعهم إلى الإسلام فإن آجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين فإذا أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم الذي يجري على المسلمين ولا يكون لهم في الفبيء والغنيمة شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن أبوا فسلهم الجزية فإن آجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن أبوا فاستعن بالله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذلك ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم إن تخفروا ذمتكم وذمة أصحابك أهون من أن تخفروا ذمة الله ورسوله ، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تترهم على حكم الله فلا تقبل منهم ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا] (٢)

(١) مسند الإمام أحمد حديث (٢٠٠١)

(٢) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير حديث (٣٢٦١)

٥- عدم الاعتداء:

من المبادئ الإسلامية الحكيمة في القتال عدم الاعتداء وإنما رد المعتدي وصدده قال تعالي (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) (١)

وروى عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قوله [تألفوا الناس وتأنوا بهم ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم فما على الأرض من أهل مدر أو وبر إلا أن تأتوني بهم مسلمين أحب إلي من أن تأتوني بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم] (٢)

فالجهاد الإسلامي في جملته يخضع للمبدأ العام الذي يتفق مع الفطرة، وهو مبدأ عام وثابت وهو مبدأ الدفاع قال تعالي (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) (٣)

وهذا مبدأ حق وعدل لأن الظلم لو ترك لعم الفساد في الأرض ولأصبحت شؤون العباد بيد الطغاة، وإن المجتمعات على اختلافها تتفق على مدافعة الاعوجاج حتى تستقيم الحياة وينصلح الأمر، ولا لوم مطلقاً على من يدفع ظلماً أو يرد اعتداءً، بل إن رد الظلم هو سر البقاء قال تعالي (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) (٤)

فالإسلام شرع القتال في حدود ولهدف معين ولا ينبغي أن يتجاوزَه. (٥)

(١) سورة البقرة آية (١٩٠)

(٢) حديث العظماء الأوسط

(٣) سورة البقرة آية (١٩٤)

(٤) سورة البقرة آية (٢٥١)

(٥) الدين والدولة الدكتور/ محمد البهي من (٢١٤)

٦- تعريف القائد بقواعد الحرب :

إن اختيار القائد الكفء وتعريفه بقواعد القتال في سبيل الله تعالى هو من المبادئ الأولى للمجاهد في سبيل الله تعالى ، ولقد روى ابن عباس -رضى الله عنهما- قال : [كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا بعث بعثا قال : اخرجوا باسم الله تعالى ، قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا والولدان ولا أصحاب الصنائع ، وفي رواية لا تقتلوا الذرية في الحرب فقالوا يا رسول الله هم أولاد المشركين ، قال : أو ليس خياركم من أولاد المشركين ، وفي غزوة خيبر نهي عن قتل النساء والصبيان] (١)

فهذه النصوص يتضح منها أن القائد المسلم يسير إلى المعركة وهو مجهز بنفسية عالية تحترم الإنسانية ، فلا اعتداء على مصنع أو على مدني ولا يقتل طفل ولا تقتل امرأة ولا يقتل شيخ هرم ، ولا تخرج المعركة عن سيرها وعن حدودها المسلحة إلى الآمنين ، فلا تجوز المثلة ولا الخيانة ولا الاعتداء على من لا يحارب ولا ترويع الآمنين .

٧- تكريم المقاتلين :

إن الشد من أزر المقاتل وتكريمه يرفع من روحه المعنوية ويدفعه إلى القتال ويساعده على الاستمرار ولقد روى سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : [لأن أشيع غازيا فأكفيه في رحله غدوه وروحه أحب إلي من الدنيا وما فيها] (٢)

وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال مشى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلي بقيع الغرقد ثم وجههم ثم قال انطلقوا على اسم الله ، وقال اللهم أعنهم يعني النفير الذين وجههم إلي كعب بن الأشرف] (٣)

(٢) سنن ابن ماجه كتاب الجهاد (٢٨١٤)

(١) مسند الإمام أحمد حديث (٢٦٧٢)

(٣) مسند الإمام أحمد حديث (٢٢٦٩)

وروى أصحاب السنن عن عبد الله الخطمي -رضى الله عنه- قال [كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا أراد أن يودع الجيش قال أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم] (١)

ونتعلم من هذا المهدي النبوي الشريف أن ندعو للمجاهد في سبيل الله تعالى أن يحفظ الله عليه دينه وأن يرده إلي أهله سالماً غانماً وأن يخلفه في ماله وأهله. (٢)

ولقد سار أبو بكر الصديق -رضى الله عنه- على هذه السنة فلقد روي عنه [أنه خرج ليودع جيش أسامة بن زيد -رضى الله عنهما- الذي كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد جهزه قبل موته وتوقف لما مات رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولكن أبو بكر -رضى الله عنه- أمضاه، وخرج يودع هذا الجيش وهو ماش على قدميه وأسامة بن زيد قائد الجيش الذي أمره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- راكب وكن سنه لا يتجاوز تسع عشرة سنة، فقال أسامة بن زيد -رضى الله عنهما- لسيدنا أبي بكر -رضى الله عنه- يا خليفة رسول الله إما أن تتركب وإما أن أنزل فقال: لن تنزل ولن أركب وما على إلا أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة] (٣)

وهذا هو التكريم الحقيقي الذي يدفع بالجندي إلى القتال والاستبسال والصمود في وجه العدو .

(١) سنن الترمذي كتاب الدعوات (٠٣٣٦٤)

(٢) الجهاد الإسلامي منهج وتطبيق /رؤف شلي الجزء الأول ص (١٤٢) بتصرف

(٣) البداية والنهاية ج ٦ ص (٣٤٣)

مبادئ وقواعد القتال أثناء المعركة:-

لبداء المعركة بعد الإعداد لها قوانين خاصة لا بد من الالتزام بها حتى تسير المعركة على نحو إنساني رفيع يتفق ومبادئ الإسلام القويمية :

١- تعبئة الجيش وترتيبه:-

قال تعالي (وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنون مآعدا للقتال والله سميع عليم) (١)
قال ابن كثير في تفسير هذه الآية [استمر رسول الله-صلى الله عليه وسلم- حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكر إلى أحد وقال لا يقاتلن أحد حتى نأمره بالقتال وقال للرماة انضحوا الخيل عنا ولا تؤتينا من قبلكم والزموا مكانكم إن كانت الدولة لنا أو علينا وإن رأيتمونا تحطفنا الطير فلا تبرحوا أمكانكم وأجاز رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بعض الغلمان وآخر آخرين حتى أمضاهم يوم الخندق بعد هذا اليوم] (٢)

إن اختيار المقاتل وتربيته أخلاقيا وعسكريا ليؤدي مهمته بنجاح ولتكون خالصة من كل شبهة أو ريبة لهي من أساسيات التعبئة العامة للجيش، من أجل ذلك نجد أن الرسول-صلى الله عليه وسلم- يتخير المقاتل فيجيز البعض ويرد البعض، بل نجده يرفض اشتراك الكافر في الدفاع عن الإسلام .

روى صاحب كتاب كشف الغمة [أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- لما خرج إلى بدر تبعه رجل من المشركين كان مشهورا بالشجاعة ففرح به أصحابه فقال يا رسول الله جئت لأتبعك وأصيب معك، فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- تؤمن بالله؟ قال الرجل: لا، قال: فارجع فلن أستعين بمشرك، ثم تبعه إلى مكان آخر فقال: تؤمن بالله ورسوله؟ قال نعم فانطلق، وجاءه جماعة أخرى من المشركين فسألوه أن يكونوا معه فقال أسلمتم؟ قالوا لا، فقال: لا نستعين بالمشركين على المشركين] (٣)

(١) سورة آل عمران آية (١٢١)

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص (٤٠٠)

(٣) كشف الغمة ج ٢ ص (٢٠٢)

بل لقد رفض الرسول -صلى الله عليه وسلم- اشتراك بعض المتطوعين في القتال لعدم تهيئ الجو المناسب لاشتراكهم في القتال مع قدرتهم عليه وذلك لظروفهم العائلية والأسرية التي تمنعهم من الخروج للقتال .

فقد روي [أن رجلا هاجر من اليمن إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وطلب منه الإذن له في الجهاد فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم- هل لك أحد باليمن؟ فقال أبو اي ، فقال: أذنا لك؟ فقال: لا ، قال: ارجع إليهما فاستأذنهما فإن أذن لك فجاهد وإلا فبرهما] (١)

وهذا هو ما يسمى في وقتنا الحاضر (رشيد عائلة) أو معنى بسبب أنه وحيد والديه . وهناك رواية أخرى تقول [أتى رجل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال يا رسول الله إني جئت أريد الجهاد معك ولقد أتيت وإن والدي يبكيان قال ارجع إليهما ففيهما فجاهد ، ورواية فأضحكهما كما أبكيتهما] (٢)

ولابد من أن يكون الخروج للجهاد خالصا لوجه الله تعالى دون رياء أو طلب أجر دنيوي ، [فقد سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الرجل يقاتل حمية ويقاتل رياء فأى ذلك في سبيل الله تعالى قال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله تعالى ، وما من غازية تغزو في سبيل الله تعالى فيصيبوا غنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة ويبقى الثلث وإن لم يصبوا غنيمة تم لهم أجرهم] (٣)

وقال أبو أمامة -رضي الله عنه- جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال يا رسول الله أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا شيء له ، ثم قال إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغي به وجه الله تعالى .. [(٤) هكذا كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يختار ويربي ويعبى المقاتلين في سبيل الله حتى يكون الجهاد خالصا لوجه الله لا تشوبه شائبة .

(٢) صحيح البخاري كتاب الأدب حديث (٥٥١٥)

(١) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير حديث (٢٧٨٥)

(٤) سنن النسائي كتاب الجهاد حديث (٣١٣٧)

(٣) سنن النسائي كتاب الجهاد حديث (٣٠٧٤)

٢- التحذير من التولي من الزحف :-

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبلى) (١)
 فلا يجوز التولي يوم الزحف بل يجب على كل مقاتل الزحف تجاه العدو، ولقد روى
 أبو هريرة-رضي الله عنه-قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- [اجتنبوا السبع
 الموبقات قيل يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم
 الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات،
 والتولي يوم الزحف] (٢)

إن الفرار من الزحف من أكبر الكبائر وهو من المهلكات، بل إن من يفر من القتل
 يدخل ضمن المغضوب عليهم وهو من أهل النار قال تعالى (ومن يولهم يومئذ دبره إلا
 متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) (٣)
 قال ابن كثير [يقول الله تعالى متوعدا على الفرار من الزحف بالنار لمن فعل ذلك ..
 أي يفر بين يدي قرنه مكيدة ليريه أنه قد خاف منه فيتبعه ثم يكر عليه فيقتله فلا بأس
 عليه في ذلك (أو متحيزا إلى فئة) أي فر من هاهنا إلى فئة أخرى من المسلمين يعاونهم
 ويعاونونه فيجوز له ذلك حتى لو كان في سرية ففر إلى أميره أو إلى الإمام الأعظم
 دخل في هذه الرخصة قال الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما-قال
 كنت في سرية من سرايا رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فحاص الناس حيصة
 فكنت فيمن حاص فقلنا نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟ ثم قلنا لو دخلنا
 المدينة ثم بتنا ثم قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فإن
 كانت لنا توبة وإلا ذهبنا، فأتيناه قبل صلاة الغداة فخرج فقال: من القوم؟ فقلنا نحن
 الفرارون فقال: لا بل أنتم الكارون أنا فتتكم وأنا فئة المسلمين، قال فأتيناه حتى قبلنا
 يده] (٤)

(٢) صحيح البخاري كتاب الوصايا حديث (٢٥٦٠)

(٤) تفسير ابن كثير ج ٢ ص (٢٩٣، ٢٩٤) بتصرف

(١) سورة الأنفال آية (١٤)

(٣) سورة الأنفال آية (١٥)

[و كذلك قال عمر بن الخطاب-رضى الله عنه- في أبي عبيدة لما قتل على الجسر بأرض فارس لكثرة الجيش من ناحية الجوس فقال عمر لو تميز لكنت له فئة... وكذلك من فر اليوم إلي أميره أو أصحابه فأما إن كان الفرار لا عن سبب من هذه الأسباب فإنه حرام وكبيرة من الكبائر] (١)

والتعبير بالزحف هنا دلالة أن هذا الجيش كالجسم الواحد يشاهد في حركة سيره كالذي يزحف، قال أبو السعود في تفسيره [سمي الجيش الداهم المتوجه إلى العدو زاحفاً لأن كثرت وتكاتفه يرى كأنه يزحف وذلك لأن الكل يرى جسم واحد متصل فيحس حركته بالقياس إليه في غاية البط وإن كانت في نفس الأمر على غاية السرعة] (٢)

أما من فر لتحسين موقع عسكري فهو متحرفاً للقتال أو فر لتقوية سرية يتحيز معها لنصرة المسلمين فلا بأس عليه وقد طبق هذا المبدأ خالد بن الوليد-رضى الله عنه- في معركة مؤتة عندما تراجع بالجيش لما رأى أن الجيش سوف يهلك-وذلك أن الأمراء الثلاثة الذين أمرهم النبي-صلى الله عليه وسلم- كانوا قد استشهدوا وتم اختيلو خالد بن الوليد-رضى الله عنه- أميراً للجيش ورأى كثرة جيش الأعداء وقلّة عدد المسلمين وأنه إن استمر في المعركة فسوف يهلك الجيش عن آخره فبدأ في تغيير الميمنة إلى ميسرة والميسرة إلى ميمنة وأثار النقع حوله فظن الأعداء أنه قد جاءه مدد، ثم أخذ في التقهقر للوراء حتى وصل إلى المدينة -واستقبله الرسول-صلى الله عليه وسلم- وقال لهم أنتم الكرار إن شاء الله عندما قال لهم الصبيان يا فرار، وكذلك فعل خالد بن الوليد-رضى الله عنه- هذا الفعل في معركة اليرموك وهذا كان من ذكائه وفطنته الحربية. (٣)

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص (٢٩٤) بتصرف

(٢) تفسير أبو السعود ج ٢ ص (٢٢٢)

(٣) الجهاد في الإسلام منهج وتطبيق /رؤف شلى ص (١٥٢) بتصرف

٣- الصبر والثبات:

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (١)

وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) (٢)

وفي الحديث قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [لا تتمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموه فاصبروا] (٣)

فواجب على المجاهدين في سبيل الله تعالى أن يتحلوا بالصبر والثبات ويتحقق هذا فيما يلي :

• الإقدام وعدم التردد .

• الصبر على بأساء الحرب ووطيسها .

• تحمل الجراح والاستمرار في القتال .

• الشجاعة والبسالة في المعركة .

ولقد ضرب الرسول -صلى الله عليه وسلم- أروع الأمثلة في الصبر والثبات في القتال ، وهو القدوة الحسنة لنا ، ولقد قال الصحابة -رضوان الله عليهم- كنا إذا اشتد البأس اتقيننا برسول الله وكان أقربنا للعدو .

وعن البراء بن عازب -رضى الله عنه- قال: [قال لنا رجل أفررتم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يا أبا عمارة ؟ قال لا والله ما ولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولكن ولى سرعان الناس تلقتهم هوزان بالنبل ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- على بغلته وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أخذ بلجامها ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب] (٤)

(٢) سورة الأنفال آية (٤٥)

(١) سورة آل عمران آية (٢٠٠)

(٤) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير حديث (٢٦٥٢)

(٣) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير حديث (٢٧٤٤)

ويروى أن الناس في المدينة فرعوا ليلة-سمعوا صوتا-فخرجوا لينظروا الأمر فتلقتهم رسول الله-صلى الله عليه وسلم-على فرس لأبي طلحة عري وهو متقلد سيفه فقال لهم [لم تراعوا لم تراعوا] (١)

بل كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يعبئ الجيش ويقول لهم [والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة] (٢)

يقول الشيخ/محمود شلتوت [والصبر قوة إيجابية بها يكافح المؤمن عوامل الضعف والهلع وبها يواصل السير بخطوات واسعة قوية وفي إزالة ما يعترضه من عقبات ... أما المصابرة فهي مغالبة الشدائد التي تقع بينك وبين غيرك إلى أن تخر صريعة في صفوف القتال وفي كفاح الظلم والمنكر ...

أما المرابطة فهي الوقوف بإيمان وحزم أمام منافذ الشر والعمل على إحكام صدها، والصبر والمصابرة علاج للشدائد النازلة، والمرابطة هي وقاية من الشدائد المرتقبة وبذلك يسلم حاضر الحياة ومستقبلها وتسير قدما إلى الأمام] (٣)

قال ابن كثير في تفسيره [قال الحسن البصري أمروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم وهو الإسلام، فلا يدعوه لسراء ولا لضراء ولا لشدة ولا لرخاء، حتى يموتوا مسلمين، وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم... أما المرابطة فهي المداومة في مكان العبادة والثبات... وقيل المرابطة هاهنا مرابطة الغزو في نخور العدو وحفظ ثغور الإسلام وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين وقد وردت أخبار ترغب في ذلك وذكرت كثرة الثواب فروى البخاري عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال [رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها] (٤)

(٢) صحيح مسلم كتاب الإمارة حديث (٣٤٩٧)

(١) سنن الترمذي كتاب الجهاد حديث (١٦٠٨)

(٤) تفسير ابن كثير ج ١ ص (٤٤٤) بتصرف

(٣) من توجيهات الإسلام الشيخ/محمود شلتوت ص (٢٧٧:٢٧٧)

٤-الدعاء:

إن الدعاء من الأمور المطلوبة في المعركة قبلها وأثناءها بل إن من مواطن استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش لما ورد في الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: [اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش وإقامة الصلاة ونزول الغيث] (١)

ولقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يكثر من الدعاء عند التقاء الجيوش فقد روى البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم بدر [اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد] فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك، فخرج وهو يقول [سيهزم الجمع ويولون الدبر] (٢)

وفي المغازي للواقدي [رفع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يديه يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول: اللهم إن تظهر على هذه العصاة يظهر الشرك ولا يقوم لك دين، وأبو بكر يقول: والله لينصرك الله وليبيضن وجهك] (٣)

وعن عبد الله بن أبي أوفى قال: [دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على الأحزاب فقال: اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم] (٤)

فواجب على كل مسلم أن يدعو الله تعالى وأن يستحضر في هذا الموطن عظمة الله تعالى وأن يعلم أن النصر من عند الله تعالى وأنه وعد المؤمنين بالنصر إذا هم أطاعوه وأنه معهم ينصرهم على عدوهم ويظهرهم عليه قال تعالى (ولينصر الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) (٥) وقال تعالى (وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) (٦)

(٢) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير حديث (٢٦٩٩)

(٤) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير حديث (٢٧١٦)

(٦) سورة الأنفال آية (١٠)

(١) مسند الشافعي

(٣) المغازي للواقدي ج ١ ص (٦٧)

(٥) سورة الحج آية (٤٠)

٥- الحيلة والحذر:

الواجب على أفراد الجيش اليقظة الدائمة وأخذ الحيلة والحذر من مكائد العدو وغدره قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا) (١) وقال تعالى (ولياخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) (٢)

ففي هذه الآيات ينبه الله تعالى عباده إلى أخذ الحيلة والحذر وأن يكونوا دائما في وضع استعداد لملاقاة العدو فإن الحرب خدعة، وإن من أخذ الحيلة إقرار كلمة السر بين أفراد الجيش حتى يتم التعرف على العدو من غيره وحفاظا على وحدة الصف ولقد قررت السنة هذا الأمر فقد كانت للمسلمين كلمة سر في غزوة بدر وكانت (أحد . أحد) وفي غزوة أحد كانت كلمة السر (أمت . أمت) .

٦- عدم التنازع:

قال تعالى (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) (٣)

قال أبو السعود [لا تنازعوا باختلاف الآراء فتذهب دولتكم وشوكتكم فإن النصر لا تكون إلا بريح يبعثها الله تعالى] (٤)

وقال ابن كثير [ولا يتنازعوا فيما بينهم أيضا فيختلفوا فيكون سببا لتخاذلهم وفشلهم وتذهب ريحكم أي قوتكم ووحدتكم وما كنتم فيه من الإقبال] (٥) والقرآن الكريم يصور الجيش الإسلامي في طاعته لله ولرسوله وتمسكه بتعاليم الإسلام كالصف الواحد ويبرز هذه الصورة في جو رباني يحبه الله تعالى وينصره ويرعاه قال تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) (٦) إنه صف واحد مستقيم لا اعوجاج فيه متآلف متعاون متساند مكين حصين .

(٣) سورة الأنفال آية (٤٦)

(٢) سورة النساء آية (١٠٢)

(١) سورة النساء آية (٧١)

(٦) سورة الصف آية (٤)

(٥) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣١٦

(٤) تفسير أبو السعود ج ١ ص (٥٤٢)

٧- الاستجابة لمن طلب الأمان:

ليس في الإسلام رغبة في شن الحروب وليس فيه اعتداء غاشم بل لقد أفسح الإسلام المجال للسلام وأتاح له فرص عدة منها :

١- تحريم القتال في الأشهر الحرم قال تعالى (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين) (١)

٢- منع المسلمين من الاعتداء أو بدء الحرب أولا قال تعالى (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) (٢)

٣- قبول كل فرصة يعلنها الأعداء للصلح قال تعالى (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم) (٣)

قال ابن كثير [إن مالوا للسلم، المسالمة المصالحة والمهادنة فاجنح لها أي فملى إليها واقبل منهم ذلك، ولهذا لما طلب المشركون في الصلح عام الحديبية وضع الحرب بينهم وبين رسول الله- صلى الله عليه وسلم- تسع سنين أجابهم إلى ذلك مع ما اشترطوا من الشروط، وفي الحديث عن علي بن أبي طالب- رضى الله عنه- قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: إنه سيكون اختلاف أو أمر فإن استطعت أن يكون السلم فافعل] (٤)، وقال تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) (٥)

(١) سورة التوبة آية (٣٦)

(٢) سورة البقرة آية (١٩٠)

(٣) سورة الأنفال آية (٦١)

(٤) تفسير ابن كثير ج ١ ص (٣١٣)

(٥) سورة التوبة آية (٦)

قال ابن كثير [وإن أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وأحللت استباحة نفوسهم وأموالهم استجارك أي استأمنك فأجبه إلى طلبه حتى يسمع كلام الله أي القرآن تقرؤه عليه وتذكر له شيئا من أمر الدين تقيم به عليه حجة الله ثم أبلغه مأمنه حتى يرجع إلى داره ومأمنه] (١)

فالإسلام لا يتأخر ولا يتردد لحظة واحدة في الاستجابة لدعوة السلام التي جعلها شعارا لتحية المسلمين فيما بينهم، وإن الإسلام لا يرد دعوة إلى السلام أبدا مادامت هذه الدعوة صادرة عن رغبة حقيقية وإرادة صادقة للسلام .

بل إن الإسلام اعتبر كل من ألقى علينا السلام فهو مرید للسلام فلا نحاربه ولا نعتدي عليه بل نسط له اليد ونبدل له السلام .

قال تعالي (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغائم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا) (٢)

قال الواحدي [مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومعه غنم فسلم عليهم فقالوا ما سلم عليكم إلا ليتعود منكم فقاموا إليه فقتلوه وأخذوا غنمه وأتوا بها إلي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله هذه الآية...] (٣)

لقد عنفهم النبي -صلى الله عليه وسلم- على قتل هذا الرجل وقال لهم أقتلتموه بعد أن قالها فكيف لكم بلا إله إلا الله، وفي رواية أنهم قالوا لقد قالها يا رسول الله ليتعود منا قال أشققتم عن صدره. (٤)

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص (١١٧)

(٢) سورة النساء آية (٩٤)

(٣) أسباب النزول للواحدى ص (١٢٨)

(٤) فتح الباري لشرح صحيح البخاري ج ٨ ص (٢٩٢)

٨- رعاية أسر المجاهدين:

هناك قاعدة عامة يعمل بها في حالة السلم هي قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- [مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى] (١)

هذا في حالة السلم أما في حالة الحرب فالتضامن في المجتمع الإسلامي يزداد تماسكا وتعاوناً، ثم النفقة والرعايا لأهل المقاتلين وأسراهم .

ولقد روي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما يؤكد هذا قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا] (٢)

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [بعث إلي بني لحيان ليخرج من كل رجلين رجل ثم قال للقاعد أيكم يخلف الخارج في أهله فله مثل أجره] (٣)

ففي هذين الحديثين ما يؤكد حرص الإسلام على رعاية أسر المجاهدين وهذا يجعل المجاهد يطمئن على أهله ويقاوم وهو غير مشغول بأهله، بل ويدفعه إلى الثبات في المعركة لأنه يعلم أن المسلمين لن يتركوا أهله ولن يهملوهم وأنه إن استشهد في سبيل الله تعالى سوف يكون أهله في مأمن ورعاية كاملة من المسلمين .

ولقد كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يمر على بيوت الذين خرجوا للجهاد ويقف عليها ويسأل أهلها عن حاجتهم ويقضيها لهم، بل لقد ورد عنه أنه كان يقرأ لهم الرسائل القادمة لهم من المجاهدين ويجلس خارج الباب ليكتب لهم ما يريدون أن يرسلوه إلي ذويهم (٤).

(٢) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير حديث (٢٦٣١)

(٤) العدالة العمرية ص (٦٤) بتصرف

(١) مسند أحمد حديث (١٧٦٥٤)

(٣) مسند أحمد حديث (٢١٩٢٦)

التشريعات العسكرية أثناء القتال :

لم يترك الإسلام سير المعركة دون قيود وحدود وإنما سن تشريعات وأحكاماً للأمور يجوز ممارستها في المعركة وهناك أمور لا يجوز ممارستها أثناء المعركة .

أولاً : الأحكام التي يجوز ممارستها أثناء المعركة :

١- الخدعة في الحرب :

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [الحرب خدعة] (١)

لقد ورد في لفظ خدعة ثلاث لغات كلها مشهورة

الأولى: خدعة :وهي بفتح الخاء وسكون الدال وهي الأفصح بالاتفاق وهي لغة النبي -صلى الله عليه وسلم- ومعناها : الحرب ينقضي أمرها بخدعة واحدة من الخداع وهذا ما يسمونه (بالهجوم المفاجئ)

الثانية: خدعة: بضم الخاء وسكون الدال ومعناها : أن طبيعة الحرب الخداع .

الثالثة: خدعة : بضم الخاء وفتح الدال ومعناها : أن الحرب تخدع الرجال وتمنيهم ولكن لا تفي لهم بأي أمنية . (٢)

فالتحرك الاستراتيجي والهجوم الكاذب والمناورات المخادعة كل ذلك مباح وجائز في الشريعة الإسلامية ، وللقائد المسلم أن يحتال على دحر العدو أثناء المعركة .

٢- الكذب :

يباح للمقاتل الكذب في المعركة إذا كان ذلك ضرورياً لخدمة المعركة وصونها للأسرار العسكرية وتضليلاً للعدو ، وبالجملة كل كذب فيه فائدة للجيش أو دفع مضرة عنه فهو مباح ، قال ابن عربي [ومحل جواز الكذب في الحرب من المستثنى الجائز بالنص رفقا بالمسلمين لحاجتهم إليه وليس للعقل فيه مجال ولو كان تحريم الكذب بالعقل ما انقلب حالاً] (٣) ولقد وضحت ذلك عند حديثي عن الكتمان .

(٢) مختار الصحاح ص (١٧١)

(١) تفسير القرطبي ج ١٤ ص (١٣٥)

(٣) ابن عربي أحكام القرآن ج ٢ ص (٢٦٣)

٣- الاقتصاد في الذخيرة:

عن أبي سعيد-رضى الله عنه- قال: قال لنا رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يوم بدر [إذا أكتبوكم فارموا واستبقوا نبلكم] (١)
 قال ابن حجر [فالمعنى إذا قربوا منكم فتمكنتم منهم فارموهم ببعض نبلكم لا بجميعها] (٢)
 فالجندي المقاتل لا يرمي إلا إذا أدرك أنه سوف يصيب الهدف، فهو لا يسرف في استخدام الذخيرة وهذا هو المقصود بالحديث .

٤- قتل المحاربات من النساء:

إذا قاتلت المرأة مع العدو، أو أصبحت المرأة جندياً في الجيش كما يحدث في عصرنا الحالي فقد أصبحت المرأة تجند وتشارك في المعركة مثلها مثل الرجل فهنا يجيز الإسلام للمقاتل المسلم أن يعامل هذه المرأة عسكرياً كالرجل، وكذلك لو وجدت المرأة في خيام العدو أو خنادقه .

روى الصعب بن جثامة قال : [سئل رسول الله-صلى الله عليه وسلم- عن الذراري من المشركين يبيتون فيصيبون من نسائهم وذراريهم فقال :هم منهم] (٣)
 [ومر رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يوم حنين بامرأة مقتولة فقال :من قتل هذه ؟ فقال رجل أنا يا رسول الله غنمتها فلما رأته الهزيمة فبنا أهوت إلي قائم سيفي لتقتلني فقتلتها ، فلم ينكر عليه الرسول-صلى الله عليه وسلم- ذلك] (٤)

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي حديث (٣٦٨٥)

(٢) فتح الباري لشرح صحيح البخاري ج ٩ ص (٣٤٥)

(٣) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير حديث (٣٢٨١)

(٤) سنن الترمذي كتاب السير حديث (١٤٩٤)

٥- قطع الشجر :

قال الإمام الشافعي-رحمة الله عليه-ولا بأس بقطع الشجر المثمر وتخریب العامر وتحريقه من بلاد العدو لأن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-حرق نخل بني النضير وأهل خيبر وأهل الطائف ولقد أنزل الله تعالى في بني النضير قوله (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين) (١) أما ماله روح فإنه يألم مما أصابه فقتله محرم [٢]

وعن عبد الله بن عمر-رضى الله عنهما-أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- [حرق نخل بني النضير وقطع البويرة (موضع نخل بني النضير) (٣)]

٦- الفطر وصلاة الخوف :

إذا وقع القتال في شهر رمضان فإنه يجوز للمجاهدين أن يفطروا حتى يستطيعوا مواصلة القتال وحتى لا تخور قوتهم ويضعفوا ولقد [روى أبو سعيد الخدري-رضى الله عنه-قال لما بلغ النبي-صلى الله عليه وسلم-عام الفتح مر الظهران فأذننا بلقاء العدو فأمرنا بالفطر فأفطرنا أجمعون] (٤)

وشرعت أيضا صلاة الخوف وهي عبارة عن تأدية الصلاة المفروضة في جماعة ولكن بصورة لا تجعل الجيش كله يصلى بل ينقسم إلى فرقتين فرقة تصلي ركعة مع الإمام ثم تذهب لتقف تجاه العدو وتأتي الفرقة الأخرى فتصلي ركعة مع الإمام ثم تذهب وتأتي الفرقة الأولى لتأتي بالركعة الثانية لها ويكون الإمام جالسا لا يسلم حتى تتم هذه الفرقة الركعة ثم تجلس ويسلم الإمام وتسلم معه ثم تذهب فتقف في مواجهة العدو وتأتي الفرقة الثانية لتكمل صلاتها، وهكذا تصلى الصلاة في جماعة، ولقد وردت هذه الصلاة بأكثر من رواية كلها صحيحة، وهذه الصلاة تكون قبل بدء المعركة أما إذا بدأت المعركة والتحتم الصفوف فالصلاة تكون على أي كيفية (٥).

(٢) الأم للشافعي ج ٢ ص (١٩٩) ط الشعب

(٤) سنن الترمذي كتاب الجهاد حديث (١٦٠٧)

(١) سورة الحشر آية (٥)

(٣) مسند الإمام أحمد حديث (٥٧٨١)

(٥) الجهاد في الإسلام / رؤف شلي ص (١٥٠)

ثانياً الأحكام التي لا يجوز ممارستها أثناء المعركة :

١- المثلة:

قال تعالي (وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) (١) قال الواحدي في أسباب النزول [مر النبي -صلى الله عليه وسلم- على حمزة فرآه صريعاً فلم ير شيئاً كان أوجع لقلبه منه وقال لأقتلن بك سبعين منهم فترلت الآية] (٢) وفي الخازن [أن المسلمين لما رأوا ذلك قالوا لئن أظفرنا الله عليهم لتزيد على صنيعهم ولنمثلن بهم مثله لم يمثله أحد قط ولنفعلن ونفعلن .. فترلت الآية] (٣) { في لحظة يجب الإنسان أن يشفي غليله بالتوعد من خصومه ، وقد كان القرع الذي ألم بالمسلمين بالغ الشدة فقالوها في مواجهة المثلة الشنعاء التي فعلتها قريش في المسلمين وخصوصاً في سيد الشهداء سيدنا حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه- ولكن الحرب في نظر الإسلام ليست ثأراً ولا انتقاماً ولا جبا في سمعة ولا رغبة في مكاسب ، إنما فقط لتكون كلمة الله ، فهي شفقة على الصادقين رحمة الله للمتبعدين بأنفسهم عن الخير والمعروف ، ولهذا نزلت هذه الآية لتوضيح حكماً شرعياً لا يجوز مخالفته مهما كانت الأسباب والدوافع ومهما فعل الكفار فلا مثلة أبداً لأنها تتجافى مع الحكمة من الجهاد في سبيل الله تعالي ... روى صفوان بن عسال قال بعثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في سرية فقال [سيروا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليداً] بل لقد نهي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن قتل الصبر فقال : [والذي نفسي بيده لو كانت دجاجة ما صبرتها] (٤)

لقد حرم الإسلام الغدر والخيانة بل ونهى عن الإحراق بالنار ، ولما نزلت هذه الآية السابقة [قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بل نصبر] ... { (٥)

(٢) أسباب النزول الواحدي ص (١٩٠)

(١) سورة النحل آية (١٩٠)

(٤) مسند الإمام أحمد حديث (١٢٥١٣)

(٢) الخازن ج ٤ ص (١٠١)

(٥) سبيل الرشاد في الوعظ والإرشاد / الدكتور / محمود علي حمادة ص (٩٢) بتصرف

١- قتل الرهبان والصناع والشيوخ والأطفال:

- الراهب الذي انشغل في صومعته بالعبادة عن العباد .
 - الشيخ الفاني الذي لا قدرة له على الحرب ولم يشترك في الحرب حتى بلل رأى أو المشورة .
 - الصناع الذي لا يصنع أدوات الحرب أو غير العامل في المصانع الحربية والذي لا صلة له بالقتال .
 - الطفل الذي لا يقدر عادة على المشاركة في أعمال القتال .
 - النساء في البيوت اللاتي لم يشتركن في الحرب وليس لهن دور فيها.
- هؤلاء جميعا لا يجوز مقاتلتهم ولا تجويعهم ولا الاعتداء عليهم ولا حتى معاملتهم معاملة عسكرية لأنهم ليسوا أهلاً لذلك .

عن أنس -رضى الله عنه- قال [إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين] وفي رواية [ولا تقتلوا ذرية ولا عسيفا] (١)

ولكن إن ترس العدو بهؤلاء، أو قاتلوا فهنا يجوز مقاتلتهم ومعاملتهم معاملة عسكرية

٣- الغلول:

الغللول هو من غل يغل، ومعناها: الأخذ من الغنيمة قبل تقسيمها .
وقال أبو عبيدة: الغلول من المغنم خاصة لا من الخيانة ولا من الحقد، لأنه يقال من الخيانة: أغل يغل، ومن الحقد غل يغل. (٢)

(١) سنن أبو داود كتاب الجهاد حديث (٢٢٩٥)

(٢) مختار الصحاح ص (٤٧٩)

لقد حرم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الغلول وبشر الغال بنار جهنم، فقئد روى عبد الله بن عمرو بن العاص -رضى الله عنهما- قال [كان على ثقل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رجل يقال له كركره فمات فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو في النار فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها] (١)

وروى أبو هريرة -رضى الله عنه- قال: [قام فينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره حتى قال: لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حممة فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها نغاء فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تحفق فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك] (٢)

وعن أبي هريرة -رضى الله عنه- قال: [خرجنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولا ورقا، غنمنا المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا إلى الوادي -يعني وادي القرى- ومع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عبد له وهبه له رجل من بني جذام يدعى رفاعة بن يزيد من بني الضبيب، فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يحل رحله فرمي بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيئا له الشهادة يا رسول الله ...]

(١) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير حديث (٢٨٤٥)

(٢) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير حديث (٢٨٤٤)

فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كلا والذي نفس محمد بيده إن الشملة لتلتهب عليه نارا أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال أصبت يوم خير فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شراك من نار أو شراكان من نار [(١)]

وروى أيضا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: [من جاء يوم القيامة بريئا من ثلاث دخل الجنة الكبر والغلول والدين] [(٢)]

إن هناك أحاديث كثيرة تحرم الغلول وتتوعد الغال بعذاب في النار، بل إن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أمر بإحراق متاع الغال وضربه ومنعه من سهمه، ولقد طبق هذا سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر -رضي الله عنهما- وذلك لأن اشتراك المسلم في الحرب لم يكن لغرض مادي وإنما لأجل إعلاء كلمة الله تعالى. (٣)

٤- الغدر:

إن الغدر بصفة عامة قبيح وبغيض في الإسلام، أما في حالة الحرب فهو أشد قبحا وبغضا، وذلك لأن الجندي المسلم يقاتل لله وهو وفي لله ولدينه فكيف يكون غادرا، وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به] [(٤)]

٥- الفرار من الزحف:

وهو من أكبر الكبائر ومن السبع المهلكات وهو منهي عنه بنص القرآن وأحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقد ذكرت الآيات والأحاديث عند حديثي عن التولي يوم الزحف في هذا الفصل ص ٢٨٢ .

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي حديث (٣٩٠٨)

(٢) مسند الإمام أحمد حديث (٢١٣٩٢)

(٣) المرجع السابق بتصرف

(٤) صحيح البخاري كتاب الجزية والموادعة حديث (٢٩٤٩)

أثر الجهاد في الدعوة إلى الإسلام :

بعد أن استعرضت الجهاد والأحكام المتعلقة به نجد أن الجهاد في الإسلام لم يكن لغرض الغارات على الجماعات الإنسانية، ولم يكن في أصل شرعته للغلب والقهر .
لم يكن محمد-صلى الله عليه وسلم- ملكا يفرض سلطانه على الناس بقوة الغلب والحرب ويفرض الحكم على الناس قهرا وإجبارا، ولكن كان محمد رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فكان عليه الصلاة والسلام يجاهد ليفتح الطريق أمام الدعوة إلى الحق والتوحيد الخالص .

وكان لابد من الجهاد لأن الرسول-صلى الله عليه وسلم- بعث رحمة للعالمين وكان العالم في هذه العصور يزرع تحت نير الملوك الذين طغوا في بلادهم لا يهمهم إلا فرض حكمهم رضي الناس أم كرهوا، وكانت الديانات القائمة تفرض لهم الطاعة المطلقة، وإن لم يرتضوها ساقوهم إلى الهوان والعذاب، ولذلك ما كانوا ليسمحوا بأن يدخل أرضهم من يدعو شعوبهم إلى عبادة الله وحده .(١)

لقد جاء رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بمبدأ المساواة بين الإنسانية جمعاء لا فرق بين حاكم ومحكوم، لقد جاء بمبدأ العدالة في كل شعبها أي بالعدالة الاجتماعية والعدالة في تطبيق الأحكام، لذلك كان لابد للملوك أن يمنعوه من هذه الدعوة المحورة للشعوب التي تزرع تخمها فيهم حكمهم الفاسد، ولذلك وقفوا دون هذه الدعوة ومنعوها من الوصول إلى الناس .

ولقد أرسل النبي-صلى الله عليه وسلم- إلى كسرى كتابا فمزق كتابه وأرسل إلى هرقل فلم يرد عليه وأرسل إلى المقوقس فرد ردا حسنا، وهكذا إلى باقي ملوك الأرض ليبلغ دعوة ربه التي أرسل بها قال تعالي (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين) (٢)

(٢) سورة المائدة آية (٦٧)

(١) معالم الدعوة الدكتور/ابراهيم حامد الأنصاري ص (٢١٨) بتصرف

إذا كان الملوك والطغاة قد وقفوا في وجه الدعوة ومنعوا من الوصول للناس، وما كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليركض الطغاة يتحكموا ويحكموا، فكان لا بد من فتح طريق أمام الدعوة ومنع الفساد والظلم فكان تشريع الجهاد قال تعالي (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) (١)

إذا القتال كان للدعوة وليس للإكراه على الإسلام قال تعالي (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) (٢) إنما كان القتال لمنع الإكراه على البقاء على الكفر ومنع الظلم والعدوان قال تعالي (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) (٣)

ولم يكن القتال محبوبا لا للنبي -صلى الله عليه وسلم- ولا لأصحابه -رضوان الله عليهم- وإنما كان المحبوب والمطلوب هو الدعوة إلى الحق ودخول الناس في الإسلام قال تعالي (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (٤)

من أجل ذلك كانت تسمية الحرب في الإسلام جهادا إيجابيا إلى أنها ليست حرب فيها قتل وغلب ولكنها دعوة للحق، وحماية له من أن يعتدي عليه، وفتح الطريق ليصل إلى النفوس، وإزالة للحواجز والعوائق المانعة للدعوة، ولذلك نجد أن أول شئ يقوم به قائد جيش المسلمين هو دعوة من يريد محاربتهم قبل إعلان الحرب عليهم (٥).

وقد جاء مبسوطا في مبسوط السرخسي [أنهم يوجبون على القائد إذا أبوا الإسلام أو العهد ولم يبق إلا القتال لا يجابوا فور ذلك بل يذهب إلى الصلاة مع جيشه حتى إذا أتم الصلاة عاد مجددا الدعوة، وقالوا إنه يحسن ألا يقاتلهم فور الدعوة والتسكوت بل يبيتهم يتفكرون ويتدبرون ما فيه مصلحتهم] (٦)

(٢) سورة البقرة آية (٢٥٦)

(١) سورة البقرة آية (٢٥١)

(٤) سورة البقرة (٢١٦)

(٣) سورة البقرة آية (١٩٣)

(٦) المبسوط للسرخسي ج ١ ص (٣٤٥)

(٥) الدين والدولة الدكتور /محمد البهي ص (٢١١، ٢١٢) بتصرف

الدعوة بعد المعركة:

يستفاد من ذلك كله أن الجهاد في الإسلام للدعوة الحرة لا للإجبار والإكراه على الإسلام، بل ليفتح الطريق أمام الدعاة ليرشدوا الناس إلى الطريق المستقيم . فالجهاد الإسلامي لا ينتهي بإثارة الأحقاد والضغائن، ولا يقول الجيش المؤمن المنتصر ويل للمغلوب وإنما يقول رحمة للمغلوب ورفق به لأنه لا يقاتل الشعوب وإنما يقاتل معسكر السلطان، لأن السلطان هو الذي يحول بين الشعب وبين الدعوة إلى الإسلام .

إن انتهاء المعركة يفتح باب الدعوة ويدخل في الإسلام من أراد ويبقى على دينه من يريد، ومن يبقى على دينه يحكم بالعدل لا بالظلم، لأن الإسلام حرم الظلم أياً كان المظلوم، والعدل مطلوب أياً كان المنتفع به قال تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) (١) وهذا هو الجهاد الإسلامي من أوله إلى آخره. (٢)

إن حمل السلاح ليس هو الوسيلة لنشر الدعوة وإنما الغرض من حمل السلاح هو :
*رد العدوان الواقع أو المتوقع .
*تأمين طريق الدعوة .

وفي عصرنا الحالي أصبحت هناك وسائل كثيرة لنشر الدعوة مثل الإذاعات والقنوات الفضائية والصحف والإنترنت والتي تتخطى الحدود وتدخل الدول دون أن يقف في وجهها أحد أو يمنعها أحد أو تحول قوة بينها وبين الناس تحجبها عنهم ، ولت القائمين عليها يستغلوا هذه المخترعات الحديثة في نشر الدعوة وإزالة المفتريلت التي يرمى بها الإسلام بأنه دين فرض بالقوة .

(١) سورة المائدة آية (٨)

(٢) معالم الدعوة الدكتور/ابراهيم حامد الأنصاري ص (٢١٩) بتصرف

شبهات حول الجهاد والرد عليها:

إن سماحة الإسلام ولين جانبه وانتشاره السريع في فترة وجيزة كل ذلك جعل أصحاب الضمائر السوداء يدبرون المكائد ويشيرون بالشبهات حول الإسلام، من هذه الشبهات التي أثاروها أذكر منها :

(١) الدافع للجهاد كان هو الهياج العاطفي مصابين بجنون العظمة وحب السيطرة والتملك وفرض عقيدتهم بالقوة الجبرية .

الرد على هذه الشبهة:

إن القوة التي استخدمت في نشر الدعوة لم تكن قوة باطشة ولا غاشمة ولا ظالمة ، ولم تكن لفرض العقيدة ، وإنما كانت لعرض الدعوة وحماتها ، وحاشا لقوم أمرهم الله بالعدل والإحسان ونهاهم عن الفحشاء المنكر والبغي حاشا لهم أن يتخذوا من الظلم والبغي وسيلة لنشر الدعوة .

كيف يكرهون الناس على اعتناق الإسلام وهناك نصوص في القرآن صريحة تمنع الإكراه قال تعالي (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) (١)

والتاريخ يشهد على سماحة الإسلام ومليء بالمواقف التي تثبت أن هذه الشبهة لا أصل لها ، ولقد ورد [أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- جاءته عجوز في حاجة وكانت غير مسلمة ، فدعاها إلى الإسلام فأبت فتركها عمر ، ثم خشى أن يكون في دعوته لها وهو أمير المؤمنين إكراه لها فاتجه إلى ربه ضارعا معتذرا قائلا : اللهم أرشدت ولم أكرهه ، وتلا قوله تعالي (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) ..] (٢)

وقد حدث أن قتيبة بن مسلم الباهلي -الذي فتح بلاد ما وراء النهر وانساب في الأرض حتى قارب حدود الصين- دخل مدينة (صفد) من أعمال سمرقند دون أن يعرض على أهلها الإسلام ، فشكوه إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- فكتب عمر إليه ينظر القاضي في أمرهم ...

(٢) قضية الدعوة والجهاد (سلسلة مفاهيم وزارة الأوقاف) ص (٥٣)

(١) سورة بونس آية (٩٩)

فحكّم القاضي بأن يخرج المسلمون إلى معسكرهم وينابذهم على سواء ويكون صلحا جديدا فقال أهل (صفد) بل نرضى بما كان ولا نحدث شيئا وأسلموا جميعا (١).
 إن الإسلام أعطى المجتمع الحرية بكل أشكالها وألوانها ومن حرّيته اختيار ما شاء من العقائد والديانات دون قهر أو ضغط من أحد وتقديم الدعوة كان هو الأساس في الجهاد. (٢).

الشبهة الثانية: أن الفتوحات الإسلامية كانت استجابة لدوافع اقتصادية وهروبا من سياط الفقر والحرمان التي سيطرت على الجزيرة العربية في ذلك الوقت .

الرد على هذه الشبهة:

إذا كان هذا الزعم صحيحا فما الذي أرجأ هذه الغارات التي شنّها العرب إلى ما بعد ظهور الإسلام، ولقد ثبت أيضا أن الغنائم التي غنموها كانت تتخذ في الغالب عدة ينفقوا منها في سبيل الله، بل منهم من ضحى بكل ما يملك من أجل نصرة الحق والشواهد على ذلك كثيرة .

ألم يأتي سيدنا أبو بكر -رضى الله عنه- بكل ماله؟ ونثره بين يدي النبي -صلى الله عليه وسلم- ولما سأله الرسول -صلى الله عليه وسلم- ماذا تركت لأهلك؟ قال له تركت لهم الله ورسوله .

ألم يأتي عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- بنصف ماله؟
 ألم يجهز عثمان بن عفان -رضى الله عنه- جيش العسرة ولقد روي أنه جاء بعشرة آلاف دينار وفرغها في حجر النبي -صلى الله عليه وسلم- وجعل النبي يقبلها ويقول ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم مرارا (٣).

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص (٢٦٧)

(٢) انظر منهج القرآن في تربية المجتمع / عبد الفتاح عاشور

(٣) زاد المعاد لابن القيم ج ٣ ص (٢)

إلى جانب أمراء الولايات الذين كانوا يعيشون على الكفاف ولم يستغلوا منصبهم في السطو على مال الدولة كما نرى في زماننا، فهذا أبو عبيدة بن الجراح -رضى الله عنه- قائد الفتوحات الإسلامية في الشام عندما جاءه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- ليتسلم مفاتيح بيت المقدس وأقبل عليه الناس يرجونه أن يبيت عندهم في منازلهم وأبو عبيدة ساكت فقال له عمر -رضى الله عنه- ألا تتكلم -أي لا يعرض عليه أن يبيت في منزله كما يعرض الناس- فسكت أبو عبيدة... ثم جاء عمر فدخل دار أبو عبيدة فلم يجد في الفراشا ووجد فيه قلة مكسورة ووسادتان من آدم حشوهما ليف ولم يجد طعاما. (١)

هذا هو أساس قائد من قواد الفتح فأين المغنم وأين ما حصل عليه من الفتوحات التي فتحها طمعا في المال كما يزعمون؟

وقائد آخر من قواد الفتح هو خالد بن الوليد -رضى الله عنه- الذي يعرف الجميع فتوحاته ماذا ترك عند وفاته؟ لقد ترك فرسا وسلاحا وأوصى أن يكونا وقفا في سبيل الله تعالى .

هذه هي النماذج التي كانت تقود الفتوحات، فأين الأطماع الاقتصادية؟ وأين دوافع الفقر التي دفعتهم؟ إنهم الزهاد العباد الذين تركوا الدنيا من أجل إعلاء كلمة الله تعالى ونشر الإسلام في الأرض .

كيف يقال إن الإسلام انتشر بحد السيف وهو قد جاء بالرحمة للناس جميعا، وجاء ينشر السلام في الأرض قال تعالى (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) (٢) إن السبب في سرعة انتشار الإسلام كان لمقوماته الذاتية ومبادئه القويمية والتي تتمشى مع العقل والمنطق وتتفق والطبيعة البشرية .

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص (٦٥)

(٢) سورة الأنفال آية (٦١)

الفصل الرابع

المؤسسات الدعوية وأثرها

في تبليغ الدعوة الإسلامية

الفصل الرابع

المؤسسات الدعوية في الداخل والخارج

تقديم:

المؤسسات الدعوية الإسلامية والتي تمثل الميدان التطبيقي لكثير من قواعد الإسلام وخصائص الإيمان، وهي الصورة العملية التي يمكن أن نقدمها للعالم ليري الإسلام واقعا حيا، مع عرض النظرية لتطابق العمل، وتتحول النظرية إلي واقع عملي في الحياة. إذا صدق المؤمنون في بناء هذه المؤسسات وعزموا على تحقيق مبادئ الإسلام فيها، لزال الشك من أذهان الناس، ولردت الدعايات الكاذبة التي تثار ضد الإسلام. إن هذه المؤسسات تعتبر مصدر القوة للدعوة الإسلامية، فهي مصدر الإعلام وميدان الممارسة الإيمانية، فمن خلالها يرى الناس التصور النظري والتطبيق العملي للمنهج الرباني، وعندها يدرك الناس حاجتهم للإسلام. من خلال المؤسسات الدعوية الإسلامية نستطيع أن نجابه التحديات المتجددة، ونقاوم عوامل الهدم والعدوان على الإسلام والمسلمين، ومن خلالها يمكن كشف عصابات المفسدين في الأرض ورد كيدهم وفضح مكرهم. والمؤسسات الدعوية توفر الميدان الطاهر لرعاية الكفاءات والمواهب المؤمنة وحمايتها من الذوبان في المجتمع وتنميتها ودفعها إلي ميدان العمل قوية عزيزة. فإذا انطلقت المؤسسات الدعوية من نور منهاج الإسلام وعلى هديه وقواعده الصحيحة عندها سوف يبرز التميز الفريد في حياة الإنسان المسلم، وتنعكس على المجتمع أعمالها، فتصلح ما فسد وتقوم ما اعوج وتنير الطريق للسالكين. عندما يرفع شعار الإسلام فيها فتتميز عن غيرها من المؤسسات الغير إسلامية والتي امتلأت بها الأرض، والتي يبذل أصحابها جهدا عظيما لكي يحققوا نجاحا ماديا، بل لقد أصبحت هذه المؤسسات الغير إسلامية مصدر فتنة لكثير من الناس الذين لا يدركون خطر هذه المؤسسات على حياتهم، وهنا تظهر أهمية قيام المؤسسات الدعوية.

المسجد كمؤسسة دينية ودوره في الدعوة

إن المساجد هي منارة الهدى ومكافئ لإصلاح النفوس وتهذيب القلوب ومقر لعبادة الله تعالى ومدرسة يتعلم فيها مبادئ الشريعة الإسلامية .

لقد تعددت أجهزة الإعلام في عصرنا منها ما هو مسموع ومنها ما هو مقروء ومنها ما هو مرئي ، بل صار لكل منها جمهور يعشقها ويألفها وذلك بسبب ما يبذل في سبيل تطويرها من جهود مالية وفنية تضمن لها الاستمرار وجذب الأنظار ، ومع هذا نجد أن المسجد مازال يحتل المكانة الأسمى في نفوس المسلمين ، ومنبره يمثل الصوت القوي الذي يوجه الناس ، وأمامه تتضاءل الأصوات ، ولا عجب فإن أكثر ما نسمعه أو نقرأه أو نشاهده إنما هو من نتاج العقل البشري الذي يخطئ ويصيب .

أما المسجد فرسالته في مجموعها رسالة الله تعالى لإصلاح الأرض وهداية الخلق وشتان ما بين الرسالتين ، فرسالة من عند البشر ورسالة من عند الله لا تستويان . إن المسجد كان ولا يزال هو الجامعة الإسلامية التي تؤدي رسالتها على مر العصور وكر الدهور ، منه يتخرج العلماء وإليه ينتسب الصالحون وفي **فنائنه** يعمل العاملون ، إنه الجامعة الشعبية التي تتفاعل مع الحياة بكل ما فيها ، بل ويسهم مساهمة فعالة في رقي المجتمع وتطويره .

تعريف المسجد:

المسجد لغة : بكسر الجيم اسم لمكان السجود وبفتح الجيم: جبهة الرجل حيث يصيبه السجود ، ويقال هذا مسجد بكسر الجيم : وهو الحصير الصغير الذي يصلح

عليه . (١)

(١) المعجم الوسيط ج ١ ص (٤٣٢)

المسجد شرعا: هو الموضع الذي يسجد فيه وكل موضع يتعبد فيه الإنسان فهو مسجد، فالأرض كلها مسجد إلا ما تيقن أنه نجس لحديث جابر-رضى الله عنه- [أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي -وعهد منها- وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأبما رجل من أمي أدركته الصلاة فليصل] (١) وهذه من خصائص أمة محمد-صلى الله عليه وسلم- قال القاضي عياض: لأن من كان قبلنا كانوا لا يصلون إلا في موضع يتيقنون من طهارته ونحن يجوز لنا الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته ، ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق منه اسم المكان فقليل مسجد. (٢)

فضل المساجد:

إن المساجد بيوت المتقين ومن أكثر من التردد على المسجد فهو مشهود له بالإيمان، وقد ضمن الله له الروح والرحمة والجواز على الصراط، ومن غدا أو راح أعد الله له نزلا في الجنة كلما غدا أو راح، ولذا يستحب لزوم المسجد والإكثار من الجلوس فيه إذا لم يكن وراء الإنسان عمل يقوم به .

قال أبو الدرداء: ما من رجل يغدو إلى المسجد لخير يفعله أو علم يتعلمه إلا كتب له أجر مجاهد لا ينقلب إلا غانما .

ومن جلس في المسجد يذكر الله تعالى يذكره الله قال تعالى (فاذكروني أذكركم) وفي الحديث عن أبي هريرة-رضى الله عنه- أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال: [بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة] (٣)

ففي المسجد يهدأ القلب ، ويهتدي الحائر ، ويطمئن الخائف ، ويستريح المتعب ويسعد الحزين ، ويرضى الساخط ، ويتعلم الجاهل ، ويتوب العاصي، ويتعبد العابد .

(١) صحيح البخاري كتاب التيمم حديث (٣٢٣)

(٢) إعلام الساجد بأحكام المساجد ص (١٦٤)

(٣) سنن ابن ماجه كتاب المساجد والجماعات حديث (٧٧٣)

بل إن الذي يرتبط قلبه بالمسجد سيكون من السبعة الذين سيظلهم الله تعالى في ظله يوم القيامة عن أبي هريرة-رضى الله عنه-قال سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يقول [سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله-وعد منهم-ورجل قلبه معلق بالمسجد](١)

ومن يعمر المسجد فهو مؤمن قال تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين)(٢) وقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-[إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان](٣)

بل إن المسجد هو خير بقاع الأرض وهي بيوت الله في الأرض فقد روى أبو هريرة-رضى الله عنه-عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال [أحب البلاد إلي الله مساجدها وأبغض البلاد إلي الله أسواقها](٤)

لقد عد النبي-صلى الله عليه وسلم-الخطي إلى المساجد من أعظم الخطي، وانتظار الصلاة من أعظم الأعمال فقال-صلى الله عليه وسلم-ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط](٥)

بل إن من توضأ في بيته وأحسن الوضوء ثم خرج إلى الصلاة فإن خطواته محسوبة فخطوة تحط سيئة وخطوة ترفع درجة قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-[إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرج به إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط بها عنه خطيئة فإذا صلى لم تنزل الملائكة تصلى عليه مادام في مصلاه تقول: اللهم صلى عليه اللهم ارحمه ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة](٦)

(٢) سورة التوبة آية (١٨)

(١) صحيح البخاري كتاب الأذان حديث (٦٢٠)

(٤) صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث (١٠٧٦)

(٣) سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن حديث (٣٠١٨)

(٦) صحيح البخاري كتاب الأذان حديث (٦١١)

(٥) صحيح مسلم كتاب الطهارة حديث (٣٦٩)

وظيفة المسجد ورسالته:

إن مهمة المسجد ذكرت في القرآن الكريم في قوله تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار) (١)

١- داراً للعلم:

إن طبيعة المسجد أن يلحق العلم ويدفع للعمل فيرفع مستوى الناس علمياً وفكرياً، ولقد اختار النبي -صلى الله عليه وسلم- المسجد ليكون مركزاً للتعليم والتوجيه والتفقه وهو أنسب مكان لذلك فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده] (٢)

[وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين وثلاث خير من ثلاث وأربع خير من أربع ومن أعدادهن من الإبل] (٣)

ويروى عن أبي هريرة أنه مر بسوق المدينة فوقف عليه فقال يا أهل السوق ما أعجزكم؟ قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث النبي -صلى الله عليه وسلم- يقسم وأنتم هاهنا ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه، قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد فخرجوا سراعاً ووقف أبو هريرة لم يبرح مكانه حتى رجعوا، فقال لهم: مالكم؟ فقالوا يا أبا هريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر شيئاً يقسم، فقال أبو هريرة وما رأيتم في المسجد أحداً؟ قالوا بلى رأينا قوما يصلون وقوما يقرءون القرآن وقوما يتذكرون الحلال والحرام، فقال أبو هريرة ويحكم فذاك ميراث رسول الله. (٤)

(١) سورة النور آية (٣٦، ٣٧)

(٢) سنن ابن ماجه المقدمة حديث (٢٢١)

(٣) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها حديث (١٢٣٦)

(٤) الطبراني الكبير بإسناد حسن

لقد ظل التعليم يمارس في المسجد في كل البلاد الإسلامية لعدة قرون بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل أن تبنى المدارس، وحلقات الإمام مالك في الحرم المدني، والإمام مسلم بن خالد الزنجي في الحرم المكي، والحسن البصري في البصرة، وغيرهم من العلماء في غرب البلاد وشرقها معروفة كان يقصدها طلاب العلم من كل مكان لينهلوا من علم العلماء (١).

لقد أدت المساجد دورها العلمي حتى صارت المساجد جامعات تعلم صنوف العلوم، وقامت المدارس بجوارها مرفقة بشتى المرافق، ومن المساجد التي أصبحت جامعات [جامعة القرويين بفاس وهي أساسا كانت مسجد بنته امرأة صالحه تدعى أم البنين فاطمة الفهرية سنة ٢٤٥ هـ - جامعة الأزهر والذي بني مسجداً ثم أصبح جامعة فيما بعد - جامعة الزيتون بتونس وقد كان مسجداً قبل أن يصبح جامعة] هذا عدا جوامع الأندلس وما كان فيها من حركة علمية أفاد منها الغربيون الكثير .
لقد كان ربط العلم بالعبادة خير حافظ على الجد والإخلاص لله في طلب العلم فالمسجد هو نواة المدرسة وهو مكان العبادة (٢).

٢- مكانا للعلاج:

المستشفى هي المكان المخصص لعلاج الأمراض وتطبيب الجسد، والمسجد هو المكان المخصص لعلاج الأرواح وتطبيب النفوس، ولقد اتخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من المسجد مكانا لعلاج المرضى في غزوة الخندق فقد أصيب سيدنا سعدا بن معاذ فأمر النبي بضرب خيمة له في المسجد يعالج فيها ولقد قام بتمريضه أهل الخبرة، وإن المريض عندما يسمع كلمات الأذان وتصل إلي فؤاده فإنه يجد لذة لسماعها وشفاء لمرضه وتسكيناً لآلمه، وذهاباً لهمه وانكشافاً لغمه (٣).

(١) مجلة البحوث العلمية العدد الثاني ص (٥٠٣)

(٢) مهذبها السبعيني من روائع -ضارفتنا ص (١٣١)

(٣) المسجد ومكائنه الشيخ/ منصور الرفاعي عبيد ص (٦٨) بتصرف

ولقد تنبه القائمون على العلاج إلي أن روح المريض المعنوية إذا ارتفعت فإن ذلك يساهم في الشفاء بنسبة ٥٠ في المائة، ولن ترتفع الروح المعنوية للمريض إلا بالإيمان بالله تعالى والثقة فيه، وأن ما هو فيه من بلاء هو ابتلاء من الله وإن صبر عليه كان له أجر كبير ومغفرة لذنوبه ورفع لدرجته. (١)

ولو كل مسجد حي ألحق به مستوصف صغير (وحدة علاجية) يخدم أهل الحي في جميع التخصصات لكان مشروعاً ناجحاً ولربط الناس بالمسجد .
ولقد فطنت الكنيسة لأهمية هذا المشروع في جذب الناس لها فألحقت بالكنائس مستوصفات علاجية بل هناك بعض الكنائس بها مستشفيات كبيرة في تخصصات دقيقة، والعلاج بأسعار زهيدة .

٣- المسجد بيت مال:

لقد كان مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو المكان الذي تجبى إليه الزكاة من كل مكان، ثم يتم توزيعها على المستحقين لها، وكذلك الفداء والغنائم، بل إن كل دخل الدولة كان يوضع فيه ثم يوزع منه .
روى أنس -رضي الله عنه- [أن مالا من البحرين جاء للنبي -صلى الله عليه وسلم- وكان أكثر مال أتى به فأمر بثره في المسجد ولما انتهى من الصلاة وزعه كله ولم يبق منه شيئاً] (٢)

لقد ظل المسجد لعهد قريب في بعض البلاد الإسلامية تجمع فيه الزكاة ويتم توزيعها وخاصة زكاة الفطر، بل من الممكن أن يقوم المسجد بدور رائد في إيجاد التوازن في الحي الذي فيه المسجد، فلو جعل في المسجد لجنة لجمع الزكاة وتنظيم توزيعها وأنشأت سجلات بأسماء الفقراء وأسماء الأغنياء، لعاش أهل كل حي في جو من التعاون والأخوة والمحبة ولن يوجد حقد من الفقير على الغني .

(١) المسجد ومكائنه الشيخ/منصور الرفاعي عبيد ص (٦٨) بتصرف

(٢) مسند الإمام أحمد حديث (٣٧٨٢)

في المسجد يتعلم الغني السخاء والإنفاق والجود والإحسان لأنه سيسمع قوله تعالي
(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) (١)
وقوله تعالي (وسارعوا إلي مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض
أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
والله يحب المحسنين) (٢) .

وفي المسجد سيكون توجيه الفقراء ودعوتهم للعمل والأخذ بالأسباب بالسعي في
مناكب الأرض ، وعدم الخمول والكسل والجلوس في الأرض ومد الأيدي للناس
لأنهم سيسمعون قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [لأن يأخذ أحدكم حبله فيلقى
بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس
أعطوه أو منعه] (٣)

بل لقد حذر الرسول -صلى الله عليه وسلم- من سؤال الناس ومد اليد دون
الحاجة لذلك فقال -صلى الله عليه وسلم- من سأل الناس ليثري ماله فإنما هي رصف
من النار فمن شاء فليقل ومن شاء فليكثر] (٤)

إن البطون الجائعة لم تشبع إلا حين مد الإسلام ظله الظليل على الإنسانية الجائرة
فأوجب الزكاة على الغني ودعاه بعد ذلك للصدقة ، ودعا الفقير للعمل ، وكان ذلك
يوم كان للمسجد الريادة ، وكانت أموال الزكاة في نماء لأنها وضعت في مشاريع
إنتاجية .

ويوم يعود المسجد لما كان عليه من قبل يومها سيزول الفقر ولن ترى هؤلاء الذين
يتسولون في الطرقات وعلى أبواب المساجد ، ولن يحدث اختلاط بين الفقير الحقيقي
وبين المدعي المتخذ التسول حرفة ، ويومها ستشبع البطون الجائعة ، وتكسى الأجساد
العارية وتنام العيون الأرقّة في ظل الحب والأخوة والتعاون على البر والتقوى . (٥)

(٢) سورة آل عمران آية (١٣٣، ١٣٤)

(١) سورة التوبة آية (١٠٣)

(٤) مسند الإمام أحمد حديث (١١٨٨)

(٣) صحيح مسلم كتاب الزكاة حديث (١٧٢٨)

(٥) المرجع السابق ص (٨٢) بتصرف

٤- المسجد دار للقضاء والصلح بين الناس:

لم تكن هناك محاكم يجلس فيها للقضاء وتحل فيها المشاكل والمنازعات، وإنما كان المسجد هو ساحة القضاء في غير أوقات الصلاة، ولقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يصلح بين المتخاصمين في المسجد ويدل على ذلك ما روى [أن كعب بن أبي تقاضاه أحد دائنيه في المسجد وارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو في بيته فخرج إليها حتى كشف سحف حجرته فنادى يا كعب قال لبيك يا رسول الله قال ضع من دينك هذا وأوماً إليه أي الشطر قال لقد فعلت يا رسول الله قال قم فاقضه] (١)

واتخذ الرسول -صلى الله عليه وسلم- المسجد مكاناً لإصدار الأحكام وتنفيذها فعندما رفعت قضية الرجل الذي وجد مع امرأته رجلاً فتلاعنا في المسجد .

لو خصص في كل مسجد في زماننا حجرة لفض المنازعات وحل المشاكل ، لانتهت مشاكل وفضت منازعات كثيرة، ولساد بين الناس الحب والوثام . (٢)

لقد كان المسجد في زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يستعمل كمركز للحكومة ومجلس تشريع، وكان يستقبل فيه الوفود وتعقد فيه المعاهدات وكان بمثابة مكتب خدمات اجتماعية، بل كان فيه مكان لإيواء الفقراء والغرباء والذين لا يجدون مأوى، وقد عرف الذين اتخذوا من المسجد سكناً في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- بأهل الصفة، ولقد سن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يعلن الزواج في المسجد.

بل لقد استعمل الرسول -صلى الله عليه وسلم- المسجد لأغراض كثيرة إلى جانب الصلوات الخمس والتعارف والتشاور والدراسة والتخطيط للدعوة وتدبير شئون الدولة والإعلان عن أخبار الشئون الهامة كل ذلك كان يتم في المسجد، ومنه تنطلق الجيوش لتدك صروح البغي والعدوان وتفسح الطريق أمام الدعوة الإسلامية . (٣)

(١) صحيح البخاري كتاب الصلاة حديث (٤٣٧) (٢) دور المسجد في المجتمع المعاصر الشيخ/عبد الحميد كشك ص (٤٠) بتصرف

(٣) حتى تكون خطيباً الشيخ/عبد الحميد كشك ص (٣٨) بتصرف

وسائل النهوض بالمسجد:

لقد اعترى المسجد في عصرنا ما اعترى سائر الكائنات من ضعف، وهذا الضعف يرجع لضعف القائمين عليه، فالتقصير وعدم القيام بالواجب من المسؤولين عن المسجد أدى إلى إعراض الناس عن المسجد وانصرافهم عنه، بل وصل الأمر إلى نفور الناس عن المسجد بسبب بعض الدعاة الذين لا يحسنون الدعوة، ولكي نهض بالمسجد لا بد من:

- اعداد الداعي الكفاء الذي سيقوم على أمر المسجد.
 - تنظيف المسجد وتطيه وتجميله .
 - إلحاق مكتبة بالمسجد مزودة بالكتب الدينية والثقافية وفتح باب الاستعارة .
 - عمل قاعة مناسبات ملحقة بالمسجد .
 - أن تلحق بالمسجد وحدة علاجية مبسطة لعلاج أهل الحي الذي فيه المسجد.
 - يلحق بالمسجد ساحة لممارسة بعض الأنشطة الرياضية المفيدة للشباب.
 - يلحق بالمسجد مكتب لتحفيظ القرآن الكريم .
 - يلحق به حجرة لفض المنازعات والصلح بين الناس.
 - عمل صندوق للفتاوى وللشكاوى وللمقترحات التي تنهض بالمسجد.
 - أن تلحق به استراحة للزائرين .
 - أن يخصص فيه مكان للسيدات .
 - أن يختار له أعضاء مجلس إدارة من المعروفين بالميلول الديني ومن ذوي الحركة .
 - عمل مجلة حائط دورية ينشر فيها كل جديد يهم الناس معرفته .
- هذا هو المطلوب لكي يؤدي المسجد دوره في الدعوة ويواكب الحياة ويتفاعل معها ويكون أداة جذب للناس وعاملًا من عوامل الإصلاح في المجتمع (١).

(١) دور المسجد في المجتمع المعاصر الشيخ/عبد الحميد كشك ص (٤٢) وما بعدها بتصرف

أولا: الأزهر كمسجد جامع وجامعة

لمحة تاريخية عن الأزهر:

لقد نشأ الأزهر مع إنشاء قاهرة المعز لدين الله الفاطمي، وافتتحه جوهر الصقلي في صلاة الجمعة في ٧ رمضان سنة ٣٦١هـ / ٢١ يونيو سنة ٩٧٢م .

ويعتبر الأزهر من أقدم جامعات العالم القائمة الآن لا في البلاد الإسلامية وحدها ولكن في أنحاء العالم، فجامعات أمريكا وأوروبا لم تنشأ إلا بعده بجوالي قرنين من الزمان بل وينافس جامع القرويين في فاس في التاريخ الجامعي، ويعتبر البعض أن جامع القرويين أقدم الجامعات حيث استمرت الدراسة فيه منذ إنشائه إلى الآن بدون انقطاع إلا أن الأزهر ينفرد بأنه أول جامعة تولت الدولة الإنفاق عليه وتعهده بالرعاية، كما أن موقع مصر المتوسط ومكانتها من العالم الإسلامي جعل الأزهر محط الرحال .

لقد كان الأزهر منذ إنشائه محل تقدير الخلفاء الفاطميين ومحل عنايتهم، فقد أرادوا أن يكون منطلقا للدعاية للمذهب الشيعي، ولم يكتفوا بذلك بل أنشئوا دارا للعلم وحمل إليها الكتب من خزائن القصر في عهد الحاكم بأمر الله، وعين لها الفقهاء والقراء والعلماء، بل لقد أوقف الحاكم بأمر الله أوقافا على الجامع الأزهر وجدد في عصره ورفع سقفه، وجدد أيضا في عهد المستنصر بالله، كما جدد في عهد الحافظ لدين الله .

ولما قضى صلاح الدين على الدولة الفاطمية، واستقل بحكم مصر، وبدأ حكم الأيوبيين على مصر ألغى المذهب الشيعي، وأعلن المذهب السني وعادت مصر للسيادة الروحية للخليفة العباسي في بغداد، فأراد طمس صورة الأزهر وإسكات صوته فارتكن على فتوى القاضي الشافعي أنه لا يجوز خطبة الجمعة في مسجدين في مدينة واحدة وهي القاهرة، فتم قصر الخطبة على جامع الأنوار بحجة أنه أكثر اتساعا، وعطلت صلاة الجمعة من جامع الأزهر وظلت كذلك معطلة لمدة مائة عام تقريبا. (١)

(١) الأزهر جامعا وجامعة / محمد كمال السيد محمد ص (٣٥:١) بتصرف

لم يكتف صلاح الدين بهذا، بل أخذ هو ومن تلاه من السلاطين الأيوبيين في إنشاء المدارس المتعددة التي أشبه بالكليات تلقى فيها الدروس على طريق الحلقات، والدروس عامة يحضرها كل من يريد، لتقوم هذه المدارس الأيوبية مقام الأزهر. وانزوى الأزهر يعاني هذه المحنة من قطع الخطبة فيه وانصراف الدولة عن رعايته، بل لقد استولى صلاح الدين على أو قافه، ولكن لم تكن المحنة كاملة فقد ظلت للأزهر مكانته وإن كانت تزعزعت بعض الشيء ولكن كانت الدروس تلقى في الأزهر ويقبل الناس عليها ويقصدها طلاب العلم من كل مكان.

ولما انتهت دولة الأيوبيين سنة ٦٤٨هـ وبدا عهد المماليك برقت بارقة من النور للأزهر في سلطنة الظاهر بيبرس سنة ٦٥٨هـ، فقد كان عز الدين أيدير من أحد أمراء دولة الظاهر بيبرس يسكن بجوار الأزهر، فرعى عز الدين حق الجوار واستصدر قرارا من الظاهر بيبرس بإعادة الخطبة في الأزهر واسترجع أمواله المغتصبة وتبرع هو بمبلغ كبير من المال، كما تبرع السلطان أيضا، وشرع في عمارته وترميم الواهي من جدرانها وأصلح سقوفه وبيضه وفرشه حتى عاد حرما وأقيمت صلاة الجمعة فيه يوم ١٩ ربيع الأول سنة ٦٦٥هـ، واستخدم الظاهر بيبرس نظام القضاة الأربعة للمذاهب الأربعة ومع ذلك ظل قاضي الشافعية مقدما على غيره وله امتيازات، وظل الحال هكذا حتى دخل العثمانيون مصر فأصبح التقدم والتميز للمذهب الحنفي، واستعاد الأزهر مكانة الصدارة وأصبح خريجوه شيوخا لباقي المدارس الموجودة في القاهرة.

وظل الأزهر طودا شامخا على مر العصور يؤدي دوره في الدعوة وفي التعليم، يقصده الدارسون والباحثون من شتى بقاع الأرض، وأصبح الجامعة الكبرى التي تهتم بالإسلام، وصار لعلمائه مكانة عظيمة في قلوب الناس وعند الحكام، وإن كان نوره يضعف أحيانا ولكنه لا يلبث أن يعود إلى مكانته العظيمة وشموخه. (١)

(١) المرجع السابق ص (٤٠: ١٠٠) بتصرف

الأزهر في مقاومة الاحتلال والاستعمار:

قاد نابليون الحملة الفرنسية على مصر وكان يحسب أن مصر ستفتتح زرعها بمجرد أن يصل إليها، ولكنه فوجئ بثورات عارمة ومقاومة بأسلة قام بها الشعب المصري الأعزل، فبعد ثلاثة شهور من وصول الحملة الفرنسية على مصر شكلت لجنة لقيادة الثورة ضد الفرنسيين، وكان مقرها الأزهر وتم انتخاب الشيخ السادات رئيساً لها، ونظمت كتائب المتطوعين وزودوا بالأسلحة، وانبث العلماء وشيوخ الأزهر بين الصناع والتجار يدعونهم إلى الثورة، وتسلل الدعاة إلى الريف يستنهضون الهمم لمناهضة المستعمرين، وارتفعت صيحات السخط في كل مكان وتجمع المواطنون في المساجد يستمعون إلى العلماء وهم يحمسون أفراد الشعب لمقاومة المحتل وتحرير مصر، انبث الفقهاء في الشوارع ينادون من كان موحداً فليأت إلى الجامع الأزهر .

وخرج قرابة ثمانية آلاف مواطن في ثورة عارمة من جامع الأزهر من باب الفتوح، ومنه إلى المرتفعات للاستيلاء على المواقع التي تصب نيرانها، واستشاط الفرنسيون غضباً فسلطوا قذائف مدافعهم على الأزهر موطن الثورة حتى تصدعت جدرانها وانهارت المنازل المجاورة، ودفن الآلاف من النساء والأطفال والشيوخ تحت الأنقاض، وجرى الدم في الشوارع وبلغ عدد القتلى أربعة آلاف من الأنفس .

ولم يلبث الفرنسيون أن احتلوا الجامع الأزهر ودخلوا فيه بجيولهم وربطوا الخيول عند القبلة وحطموا القناديل وقبضوا على زعماء الثورة من علماء الأزهر واعتقلوهم وتم إعدامهم بدون محاكمة (١).

(١) الأزهر في ألف عام الدكتور/أحمد محمد عوف ص (٢١٠) بتصرف

ولم يكن الأزهر قائد الكفاح القومي ضد الاحتلال ولكنه قائد الكفاح الدستوري ضد الاستبداد، ففي سنة ١٧٩٥م قبل الحملة الفرنسية اضطرت الأمور وكثرت شكاوى الناس من طغيان المماليك وعلى رأسهم مراد وإبراهيم بك، فنهض وفد من العلماء في مقدمتهم السيد/عمر مكرم للدفاع عن الحريات العامة، وألزموا الطاغيتين بشروط سجلت في وثيقة تعهدوا فيها بإقامة العدل والتوبة عن العدوان وهذه الوثيقة تعد في نظر بعض الدارسين أقدم وثيقة في إعلان حقوق الإنسان .

وثار الشعب على الوالي العثماني خور شيد باشا لكثرة مظالمه ومظالم جنوده، وسار نواب الشعب يتقدمهم السيد/عمر مكرم نقيب الأشراف والشيخ الشرقاوى يتبعهم زهاء أربعين ألف مواطن إلي منزل محمد علي بالأزبكية وأبلغوه قرارهم بعزل خور شيد باشا وتوليت محمد علي على أن يسير في الحكم بالعدل، فقبل الشروط ونهض الزعيمان عمر مكرم والشيخ الشرقاوى وألبساه خلعة الولاية. (١)

وحدث في ولاية باكير باشا في عهد الحكم العثماني أن أبطلت بعض المرتبات المستحقة لبعض الأيتام والمرصودة لبعض الخيرات ونفذها الوالي، وكان الشيخ سليمان المنصوري حاضرا فسمع هذا الأمر فشجبه وأدانه وقال: إن هذا الأمر لا يجوز اتباعه من قبل الرعية بل تجب مخالفة الوالي فيه لأنه يخالف الشرع، فلما راجع الوالي السلطان في هذا الأمر نفذ السلطان ما أراد الشيخ المنصوري .

ويذكر أيضا أنه حدثت فتنة بين المماليك وعلى بك الكبير واستعد الفريقان للقتال، فتدخل الشيخ العالم الجليل/محمد الحفني وأغلظ القول لكبار المماليك وقال لهم: إنكم خربتكم البلاد بفسادكم وحروبكم وتنازعكم معه، فقالوا: إذا لم نحاربه فسوف يحاربنا هو، فقال: إني مرسل إليه خطاباً شديداً ناصحاً فلا تقدموا على قتاله حتى يأتي الرد منه، وأرسل إليه خطاباً شديداً ناصحاً ومنذراً وكان خارج القاهرة فقبل النصيحة وانتهت الفتنة. (٢)

(١) كفاح شعب/محمد أمين حسونه ص(١٥٢)بتصرف (٢) الأزهر جامعاً وجامعة/محمد كمال السيد محمد ص (٥٠) بتصرف

وحدث في عهد الشيخ /سليم البشري أن اختار الشيخ /أحمد المنصور من العلماء الممتازين شيخا لأحد أروقة الأزهر، ولم يكن الحاكم راضيا عن الشيخ أحمد المنصور فأرسل إلي شيخ الأزهر يطلب العدول عن تعيينه، فرفض الشيخ العدول عن قراره وقال: إن كان الأمر لكم في الأزهر دوني فاعزلوه وإن كان الأمر لي دونكم فهذا الذي اخترته ولن أحيده عنه، وانتهر الفرصة بعض الدساسين وقال لهم إن تشبثك برأيك قد يضرك في منصبك، فقال: إن رأي لي ومنصبي لهم ولن أضحي لهم بما يدوم في سبيل ما يزول.

كان الإمام المراغي يخطب في مسجد الرفاعي بالقاهرة أثناء الحرب العالمية الثانية فأعلن موقف مصر منها فقال: لا ناقة لنا فيها ولا جمل فلا مصلحة لنا في الاشتراك في الحرب، فقامت قيامة الحكومة آنذاك واهتزت بريطانيا اهتزازا عنيفا، وطلبت من الحكومة بيانا بما قاله الإمام المراغي وكيف يعلن هذا الموقف في أخرج الساعات، فاتصل رئيس الحكومة بالإمام وخاطبه في لهجة تفوح منها رائحة التهديد، فثور ثائرة الشيخ ويقول لرئيس الحكومة: مثلك يهدد شيخ الأزهر، وهو أقوى بمركزه ونفوذه بين المسلمين من رئيس الحكومة، ولو شئت لرقيت منبر مسجد الحسين وآثرت عليك الرأي العام ولو فعلت لوجدت نفسك على الفور بين عامة الشعب، وهنا ينكمش رئيس الحكومة ويتراجع ويظل الإمام المراغي في موقفه كالطود الأشم لا يتأثر ولا يقيم وزنا لاستنكار بريطانيا العظمى (١).

ولقد حدث أن عاب الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر على الملك فاروق إسرافه في غيه وتماديه في الفساد، وتبذيره الفاحش حينما كان يقضى شهر العسل مع عروسه الثانية في كابري بإيطاليا فيقول قولته المأثورة الشجاعة [تقتير هنا وإسراف هناك] فيثور الملك وتغضب الحكومة ويتواطأ على إقالة الإمام الموقر من منصبه، وتلقى الإمام الإقالة من منصبه بقلب سليم ونفس راضية لأنه أدى الأمانة (٢).

(٢) قوى الشر المتحالفة /محمد محمد الدهان ص(٢٩)

(١) الإمام المراغي الأستاذ /أنور الجندي ص(١٠٩)

ولقد حدث في ثورة عرابي ضد العدوان الإنجليزي على مصر أن أصدر علماء الأزهر فتوى بخلع الخديوي لأنه خرج عن الدين، ولكن الثورة فشلت وتم القبض على الزعماء وكان منهم الشيخ حسن العدوى، وعندما قدم للمحاكمة سأله رئيس المحكمة العسكرية [هل أفتيت بعزل الخديوي] فقال: لم يحدث هذا مـني ولكن إن جئتموني الآن بالفتوى فإني سأوقعها وما في وسعكم أن تنكروا أن الخديوي يستحق العزل وقد خرج على الدين والوطن .

وفي سنة ١٣١٦هـ حدث خلاف في شأن المحاكم الشرعية وعرضت الحكومة على مجلس الشورى اقتراحا بنذب قاضيين من مستشاري محكمة الاستئناف الأهلية لمشاركة قضاة المحكمة العليا في إصدار الأحكام ورأى الشيخ حسونه النواوي وهو شيخ الأزهر أن هذا اعتداء على المحاكم الشرعية التي تطبق شريعة الله تعالى، وأنها ليست في حاجة إلى الاستعانة برجال القانون المدني الذي هو من صنع البشر، ووقف الشيخ حسونه يعارض ذلك بشدة وغضب في مجلس الشورى، وأدى ذلك إلى خروجه من المجلس وتبعه في الخروج القاضي التركي، وانتهى الأمر بخذلان الحكومة ورفض المشروع (١).

من هذه المواقف السابقة يتضح لنا كيف أنجب الأزهر رجالا قادرين على أن يغيروا التاريخ ويديروا دفة الأحداث، كي ما تسير عبر معترك الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية لتستقر في نهاية الطريق الذي ارتضاه الله لها .

ولقد جاءت هذه المواقف انعكاسا لهيئة الأزهر ومكانته في نفوس الشعب حاكما ومحكوما، فلو لم يكن ذا أهمية لما هابه السلطان ولو لم يكن ذا منعة وقوة لطغى عليه جيوت الحكام ولضرب بأرائه وفتواه عرض الحائط .

(١) المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٨٣م [تاريخ الأزهر ونظوره / محمد مصطفى شحاته | ص (١٤٢:١٤٥)]

وبعد هذا الاستعراض السريع لدور الأزهر التاريخي الحافل بمواقف مشرفة لعلمائه الذين وقفوا في وجه الظلم وقاوموا الاحتلال، يأتي سؤال وهو :
 لماذا خرج الأزهر الرسمي عن هذا المنهج وآثر الصمت وركن إلى العافية ؟
 لماذا فقد علماءه احترام الناس لهم ؟
 وللإجابة عن هذه التساؤلات لابد من ذكر أسباب قوة الأزهر في العهد السابق :

أسباب قوة الأزهر في العهد السابق :

- إخلاص علمائه وخوفهم من الله تعالى .
- تفاني علماء الأزهر في العمل من أجل الإسلام والدعوة له .
- جعل علماء الأزهر الدنيا في أيديهم ولم يجعلوها في قلوبهم وزهدوا فيها .
- ترفع علماء الأزهر عن مواطن الشبهات وأماكن الريبة .
- لم يخذع مشايخ الأزهر الكرسي ولم يفتنهم المال .
- الاستقلال المادي للأزهر عن باقي مؤسسات الدولة .
- إيمان الناس القوي وخوفهم من الله جعلهم يقفون خلف علماء الأزهر .
- سيادة الأخلاق في تلك الأزمنة دفعة الناس لاحترام علماء الأزهر .(١)

(١) الأزهر في ألف عام | مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية التاسع ص (٣١٩) بتصرف

دور الأزهر في الدعوة الإسلامية:

إن الأزهر هو الهيئة العلمية والمؤسسة الإسلامية الكبرى التي تقوم على حفظ التراث الإسلامي ودراسته وتحليله ونشره، ويحمل أمانة الدعوة إلى كل شعوب العلم، ويعمل على نشر حقيقة الإسلام وبيان أثره في تقدم الإنسانية وكفالة الأمن لها .

ولقد حددت المادة ١٠٣ السنة ١٩٦١م مهمة الأزهر في خدمة الإسلام وحفظ تراثه وتعريف الشعوب بحقيقته، وقد نصت هذه المادة على أن الأزهر منوط بمهمتين:
الأولى: حفظ التراث ودراسته وتحليله ونشره .

الثانية: حمل أمانة الدعوة الإسلامية لكل شعوب العالم، وإظهار حقيقة الإسلام وأثر الإسلام في تقدم البشر. (١)

الأزهر حامل رسالة الإصلاح والتوجيه للمجتمع:

ليس الأزهر معهداً علمياً يخرج العلماء والدعاة ثم ينتهي دوره بعد ذلك، كلا إن الأزهر هو جامع وجامعة وجمعية، فهو جامع للعبادة والتربية، وهو جامعة للعلم والتثقيف، وجمعية للدعوة والإصلاح .

إن على الأزهر مسئولية كبرى تجاه الدين والدولة فهو يبلغ الدعوة ويقوم بالحجة وينشر تعاليم الإسلام، بل ويقف ديدبانا يقظا يحرس الإيمان في القلوب والعبادات في المساجد والتقاليد الصالحة في المجتمع والتشريعات العادلة في الحكم، ناصحاً الله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، فإذا رأى معروفاً ضيع أمر به وعمل على إقامته، وإذا رأى منكراً فشا أو فاحشة شاعت أو ظلماً ساد عمل على تغييره .

وليس هذا من الأزهر خروجاً على اختصاصه وتدخلاً في شئون دنيوية أو سياسية ليست في حدود عمله كما يحسب الجاهلون بالإسلام، فالإسلام غير المسيحية والقرآن غير الإنجيل والأزهر غير الكنيسة وعلماء الإسلام غير رجال الكهنوت. (٢)

(١) قوى الشر المتحالفة محمد محمد الدهان ص (١٨٦) بتصرف

(٢) رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد الدكتور/ يوسف القرضاوي ص (٥٢) وما بعدها بتصرف

المؤسسات التابعة للأزهر :

١- المجلس الأعلى للأزهر:

ويتكون هذا المجلس من شيخ الأزهر وله الرئاسة، ووكيل الأزهر ومدير الجامعة الأزهرية، وعمداء الكليات وأربعة من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية، وأربعة وكلاء وزارات الأوقاف والتربية والتعليم والعدل والخزانة، مدير الثقافة والبعوث الإسلامية ومدير المعاهد الأزهرية وثلاثة من ذوي الخبرة في شئون التعليم .

ومهام هذا المجلس تتلخص فيما يلي :

- رسم السياسة العامة للأزهر .
- رسم السياسة التعليمية لجامعة الأزهر والمعاهد الأزهرية .
- النظر في مشروع ميزانية الهيئات التابعة للأزهر وإعداد الحساب الختامي لها .
- اقتراح إنشاء الكليات والمعاهد والأقسام التعليمية .
- وللمجلس جهاز يتابع تنفيذ قراراته ويرأسه الأمين العام للمجلس .(١)

٢- مجمع البحوث الإسلامية :

وهو الهيئة العليا للبحوث ويقوم بالدراسة في كل ما يتصل بهذه البحوث عاملا على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الشوائب وأثار التعصب المذهبي، وبيان الرأي الإسلامي فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة، ويحمل تبعه الدعوة إلى سبيل الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة .

ويتكون المجمع من عدد كبير من علماء الإسلام المعروفين بالورع والتقوى ولهم نتاج علمي بارز في مجال الدراسات الإسلامية، ويشترط أن يكون من أعضاء المجمع عدد من غير المصريين يساوي الخمس، ولا يكون الاجتماع السنوي أو الطارئ صحيحا إلا إذا حضره نصف الأعضاء وشيخ الأزهر هو رئيس المجمع ، ويشترط القانون أن يكون نصف الأعضاء متفرغين .

(١) الأزهر جامعة وجامعة /محمد كمال السيد ص(٣٥٦) وما بعدها بتصرف .

ويتكون المجمع من ثلاث هيئات :

- مجلس المجمع : ويتكون من الرئيس والأعضاء المتفرغين وينعقد كل شهر .
- مؤتمر المجمع : ويحضره جميع الأعضاء ويكون مرة كل عام ويجتمع طارئاً إذا دعت الظروف .
- الأمانة العامة : وهي المسئولة عن الشؤون الفنية والإدارية للمجمع ومتابعة تنفيذ القرارات .

وتتبع المجمع ثلاث إدارات :

• إدارة البحوث الإسلامية :

وهي الخاصة بإرسال البعثات الخارجية من مدرسين ووعاظ إلى البلاد الإسلامية أو إلى المراكز الإسلامية لنشر الإسلام ، وأيضاً بها قسم آخر يهتم بشئون الطلاب الوافدين من البلاد المختلفة للدراسة في الأزهر ، وبها قسم خاص بالمنح الدراسية الخارجية .

• إدارة الدعوة والإرشاد :

وهي التي تتولى شؤون الوعظ والإرشاد في القرى والتجمعات مثل القوات المسلحة والمستشفيات والسجون ، وكذلك في البلاد الإسلامية ، وتشرف على إصدار مجلة الأزهر ، وعلى الدعاية والإعلان ، وترد على الطعون الموجهة للإسلام .

• إدارة البحوث والنشر :

وهي التي تقوم بعمل البحوث ونشرها وترجمة ما تراه صالحاً للترجمة سواء من اللغة العربية إلى غيرها أو العكس ، وتراقب كل ما يكتب في الدين من موضوعات سواء في الداخل أو الخارج ، وهي الهيئة التي تشرف على طباعة المصحف (١) .

(١) المرجع السابق ص (٣٥٩) بتصرف

٣- جامعة الأزهر :

إن جامعة الأزهر من أقدم الجامعات في العالم كما وضحت من قبل ، وهي تباشر كل ما يتعلق بالتعليم العالي في الأزهر ، فهي تأهل عالم الدين لكي يشارك في كل أنشطة الحياة الإنتاجية والثقافية والاجتماعية ، فمنها يتخرج فئة متخصصة في علوم الدين واللغة وفي الدراسات الإنسانية وفي المجالات العلمية .

وهي التي تخرج الدعاة الذين هم هداة الخلق ودعاة الحق ورسول الخير ومفاتيح الهدى ومصايح الدجى ، فهي مصنع كبير يصوغ الدعاة إلى الله ، ويصنع للإسلام رجالا يفقهون كتابه وسنة رسوله ويتفاعلون مع الحياة ، وينطلقون مبشرين ومنذرين وموجهين ومعلمين فهم ورثة الأنبياء وحملة الرسالة الإسلامية . (١)

٤- المعاهد الأزهرية:

سواء أكانت معاهد إعدادية أو ثانوية ، ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم التي اعتبرت بمثابة المرحلة الأولى ، ولقد حلت محلها الآن المدارس الابتدائية ، والأزهر يشرف عليها وعلى جمعيات تحفيظ القرآن المنبثة في البلاد والقرى ، سواء أكان إشرافاً كاملاً بالإتفاق على الموظفين والمدرسين والأدوات والكتب والمباني ، أو بالإشراف الفني بأن يمدّها بالكتب ويصرف إعانة سنوية للقائمين عليها ، وخريج هذه المعاهد له الحق في الالتحاق بجامعة الأزهر دون امتحان قبول بها ، وهناك معهد القراءات الذي أنشأ في عام ١٩٤٥ م للمحافظة على علوم القرآن والقراءات وتجويده وتخرج محفظين ومعلمين للقرآن الكريم . (٢)

(١) رسالة الأزهر بين أمس واليوم والغد الدكتور/يوسف القرضاوي ص(٥٢) بتصرف

(٢) الأزهر جامعة وجامعة /محمد كمال السيد ص(٣٨٤) بتصرف

أسباب نجاح الأزهر في القديم (وفشله في) الوقت الحاضر :

١- السياسة التعليمية الحكيمة التي سلكها الأزهر في قبول طلابه في الفترات السليبة، فقد كانت معايير الاختيار تخضع لمعيار الكفاءة وحفظ القرآن الكريم كله ويعقد امتحان دقيق للمتقدمين للالتحاق به، من هنا جاءت الثمرة يانعة فتخرج العلماء الثقاة والفضل يرجع للسياسة الانتقائية التي وضعت منذ البدء، فقد كان لا يختار إلا الجذور الطيبة التي تكون قابلة للنمو والإثمار، فعظمة الخيار رهينة بحسن الاختيار .
وإلى جانب السياسة الانتقائية حرص الأزهر على خلق الداعية القدوة عن طريق التنشئة والتربية والتعاهد بالتفقيه في كل شيء .

٢- الاستقلال المادي والمعنوي للأزهر، فهو لا يخضع لرأي سياسي، ولا يميل لجهة معينة لها نفوذ، فتمويله من مصادر الخير ومن الأوقاف التي حبست له التي يتنازل عنها أصحابها ابتغاء مرضاة الله تعالى، ونتج عن الاستقلال المادي الاستقلال في اتخاذ القرار وصدق الشيخ /محمد متولي الشعراوي عندما قال [إذا كانت اللقمة من الفأس كانت الكلمة من الرأس]

لقد كان خريجو الأزهر هم الطبقة الوحيدة المثقفة في مصر على مدى تسعة قرون، من أجل ذلك كان للأزهر مكانة في نفوس الناس، فلقد كان الأزهر هو الذي يحل المشاكل ويفض المنازعات بين الناس، وكان الحكام والولاة يستمدون شرعية سلطاتهم منه .

بل كان للدارسين في الأزهر مزايا خاصة منها: إعفاء خريجي الأزهر والدارسين فيه من حفر الجسور والترع وكل أعمال السخرة، وكانوا يعفون أيضا من الخدمة العسكرية، وكانت لهم الوظائف القيادية .(٢)

(١) المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الإسلامية [ما ينتظره المسلمون من الأزهر في القرن الخامس عشر] الشيخ/عطية صقر ص(٥٧) بتصرف

(٢) الأزهر جامعا وجامعة /محمد كمال السيد ص(٣١٩) بتصرف

مقترحات للنهوض بالأزهر :

بعد أن وصل الأزهر لما وصل إليه من تدهور حاله وتدني مستوى الخريج، فإنه لا سبيل للنهوض به وعودته إلي ما كان عليه إلا بتنفيذ هذه المقترحات :

١- أن تبقى للأزهر صيغته التخصصية بشكل واضح ومميز عن سائر المؤسسات التعليمية الأخرى .

٢- احتفاظ الأزهر بحريته واستقلاله في اختيار قياداته ومشايخه .

٣- إعادة المخصصات التي كانت حقا له منذ مئات السنين ، مع دعم مركزه المالي .

٤- تمكين علماء الأزهر من تحقيق سلطتهم التشريعية خاصة بعد اعتبار الشريعة الإسلامية هي المصدر الأول للتشريع .

٥- إنشاء جهاز استشاري أعلى ليعاون شيخ الأزهر في مهمته الدينية والعلمية ويتولى مراجعة التشريعات والمخططات الخاصة بالتعليم ، ويشرف على إصدار الفتاوى والبيانات لما يجد على الساحة من أحداث .

٦- زيادة الاهتمام بتخريج الدعاة الصالحين لأنهم هم واجهة الأزهر وهم حلقة الوصل بين الأزهر والمسلمين وبين الإسلام والعالم .

٧- أن يعمل النظام السياسي والإعلامي على خلق أجواء الاحترام والكرامة لعلماء الدين .

٨- تنشيط البعثات من وإلى الأزهر ، مما يترتب عليه تنشيط الفكر ، وخلق المزيد من التواصل بين العالم الإسلامي .

٩- التعاون بين الأزهر والمؤسسات الأخرى المعنية بالتعليم لربط العلم بالدين .

١٠- إعطاء الأزهر مساحة من الرقابة إن لم تكن الرقابة كلها على سائر وسائل الإعلام والتي تشكل الخطورة الفعلية على أهداف الأزهر الإصلاحية .(١)

(١) انظر المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الإسلامية [ما ينتظره المسلمون من الأزهر في القرن الخامس عشر] الشيخ/عطية صقر

ثانيا: الدعوة الإسلامية في الخارج:

حينما نتحدث عن الدعوة الإسلامية في الخارج ومفهومها لا يعدوا ما نفكر فيه عن إرسال مدرس أو إيفاد واعظ أو منحة دراسية أو معونة ثقافية استجابة لرغبة سفارة أو تلبية لطلب مؤسسة أو مركز إسلامي، وبهذا أصبحت الدعوة الإسلامية في الخارج امتدادا للدعوة الداخلية التقليدية. (١)

إن الدعوة في الخارج تتطلب إمكانيات كبيرة وخبرات واسعة ودعاة يحسنون الدعوة، لأن الدعوة في الخارج سوف تكون بين قوم لا يدينون بالإسلام، أو بين قلة مسلمة في مجتمع غير مسلم، وحتى تنجح هذه الدعوة لابد أن نضع في حسابنا أن تكون هناك دراسة لهذه الأقليات، وتكون هذه الدراسة قائمة على أسس علمية.

دور الأزهر في الدعوة في الخارج:

يعتبر الأزهر هو قمة المؤسسات الإسلامية التي تقوم بالدعوة في الخارج لأنه يملك الإمكانيات والعوامل التي تساعد على أداء هذه المهمة، ومن العوامل التي تساعد الأزهر على أداء مهمته ما يلي:

- ١- تاريخ الأزهر الطويل الحافل بالجهاد والعطاء في شتى الميادين .
 - ٢- للأزهر نفوذ عميق وهيمنة روحية بعيدة المدى ولعلمائه مكانة في قلوب الناس .
 - ٣- إن للأزهر خريجين وأبناء منتشرين في كل أرجاء العالم .
- من هنا كان واجب على الأزهر أن يقوم بهذه المهمة الضخمة ، ولا يترك المجال للمذاهب الهدامة والدعوات المدمرة تبث سمومها في شعوب الأرض ، وليقف في وجه الإلحاد ويعلن في الناس أن الدين عند الله هو الإسلام ، ويصدع بالدعوة في الأرض. (٢)

(١) الدعوة الإسلامية علما وعملا الشيخ/ إبراهيم الدسوقي ص(١٧٧) بتصرف
(٢) رسالة الأزهر بين أمس واليوم والغد المآثور / يوسف القرضاوي ص(٦٣) بتصرف

دور وزارة الأوقاف المصرية في الدعوة في الخارج:

تعتبر وزارة الأوقاف من أقوى السواعد التنظيمية والتنفيذية في تحقيق الأهداف الدعوية سواء في الخارج أو في الداخل، فهي تقوم بنشر الثقافة الإسلامية وبعث الوعي الديني في قلوب الناس، والتعريف بالإسلام بين شعوب العالم وذلك بإرسال مبعوثين ودعاة يقومون بالدعوة في الخارج وتبصير الأقليات المسلمة بدينهم، وبحث مشاكلهم وإيجاد حلول لها.

وكذلك تقوم الوزارة بإصدار الرسائل والنشرات الدورية سواء التثقيفية منها أو التعليمية، أو التي توضح الحقيقة في قضية طارئة، أو لكشف باطل انتشر على السلحة، ولقد وضعت تفسيراً للقرآن سهلاً ميسراً يستطيع أن يستفيد منه كل من قرأه، وقلمت الوزارة أيضاً بترجمة معاني القرآن الكريم لجميع لغات العالم وقامت بتوزيعه على جميع المراكز الإسلامية المنتشرة في العالم.

مهام البعثات الخارجية:

تلعب البعثات الخارجية من وإلى سائر دول العالم دور الريادة في نشر روح الإسلام وبت تعاليمه وتعمل على:

- ١- التبادل الفكري والثقافي بين الدول مما يترتب عليه خلق جسور من التواصل بين دول العالم وهذا يؤدي بدوره إلى جمع كلمة المسلمين، وخلق نوع من التوحد.
- ٢- تصحيح صورة الإسلام في المجتمعات الغربية التي لا تعرف عن الإسلام إلا أنه دين تطرف وعنف.
- ٣- متابعة الأقليات المسلمة والاطمئنان عليهم وحل مشاكلهم والوقوف بجانبهم حتى لا يذبوا في المجتمعات الكافرة ويصبحوا بلا هوية. (١)

(١) أولويات الحركة الإسلامية الدكتور/يوسف القرضاوي ص(١٤٠) بتصرف

عوامل نجاح الدعوة في الخارج:

١. التنسيق بين أجهزة الدعوة في الداخل والخارج، وذلك بإقامة جسر من الاتصال بينها.
٢. تعميم المراكز الإسلامية ونشرها في جميع دول العالم، وإيفاد مبعوثين لها من الأزهر يكونوا على مستوى المسئولية وعلى وعي كامل بأسلوب الدعوة في الخارج، وتوفير الدعم المالي لها .
٣. العناية الكاملة بالطلاب الوافدين ورفع مستواهم الثقافي والعلمي وإعدادهم ليقوموا بالدعوة إذا رجعوا إلى بلادهم، وهؤلاء يمثلون العمود الفقري في الدعوة في الخارج، لأنهم سيكونون أكثر فاعلية في نشر الدعوة، لأنهم أكثر تفهما للواقع الاجتماعي والثقافي للدول المنتمين إليها. (١)
٤. العمل على توثيق الصلة بين الجامعات والجاليات الإسلامية في الخارج .
٥. النهوض بوسائل الإعلام وصبغها بالصبغة الإسلامية .
٦. تشديد الرقابة على الكتب والمطبوعات الإسلامية التي سوف تصدر للمراكز الإسلامية في الخارج، حتى لا تصدر مطبوعات مخالفة أو أفكار هدامة .
٧. العمل على تسخير المخترعات الحديثة مثل (الإنترنت) لخدمة الدعوة .
٨. الرد على ما يثار ضد الإسلام وتفنيد مفتريات الغرب ضد الإسلام .
٩. زيادة عدد الدعاة المبعوثين للخارج لتغطية جميع دول العالم .
١٠. زيادة المنح الدراسية للأزهر من المسلمين من جميع دول العالم .
١١. طبع تفسير القرآن الكريم بجميع اللغات، وكذلك الكتب الدينية التعليمية والتثقيفية ونشرها على جميع المراكز الإسلامية في العالم.
١٢. إقامة ندوات دينية ومؤتمرات في المراكز الإسلامية يحضرها كبار العلماء لمناقشة القضايا الإسلامية الهامة والرد على الاستفسارات المثارة .

(١) قوى الشر المتحالفة / محمد محمد الدهان ص (١٧٧) بتصرف

١٣. تنمية المراكز الإسلامية بإقامة المشروعات المتكاملة دينيا وثقافيا واجتماعيا ،
وذلك بإقامة مدراس إسلامية بها ونوادي رياضية ، وعمل مشاريع إنتاجية لمساعدة
الأسر الفقير .

١٤. العمل على توحيد الصفوف وتجميع الكلمة والإخلاص في العمل حتى يظهر
بصورة حسنة وحتى يتم له النجاح . (١)

١٥. العودة للإسلام منهاجا وسلوكا قولاً وفعلاً ، نظرية وتطبيقاً .

١٦. تقديم يد العون للبلاد التي تنزل بها محنة أو كارثة من الكوارث الطبيعية . (٢)

ولو أن الأجهزة الإسلامية الخاصة بالدعوة صدقت النية في العمل وآمنت
بمهمتها ، وقامت به على خير وجه ، وأخذت بالمقترحات السابقة لا شك أن الأمر
سوف ينجح إن شاء الله تعالى .

(١) التعاون والتنسيق في نشر الدعوة الإسلامية في الخارج الدكتور/جمال الدين محمود (مجلة الأزهر الجزء الثامن شعبان سنة ١٤٠٧هـ -)

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي الدكتور /محمد البهي ص(٤١٠) بتصرف

الباب الثالث

تبليغ الدعوة الإسلامية

ويشتمل على فصلين وكل فصل يشتمل على ثلاث مباحث:

الفصل الأول: التبليغ (مفهومه وأهميته وحكم تبليغ الدعوة)

المبحث الأول: مفهوم التبليغ.

المبحث الثاني: أهمية التبليغ.

المبحث الثالث: حكم التبليغ.

الفصل الثاني: الأركان الأساسية في تبليغ الدعوة الإسلامية.

المبحث الأول: الدعوة الإسلامية .

المبحث الثاني: الداعي.

المبحث الثالث: المدعو.

الفصل الأول

التبليغ مفهومه وأهميته

وحكم تبليغ الدعوة

المبحث الأول

مفهوم التبليغ

الفصل الأول

تبليغ الدعوة الإسلامية

المبحث الأول

مفهوم التبليغ

أولاً: التبليغ لغة:

ولكي نعرف معنى التبليغ من حيث اللغة لابد من معرفة معنى البلوغ لغة :
 البلوغ لغة :يعني الوصول ،فمثلا نقول :بلغ الشيء -أي وصل إليه -وبلغ به- أي
 وصل به ،وأبلغه بلاغا وبلغه تبليغا ،وتبلغ بالشيء :أي وصل مراده ،والبلاغ :ما يتبلغ
 به وما يتوصل به إلي المطلوب ،والبلاغ :الكفاية ،والإبلاغ :الإيصال ،وشيء بالغ :
 جيد ،وأمر بالغ : أي نافذ. (١) وبالغت في كذا :بذلت الجهد في تتبعه . (٢)
 والناظر في هذه المعاني يجد أنها تدور حول الأداء والكفاية والاجتهاد والجودة
 والنهاية والإيصال، وغاية الوصول إما أن تكون ملموسة كما في قوله تعالي (وتحمل
 أثقالكم إلي بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم) (٣)
 وكما في قول الشاعر أبو نواس :

إذ المطي بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرجال حرام

قربتنا خير من وطأ الحصى فلها علينا حرمة وذمام

وإما أن تكون معنوية كما في قوله تعالي (ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما) (٤)

وكما في قول الشعر العربي عمرو بن كلثوم :

إذا بلغ الرضيع لنا فطاما تخر له الجبابرة ساجدينا

أو كما في قول البوصيري :

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

(٢) المصباح المنير ج ١ ص (٨٥)

(١) لسان العرب ابن منظور ج ١ ص (٣٤٥، ٣٤٦)

(٤) سورة يوسف آية (٢٢)

(٣) سورة النحل آية (٧)

ثانيا: التبليغ اصطلاحا:

هو الإعلام أو الإخبار أو إعلان المبلغ له شيئا ما .
والتبليغ الذي نحن بصدد الحديث عنه هو تبليغ الدعوة الإسلامية إلى الناس ،
والفرق بين التبليغ الإعلامي أو الإخباري وبين التبليغ الدعوى ، أن الأول تتوقف غايته
عند عملية الإخبار أو الإعلام لا يتعداها إلى غاية أخرى ، لكن التبليغ الدعوى لا
تتوقف غايته عند الإخبار أو الإعلام بل تتعداها إلى بذل كل الوسائل والطرق
المشروعة لجعل المبلغ يؤمن بهذه الحقيقة .

إذاً التبليغ الدعوى في الإسلام هو : استخدام كافة الوسائل والطرق الفنية المحكمة
المشروعة في نشر تعاليم الإسلام وتوصيلها إلى الناس دون نقص أو زيادة بحيث لا
يبقى للمدعو عذر أو حجة إن لم يستجب لهذا البلاغ .

وهذا هو المقصود من قوله تعالى (فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين) (٢)
وحتى يكون البلاغ تاماً ومبيناً فقد جعل القرآن الكريم له أساليب كثيرة تستوعب
كل ما يؤثر في النفس الإنسانية ، ومن هذه الأساليب التذكير والتبشير والترغيب
والترهيب إلى غير ذلك مما بسط الله بيانه في كتابه وطبقه رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - وقد تكلمت عليه فيما سبق .

وعلى ضوء ما سبق يمكن تعريف التبليغ تعريفاً شرعياً فنقول هو :
قيام العلماء المتخصصين في الدين بتوصيل الحق الذي أنزله الله في كتابه وبينه
النبي - صلى الله عليه وسلم - في سنته وهو الإسلام - إلى الناس جميعاً توصيلاً جيداً
كاملاً وتبيناً بكل الوسائل والأساليب الممكنة مع بذل أقصى الجهد والطاقة دون
خوف ولا تقصير . (٢)

(١) سورة النحل آية (٨٢)

(٢) تبليغ الدعوة وما أثير حوله من شبهات الدكتور / أحمد مبارك ص (٨) بتصرف

المبحث الثاني

أهمية التبليغ

المبحث الثاني

أهمية التبليغ

غاية التبليغ:

لكي نعرف أهمية التبليغ لا بد من معرفة غاية التبليغ، فما هو القصد من التبليغ؟ للإجابة على هذا السؤال لا بد من الرجوع إلى دعوة الأنبياء من خلال القرآن الكريم قال تعالى على لسان سيدنا شعيب-عليه السلام-(إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) (١)

إذا فالغاية هي الإصلاح والتقويم المستمر لنفوس البشر التي لا تثبت على وتيرة واحدة، فتبليغ الدعوة ما هو إلا عملية تنشئة مستمرة وحث على الخير، وتنظيم الحياة بما تضمنته هذه الدعوة من تشريعات تكفل السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة .

من هنا كان تبليغ الدعوة أمراً لازماً يحتاج إليه الإنسان ولا يستطيع الاستغناء عنه في كل مراحل حياته، وأهمية تبليغ الدعوة يأتي من جانبين: من جانب الناس حيث مصلحة الناس وسعادتهم تدعو إلى هذا التبليغ، ومن جانب الدعوة لأن طبيعتها الحركة الهادفة والوصول إلى كل مكان في الوجود .

ولقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكلف الناس بدينه ضمناً لحفظ مصالحهم وحرصاً على سعادتهم، ولكن يبقى هذا الدين محفوظاً وأوجب الله تعالى على المؤمنين المتداومة على تبليغ الدعوة حتى لا يغيب عن ذاكرة المؤمنين أو يتعد بيانه عن سائر الناس، من هنا وجب على الأمة أن يستمروا في الدعوة لدينهم، ولا يتكلموا على وجود بعض مظاهر الخير فإن عوامل الهوى قد كثرت وهي تعمل على إضعاف الدين في نفوس الناس. (٢)

(١) سورة هود آية (٨٨)

(٢) الدعوة الإسلامية الدكتور أحمد غلوش ٢٠٠٥ (٢٢٦) بتصرف

من ناحية أخرى فإن المعارضين للدعوة والمتربصين بها قد زاد عددهم وتوعدت وسائلهم وعظمت إمكانياتهم وهم لا يدخرون جهداً في محاربة الدعوة والوقوف ضدها ووضع العقبات أمامها ، يقول الشيخ الخضر حسين (ولا تنس أن المضلين المخادعين في هذا العصر وقد تهيأ لهم من وسائل الدعاية ما لم يتهيأ لغيرهم ، فمن نواد تفتح ، وصحف تنشر ، وجمعيات تعقد ، وأموال تتفق ، وجاه يبذل ، وهناك طائفة لم تنسق عن جحود وتمرد وإنما أوتيت من قبل الجهل وعدم صفاء البصيرة فوضعت بجانب حقائق الإسلام ما يتبرأ منه الإسلام) (١).

وهذا يجعل تبليغ الدعوة الإسلامية من أفضل الواجبات وأحمد المساعي ، وحيث أن الفائدة حينئذ محققة .

يقول الشيخ على محفوظ إن الأمراض والعلل تعرض للأجسام فتذهب بجمالها ، وكثير ما تؤدي بحياتها إذا لم تسعف بالعلاج الناجح قبل استفحالها واشتداد خطرها ، والقلوب كالأجسام يعرض لها من الأمراض والعلل ما يطفئ نورها وما قد يفقدها حياتها ، وذلك بورودها مورد الغي والضلال ، وانهماكها في اللذات والشهوات ، وعدم المبالاة بأنواع الفسق والفجور فمن هذه الأفعال تكون أمراض القلوب وعللها ، ولا دواء لها إلا من مراهم الشريعة الغراء المركبة تركيباً علمياً كيميائياً دقيقاً من أجزاء الخطب والمواعظ وغيرها (٢).

وبالجملة فإن الدعوة إلى الله تعالى هي العلاج الوحيد لصلاح العالم وتهذيب البشر ، فيجب على الدعاة أن يشمروا عن سواعد الجد ويتقنوا وسائل الدعوة ، ويوصلوا دين الله إلى كل مكان في الوجود ، فإن الإسلام لا تسود مبادئه ، ولا تنتشر تعاليمه ولا تتحقق الغاية التي جاء بها إلا بتبليغ الدعوة (٣).

(١) الدعوة إلى الإصلاح - الشيخ / الخضر حسين ص ٩ بتصرف

(٢) هداية المرشدين في الوعظ الشيخ على محفوظ ص ٦٩ ، ٧٠ بتصرف

(٣) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها الدكتور أحمد غلوش ص ٢٣٢ بتصرف

يقول الشيخ / عبد الله علوى الحداد فى هذا المعنى (أهمية الدعوة) " واعلم أن فى الاسلام فترات والناس اليوم فى بعضها ، اذ قد صار كثير ممن تشتمل عليه دائرة الاسلام لا يعملون ما فرض الله تعالى عليهم من طاعته وما حرم عليهم من معصيته ولا يعلمون بوجوب طلب علم ذلك عليهم ثم العمل به ، فمتى ينهضون لذلك ويأخذون فى طلبه وهم لا يعلمون ؟ فتعينت المطالبة على أهل العلم والدعوة إلى الله فى حقهم بأن يعرفوهم بوجوب ذلك عليهم ويحثوهم على طلبه ابتداء منهم ، فان من لا يعرف ولا يعلم لا يمكن منه الطلب والتعرف وهذه الفترات التى تكون فى الاسلام وتقع بين الدعاة الى الله وإلى دينه تشبه الفترات التى تكون بين الرسل من بعض الوجوه .

فمن أهل الزمان من لا يعرف الحق والدين و لا يعرف أن معرفة ذلك واجبة، ومنهم من يعرف وجوب ذلك ولكنه لا يطلب معرفته تساهلا وتغافلا أو تشاغلا بأمور الدنيا وأستغراقا بجمعها والتمتع بشهواتها ، ومنهم من عرف ذلك وطلب معرفته ولكنه لم يعمل بما عرف وعلم ، ومنهم من عرف وعلم به ولكنه لم يخلص لله فى ذلك بل علم وعمل لأغراض دنيوية وحظوظ فانية ، وكل هذه الأصناف ضالون مفتنون غير أن بعضهم أضل من بعض وأشد فتنة .

فقد علمت لما تقدم ذكره من إعراض العامة عن معرفة الدين والطلب للحق ورضاهم بالجهل والعمى بدلا من الهدى منها ، وقد تضاعفت المؤونة وعظمت المطالبة على أهل الدعوة إلى الله والبصيرة بدينه والمعرفة بعلمه ، حيث تعين عليهم كمال القيام والحرص على إرشاد الخاص والعام وبدائتهم بذلك ، وإشاعته فيهم ونشره بين أظهرهم ليعرف ذلك من لم يعرفه ، ويعلمه ، فتتضح محبة الله للساكنين ، وتقوم حجة الله على الهالكين . (١)

ويبين حجة الاسلام الشيخ الغزالي ما أصيب به الناس في عصره من فشو الجهل بالفرائض والواجبات ، ومدى حاجة الناس إلي من يعلمهم ذلك ويبلغهم رسالة الله ومدى وجوب ذلك علي الدعاة والعلماء ، لأن وظيفتهم أن يعلموا الجاهل ويقاموا الباطل ويردوا الناس إلي الهدى والاستقامة ، فيقول (اعلم أن كل قاعد في بيته أينما كان فليس خاليا في هذا الزمان من منكر من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم وحملهم علي المعروف فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد ، فكيف في القرى والبوادي ومنهم الأعراب والأكراد والتركمانية وسائر أصناف الخلق وواجب أن يكون في كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية ، وواجب علي كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية أن يخرج إلي من يجاوره بلده من أهل السواد ومن العرب والأكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستصحب مع نفسه زادا يأكله ولا يأكل من أطعمتهم فإن أكثرهم مغضوب ، فإن قام بهذا الأمر واحد سقط الحرج عن الآخرين وإلا عم الحرج الكافة أجمعين ، أما العالم فلتنقصيره في الخروج ، وأما الجاهل فلتنقصيره في طلب التعلم وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره وإلا فهو شريك في الإثم ، ومعلوم أن الإنسان لا يولد عالما بالشرع وإنما يجب التبليغ علي أهل العلم فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها ، ولعمري الأثم علي الفقهاء ، أشد لأن قدرتهم فيه أظهر وهو بصناعتهم أليف لأن المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعاش فهم قد تقلدوا أمرا لا بد منه في صلاح الخلق وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم فإن العلماء هم ورثة الأنبياء وليس للإنسان أن يقعد في بيته ولا يخرج إلي المسجد لأنه يري الناس لا يحسنون الصلاة ، بل إذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي ، وكذا كل من تيقن أن في السوق منكرًا ويجري علي الدوام أو في وقت بعينه وهو قادر علي تغييره فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالعود بل يلزمه الخروج

فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك أهل بيته، ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه ثم أهل محله ثم إلى بلده ثم إلى أهل السواد المكتنف ببلده ثم إلى أهل البوادي من الأكراد والعرب وغيرهم، وهكذا إلى أقصى العالم فإن قام به الأدنى سقط عن الأبعد وإلا حرج به كل قادر، ولا يسقط الحرج مادام يبقى على وجه الأرض جاهل بفرض من فروض دينه، وهو قادر أن يسعى إليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فرضه، وهذا شغل شاغل لمن يهمله أمر دينه يشغله عن تجزئة الأوقات في التفرجات النادرة والتعمق في دقائق العلوم التي هي من فروض الكفايات، ولا يتقدم على هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية وهو أهم منه. (١)

وإذا كان الناس في عصر الغزالي في حاجة ماسة إلى التفقه في دين الله تعالى بسبب ما أصابهم من الجهل والغفلة فإن الناس في عصرنا هذا الذي كثرت فيه الفتن الصارفة عن دعوة الحق وشغل الناس بمعاشهم حتى لا يكاد الواحد منهم يجد ساعات قليلة يفكر فيها نحو دينه وربه، إن الناس وهم بهذه المثابة في أشد الحاجة لمن يذكرهم بدينهم ويبلغهم تعاليم ربهم ويرشدهم إلى ما فرض الله عليهم من العبادات وما حرمه عليهم من المنهيات إلى غير ذلك من الأخلاق والأدب التي جاء بها الإسلام.

ولا يقتصر دور التبليغ عند هذا الحد، بل إن آلاف الملايين من غير المسلمين ممن لم تبلغهم دعوة الإسلام أو بلغتهم على صورة مشوهة لا تقنع عقلا ولا ترضى نفسا، هؤلاء في حاجة أشد إلى من يعرفهم بالإسلام الصحيح، وما اشتمل عليه من عقائد ونظم وأخلاق، وهناك الأقليات المسلمة المنتشرة في ربوع الأرض والتي تحيى في بلاد لا تدين بالإسلام وتقع دائما تحت مغبة الإغراء والتضليل من قبل ذوى الأديان الأخرى، فهؤلاء يحتاجون لمن يتابعهم بالوعظ والإرشاد وحمائتهم من الانحراف. (٢)

(١) إحياء علوم الدين الشيخ الغزالي ج ٢ ص (٣٣٦، ٣٣٧)

(٢) تبليغ الدعوة وما أثير حوله من شبهات الدكتور / أحمد محمود مبارك ص (٢٥) بتصرف

المبحث الثالث

حكم التبليغ

المبحث الثالث

حكم تبليغ الدعوة

الدعوة ليست كائنا متحركا بذاته حتى تصل وحدها للناس، ولكنها مفهوم معنوي يطبقه مخلوق مكلف بعد أن يدركه ويحيط به . (١)

ولما كان الإسلام دينا عالميا يجب أن يعلمه الناس جميعا فقد وجب على العلماء أن يحملوا أمانة تبليغه في كل مكان وزمان اقتداء برسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي قام بهذا الأمر امتثالاً لأمر الله تعالى الذي قال له (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) (٢)

وتكليف النبي بالدعوة هو تكليف للأمة، معه لأن هذا الأمر وصل إلينا عن طريق التبليغ، فلو لم يبلغ الرسول ما بلغ الصحابة، ولو لم يبلغ الصحابة ما بلغ التابعين وهكذا حتى وصل إلينا، ولأنهم قد بلغوا فعلى الأمة جميعا القيام بالتبليغ حتى يصل هذا الأمر إلى جميع الناس .

إن القيام بالدعوة هو استجابة لأمر الله تعالى، والإعراض عنها إعراضاً عن أمر الله تعالى، ولقد حرص الرسول -صلى الله عليه وسلم- على تبليغ الدعوة في مكة وصبير وتحمل الأذى في سبيل ذلك حتى أذن الله له بالهجرة، وفي المدينة قام بالدعوة وأسس الدولة وتحولت كل الإمكانيات لتبليغ الدعوة في أنحاء الجزيرة، ووصلت الدعوة بعد صلح الحديبية إلى جميع ملوك الأرض عن طريق إرسال الرسل والكتب التي أرسلها إليهم، وبعدها حمل المجاهدون الدعوة إلى كل العالم، وحمل التجار الدعوة أيضا من خلال انتقالهم من بلد إلى بلد . (٣)

(١) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها الدكتور / أحمد غلوش ص (٢٣٣) بتصرف

(٢) سورة المائدة آية (٦٧)

(٣) تبليغ الدعوة وما أثير حوله من شبهات الدكتور / أحمد مبارك ص (١٠) بتصرف

أدلة وجوب تبليغ الدعوة الإسلامية :

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم:

قال تعالى (ادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) (١)

وقال تعالى (فلذلك فادع واستقم كما أمرت) (٢)

وقال تعالى (وادع إلي ربك ولا تكونن من المشركين) (٣)

ومن الآيات ما جاء خيراً عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- مع الدعوة قال تعالى (قل هذه سبيلي أدعو إلي الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) (٤)

فهذه الآيات تفيد الفرضية لأن الأمر يفيد الفرضية إذا لم يوجد ما يصرف معناه عن ذلك ولا صارف له في هذه الآيات ، كما أن هذه الآيات لا تحمل إلا معنى واحداً ، ولذلك فهي قطعية الدلالة .

ومن الآيات الدالة على فرضية تبليغ الدعوة قوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) (٥)

وقال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (٦)

والدعوة إلي الخير تعني الدعوة إلي الإسلام ، وهي هنا مأمور بها بواسطة لام الأمر الداخلة على الفعل المضارع .

وقال تعالى (قم فأنذر) (٧) فالأمر بالإنذار هو الأمر بتبليغ الدعوة بطريق التهيب ،

وفي القرآن الكريم أدلة كثيرة تدل على فرضية تبليغ الدعوة الإسلامية . (٨)

(٢) سورة الشورى آية (١٥)

(٤) سورة يوسف آية (١٠٨)

(٦) سورة آل عمران آية (١٠٤)

(٨) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها الدكتور/ أحمد غلوش ص (٢٣٤)

(١) سورة النحل آية (١٢٥)

(٣) سورة القصص آية (٨٧)

(٥) سورة المائدة آية (٦٧)

(٧) سورة المدثر آية (٢)

الأدلة من السنة :

هناك أحاديث كثيرة تدل على وجوب الدعوة الإسلامية منها ما يلي:
 عن عبد الرحمن بن أبي بكره عن أبيه-رضى الله عنهما-قال: إن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال في حجة الوداع [ليلغ الشاهد منكم الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه] (١)

وعن أنس بن مالك-رضى الله عنه-قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-
 جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم [(٢)]
 وعن حذيفة بن اليمان-رضى الله عنهما-أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال:
 [والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونهم فلا يستجاب لكم] (٣)

فهذه الأحاديث تدل على الوجوب من صيغة الأمر الواردة فيها .

ثالثا: الأدلة العقلية :

لقد حرم الله تعالى قتل الكفار قبل بعث الرسول-صلى الله عليه وسلم- لدعوتهم إلى الله تعالى لئلا تبقى لهم شبهة عذر تجعلهم يقولون (ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) (٤)

والقتال كما وضحت من قبل لم يفرض لعينه بل للدعوة إلى الإسلام ، ومن المعلوم أن الدعوة باللسان أهون من الدعوة بالحسام ، وذلك لما في القتال من المخاطر والتضحية بالروح والنفس والمال ، أما الدعوة باللسان فليس فيها شيء من ذلك ، وإن كانت الدعوة باللسان سيحصل منها المقصود فليس هناك داع للجوء إلى القتال . (٥)

(١) صحيح البخاري كتاب العلم حديث (٦٥)

(٢) سنن النسائي كتاب الجهاد حديث (٣٠٤٥)

(٣) سنن الترمذى كتاب الفتن حديث (٢٠٩٥)

(٤) سورة طه آية (١٣٤)

(٥) المرجع السابق ص (٢٣٥) بتصرف

آراء العلماء في وجوب تبليغ الدعوة الإسلامية:

اختلف العلماء في حكم تبليغ الدعوة إلى فريقين :

الفريق الأول وأدلته :

يرى هذا الفريق أن تبليغ الدعوة فرض على الجميع ابتداء ولكنه يسقط عنهم إذا أداه البعض منهم ويستدل هذا الفريق بما يلي :

١- قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (١)

ففي هذه الآية أوجب الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على هذه الأمة الإسلامية (٢) بهذه الآية .

٢- قال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (٣)

ومعنى الآية كونوا دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، والوجوب مستفاد من لام الأمر الداخلة على الفعل المضارع، ومن في الآية للبيان لا للتبويض، ولو سلمنا أنها للتبويض فإن الخطاب في الآية موجه للأمة كلها، مما يجعلنا نشعر أن واجب تبليغ الدعوة واجبان وهو ما يكون دائما في فرض الكفاية .

يقول الشافعي: فرض الكفاية يكون واجبا على العموم، وواجبا على الخصوص، فوجوبه على الخصوص يختص بالقادرين الذين هيئوا لذلك العمل الخاص، ووجوبه على العموم إنما يكون بإعداد هؤلاء القادرين وتربيتهم وإعدادهم (٤).

(١) سورة آل عمران آية (١١٠)

(٢) هناك فرق بين أمة الإسلام وأمة الدعوة لأن أمة الإسلام هي التي آمنت، وأما أمة الدعوة فهي العالم كله الذي يجب أن تبلغه الدعوة، والأمة إذا أطلقت وقعت على الأول .

(٣) سورة آل عمران آية (١٠٤)

(٤) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها الدكتور / أحمد غلوش ص (٢٣٦)

الفريق الثاني وأدلتة:

يرى هذا الفريق أن تبليغ الدعوة فرض عيني على المستطيع فقط كالحج وكالزكاة، ويستدل هذا الفريق بما يلي :

١- قال تعالي (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) (١)

والآية تدل على أن التبليغ واجب على طائفة من كل فرقة ابتداء لأن معناها لا ينبغي للمؤمنين أن يخرجوا جميعا للقتال، بل على طائفة منهم البقاء للتفقه في الدين، وإنذار القوم بما تفقهوا .

٢- لو وجبت الدعوة على الجميع للزمت الشيخ الفاني والمريض والمرأة وهم لا يقدرون عليها ومن القواعد المقررة في الشريعة الإسلامية أنه " لا يكلفه الله نفسا إلا وسعها " وهذا يدل على أنها واجبة على العلماء وحدهم .

والرأي الأول هو الراجح لاتجاه الخطاب في سائر الآيات إلى الأمة، مع تقرير إيجاب خاص على العلماء القادرين، وإيجاب عام على الأمة .

ومن هنا اختصت الدعوة بجماعة خاصة تميزت بالعلم والإخلاص ومحبة الدعوة لأنهم يأمرون بأشياء وينهون عن أخرى، وذلك يستلزم سبق العلم بما يدعى إليه بالوسيلة المناسبة للدعوة، لأن الجهل في هذا المقام ربما يضر أكثر لأن الجاهل لا يفرق بين المعروف والمنكر، وربما لا يعرف الوسيلة المناسبة فيغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الشدة، وينكر على من لا يزيد إنكاره إلا تماديا، فثبت أن هذا التكليف متوجه إلى العلماء وحدهم . (٢) يقول السيوطي: [في هذه الآية دليل على أن الدعوة إلى الله فرض كفاية إذا أداها البعض سقط عن الباقي] (٣)

(١) سورة التوبة آية (١٢٢)

(٢) المرجع السابق ص (٢٣٧) بتصرف

(٣) الإكليل ص (٥٦)

يقول العيني في الأحكام المستنبطة من باب ليبلغ الشاهد منكم الغائب : ذكر أبو بكر بن العربي أن التبليغ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فرض كفاية إذا قام به واحد سقط عن الباقيين ، وقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا نزل الوحي والحكم لا يوح به في الناس جميعا لكن يخبر به من حضره ليبلغ عن لسان أولئك إلي من ورائهم قوما بعد قوم ، قال : فالتبليغ فرض كفاية ، والإصغاء فرض عين ، والمعنى والحفظ يترتبان على معني ما يستمع به ، فإن كان ما يخصه تعين عليه ، وإن كان يتعلق به وبغيره كان العمل فرض عين والتبليغ فرض كفاية ، وذلك عند الحاجة إليه ، ولا يلزمه أن يقول ابتداء ولا بعده إلا إذا تكلف بذلك ، فقد كان قوم من الصحابة يكثرون الحديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فحبسهم عمر -رضي الله عنه- (١) ويجب أن يراعي الداعية اختيار الوقت والظروف المناسبين للتبليغ فليس الأمر في قوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) للوجوب الفوري ، وإنما المختار أنه للوجوب مطلقا ليؤدي في الوقت المناسب كما يرى الداعية ، يقول صاحب كتاب فواتح الرحموت : والمختار جواز تأخير تبليغ الحكم المتزل إلي المكلف إلي وقت الحاجة وهو وقت تنجيز التكليف حينئذ . (٢)

إن التبليغ إن أدى في غير وقته المناسب وظرفه الملائم لم يحدث الاتباع والتأثير ، وهذا ما لا ترجوه الدعوة لنفسها ، وقد أمر الله تعالى بمراعاة الوقت والظرف المناسبين فقال تعالى (فذكر إن نفعت الذكرى) (٣) وقال تعالى (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) (٤) ، ومن هذا نخلص أن التبليغ فرض كفاية ، وأنه مسئولية العلماء الداعين الذين عاشوا الدعوة وخبروها تعليما وتعلما ، والأمة من ورائهم تعينهم وتمدهم بما يحتاجون إليه حتى تنجو من عقوبة التقصير إن حدث ذلك . (٥)

(٢) فواتح الرحموت ج ٢ ص (٤٩)

(٤) سورة الأنعام آية (٦٨)

(١) عمدة القارئ ج ٢ ص (١٤٣)

(٣) سورة الأعلى آية (٩)

(٥) الدعوة أصولها ووسائلها الدكتور / أحمد غلوش ص (٢٣٨) وما بعدها بتصرف

شبهات حول تبليغ الدعوة والرد عليها:

الشبهة الأولى: قولهم لا تكليف بتبليغ الدعوة .

ويستدلون على هذه الشبهة بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا

يضركم من ضل إذا اهتديتم) (١)

الرد عليها: وهذه الآية لا تفيد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما

يزعمون ، لأن معناها عليكم أيها المؤمنون أنفسكم فألزموها حدود الله من أداء الفرائض والوجبات وترك المعاصي والموبقات ، ومن جملة هذه الفرائض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا فعلتم ذلك ولم يستجب لكم فألزموا أنفسكم ولا يغرركم كثرة الهالكين والضالين .

ولقد أخطأ الناس في فهم هذه الآية في عهد سيدنا أبي بكر الصديق -رضي الله

عنه- فقام فيهم خطيباً فقال يا أيها الناس إنكم تقرعون هذه الآية وتضعونها في غير

مواضعها (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) سمعت النبي -صلى الله

عليه وسلم- يقول: [إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم

الله بعقاب] (٢)

وقد أورد الإمام القرطبي في تفسيره تأويلات كثيرة لهذه الآية فقال [قال ابن

المبارك قوله تعالى (عليكم أنفسكم) خطاب لجميع المؤمنين أي عليكم أهل دينكم

كقوله (ولا تقتلوا أنفسكم) فكأنه قال ليأمر بعضكم بعضاً وولينه بعضكم بعضاً ، فهو

دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يضركم ضلال المشركين

والمنافقين وأهل الكتاب وهذا لأن الأمر بالمعروف يجري مع المسلمين من أهل

العصيان كما تقدم . (٢)

(١) أحكام القرآن للحصص ص (٣١٧)

(٢) تفسير القرطبي ج ٣ ص (٢٣٤١)

وقال سعيد بن المسيب: معنى الآية لا يضركم من ضل إذا اهتديتم بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقيل: الآية في أهل الأهواء الذين لا ينفعهم الوعظ فإذا علمتم من قوم أنهم لا يقبلون بل يستخفون ويظهرون فاسكت عنهم، وقيل: نزلت في الأسارى الذين عذبهم المشركون حتى ارتد بعضهم، فقيل لمن بقي على الإسلام: عليكم أنفسكم لا يضركم ارتداد أصحابكم .

وقال سعيد بن جبير: هي في أهل الكتاب، وقال مجاهد في اليهود والنصارى ومن كان مثلهم، وقيل: منسوخة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (١)

وأكثر هذه التأويلات التي أوردها الإمام القرطبي تشير إلى أن الآية لها سبب نزول معين أو هي مخصوصة بقوم معينين أو منسوخ أولها بآخرها كما قال ابن عبيد القاسم بن سلام، وعلى ذلك فلا دليل فيها على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأما التأويلات التي تفيد أن الآية على عمومها ليس فيها دليل أيضا على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا إذا جهل الأمر أو الناهي حكم ما يأمر به أو ينهى عنه لأنه لا تكليف إلا بعد العلم، وحيث انتفى العلم ينتفي التكليف، وإلا إذا أمر المؤمن ونهى ولم يقبل منه فإنه حينئذ يكون قد أدى واجبه وعليه أن يلزم نفسه بأمر الله ونهيه، ويؤيد هذا كثير من الآيات والأحاديث الواردة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه تبعة ملقاة على عواتق العلماء لا فكاك منها بأي حال من الأحوال. (٢)

يقول ابن تيمية: [إن الآية تدل على وجوب تبليغ الدعوة لأن الاهتداء يتم بأداء الواجب فإذا قام بغيره من الوجبات لم يضره ضلال الضلال. (٣)]

(١) تفسير القرطبي ج ٣ ص (٢٣٤٢) بتصرف

(٢) شبهات حول تبليغ الدعوة الدكتور / أحمد مبارك ص (١٣٠) بتصرف

(٣) المحسبة لابن تيمية ص (٧٨)

الشبهة الثانية: الدعوة أمر شاق وفوق طاقة النفس :

ولقد استدلوا بقوله تعالى (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) (١)

الرد عليها: بأن هذه علة واهية، فلقد كان تبليغ الدعوة في عصر النبي -صلى الله عليه وسلم- أشق من كل ما نرى، ومع ذلك تحمله الصحابة والمسلمون ولقوا في سبيله العنت والأذى والموت وكان شعارهم جميعا :

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي

وكيف يكون هذا عذرا للمسلمين عن الدعوة في الوقت الذي نشاهد فيه المبشرين رجالا ونساء يتركون بلادهم الغنية المتقدمة إلى أواسط أفريقيا في الأحرار والأدغال من أجل نشر باطل؟!

وكيف لا يكافح المسلمون وهم أصحاب حق وحملة الرسالة الصحيحة؟!

الشبهة الثالثة: أن تبليغ الدعوة واجب على الدعاة وحدهم :

وحاصل هذه الشبهة أن تبليغ الدعوة لا يجب على أحد من الناس حتى ولو علموا كثيرا من المسائل الدينية لأن هذا الأمر مخصوص بالدعاة وحدهم ولا شأن لسائر الأفراد بهذا التكليف .

الرد عليها: بأن المراد بالدعاة العلماء عموما، وهذا لا يعني تخرجهم من مدرسة

معينة، بل إن العلم يتعلق بتعلم جزئية بسيطة في الدين فمن تعلمها صار عالما بها ووجب عليه حينئذ تبليغها، ومن من المسلمين لا يعرف جزئية من الدين؟!

على أن التبليغ وإن قام به الدعاة على الأمة أن تشاركهم إيجابيا فتسمع

لإرشادهم، وتطيعهم، وتمدهم بالمال والقوة والعدة. (٢)

ومما سبق يتبين لنا أن الأمة كلها مكلفة بتبليغ الدعوة، وهذا التكليف فرض عين،

وقد يتحول إلى فرض كفاية إذا قامت الأمة بإعداد طائفة وأمدتها بما تحتاج سقط عنها

الإثم، والأمة ملتزمة بالتبليغ في هذا الوقت من أي وقت مضى لظهور الباطل وانتشاره .

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها الدكتور / أحمد غلوش ص (٢٤٠) بتصرف

(١) سورة البقرة آية (٢٨٦)

الفصل الثاني

الأركان الأساسية في تبليغ

الدعوة الإسلامية

المبحث الأول
الدعوة الإسلامية

الفصل الثاني

الأركان الأساسية للدعوة الإسلامية

المبحث الأول

الدعوة الإسلامية

تعريف الدعوة:

الدعوة لغة: الصيحة والنداء، وجاء في لسان العرب: دعا الرجل دعواً ودعاءً:

ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلاناً: أي صحت به واستدعيتَه. (١).

ودعوت زيدا ناديتَه وطلبت إقباله، ودعوت الله أدعو دعاءً: ابتهلت إليه بالسؤال

ورغبت فيما عنده من الخير. (٢).

ودعا إلى الشيء: حثه على قصده، ودعاه إلى الدين وإلى المذهب: حثه على

اعتقاده. (٣) ومنه قوله تعالى (قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه) (٤)

ودعا المؤذن الناس للصلاة: حثهم عليها، والجمع دعاة، وداعون، والدعاية مرادفة

للدعوة وقد وردت في رسائل النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى هرقل [أدعوك بدعاية

الإسلام] أي بدعوته. (٥).

الدعوة في الاصطلاح: نقل أمة من محيط إلى محيط. (٦).

وقيل حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا

بسعادة العاجل والآجل. (٧).

وقيل بذل الداعي كل الأساليب والوسائل المتاحة للتأثير في الناس ودعوتهم إلى

الإسلام والهدى.

وقيل هي العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ

الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق. (٨).

(١) لسان العرب ص (٩٠) (٢) المصباح المنير ص (١٩٤) (٣) المعجم الوسيط ج ٢ ص (٢٩٦)

(٤) سورة يوسف آية (٢٢) (٥) سبيل الرشاد في الدعوة والإرشاد الدكتور/محمود علي حياصة ص (٥) بتصرف

(٦) تذكرة دعاة البهي الخولي ص (٤٤) (٧) هداية المرشدين ص (١٧) (٨) الدعوة الإسلامية الدكتور/أحمد غلوش ص (١٠)

موضوع الدعوة :

نقصد بالدعوة الدعوة إلى الله قال تعالى (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة

أنا ومن اتبعني) (١)

والمقصود بالدعوة إلى الله تعالى : أي الدعوة إلى دينه وهو الإسلام ، يقول صلحب الظلال [قل هذه سبيلي واحدة مستقيمة لا عوج فيها ولا شك ولا شبهة ، أدعو إلى الله ... فنحن على هدى من الله ونور، نعرف طريقنا جيداً ، ونسير فيها على بصير وإدراك ومعرفة ، لا تخبط ولا نتحسس ، ولا نحسد ، فهو اليقين البصير المستنير ، نتره الله سبحانه عما لا يليق بألوهيته ، ونفصل ونعزل ونتميز عن الذين يشركون به ، هذه طريقي فمن شاء فليتابع ، ومن شاء فأنا سائر في طريقي المستقيم .

وأصحاب الدعوة إلى الله لا بد لهم من التميز ، لا بد أن يعلنوا أنهم أمة وحدهم يفترقون عن لا يعتقد عقائدهم ، ولا يسلك مسلكهم ، ولا يكفي أن يدعوا أصحاب هذا الدين إلى دينهم ، وهم متميعون في المجتمع الجاهلي فهذه دعوة لا تؤدي شيئاً ذا قيمة !

إنه لا بد لهم منذ اليوم الأول أن يعلنوا أنهم شيء آخر غير الجاهلية ... إن أصحاب المذاهب الإلحادية أنفسهم يكشفون عن عنواهم وواجهتهم ! أفلا يعلن أصحاب الدعوة الإسلامية عن عنواهم الخاص ؟ وطريقهم الخاص ؟ وسبيلهم التي تفرق تماماً عن سبيل الجاهلية ؟ [(٢)]

إن موضوع الدعوة يتلخص في أن الله تعالى رسم للإنسان طريقاً يسير عليه وخطة يلتزم بها ، وسلوكاً مع الله تعالى ومع الناس ، ومنهجاً إذا اتبعه سعد في الدنيا وفاز في الآخرة ، وهذا المنهج يتلخص في أمور عدة نذكرها فيما يلي :

(١) سورة يوسف آية (١٠٨)

(٢) في ظلال القرآن الشيخ / سيد قطب ج ٤ ص (٢٠٣٤، ٢٠٣٥، ٢٠٣٦) بتصرف

أولا العقيدة :

١- الدعوة إلي وحدانية الله تعالى :

توحيد الله تعالى هي قاعدة الدعوات جميعها وغايتها قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (١)

٢- الدعوة إلي الإيمان بالرسول :

الإيمان بالرسول الذين اصطفاهم الله وأرسلهم إلي الناس لرسم طريق السعادة ، وهداية البشر على وفق شريعة الله ، وهؤلاء الرسل بدءوا بآدم وختموا بمحمد-صلى الله وسلم عليهم أجمعين- وواجب المسلم أن يؤمن بهم جميعا إجمالا بأنهم رسل الله قال تعالى (والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيفا) (٢)

٣- الإيمان بالكتب :

الإيمان بالكتب المنزل من عند الله تعالى على الأنبياء ، وهي عبارة عن كلام الله تعالى المشتمل على الأوامر والنواهي التي نزل بها الوحي ، فنؤمن بها إجمالا قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل) (٣)

٤- الإيمان بالملائكة :

والملائكة أجسام نورانية وهم عباد مكرمون لا يعصون الله وهم معصومون ، وعندهم القدرة على التشكل بأشكال حسنة وهم أنواع كثيرة فمنهم حملة العرش ، ومنهم رسل الوحي ومنهم الكتبة والحفظة والموكلون بقبض الأرواح وتصريف الأرزاق ومنهم خزنة الجنة وخزنة جهنم ، ومنهم الذين يعبدون الله تعالى لا يفترون عن العبادة منذ أن خلقهم قال تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لا نفرق بين أحد من رسوله) (٤)

(٢) سورة النساء آية (١٥٢)

(١) سورة الأنبياء آية (٢٥)

(٤) سورة البقرة آية (٢٨٥)

(٣) سورة النساء آية (١٢٦)

٥- الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وحشر وحساب وميزان وصراط وحوض وجنة ونار، وما يسبق هذا اليوم من علامات صغرى وعلامات كبرى قال تعالى (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون) (١)

ثانياً الشريعة :

والمقصود بالشريعة الطريقة الموضوعية للسير عليها، وهي التكاليف الشرعية من صلاة وصيام وزكاة وحج وهذه فروض عينية، وهناك فروض الكفاية مثل الجهاد والعلم والصناعات وكل ما يعمر الأرض ويفيد الإنسانية .

ثالثاً الأخلاق:

والمقصود بالأخلاق انفعال الظاهر بحركة الباطن وإرادته، وهذا يجعلنا نربط الأخلاق بالشريعة والعقيدة معاً وهما يزيد الأمر وضوحاً أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال [إنما بعثت لأتمم مكارم صالح الأخلاق] (٢)

فالأخلاق هي الجانب التطبيقي للإسلام، وما فرضت الصلاة إلا لتطهير النفس الإنسانية وكذلك الصيام والزكاة والحج وسائر الفرائض (٣).

فالدعوة تشمل كل مناحي الحياة فهي تصلح ما فسد وتعالج العلل وتتعب كل خلل وكل عطب فتصلحه، فهي لا تقف أبداً عند التذكير باليوم الآخر والتخويف من النار والترغيب في الجنة، وإنما هي دعوة جامعة مستوفية لكل خصال الخير، وهي منهج إصلاح للدنيا والآخرة، وتشمل كل نفع يعود على البشرية بالخير وهذا هو موضوع الدعوة .

(١) سورة البقرة آية (٤)

(٢) مسند الإمام أحمد حديث (٨٥٩٥) / موطأ الإمام مالك الكتاب الجامع

(٣) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها الدكتور/ أحمد غلوش ص (١٦) وما بعدها بتصرف

المبحث الثاني

الداعي

المبحث الثاني

الداعي

تعريف الداعي :

الداعي هو : القائم بالدعوة وتبليغها وهو أحد العناصر الفعالة في تبليغ الدعوة ، فدعوة بلا دعاة كمحكمة بلا قضاة .(١)

فالداعية هو المحرك لعملية الدعوة فالدعوة لن تتحرك بذاتها وإنما لابد لها من محرك يمشي بها ويبلغها إلى الناس ، فالدعاة اليوم هم المبشرون المندرون الحاملون صوت النبي المكلفون بالوصول بها في كل مكان في الوجود .(٢)

فالدعوة تعتبر وظيفة الرسل الذين اختارهم الله تعالى لتبليغ رسالته إلى الناس ، والدعاة هم ورثة الأنبياء ، ومهنة الدعوة ﷺ أشرف المهن قال تعالى (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) (٣)

ولكي يكون الداعية ناجحاً في دعوته ومؤثراً في المدعوين لابد أن تتوافر فيه صفات معينة تؤهله للقيام بمهمته على أكمل وجه ، وعليه أن يتسلح بالأسلحة التي تمكنه الوصول لهدفه وغايته التي يسعى إليها .

أول هذه الأسلحة سلاح الإيمان بالله تعالى ، والذي لابد أن يوقر في قلبه ويصدق به بالعمل ، فليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدق العمل .

ثاني هذه الأسلحة هو الأخلاق وهي من لوازم الإيمان الحق ، وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً ، ولقد وصف بها سيد الدعاة والمرسلين سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- قال تعالى (وإنك لعل خلق عظيم)

وثالث هذه الأسلحة هو العلم والثقافة وهذه هي العدة الفكرية للداعية بجوار

العدة الروحية والأخلاقية .(٤)

(١) حتى تكون خطيباً الشيخ/عبد الحميد كشك ص(١٩) (٢) أسس الدعوة وآداب الدعاة الدكتور /محمد السيد الوكيل ص(٩٣)

(٣) سورة فصلت آية (٣٣) (٤) ثقافة داعية الدكتور/يوسف القرضاوي ص (٦) وما بعدها بتصرف

صفات الداعية:

أولا: الإيمان بالله الراسخ ويتمثل في الإخلاص:

يجب على الداعية أن يقصد بدعوته وجه الله وحده، ويتعد في دعوته عن مظهر الرياء والسمعة، لأن الله سبحانه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجه الكريم قال تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) (١) وقال تعالى (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا الله الدين الخالص) (٢) وقال تعالى (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) (٣) وقال تعالى (قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه) (٤) وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [إن الله لا ينظر إلي أجسامكم ولا إلي صوركم ولكن ينظر إلي قلوبكم] (٥) وقال -صلى الله عليه وسلم- [إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك في عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عنده فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك] (٦)

فعلى الداعية إلى الله تعالى -وهو يتحرك بين الجماهير داعيا وناصحا وراشدا، أن يحتسب كل كلمة ينطق بها وكل جهد يقدمه وكل تعب يصيبه لله عز وجل، إن الدابة قد تكدح سحابة النهار نظير طعامها، والداعية قد يهبط بقيمة جهده إلى مستوى الحيوان فيكون عمله لقاء راتبه فحسب، لكن الرجل العاقل بتفكيره ونشاطه يجعلها لشيء أجل .

وللأسف هناك كثير من الدعاة أصبحوا لا يفقهون إلا منطق المال والدرجة والترقية، ويربطون رضاهم وسخطهم وفتورهم ونشاطهم بما يحصلون عليه من أموال، كأن الأمر لا يعدو أن يكون حرفة تدر ربحا قليلا أو كثيرا، بل ربما تملق الرؤساء أو استجدى عطف الناس، ولا شك أن هذا هو الرياء المحبط للعمل. (٧)

(١) سورة البينة آية (٥) (٢) سورة الزمر آية (٣٠٢) (٣) سورة الأنعام آية (١٦٣) (٤) سورة الزمر آية (١٥، ١٤)

(٥) صحيح مسلم كتاب البر والصلة حديث (٤٦٥٠) (٦) سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن حديث (٣٠٧٩)

(٧) سبيل الإرشاد في الدعوة والإرشاد الدكتور محمود على حمادة ص (٩٥) بتصرف

يقول الإمام الغزالي [اعلم أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره فإذا صفا عن ما

يشوبه وخلص عنه سمي خالصا، ويسمي الفعل المصفي: المخلص إخلاصا... ..

قال تعالي (من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) (١)، فإنما خلوص اللبن أن لا يكون فيه شوبا من الدم والفرث، ومن كل ما يمكن أن يمتزج به، والإخلاص يضاده الإشراف، فمن ليس مخلصا فهو مشرك، إلا أن الشرك درجات، فلإخلاص في التوحيد يضاده التشريك في الإلهية، والشرك منه خفي ومنه جلي، وكذا الإخلاص، والإخلاص وضده يتواردان على القلب وإنما يكون ذلك في القصد والنية [٢]

إن الإخلاص هو علامة إيمان الداعية العميق بدعوته، من حيث كونها رسالة سامية إلى وسيلة رامية، كذلك يجب على الدعاة أن يؤمنوا إيمانا عميقا بأن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى رسالة وغاية نبيلة، وليست وسيلة كسب عيش، وليس الإخلاص هنا هو الإيمان بسمو رسالة فحسب بل يجب أن ينخلع هذا الإخلاص على سلوك الداعية نفسه وعلى تصرفاته وحرركاته وسكناته، فلو كان القصد من الدعوة هو التبليغ فقط لما قال تعالي (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين) (٣)

لقد أشار القرآن إلى نفر من الذين لبسوا شارات الإيمان وهم في الحقيقة يصدون عن سبيل الله تعالي، ويأكلون باسم الله أموال الناس سحتا قال تعالي (إن كثيرا من الأحرار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) (٤)

ولقد ذكر الإمام علي - كرم الله وجهه - فتنا تكون في آخر الزمان فقال له سيدنا عمر: متى ذلك؟ قال: [إذا تفقه لغير الدين، وتعلم لغير العلم، والتمست الدنيا بعمل

الآخرة] (٥)

(٢) إحياء علوم الدين الغزالي ج ٤ ص (٢٦٧)

(٤) سورة التوبة آية (٣٤)

(١) سورة النحل آية (٦٦)

(٣) سورة فصلت آية (٣٣)

(٥) رواه عبد الرازق في كتابه موقوفا

فالإخلاص أساس نجاح الداعي، ويجب أن يكون الإخلاص في كل شيء، للدين
ولمن يدعوهم ويعلمهم، فعمل بلا إخلاص كجسم بلا روح.

ومن مظاهر الإخلاص عند الداعية أن لا يطلب أجره إلا من الله تعالى، فلا يهدف
إلى مكانة اجتماعية مرموقة بين الناس، ولا يهمله رضي الناس عنه أم سخطوا طالما هو
يرضى الله تعالى، وقد قيل [من أخلاق المنافق أن يحب الحمد ويكره الذم] (١)

بل إن ابن القيم يجعل اجتماع الإخلاص وحب المدح والثناء من الناس من
المستحيل، ويشبهه كاجتماع الماء والنار فيقول في ذلك [لا يجتمع الإخلاص في القلب
ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضرب
والحوت، فإذا حدثت نفسك بطلب الإخلاص فاقبل على الطمع فاذبحه بسكين
اليأس، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام
لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص] (٢)

بل من أخلص لله النية أثر كلامه في القلوب القاسية فليتها وفي الألسن الذرية
فقيدها وفي أيدي السلطة **فعلها**

والحق أن الرياء من أفتك العلل بالأعمال، وأنه إذا تمكن من القلب قاد صاحبه إلى
الهلاك ولقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [اليسير من الرياء شرك] (٣)،
وعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال خطبنا رسول الله -صلى الله عليه
وسلم- ذات يوم فقال [أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل] فقلل
له من شاء الله أن يقول وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله قال
[قولوا اللهم إنا نعوذ بك من شرك نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه] (٤)

فعلى الدعاة أن يخلصوا لله في دعوتهم ولا يطلبون ثناء أو مدح الناس، وليطلبوا
أجرهم من الله تعالى كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- (قل لا أسألكم عليه أجرا).

(٢) الفوائد لابن القيم ص (١٩٥، ١٩٦)

(٤) الحاكم والبيهقي كتاب الزهد

(١) الزهد للإمام أحمد ص (٣٧٣)

(٣) تنبيه الغافلين للنحاس ص (٥٦)

(٥) مسند الإمام أحمد حديث (١٨٧٨١)

ثانياً: الأخلاق:

لقد اعتبر الإسلام الأخلاق من لوازم الإيمان الحق وثماره، فأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً، والداعية في أمس الحاجة إلى الأخلاق الكريمة، ولقد فكرى الله سيد الدعاة فقال تعالي (وإنك لعلى خلق عظيم) (١)، ولقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المثل الأعلى في تمسكه بالأخلاق الكريمة والخلال الحميدة حتى أن السيدة عائشة -رضى الله عنها- لما سئلت عن خلق النبي -صلى الله عليه وسلم- قالت: كان خلقه القرآن .

لقد ترك لنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أسساً وقواعد تعلمنا ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من أخلاق، وفي ذلك يقول الشيخ الغزالي: لو جمعنا أقوال صاحب الرسالة في التحلي بالأخلاق الفريكية لخرجنا بسفر لا يعرف مثله لعظيم من أئمة الإصلاح (٢).

أخلاق الداعي المسلم هي أخلاق الإسلام التي بينها الله في كتابه وفصلها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في سنته، وانصبغ بها الصحابة الكرام في سلوكهم، وهي لازمة لكل مسلم، وما عليه إلا أن يعرض نفسه عليها ليزن نفسه في ميزانه ليعلم ما عنده منها وما لم يصل إليه بعد منها (٣).

يحتاج الداعية إلى الأخلاق التي تعينه على تبليغ دعوته ولا يمكنه الاستغناء عنها لأنها تبلغ حد الضرورة، ولأنه من غيرها لن ينجح في دعوته، وسأذكر هنا بعض هذه الأخلاق التي لها صلة وثيقة بعمل الداعي .

(١) سورة القلم آية (٤)

(٢) خلق المسلم الشيخ/محمد الغزالي ص(١١)

(٣) أصول الدعوة الدكتور/عبد الكريم زيدان ص(٣٤٦) بتصرف

الصبر:

من أزم الأخلاق التي يحتاج إليها الداعية خلق الصبر، لأن طريق الدعوة مليء بالأشواك والإبتلاءات والمحن التي تنزل كيان الداعية إلا أن يعتصم بحبل الله المتين، قال تعالى (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) (١)

لقد رأينا كيف وجهت الاتهامات الباطلة والأقويل الكاذبة إلي أنبل الدعاة وأشرفهم للحط من شأنهم وتقليل قدرهم ومكانتهم، وكل ذلك لم يردهم أو يصددهم عن الاستمرار في الدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه .

فعلى الدعاة أن يوطنوا أنفسهم على تحمل المشاق واستعداد العذاب في سبيل الله دون يأس أو خور، وليكن قدوتهم إمام الدعاة وسيد المرسلين سيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم- وما أجمل قول النبي-صلى الله عليه وسلم- لعمه: [والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه] (٢)

لقد كان من وصايا سيدنا لقمان لابنه وهو يعظه أن قال له (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) (٣) ولقد روى سيدنا سعد بن أبي وقاص-رضى الله عنه- قال قلنا يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: [الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى المرء على حسب دينه فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة] (٤)

إن الصبر هو نصف الإيمان، وهو في حقيقته خلق فاضل، وهو مطلوب للدعلة ولا يستغني عنه بحال من الأحوال حتى يستمروا في دعوتهم .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص (١٢٢)
(٤) سنن الترمذي كتاب الزهد حديث (٢٣٢٢)

(١) سورة العنكبوت آية (١)
(٣) سورة لقمان آية (١٧)

لقد ضرب الصحابة أروع الأمثلة في الصبر على الأذى فيها هو بلال-رضى الله عنه- كان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهرية فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر. بمحمد، وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد.. أحد... حتى مر به أبو بكر الصديق-رضى الله عنه- يوماً وهم يصنعون ذلك به فقال لأمية بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟ قال: أنت الذي أفسدته وصاحبك فأنقذه مما ترى، فقال أبو بكر أفعل عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى وعلى دينك أعطيكمه به، قال: قد قبلت فقال: هو لك، فأعطاه أبو بكر-رضى الله عنه- غلامه وأخذه فأعتقه. (١)

والحق أن المسلمين الأوائل في مكة نالهم من الأذى والعذاب ما لا يطيقه إلا من نوى الشهادة وأثر الحياة الأخرى على الدنيا، وقد ذكرت في الباب السابق نماذج لما لاقى الأوائل من الأذى والتعب في سبيل الله تعالى.

وأذكر الدعاء بموقف عثمان بن مظعون عندما قلعوا عينه عندما اعترض على قول لبيد الشاعر "وكل نعيم لا محالة زائل" عندها نظر إليه الوليد بن المغيرة-الذي كان عثمان في جواره وقد رد عليه عثمان جواره- وقال له الوليد: أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنية، لقد كنت في ذمة منيعة، فقال له عثمان: بلى والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلي ما أصاب أختها في الله، ثم أنشأ يقول:

فإن تك عيني في رضى الرب نالها يدا ملحد في الدين ليس بمهتد

فقد عوض الرحمن منها ثوابه ومن يرضه الرحمن يا قوم يسعد (٢)

لقد كانوا يستلذون البلاء الذي يلاقونه في سبيل الله تعالى ويا ليت الدعاء يصبرون على الأذى ويستنزوا في الدعوة ولا يردهم عنها أو يصددهم شيء.

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص (٣١٨)

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص (١٠٣)

الشجاعة :

من الصفات اللازمة للداعية الشجاعة ، حتى لا يهاب أحدا في الجهر بالحق ، ولا تأخذه في نصرته الله لومة لائم ، ففي حديث عبادة بن الصامت -رضى الله عنه- قال: بايعنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على أن نقول الحق أينما كنا لا نخلف في الله لومة لائم .(١)

وعن عبد الله بن عمرو -رضى الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال :
[إذا رأيت أمي تمأب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم](٢)

والشجاعة في الجهر بالحق تنبعث من اجتماع خلقين عظيمين أولهما: امتلاك الإنسان نفسه ، وانطلاقه من قيود الرغبة والرغبة ، وارتضاؤه لونا من الحياة بعيدا عن ذل الطمع وشهوة التنعم .

فكم من داع يبصر الحق ويقدر على التذكير به ، ولكنه يجتسب في حلقه فلا يسمع به أحد !!

لماذا ؟ لأنه لو نطق لحرم من هذا النفع ، أو لغضب عليه هذا الرئيس ، أو لفاته هذا الحظ ، فهو إثارة لمتاع الدنيا -يلزم الصمت ، ويظلم اليقين ، ولو كان عفيف النفس راضيا بما تيسر من عيش ، مكفيا بالقليل مع أداء الواجب عن الكثير مع تضييعه لكان له موقف آخر . وما أحسن قول القائل:

أمت مطامعي فأرحت نفسي فإن النفس ما طمعت تهون

وثانيهما : أما الخلق الآخر الذي تعتمد عليه الشجاعة فهو إثارة ما عند الله ، والاعتزاز بالعمل له ، وترجيح جنابه على جيروت الجبارين ، وعلى أعطية المغدقين ، والركون إلى القدر بآزاء أي وعد أو وعيد ، على أساس أن الرزق والأجل بيد الله وحده قال تعالي (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير)(٣)

(١) صحيح البخاري كتاب الأحكام حديث (٦٦٦٠)

(٢) مسند الإمام أحمد حديث (٦٢٣٤)

(٣) مع الله دراسات في الدعوة والداعية الشيخ الغزالي ص (١٩٢)

إن الشجاعة هي من الصفات المهمة للداعية ولكن هذه الشجاعة لا بد أن تكون لها ميزان، وإلا أصبحت تهوراً وسفهاً، والداعية إذا أخلص الله وتملكه اليقين بقضاء الله تعالى وقدره هانت نفسه في سبيل إعلاء كلمة الله والصدع بالحق قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر] (١) وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [لا يحقرن أحدكم نفسه] قالوا يا رسول الله: وكيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: [يرى أن الله عليه مقالا ثم لا يقول فيه، فيقول الله عز وجل يوم القيامة ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول خشية الناس، فيقول: فيأي كنت أحق أن تخشى] (٢) إذا لم يكن الداعية المسلم شجاعاً مطيقاً لأعباء رسالته، سريعاً إلى تلبية نداءها، جريئاً على المبطلين مغواراً في ساحاتهم، فخير له أن ينسحب من الميدان وألا يفضح الإسلام بتكلف مالا يحسن من شأنه.

الزهد:

ليس المقصود بالزهد هنا التقشف المبالغ فيه، ولكن المقصود هو ترفع الداعية وزهده عن أجر أو كسب أو أي منافع دنيوية من وراء الدعوة، فغالبا ما ينصرف الناس عنه إذا وجدوه راغباً فيما في أيديهم، طامعاً فيما عندهم. فالزهد هو عدم التطلع إلى ما في أيدي الناس والاعتناع بما قسم الله من الرزق، وعدم تعليق القلب بالدنيا وزخارفها، لأن ذلك يحول بين الداعية وبين الناس، فلا يجتمع عليه أحد ولا يكون في قلبه مكان لدعوته حيث استحوذت الدنيا على قلبه وملكت عليه حواسه، ومن استولت الدنيا على قلبه سخرته لخدمتها، وعندئذ لا يكون فيه مكان للآخرة لأههما ضرتان. (٣)

(١) سنن الترمذي كتاب الفتن حديث (٢١٠٠)

(٢) سنن ابن ماجه كتاب الفتن حديث (٣٩٩٨)

(٣) أسس الدعوة وآداب الدعاة الدكتور/ محمد السيد الوكيل ص (١٠٥) بتصرف

إن التكالب على الدنيا، والحرص على جمع المال، والانغماس في الشهوات وبذل أقصى الجهد في مسابقة الناس على الدنيا كل ذلك يؤدي إلى الانصراف عن الحق الذي هو مهمة الدعاة، ولقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وخلفاؤه -رضوان الله عليهم- أبعد ما يكونون عن الدنيا حتى أنه -صلى الله عليه وسلم- لم يشبع من خبز الشعير مرتين في يوم واحد وكان ينفق نفقة من لا يخشى الفقر .

إن شرف العمل لهذه الدعوة لا يناله من يرضن عليها بوقته، ولا يحصل عليه من ييخل عليه بماله، ولا يحظى به من جعل الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه، إنه شرف لا يناله إلا المتجردون لها، الباذلون أقصى الجهد في تبليغها المقدمون لها على أولادهم وأزواجهم وأموالهم .(١)

لقد روى سهل بن سعد الساعدي -رضى الله عنه- قال جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس] (٢)

وروي أن إعرابيا سأل أهل البصرة من سيدكم؟ قالوا: الحسن البصري، قال بما سادكم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه واستغنى هو عن دينارهم فقال ما أحسن هذا، وقال الحسن البصري لا يزال الرجل كريما على الناس حتى يطمع في دينارهم فإذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه .(٣)

وروى سعد بن أبي وقاص -رضى الله عنه- قال: إن رجلا قال يا رسول الله أوصني وأوجز، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصل صلاتك وأنت مودع وإياك وما يعتذر منه] (٤)

(٢) ابن ماجه كتاب الزهد حديث (٤٠٩٢)

(١) المرجع السابق ص(١٠٦) بتصرف

(٣) سبيل الرشاد في الدعوة والإرشاد الدكتور/محمود على حماية ص(١١٣) بتصرف (٤) رواه الحاكم وغيره وقال صحيح الإسناد

الرفق والحلم:

الرفق ضروري في حياة الدعاة قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) (١)

يقول الشيخ/سيد قطب [فالناس في حاجة إلي كنف رحيم وإلي رعاية فائقة وبشاشة سمحة وإلي ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، في حاجة إلي قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلي عطاء ويحمل همومهم ولا يعينهم بهم، ويجدون عنده دائما الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضا. وهكذا كان قلب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-] (٢)

إن الرفق في أخذ هذا الدين هو العامل الرئيسي في تكوين صورة متزنة عند الداعية المسلم، ولقد حذر الرسول-صلى الله عليه وسلم-من العنف في أخذ الدين فقال- صلى الله عليه وسلم- [إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق] (٣) الرفق في الأخذ والرفق في التطبيق .

وقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- [إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة] (٤) والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب . والرفق المقصود هنا هو الرفق بكل صورته مع الإنسان والحيوان والنبات وحتى مع الجماد، فإنه لا يتصور أن يمتلك داعية هذه الصفة مع المدعوين وهو ما زال عنيفا مع الحيوان والنبات والجماد. (٥)

عن عائشة-رضي الله عنها-عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: [إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يتزع من شيء إلا شانه] (٦)

(٢) في ظلال القرآن الشيخ/سيد قطب ج ١ ص (٥٠١)

(١) سورة آل عمران آية (١٥٩)

(٤) صحيح البخاري كتاب الإيمان حديث (٣٨) عن أبي هريرة

(٣) مسند الإمام أحمد حديث (١٢٥٧٩) عن أنس بن مالك

(٦) صحيح مسلم كتاب البر والصلة حديث (٤٦٩٨)

(٥) المصفي من صفات الدعاة/عبد الحميد البلالي ص(٤٥) بتصرف

ربما كان سبب إعراض الناس عن الدعوة أحد الدعاة الذي لم يراع مسألة الرفق في تبليغه للدعوة ، ولقد كان سيدنا عبد الله بن مسعود يذكر الناس كل خميس فقلل له رجل يا أبا عبد الرحمن لو ددت أنك ذكرتنا كل يوم فرد عليه بقوله "أما إنه يمنعني من ذلك أي أكره أن أملككم وأني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يتخولنا بها مخافة السامة علينا" (١)

ويقول ابن عباس -رضي الله عنهما- "حدث الناس كل جمعة فإن أكثرت فمرتين ، فإن أكثرت فثلاثا ، ولا تمل الناس من هذا القرآن ولا تأت القوم وهم في حديث فتقطع عليهم حديثهم ، وقال أنصت فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه ، وإياك والسجع في الدعاء فإني عهدت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه لا يفعلونه" (٢)

والرفق مع الناس عامة مطلوب ومع الجاهلين أشد طلبا قال تعالي (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) (٣) ولنا في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الأسوة الحسنة فكم من مرة يجهل عليه جاهل ولكنه يحلم عليه ويرفق به ، ألم يأت الأعرابي ويجذبه من رذائه حتى أثر في صفحة عنقه وقال له يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك ، ويلتفت إليه النبي -صلى الله عليه وسلم- متبسما وأمر له بعتاء (٤)

وقد روى عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [أنه قال يحكى أن نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون] (٥) وهو يقصد نفسه -صلى الله عليه وسلم- وهذه هي الصفات الواجبة للداعي الذي يعتبر طبيبا فيصبر على المرضى ويرفق بهم .

(٢) الآداب الشرعية ج ٢ ص (١٠٨)

(١) فتح الباري لشرح صحيح البخاري ج ١٠ ص (٧٠)

(٤) صحيح البخاري كتاب فرض الخمس حديث (٢٩١٦)

(٣) سورة الفرقان آية (٦٣)

(٥) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء حديث (٣٢١٨)

والحلم من الصفات الفطرية التي يجب أن يتحلى بها الداعية وقديما قالوا الحلم سيد الأخلاق، والحليم هو الذي يحتمل أسباب الغضب فيصبر ويتأني ولا يثور، وإذا لم يتحلل الداعية بصفة الحلم ربما اتمارت قوته ووهن وضعف أما ما يتعرض له الداعية من سخرية واستهزاء وأذى ومتاعب، فلو كان غضوبا ربما أفسد الأمور وأغلق الطريق أمام الدعوة بسبب سرعة غضبه، ولقد كان لنا في الأنبياء أسوة حسنة، فقد كانوا أوسع الناس صدرا وأكثرهم حلما، فمع شدة ابتلائهم عوضهم الله تعالى بسعة الحلم، ولقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أكثر الناس حلما ولقد ذكرت ذلك من خلال ذكري لدعوته -صلى الله عليه وسلم- .

والحلم من الصفات الفطرية وقد يكتسبها البعض من طول الممارسة، والواجب على الداعية أن يتعهدا ويداوم عليها وينميها حتى لا تموت ويتخلق بها، ولقد روى أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال للأشج [إن فيك خصلتين يجبهما الله: الحلم والأناة] فقال الأشج أهما خلقان تخلقت بهما -أي اكتسبتهما- أم جبلني الله عليهما؟ فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [بل جبلت عليهما] (١).

وليس المراد بالحلم السكوت على الهوان والاحتقار، فإن المؤمن عزيز كريم يأبى الضيم، ويرفض الذل، وإنما يكون الحلم على جهل جاهل، أو سفه سفيه، والحلم المراد هو الذي يكون عند القدرة على أخذ الحق ورد الظلم وأما أن يسكت الإنسان لعجزه عن الرد فذلك هو الضعف (٢).

فالرفق والحلم لا بد أن يتصف بهما من أراد أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر، ويدعو الناس إلى دين الله تعالى، ومن عجز عن الاتصاف بهما فليترك الدعوة، وإلا كانوا منفرين عن الإسلام بسوء أخلاقهم وغلظة قلوبهم وخشونة طبعهم وبذاءة كلامهم (٣).

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث (٣٨)

(٢) أسس الدعوة وآداب الدعاة الدكتور/محمد السيد الركيل (١٠٢) بتصرف

(٣) أصول الدعوة الدكتور/عبد الكريم زيدان ص(٣٥٩) بتصرف

الأمانة :

والأمانة كلمة واسعة الدلالة وهي ترمز إلى معان شتى منها شعور المؤمن بتبعية كل أمر يوكل إليه ، فهو يدرك أنه مسئول أمام ربه ، ولقد اتصف الرسل الكرام بالأمانة ،
وانتصف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالأمانة قبل البعثة وبعدها فقد كان يلقب
بالأمين ، والأمانة تحتاج إلى أشخاص أقوياء لحملها ، فلا يستطيع حملها ضعيف . (١)

والأمانة من الصفات المكملة لصفات المؤمنين الذين نالوا الفلاح في الدنيا والآخرة
قال تعالي (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) (٢)

والأمانات كثيرة والإسلام أعظم الأمانات وأكبرها ، فهو أمانة في عنق كل منا
وإن لم ننهض بهذه الأمانة فقد عرضنا أنفسنا للخيانة العظمى مع الله ورسوله قال
تعالي (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن
منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) (٣)

والإسلام ليس كلمة تقال ولكن منهج حياة لتعمير الأرض والنهوض بتكاليف
خلافة الله في الأرض ، فعلى الدعاة أن يحملوا هذه الأمانة ولا يفرطوا فيها ويبلغوها
للناس ، وإن فرطوا فمن يحملها من بعدهم ؟

والأمانة صفة لازمة للمسلم كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [لا إيمان
لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له] (٤)

ولقد نهى الله عن الخيانة فقال تعالي (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول
وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) (٥)

فيجب على الداعية أن يتصف بالأمانة ويشتهر بها بين الناس كما اشتهر بها رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - وحتى يقبل عليه الناس ويلتفتوا حوله ويسمعوا لقوله .

(١) الصفات اللازمة للدعاة إلى الله ص (٢٤) إصدار لجنة الدعوة والبحوث بالكويت وتقدم حاسم بن محمد بن مهمل.

(٢) سورة الأحزاب آية (٧٢)

(٣) سورة المؤمنون آية (٨)

(٤) سورة الأنفال آية (٢٧)

(٥) مسند الإمام أحمد حديث (١١٩٣٥) عن أنس بن مالك

والمراد بالأمانة هنا أن يكون المرء أميناً في تبليغ دين الله تعالى فلا يزيد ولا ينقص، ولا يقول عن الله إلا ما ورد وكان عالماً به متمكناً منه، ولا يبلغ عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا ما كان صحيح الإسناد، وما كان ضعيفاً فليوضحه وبينه ولا يرويه على أنه صحيح، فعليه التثبت من الأخبار والمرويات ومعرفة السند، وحتى لا يكون من الذين يقولون على الله بغير علم أو يفترون عليه.

قال تعالى (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) (١) وقال تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) (٢)

العمل بما يقول:

الداعية لا بد أن يكون قدوة حسنة لغيره، وحتى يتمكن من التأثير في الناس واستقطابهم، فلسان الحال أشد أثراً من لسان المقال، وإنكار وموعظة لا يلتزم بها صاحبها تؤدي إلى شر عظيم، بل ربما أدت إلى فتنة السامع وعدم اقتناعه بما قاله الداعي، وقد قال الحسن البصري "عظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك" (٣) ولقد رأينا أن القدوة العملية مع الصمت أشد تأثيراً من الخطب البليغة والعبارات المنمقة، إن القدوة العملية تصيب من قلوب الناس أكثر مما تصيب الكلمة، ولقد حدث ذلك مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين أمر أصحابه بعد صلح الحديبية أن ينحروا هديهم ويحلّقوا رؤوسهم ولكنهم لم يفعلوا، ولكن عندما فعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قاموا ففعلوا كما فعل، إن سلوك الداعي هو الصورة الحية العملية لدعوته يراها الناس في سكونه وحركته ووقوفه ومشيه وفي كل معاملاته مع الناس، ولو كان صادقاً في قوله ما كذب في فعله. (٤)

(٢) سورة النحل آية (١١٦)

(١) سورة الأعراف آية (٣٣)

(٤) أسس الدعوة وآداب الدعاة ص (٩٦) بتصرف

(٣) الزهد للإمام أحمد ص (٢٧٣)

إن قدرة الداعية على تربية نفسه هي التي تؤهله على تربية الآخرين، وإن قدرته على الإنكار على نفسه هي التي تزيد من قدرته بالإنكار على الآخرين .

وأصول السيرة الحسنة ترجع إلى أصليين كبيرين :

حسن الخلق ، موافقة العمل للقول ، فإذا تحقق هذان الأصلان حسنت سيرة الداعي وكان الداعي بسيرته الطيبة دعوة صامته إلى الإسلام .(١)

فليتق الداعي ربه في هذا الأمر الخطير ، ولا يكون منفرا عن دين الله بسيرته ، فالذي يدعو الناس إلى مكارم الأخلاق وأخلاقه سيئة لن تكون دعوته مؤثرة ولن يلقى إلا الصدى والإعراض ، ولذلك نرى أن الله سبحانه وتعالى قد ذم أولئك القوم الذين خالف قولهم فعلهم فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لما تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) (٢)

وهذا النداء للمؤمنين عامة ، فكيف بمن يدعو الناس إلى التمسك بالفضيلة والبعد عن الرذيلة وهو بأفعاله أبعد ما يكون عن ذلك ، إن ذلك يجعل الداعية يفقد مصداقيته ، بل إن أصحاب النفوس الضعيفة والقلوب المريضة قد يفقدون الثقة في الدعوة نفسها ، حيث يدخل اليأس قلوبهم في استحالة تطبيق تلك المثل العليا على أرض الواقع ، فالعمل بالدين ومبادئه واقع حتى في المجتمع الإسلامي وأكبر دعاية له .(٣)

فالداعية المسلم يدعو الناس إلى الخير وإلى مكارم الأخلاق وحميد الخصال ونبذ الرذيلة ، وتنفير الناس منها ، ويدعوهم إلى الالتزام بأحكام الشرع الحنيف التي تنظم علاقة الفرد بربه وبنفسه وبغيره وهو أولى بالالتزام بما يدعو الناس إليه حتى لا يجدوا تناقضا بين ما يدعوهم إليه وبين سلوكه ، والداعية الذي يخالف فعله قوله سوف يدخل مع القوم الذين استحقوا العقوبة والتوبيخ من الله تعالى كما فعل في الطائفة التي خالفت أقوالها أفعالها من بني إسرائيل .(٤)

(٢) سورة الصف آية (٢)

(١) أصول الدعوة الدكتور /عبد الكريم زيدان ص(٣٤٣)

(٣) الدعوة الإسلامية والإعلام الديني الدكتور /عبد الله شحاته ص(١٦)

(٤) أسس الدعوة ووسائل نشرها الدكتور /محمد عبد القادر ص(٥٤) بتصرف

لقد عاب الله تعالى على أهل الكتاب الذين خالفت أقوالهم أفعالهم فقال تعالى
(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) (١)

وقال مالك بن دينار "إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زالت موعظته عن القلوب كما
يزال القطر عن الصفا"

وقال أبو الدرداء-رضي الله عنه-"ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل
سبع مرات"

وقال الغزالي "إن هداية الغير فرع للاهتداء، وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة،
والإصلاح زكاة عن نصاب الصلاح، فمن ليس بصالح في نفسه فكيف يصلح غيره،
ومتى يستقيم الظل والعود أعوج" (٢)

وقال أبو الأسود الدؤلي :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

ابد بنفسك فأنهها عن غيرها فإن انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل ما تقول ويشتفي بالقول منك وينفخ التعليم (٣)

وهناك عذاب الآخرة فقد روى عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أنه قال

[يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار
في برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا
بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال : كنت أمركم بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن
المنكر وآتية] (٤)

تذكر أيها الداعية أن المدعوين يريدون أن يروا فيك المعنى السامي الذي تتكلم عنه،
فهم يريدون رؤية الفعل قبل سماع القول، وحال الداعية وأفعاله أبلغ من أقواله .

(١) سورة البقرة آية (٤٤)

(٢) إحياء علوم الدين الشيخ/الغزالي ج ٢ ص(٣٠٩)

(٣)الدعوة الإسلامية علما وعملا الشيخ إبراهيم الدسوقي ص(٨٣)

(٤) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق حديث (٣٠٢٧)

ثالثا العلم:العلم قبل العمل:

قال تعالى (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ...) (١) فقدم العلم على العمل، والواقع أن تقديم العلم على أي عمل ضروري للعامل حتى يعلم ما يريد ليقصده ويعمل للوصول إليه، وإذا كان سبق العلم لأي عمل ضروريا فإنه أشد ضرورة للداعي إلى الله، فيجب على الداعي أن يكون على بصيرة وعلم بما يدعو إليه وبشرعية ما يقوله، فإذا فقد العلم المطلوب واللازم له كان جاهلا بما يريد ووقع في الخبط والخلط والقول على الله ورسوله بغير علم، فيكون ضرره أكثر من نفعه وإفساده أكثر من إصلاحه، وقد يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف لجهله، فيجب على كل داع العلم بشرع الله وبالhalal والحرام وبما يجوز وما لا يجوز، وما يسوغ الاجتهاد فيه وما لا يسوغ الاجتهاد فيه، وما يحتمل وجهين أو أكثر، وما هو متفق عليه أو مختلف فيه. (١)

فضل العلم:

لقد رفع الله تعالى من شأن العلم والعلماء قال تعالى (وقل ربي زدني علما) (٣) وقال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) (٤) وقال تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) (٥)

وأكدت السنة مكانة العلماء وفضل العلم فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين] (٦) وقال صلى الله عليه وسلم [إن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض وحتى الحوت والنمل في جحرها لتصلني على معلم الناس الخير وفضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم] (٧)

(٢) أصول الدعوة الدكتور/عبد الكريم زيدان ص(٣٢٦) بتصرف

(١) سورة محمد آية (١٩)

(٤) سورة المجادلة آية (١١)

(٣) سورة طه آية (١١٤)

(٦) صحيح البخاري كتاب العلم حديث (٦٩)

(٥) سورة آل عمران آية (١٨)

(٧) سنن الترمذي كتاب العلم حديث (٢٦٠٩)

وأهل العلم لا ينفعون أنفسهم فقط وإنما ينفعون غيرهم بما يرشدونهم إليه ويدلونهم عليه ويصلونهم به إلي ربهم، فالناس كما قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - إلي العلم أحوج منهم إلي الطعام والشراب لأنهم يحتاجون إليهما في اليوم مرة أو مرتين، وحاجتهم إلي العلم بعدد أنفاسهم، من أجل ذلك كله كان طلب العلم أفضل من صلاة النافلة، وهذا ما أفق به جمهور علماء المسلمين. (١)

والداعية له دور في مجتمعه هام وخطير فهو له الصدارة في الفتوى والمناصحة والإرشاد، والقدرة على هذا ليست أمرا هينا لأنه لا يتأتى إلا بعد جهد شاق وبذل الطاقة وبمحت متواصل. (٢)

والعلم في حد ذاته ضروري قال الإمام الغزالي "إذا نظرت إلي العلم رأيت له لذيذا في نفسه فيكون مطلوباً لذاته، ووجدته وسيلة إلي دار الآخرة وسعادتها، وذريعة إلي القرب من الله تعالى" (٣)

وقد روى ابن عبد البر عن سيدنا معاذ بن جبل أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [قال تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة وهو الأُنس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على الشراء والضراء، والسلاح على الأعداء والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تقتص آثارهم ويقتدي بأفعالهم وينتهي إلي رأيهم] (٤)

ومداومة الداعية على طرق باب العلم يتسع أفقه ويكتسب من المعارف ما يجعله على مستوى المسئولية، ويرفع درجته عند الله تعالى، ويجعله يواجه أي مشكلة ويرد على أي فتوى رداً صحيحاً على بصيرة وعلم.

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها / أحمد غلوش (٤٦٦) بتصرف

(٤) جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص (٦٥)

(١) المصدر السابق ص (٣٢٧) بتصرف

(٣) إحياء علوم الدين ج ١ ص (١٢)

الثقافة الإسلامية:

لابد للداعية المسلم أن يتسلح بالثقافة الإسلامية التي تؤهله للقيام بالدعوة على أكمل وجه، ونعني بالثقافة الإسلامية علوم الإسلام المنبثقة عنه، حتى يكون الداعية على بينة من ربه، وتكون دعوته على بصيرة وهدى كما أراد الله لرسوله -صلى الله عليه وسلم- قال تعالي (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) (١)

فلابد للداعية أن يدرس العلوم الإسلامية دراسة وعي وهضم وتذوق تجعله يقف على أرض صلبة، وهناك ألوان من العلم لابد لمن يتصدى لعملية الدعوة أن يلم بها، وقد أوجزها الإمام ابن الجوزي فقال [فينبغي للواعظ أن يكون حافظاً لحديث رسول الله، عارفاً لأخبار الزهاد، فقيهاً في دين الله، عالماً بالعربية واللغة، فصيح اللسان، ومدار ذلك كله تقوى الله عز وجل] (٢)

وأهم مصادر الداعية وموارده التي سوف ينهل منها وتنمو بها ملكاته وتسمو بها روحه، وينشرح بها صدره هو القرآن الكريم ثم السنة النبوية المطهرة ثم ما يتفرع عنهما من مصادر التشريع الإسلامي، ثم العلم بالتاريخ الإسلامي وسيرة السلف الصالح -رضوان الله عليهم- والعلم بأحوال الناس وتقويم البلدان، والأديان المعاصرة والمذاهب السياسية والدينية والتيارات الفكرية، وواقع البيئة الإسلامية سواء المحلية أو العالمية، ومعرفة ما يجد على الساحة من قضايا والبحث عن حلولها.

وأحاول أن أذكر كلمة توجيهية عن كل مصدر من مصادر تثقيف الداعية فأبد بالقرآن الكريم وهو أهم مصدر من مصادر الدعوة الإسلامية.

(١) سورة يوسف آية (١٠٨)

(٢) فقه الدعوة في إنكار المنكر / عبد الحميد البلالي ص (٣٩) بتصرف

القرآن الكريم:

والقرآن الكريم هو المصدر التشريعي الأول للإسلام وهو الذي تستقى منه الأحكام والأصول، فكل تعاليم الإسلام يجب أن ترجع في أصولها إلى القرآن وذلك لأنه من عند الله، وهو أعلم بخلقه من غيره، وهو أعلم بما ينفعهم ويضرهم .

فالعقائد والمفاهيم والقيم والموازين والعبادات والشعائر والأخلاق والآداب والقوانين والشرائع كل هذه قد وضع القرآن أساسها وأرسى دعائمها، وجاءت السنة فينت وفصلت وأقامت عليها بنيانا شامخا لا تنال منه الليالي والأيام .

وقد حوى القرآن من حقائق الغيب وحقائق النفس وحقائق الحياة وحقائق الاجتماع الإنساني، وبين من سنن الله تعالي ومن آياته في الأنفس وفي الأفاق ما لا يستغني بشر عن معرفته والاهتداء به، لقد صاغ ذلك كله في أسلوب معجز قال تعلي (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) (١)

وينبغي للداعية أن يحفظ من القرآن الكريم قدر ما يستطيع، بل يحسن بالداعية أن يحفظ القرآن كله ويستظهره متى تيسرت له أسباب ذلك ليكون أقدر على استحضاره والاستشهاد به في كل مناسبة ممكنة، فالقرآن ذخيرة لا تنفذ، ومعين لا ينضب لإمداد الدعاة، ومن اللازم للحافظ وغير الحافظ دوام التلاوة لكتاب الله تعالي بخشوع وتأمل وتدبر تفتح معه أفعال القلوب وتنشرح الصدور لما جاء به من الحق وتقتبس العقول منه أنوار المعرفة وتحتني ثمار الحقائق .

ودوام هذه التلاوة مع التفهم والتدبر يجعل الداعية متمكنا من استحضار الشواهد القرآنية التي يريد أن يؤيد بها فكرته ويمنحها نسبة إلهية، بل إن مما يلزم الداعية الموفق أن يحسن تلاوة القرآن وترتيله كما أمر الله وأن يدرس من أحكام التجويد ما يصحح به قراءته حتى يتلوه بخشوع وتأثر وحزن، فإن وجد بكاء بكى وإلا تباكى (٢).

(١) سورة هود آية (٢)

(٢) ثقافة الداعية ص (١١) بتصرف

خصائص القرآن الكريم:

للقرآن الكريم خصائص ومميزات لا بد للداعية أن يعرفها وهي ما يلي:

١- كلام الله تعالى:

فهو كلام خالص غير مشوب بأوهام البشر ولا بأهواء البشر فهو كله من الله تعالى، فهو يحمل في ثناياه علم الألوهية وحكمتها ورحمتها وقدرتها قال تعالى (قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيمًا) (١)

١- التيسير:

هو كتاب يسره الله تعالى فقد يسر تلاوته وحفظه وفهمه والعمل به، فهو لا يكلف الإنسان فوق طاقته ولا يرهقه من أمره عسرا قال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) (٢) وقال تعالى (فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون) (٣) فيستطيع كل إنسان سليم الفطرة أن يقرأ القرآن أو يسمعه أو يفهم منه ويتأثر به ويستقي من منهله بقدر ما يتسع عقله، فمن أوصافه البيان والوضوح قال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) (٤)

٣- الإعجاز:

إنه كتاب معجز أمر الله تعالى رسوله -صلى الله عليه وسلم- أن يتحدى به المشركين من العرب بأن يأتوا بحديث مثله أو بعشر سور مثله أو بسورة مثله، ولكنهم عجزوا وغلبوا ولم يستطيعوا أن يفعلوا قال تعالى (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (٥)

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [ما من الأنبياء إلا أوتي ما على مثله آمن البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة] (٦)

(١) سورة الفرقان آية (٦)

(٢) سورة القمر آية (١٧)

(٣) سورة الدخان آية (٥٨)

(٤) سورة المائدة آية (١٥)

(٥) سورة الإسراء آية (٨٨)

(٦) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن حديث (٤٥٩٨)

وجوه إعجاز القرآن الكريم:

الإعجاز البياني:

وهو ما يتعلق ببلاغة القرآن ونظمه وأسلوبه وعباراته وألفاظه، وهو الذي أهتم به الأولون وأكثروا من الكتابة فيه أمثال الباقلاني والجرجاني، ومن المحدثين الرافعي .

الإعجاز الموضوعي:

والمقصود به أن القرآن قد جمع من صنوف الهداية والحكمة ووجوه الإصلاح التوجيهي والتشريعي ما يسعد البشرية، ولم يهتم الأولون بالتأليف في هذا اللون من الإعجاز وإن كانوا أشاروا إليه في كتبهم ولكن في عصرنا بدأت العقول تتجه إليه فألف فيه السيد/رشيد رضا "الوحي المحمدي"، والشيخ/شلتوت "القرآن والمرأة" والشيخ/عبد الله دراز "دستور الأخلاق".

الإعجاز العلمي:

وهو ما يتعلق بالحقائق العلمية التي كشف العلم عنها حديثا، وقد كانت مجهولة في عصر النبوة، وقد عني كثير من المعاصرين بهذا اللون من الإعجاز وخصوصا المتخصصون في العلوم الحديثة مثل السيد/محمد جمال الدين الفندي، وعبد الرزاق نوفل، والدكتور زغلول النجار وغيرهم .

٤- الخلود :

من خصائص القرآن الكريم أنه كتاب خالد على مر العصور، فهو ليس كتاب جيل أو عصر معين، بل هو كتاب خاتم وقد تكفل الله تعالى بحفظه فقال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (١)، فهو كتاب كل الثقافات والحضارات والأجيال، وعلى الداعية أن يقرأ القرآن بهذه الروح وهذه الفكرة على أنه كتاب الزمن كله. (٢).

(١) سورة الحجر آية (٩)

(٢) ثقافة الداعية الدكتور/يوسف القرضاوي ص(١٤) وما بعدها بتصرف

٥- الشمول:

لقد جمع القرآن الدين كله وشئون الحياة كلها، فقد جمع القرآن أصول الهداية الإلهية والتوجيه الرباني في العقائد والآداب والأخلاق، كما جمع أصول التشريع في العبادات والمعاملات وشئون الأسرة وعلاقات المجتمع سواء الدولي أو المحلي، فهو دستور شامل قال تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) (١)

وقد قال الخليفة الأول لو ضاع مني عقل بعير لوجدته في كتاب الله، فهو كتاب لا يقصر خطابه على الضمير والوجدان وإنما يخاطب العقل ويبين أن العقل هو طريق الوصول للهداية قال تعالى (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) (٢)

فعلى الداعية إذا أراد أن يتحدث في موضوع معين أن يجمع الآيات المتعلقة بالموضوع ويعمل على تصنيفها، فيدرسها دراسة دقيقة واعية، فيعرف وجوه الإعجاز فيها ومدلولاتها اللفظية، وهذا يحتاج دراسة علوم القرآن فيعرف الناسخ والمنسوخ وأول ما نزل وآخر ما نزل والمكي والمدني وخصائص كل منهما، ويعرف أسباب التزول.

بل من أهم علوم القرآن التفسير الذي يعينه على فهم المراد من كلام الله تعالى، ويحاول أن يقرأ كتب التفسير التي تفسر القرآن بالرواية والدراية ويحاول تجنب كتب التفسير التي تكثر من الإسرائيليات، أو يعرفها حتى يحذرهما ويوضحها للناس، وعليه أن لا يكتف بكتاب واحد في التفسير بل يقرأ في أكثر من تفسير حتى ينهل من جميعها وخصوصاً أن كل تفسير له مزية عن الثاني. (٣)

(١) سورة النحل آية (٨٩)

(٢) سورة سبأ آية (٤٦)

(٣) المرجع السابق ص (٤٠) وما بعدها بتصريف

تدبر معاني القرآن الكريم:

تدبر معاني القرآن الكريم وإطالة النظر فيها وترديدها والوقوف عندها، والتغلغل في مراميها ومقصدها، فإن الله تعالى أنزل كتابه ليتدبر الناس آياته لا مجرد أن يتلوه بلا فهم ولا تدبر، قال تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) (١)، قال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) (٢).

قال الحسن: "نزل القرآن ليتدبر ويعمل به فاتخذوا تلاوته عملاً" فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته: من تدبر القرآن وإطالة التأمل وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بجدافيرها (٣).

إن تلاوة القرآن بتدبر وإمعان تعرف المسلم بالرب الذي يدعو إليه وطريق الوصول إليه، وما للمستجيب من الكرامة إذا قدم عليه، وتعرفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرى: ما يدعو إليه الشيطان وحزبه، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوة الشيطان من الإهانة والعذاب، إن هذه المعرفة ضرورية للداعي إذ بها تجعله كأنه في الآخرة وإن كان هو في الدنيا وتميز له بين الحق والباطل في كل ما اختلف فيه الناس، فترية الحق حقاً والباطل باطلاً، وتعطيه فرقانا ونورا يفرق به بين الهدى والضلال والغي والرشاد، وتعطيه قوة في قلبه وحياة وسعة وانشراحاً وبهجة وسروراً وتعلقاً بالآخرة وعزوفاً عن الدنيا (٤).

ومما ينبغي أن نلفت نظر الداعية إليه هو الاهتمام بالقصص القرآني، وما اشتمل عليه من عبر وعظات وأسرار وحكم بالغة، والقرآن لا يسرد القصص بالتفصيلات، كذكر أسماء الأشخاص والبلدان والتواريخ ونحوها، وإنما يهتم برؤوس العبر ونتائج الأحداث قال تعالى (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) (٥).

(٢) سورة محمد آية (٢٤)

(١) سورة ص آية (٢٩)

(٤) أصول الدعوة الدكتور /عبد الكريم زيدان ص (٣٢٨) بتصرف

(٣) مدارج السالكين لابن القيم ج ١ ص (٣٤٧) بتصرف

(٥) سورة يوسف آية (١١١)

المعرفة التامة بالقرآن الكريم:

وتعتبر المعرفة التامة بالقرآن الكريم هي الدعامة الأساسية لمعرفة الداعية لأنها تعرفه كثيرا مما يحتاج إليه، وفيها دعوته بعقيدها وشريعته وأخلاقها وفيها الوسائل التي يخاطب بها الناس وفيها سيعرف دوره ومصيره، وبدراسة القصة والمثل والقسم وغيرهم يعلم نهج مخاطبة الناس وترغيبهم وتشويقهم في الدعوة.

ومع ذلك فإنه من خلال الوسائل القرآنية سيعرف كثيرا عن طبائع الناس وغرائزهم وعاداتهم، بل سيعرف مقاصد الدعوة وأهدافها الرامية إلى إسعاد الناس في الدنيا والآخرة، وبذلك يجب على الداعية أن يحفظ القرآن الكريم ويتفهمه ليقدر على البلاغ والإرشاد، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يختبر الدعاة عن مدى تمسكهم وتفقههم وتفهمهم وإحاطتهم بالكتاب أساس الدعوة، يروى ابن عبد البر بسنده عن شعبة قال: حدثني أبو عوف عن الحرث عن عمرو عن أناس من أصحاب معاذ عن معاذ أنه قال: [لما بعثني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى اليمن قال كيف تقضي إذا عرض عليك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله، فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو، قال: فضرب صدري وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله] (١)

فإجابة معاذ لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- تشير إلى شمول معرفته بالقرآن الكريم لأنه بحث فيه كله عند القضاء فإن لم يجد ينتقل إلى السنة، والمعرفة الشاملة للقرآن الكريم تمكن الداعية من هداية الناس والأخذ بيدهم حين الاختلاف لتمتعه ببصيرة نافذة وموهبة ربانية تجعله أعلم من غيره، وقد ذكر السيوطي خمسة عشر علما لفهم كتاب الله تعالى لا بد منها للداعية. (٢)

(١) الترمذي كتاب الأحكام حديث (١٢٤٩) / وأبو داود كتاب الأفضية حديث (٣١١٩)

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها الدكتور/ أحمد غلوش ص (٤٦٧) بتصرف

ثانيا : السنة النبوية المطهرة :

وهي المصدر الثاني للثقافة الإسلامية للداعية وهي شارحة للقرآن ومبينة له ومفصلة لما أجمل ، فهي التفسير النظري والتطبيق العملي لكتاب الله قال تعالي (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) (١) وقال تعالي (وما أنزلنا الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (٢)

والسنة تشمل : أقوال النبي -صلى الله عليه وسلم- وأفعاله وتقريراته وأوصافه وسيرته ، فهي سجل حافل لحياته وجهاده في سبيل تبليغ الدعوة ، ولقد حوت من جوامع الكلم ، وجواهر الحكم ، وكنوز المعرفة ، وأسرار الدين ، وحقائق الوجود ، ومكارم الأخلاق ، وروائع التشريع ثروة طائلة هائلة لا تنفذ على كثرة الإنفاق ، ولا يستغني عنها داعية يريد أن يحدث أو يدرس أو يحاضر أو يخطب أو يكتب .

ولقد صور النبي -صلى الله عليه وسلم- ما بعثه الله به من الهدى والعلم وموقف الناس من الاستفادة منه تصويرا بليغا فقال : عن أبي موسى قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به] (٣)

الأرض الطيبة التي تقبل الماء فترتوي به وتنبت العشب والكأ مثل أهل الفقه والدراية ، والأرض الثانية التي تمسك الماء لينتفع به غيرها مثل أهل الحفظ والرواية ، أما الأرض السبخة الأخرى فمثل طائفة أهل الجهل التي لم تنتفع من علم النبوة (٤)

(١) سورة النحل آية (٤٤)

(٢) سورة النحل آية (٦٤)

(٣) صحيح البخاري كتاب العلم حدي ث (٧٧)

(٤) ثقافة الداعية الدكتور / يوسف القرضاوي ص (٥٢) بتصرف

ومن خصائص السنة النبوية أنها يجب أن تدرس على أنها ليست كتاريخ أي زعيم أو بطل وإنما هي تاريخ عبد رباني أجراه الله عليه يديه، ليس له من الأمر شيء، وإذا نطق لا ينطق عن الهوى ولكن بوحى الله، وإذا رمى فليست رميته ولكن الله رمى، وهذا هو لب العبرة وموطن الحقيقة في السيرة النبوية.

وعلى الداعية أن يهتم بالسيرة النبوية، فيوجه لها عناية خاصة فهي تعبر الجزء العملي في الإسلام **لأدب النبي** - صلى الله عليه وسلم - كان يترجم الإسلام وكان كما قالت السيدة عائشة - رضی الله عنها - خلقه القرآن.

وعلى الداعية أن يحذر الأحاديث الموضوعة والتي أدخلت على السنة بسبب الأهواء والفتن والمذاهب التي وضعت الأحاديث للانتصار لمذهبها، وأيضاً لا بد للداعية أن يعرف الأحاديث الضعيفة والتي لا يصح الاحتجاج بها وإنما يعمل بها في فضائل الأعمال، والحذر من فهم مقصود الأحاديث الصحيحة فهما خاطئاً دون الرجوع إلى الكتب الصحيحة والتي يعتمدها علماء الأمة، ونبه الداعية إلى حملة التشكيك التي شنها خصوم الإسلام من مبشرين ومستشرقين وملحدین على الحديث والسنة النبوية، والتي جعلت بعض المنتسبين للإسلام يشكك في بعض الصحابة الذين رووا الحديث أو التشكيك في كتب الصحاح أمثال البخاري، وعلى الداعية أن يتجنب الأحاديث التي تشكل على جمهور الناس والتي لا تستسيغها عقولهم وثقافتهم، أو ربما كانت أكبر من عقولهم، أو أعلى من مستواهم العلمي ومثل ذلك حديث الذبابة وغيره.

وعلى الداعية إذا أراد التحدث في موضوع ما أن يجمع الأحاديث التي تتكلم عن هذا الموضوع وتحليلها ودراستها دراسة واعية، مع معرفة مقاصد هذه الأحاديث، ولا بد للداعية أن يقتني بعض كتب السنة الصحيحة وكذلك كتب السيرة وكتب الشمائل والهدى النبوي وكتب الدلائل حتى يرجع إليها عند الحاجة. (١)

(١) ثقافة الداعية الدكتور /يوسف القرضاوي ص (٥٢) وما بعدها بتصرف

ثالثاً: الفقه:

لابد للداعية من قدر مناسب من الثقافة الفقهية، فيعرف أهم الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات والآداب، وما لم يعرفه يكون قادراً على مراجعة حكمه من مصادره، وذلك مهم بالنسبة للداعية لعدة أسباب هي :

(١) ليستطيع أن يجيب السائل ويرد على المستفتي، فمن لم يكن متضلعا في الفقه سكت أو هرب من السؤال وهذا يضعف من موقفه ويقل من تأثيره في الناس، والمصيبة لو أفتى بغير علم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا]. (٢)

(٢) ليتمكن تصحيح ما يقابله من أخطاء وتقويم ما يواجهه من انحرافات، في ضوء الأحكام الشرعية فإذا رأى بعض البدع الفاشية أو المنكرات السائدة أو الأخطاء الدينية الشائعة، واجهها بعلم وفقه لا بمجرد غضب وعاطفة، معني هذا أنه لا ينكر مجتهداً فيه بين الأئمة، إلا إذا ترتب عليه منكر أكبر منه .

وقد حكى ابن القيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية إنكاراً في المسائل الاجتهادية إلا في حدود معينة، أنه مر على قوم من التتار جلسوا يشربون الخمر فأنكر عليهم بعض أصحابه فقال دعهم وما هم فيه فإن الله إنما حرم الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهؤلاء تصدهم الخمر عن سفك الدماء ونهب الأموال " (٣)

كما ينبغي على الداعية أن يقدم الأهم على المهم، والكلبي على الجزئي، والفرض على النافلة، وذلك سيكون بما تعلمه من فقه وحازه من علم .

(١) صحيح البخاري كتاب العلم حديث (٩٨)

(٢) ثقافة الداعية ص (٨٠) بتصرف

(٣) ليعمل على تطعيم عظاته ودروسه بالأحكام المهمة التي يحتاج إليها الناس في وقتها، فإذا تحدث مثلا عن الزكاة أو الصيام أو الحج وغيرها من العبادات لم يقتصر حديثه على الترغيب والترهيب، بل يحرص على إعطاء سامعه أو قارئه خلاصة الأحكام الأساسية لكل منها بأسلوب سهل قريب مقبول .
والداعية الناجح هو الذي يعظ الناس ويفقههم بحيث لا يطغى وعظه على فقهم ولا فقهم على وعظه .

ونوصي الداعية هنا بعدة أمور هي:

- أن يحرص على ربط الأحكام بأدلتها من الكتاب والسنة، وما أرشد إليه من اعتبارات أخرى كالإجماع والقياس والاستصلاح والاستحسان وغيرها، مع العلم أنه لا فقه بلا دليل .
- إذا كان الداعية ملتزما بمذهب من المذاهب الفقهية المتبوعة، فلا يمنعه هذا من التعرف على أدلة مذهبه، ولا مانع من ترك المذهب في بعض المسائل التي يشعر بضعف أدلتها إلى مذهب يرى أنه أسعد بالدليل من مذهبه، وقد روي عن جميع الأئمة المتبوعين أنهم قالوا "إن صح الحديث فهو مذهبي" فلا يجوز للداعية أن يدع السنة الصحيحة الصريحة بحجة تقيده بمذهبه كما رأينا بعض الدعاة يفعلون ذلك.
- يحسن بالداعية أن يتعرف على المذاهب الأخرى وبخاصة من يتبعها من يدعوهم فإن كان مالكيًا وهو في بيئة حنبلية أو كان شافعيًا في بيئة حنفية أو العكس، فينبغي له أن يلم بأهم ما يتميز به مذهب البلد عن مذهبه حتى لا ينكر على الناس ما لا يجوز أن ينكر، فمثلا وجد في بيئة مالكية ترسل أيديهم وهو شافعي يتقيد بوضع يديه على صدره فعليه أن يعرف المذهب الثاني حتى لا ينكر عليهم فعلهم، ويتهمهم بالخطأ مع أنهم يفعلون صواب على مذهب آخر (١).

• ينبغي على الداعية أن يقتدي بالقرآن والسنة في تعليل الأحكام، وبيان حكمها وثمراتها في الأنفس والحياة، وربطها بالفلسفة العامة للإسلام، حتى تقع من النفس موقع القبول، والقرآن الكريم يذكر الحكم والمنافع من وراء العبادات ذاتها مع أن الأصل فيها التعبد والامتثال لأمر الله تعالى مثال ذلك قوله تعالى (أقم الصلاة إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر) (١)

ولكن نحذر الداعية من أشياء في تعليل الحكم ربما تورط فيها بعض الدعاة منها:
 أ. **المبالغة في تعليل الحكم:** المبالغة في تعليل العبادات بأمور دنيوية وربطها بما ربط العلة بالمعلول مع أن العبادات مطلوبة طلب الغايات والمقاصد لا طلب الأدوات والوسائل، فهي مطلوبة لذاتها بغض النظر عن المنافع التي وراءها فلو قلنا أن العبادات فرضت لتربية الضمائر وتركية النفس وتقويم الأخلاق لقال قائل عندنا وسائل أخرى توصلنا إلي هذا الهدف بدون عبادة .

ب. **التعليل بأمر غير جامع ولا مانع:** بمعنى أنه لا ينطبق على كل الحالات ولا مانع من أنه ينطبق على غير المعلل مما لم يأخذ حكمه، مثال لك: تعليل تحريم لحم الخنزير بأنه يأكل القاذورات، فقد يرد راد بأن هذا لا ينطبق إلا على الخنازير السيئة التغذية، أما الخنازير التي تربي في حظائر خاصة ويشرف عليها مختصون فلا يتفق معها هذا التعليل، وحسب الداعية أن يقول إن الله حرم الخبيث وأحل لنا الطيب، وكل شرع شرعه لنا فهو لحكمة وإن خفيته علينا فهو لا ينفي وجودها، لأن علمنا أعجز من أن يحيط بكل حكم الله تعالى في شرعه أو خلقه، مع العلم أنه هناك حكم أخفاها الله عنا ليتم البلاء وتظهر حقيقة الطاعة والعبودية المجردة لله تعالى، ويعرف من يتبع الله والرسول ممن

يتبع عقله. (٢)

(١) سورة العنكبوت آية (٤٥)

(٢) المرجع السابق ص (٨٢) بتصرف

ت. الاقتصار على التعليلات المادية: من المحذور في ذكر الحكم والعلل الاقتصار على التعليل بالأمور المادية الحسية وخصوصاً فيما يتعلق بالعبادات والشعائر كالوضوء فيذكرون أنه من علله النظافة، فقد يقول قائل إنني أستطيع أن أحقق النظافة بغير الوضوء، فتكون هذه التعليلات إذا لم تصنع صياغة دقيقة حكيمة، سلاحاً في أيدي الذين يريدون أن يتفلسفوا من تكاليف الدين، فأولي بنا أن نهج نهج القرآن في التعليل بالأمور الدينية الروحية، فيوضح أن هذه العبادات الحكيمة منها هي تنفيذ أمر الله ونيل رضاه.

رابعاً: أصول الفقه:

وهو علم يعرف به وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط ويعرف به الأدلة المتفق عليها عند فقهاء الأمة وأنواع الأحكام، فيعرف الداعية كيف يتعرف على الحكم وكيف يستنبط الحكم، ويعرف الراجح والمرجوح، وليس المقصد أن يقرأ الداعية المطولات في أصول الفقه فهذا شأن المتخصصين، وإنما حسبه أن يعرف نبذة مختصرة عن هذا العلم، والمقصود به وكيف نشأ والهدف منه وغايته، وحتى لا يختلط عليه الحكم فيعرف مثلاً الفرق بين الواجب والفرض والمباح والجائز والمستحب والمكروه والحرام إلى غير ذلك من أنواع الأحكام. (١)

خامساً: الثقافة الأدبية واللغوية:

إذا كانت الثقافة الدينية لازمة للداعية فالثقافة الأدبية واللغوية لازمة له كذلك، فباللغة سوف يسلم لسانه ويصح أدائه ويؤثر في سامعيه، وكم من معني جميل فسد بسبب اللحن بل ربما ناقض الشرع بلحنه قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [إن من البيان لسحراً وإن من الشعر حكماً] (٢) والأدب بشعره ونثره وحكمه وخطبه ووصاياه مهم للداعية حتى يثقف لسانه ويرهف به حسه ويجود أسلوبه. (٣)

(١) ثقافة الداعية ص (٩١) بتصرف

(٢) سنن أبو داود كتاب الأدب حديث (٤٣٥٨) ومسنن الإمام أحمد

(٣) المرجع السابق ص (١١٤) بتصرف

سادسا: الثقافة التاريخية وسير الرجال:

التاريخ هو ذاكرة البشرية وسجل أحداثها والشاهد العدل لها أو عليها ، وليس الغرض أن ينظر الداعية إلي التاريخ نظرة المدرس القاص الذي يقص القصص للتسلية وقطع الوقت ، ولكن ينظر الداعية التاريخ على أنه مستودع لأخطاء الإنسانية وصوابها ، وما جنت في عواقبها من خير وشر ، فيأخذ العبرة والعظة منه ، وهذا النهج هو الذي سلكه القرآن الكريم (١).

ما يستفيدة الداعية من دراسة التاريخ:

١- أنه يوسع آفاقه ويطلعه على أحوال الأمم وتاريخ الرجال ، فيرى كيف ترقى الأمم وتهبط ؟ وكيف تقوم الدول وتسقط ؟ وكيف تنتصر الدعوات وتنهزم ؟ وكيف تحي الحضارات وتموت ؟ قال تعالي (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) (٢)

٢- التاريخ هو أصدق شاهد على ما يدعو إليه الدين من قيم ومفاهيم ، فهو مرآة مصقولة تتجلى فيها عاقبة الإيمان والتقوى ، ونهاية الكفر والفجور ، وماذا يجني من يزرع الخير وماذا يحصد من يزرع الشر ، والله تعالي كثيرا ما يعقب على نهاية الأمم تعقيبات تبرز ما يوضح الدرس فيقول تعالي (فتلك بيوتهم حاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) (٣)

٣- التاريخ يعين على فهم الواقع المائل ، وخصوصا إذا تشابهت الظروف والدوافع ، وهذا ما جعل العرب تقول: "ما أشبه الليلة بالبارحة" وجعل الغربيين يقولون: "التاريخ يعيد نفسه" وقال الله تعالي (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم) (٤)

(٢) سورة الحج آية (٤٦)

(٤) سورة البقرة آية (١١٨)

(١) تذكرة الدعاة / البهي الخولي ص (٣٦٣) بتصرف

(٣) سورة النحل آية (٥٣)

٤- هناك بعض جوانب التاريخ التي لها صلة وثيقة بعمل الداعية، مثل تاريخ نشأة الأديان، وأهم الشخصيات المؤثرة، وتاريخ نشأة المذاهب الدينية، والنحل والملل والفرق، وتاريخ الحضارات الكبرى، وتاريخ الفتوحات الإسلامية لبلدان العالم، والبلاد التي كانت في يوم من الأيام بلاداً إسلامية، ولكنها تحولت إلى غير إسلامية عندما أهملها المسلمون، وواجب الداعية تجاهها.

تنبيهات للدعاة في مجال التاريخ:

- ألا يجعل همه وعي جزئيات التاريخ وتفصيلاته، فالمهم هو رؤوس العبر ومواقع العظمة في التاريخ.
- أن يكون ذا وعي يقظ للوقائع التاريخية التي تخدم موضوعه، وتعمق فكرته وتقدم لها الشواهد الحية.
- أن يعني بسير الرجال ومواقف الأبطال وبخاصة العلماء والدعاة والصالحون، ويبرز القدوة الحسنة، ويجسد الشخصية الإسلامية، فليس التاريخ للملوك والقلدة ورجال السياسة وحدهم.
- أن يهتم بربط الأحداث والوقائع بأسبابها وعللها المعنوية والأخلاقية، ويقيم المقارنات بين الواقع والماضي.
- أن يكون محور التاريخ هو الإسلام نفسه دعوة ورسالة، وتأثيره في العالم، واستمراره وغلبيه وانتشاره، فيوضح الجاهلية العالمية والعربية.
- ليعلم الدعاة وليحذروا أن ليس كل ما في كتب التاريخ يعتبر صحيحاً مائة في المائة، فكم في التاريخ من تحريفات وكذب وافتراء، وخصوصاً لو علمنا أن التاريخ يكتبه المنتصرون، بل هناك أيدي مأكرة امتدت إلى تاريخنا فشوهته. (١)

(١) ثقافة الداعية ص (١٠٢) وما بعدها بتصرف

سابعا: الثقافات الإنسانية:

والمقصود بها العلوم الإنسانية مثل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد وعلم الفلسفة وعلم الأخلاق وعلم التربية الحديثة وغيرها من العلوم التي تخص النفس الإنسانية ، وإنما يجب على الداعية أن يعرفها لأن لها علاقة وثيقة بموضوع دعوته وهو الإنسان ، والإمام بهذه العلوم يجعله على دراية بالناس ومزاجهم وتفكيرهم ، والداعية مطالب بمخاطبة الناس على قدر عقولهم ، بالإضافة أن هذه العلوم أصبحت مسيطرة على الواقع الذي نعيش فيه وتأثر تأثيراً ضاراً بالمجتمعات ، والداعية لا بد أن يقاومها (١).

ثامنا: الثقافة العلمية والواقعية:

إن الداعية لا بد أن يكون ملماً ببعض العلوم الحديثة وما يجد على الساحة من علوم وأفكار ، فالداعية يجب أن يكون لبقاً فطناً كيساً أريباً يحيط بكل ما حوله من دعوات ، ويقف على ماهيتها وحدودها ويدرك ما فيها حتى يستطيع مواجهتها والرد عليها وبيان الحق من الباطل وإظهاره للناس (٢).

إن دعوة الله عظيمة فلا بد من دعاة يتناسبون مع عظمتها وشمولها ، فينبغي على الداعية أن يكون على علم وبصيرة بما يدعو إليه ، وعقلية الداعي يجب أن تنمو بما يتناوله من أبحاث واطلاعه على الثقافات ، والفهم الصحيح والوعي السليم والثقافة الواسعة تحقق الثبات للداعية وتجعله في حصن منيع من الشك أو الزيغ أو الانهزام أمام الباطل (٣).

الداعية في حاجة لأن يعرف الواقع الذي يعيش فيه ، والأفكار السائدة والمذاهب المعاصرة ، ويكون على وعي بالقوى العالمية المعادية للإسلام والمسلمين ، فالمطلوب داعية ذو حس مرهف وعقلية متفتحة وذهن يقظ يدرك ما حوله ولا يعيش وحده متقوقياً على نفسه في ظل عالم يموج بالفتن .

(١) ثقافة الداعية ص (١٢١) وما بعدها بتصرف

(٢) أسس الدعوة وآداب الدعاة الدكتور / محمد السيد الوكيل ص (١١١) وما بعدها بتصرف

(٣) الصفات اللازمة للدعاة إلى الله / رسالة للعاملين في حقل الدعوة ص (٦٥) إصدار دار الدعوة بالكويت

المبحث الثالث

المدعو

المبحث الثالث

المدعو

تعريف المدعو:

هو الركن الثاني من أركان الدعوة وهو المقصود بالدعوة وهو الإنسان الذي جاء الإسلام من أجله، ولا بد أن يكون في ظروف تسمح بدعوته ويتقبل هو الدعوة. (١)

لخصه
الظروف

والدعوة الإسلامية دعوة عالمية تخص الناس جميعا ولا يستثنى منها أحد مهما كان جنسه أو لونه أو مهنته أو إقليمه، سواء أكان ذكراً أو أنثى المهم يكون عاقلاً وبالغاً قال تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض) (٢) وقال تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) (٣)

وعلى هذا فالدعوة إلى الله عامة لجميع البشر وليست خاصة بجنس دون جنس، أو طبقة دون طبقة، أو فئة دون فئة والله تعالى يخاطب البشر بصفتهم الآدمية فيقول تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) (٤)، (يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٥) وعلى الداعي أن يفقه عموم دعوته إلى الله ويحرص على إيصالها لكل إنسان. (٦)

واجب الداعي تجاه المدعو:

١- توفير البيئة الصالحة للمدعو :-

إن الداعية الناجح الذي يرغب في استجابة الناس لدعوته والثبات على طريقته، يجب أن يحرص كل الحرص على أن يوفر البيئة الصالحة للمدعو في حدود إمكانياته المتاحة لديه، خصوصاً فترة الطفولة بأن يوفر للطفل البيئة الإسلامية فيحفظ كتاب الله منذ نعومة أظافره، ونغرس فيه القيم والمثل العليا، أما الشاب فنحاول أن نبعده عن أقران السوء ونبعده عن البيئة الفاسدة ونوفر له بيئة صالحة، ولتكن المسجد. (٧)

(١) فقه الدعوة والإعلام الدكتور/عمارة نجيب ص(٣١) بتصرف
(٢) سورة الأعراف آية (١٥٨)
(٣) سورة سبأ آية (٢٨)
(٤) سورة البقرة آية (٢١)
(٥) سورة الأعراف آية (٣٥)
(٦) أصول الدعوة الدكتور/عبد الكريم زيدان ص(٣٧٣) بتصرف.
(٧) أسس الدعوة ووسائل نشرها د/محمد عبد القادر ص(٦٤).

٢- توفير الأمن للمدعو:

إن الحياة بدون أمن لا قيمة لها، فالأمن هو أحد ضرورات الحياة، لا يمكن أن يستغني عنه إنسان، وهو كالطعام والشراب ولقد من الله تعالى على أهل مكة بأن جعلهم آمنين وقرنه بالطعام والشراب فقال تعالى (لإيلاف قريش* إيلافهم رحلة الشتاء والصيف* فليعبدوا رب هذا البيت* الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) (١)

إن الخائف لا يمكن أن يكون له رأي سديد، ولا يستطيع اتخاذ القرار، ويكون قلقاً مضطرباً غير سوى، فعلى الداعية أن يحاول أن ييث الطمأنينة في نفوس من يدعوهم، فقبل الدعوة يحاول أن يزيل عنهم أسباب القلق أو حتى يحاول تخفيفها. (٢)

٣- انتقال الداعي إلى المدعو:

بعد توفير البيئة الصالحة للمدعو ينبغي للداعي أن ينتقل للمدعو و فيدعوه إلى الإسلام ويعرض عليه الخير الذي معه، يقول الشيخ الغزالي "فيتكفل كل عالم بإقليم أو بلدة أو محلة أو مسجد فيعلم أهله دينهم، وتمييز ما يضرهم وما ينفعهم وما يشقيهم وما يسعدهم" (٣)

فالداعي لا يجلس في بيته ينتظر أن يأتيه المدعو وإنما يذهب هو إليه، ولقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يغشى مجالس قريش يدعوهم ويعرض عليهم دعوته، وكان يخرج إلى القبائل في منازلهم في المواسم، ولم يكتب بمكة بل ذهب إلى الطائف يدعو أهلها، ولقد ذكر ابن هشام في سيرته [أنه كان -صلى الله عليه وسلم- لا يسمع بقادم إلى مكة من العرب إلا تصدى له فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده] (٤)

إن الداعية لأنه رحيم بالناس وحريص على وصول الدعوة إليهم، فيأتيهم ويدلهم على الخير، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كما فعل الرسول .

(٢) فقه الدعوة والإعلام الدكتور/عمارة نجيب ص (٣١) بتصرف

(١) سورة قريش

(٤) سيرة ابن هشام ج ٢ ص (٥٠)

(٣) إحياء علوم الدين الشيخ الغزالي ج ٣ ص (٤٥)

أصناف المدعويين:

تختلف أصناف المدعويين طبقاً لمعيار التصنيف، فالقرآن يصنف الناس حسب معتقداتهم واتجاهاتهم على النحو التالي:

مسلمين - ومشركين - وكفار - ومنافقين، والكفار **همنفان** أهل كتاب وغير أهل كتاب، والمسلمون إلى مؤمنين صادقين محسنين، ومسلمين عاديين، وكل صنف جاءت أوصافه وعلته وعلاجها (١).

وما أريد أن أوضحه هنا أن المدعويين يتباينون ويختلفون في العقل والعمر والغنى والفقر والعمل والعلم والمكانة والدين والثقافة، فنجد أن منهم العالم والجاهل، ومنهم الحاكم والمحكوم، ومنهم الدكتور والمهندس والقاضي والمحامي والمعلم والطالب، ومنهم الأب والأم والابن والبنت والزوجة، ومنهم التاجر والصانع والزارع والعامل، منهم المسلم وغير المسلم منهم العصبي والمطيع والفاسق إلى غير ذلك من الاختلافات. فعلى الدعوة أن يدركوا أن الناس ليسوا سواء في الدعوة ولا في الاستجابة، فمنهم سريع الفهم سريع الاستجابة، ومنهم بطيء الفهم وبطيء الاستجابة، ومن الذين لم يترددوا في الاستجابة سيدنا أبي بكر الصديق -رضى الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم [ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوة ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة لم تكن له كبوة] (٢)

ومن قبله سحرة فرعون الذين آمنوا بموسى عندما رأوا العصا انقلبت حية قال تعالي (فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف لأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون) (٣)

(١) فقه الدعوة والإعلام الدكتور عمارة نجيب ص (٣٢) بتصرف

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص (٢٦٧)

(٣) سورة الشعراء آيات (٤٥: ٥٠)

ولقد صنف الدكتور /عبد الكريم زيدان أصناف المدعوين إلي أربعة أصناف هم:

الملا:

المقصود بالملا كما يقول المفسرون : هم أشرف القوم وقادتهم ورؤسائهم

وسادتهم .(١)

ولا يقصد القرآن بهذه الكلمة أنهم فعلا المستحقون للسيادة والرياسة ولكن يطلقها ويريد بها الواقع وهذا كما فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما أرسل إلي رؤساء فارس والروم ، فقال لهم في رسالته [إلي عظيم الروم] فهو -صلى الله عليه وسلم- يقصد أنه عظيم عند قومه ، وليس عظيما عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فهو من قبيل الواقع وليس مستحقا لهذا الوصف .

وهؤلاء الملا هم أعداء دعوة الرسل في كل عصر من العصور ، فهم الذين يقفون في وجه الدعوة ويقودون حملة الافتراء والتكذيب ضد أنبياء الله تعالى ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى في قصة سيدنا نوح -عليه السلام- قال تعالى (لقد أرسلنا نوحا إلي قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم فقال الملا من قومه إنا لنراك في ضلال مبين) (٢)

فها هو الملا من قوم نوح -عليه السلام- يتصدوا للدعوة ويتهموا نوحاً بأنه في ضلال ، ولو أردنا أن نتبع الملا في جميع الأمم لوجدنا أن الملا هم العقبة في طريق الدعوة .

وما أدل على ذلك مما حدث لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الملا فقد آذوه واتهموه بالسحر والجنون والكذب والكهانة ، وكل ذلك من أجل أن يصدوه عن الدعوة ويمنعوه منها .(٣)

(١) تفسير القرطبي ج ٣ ص (٢٣٤) ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص (٢٢٣)

(٢) سورة الأعراف آيات (٦٠،٥٩)

(٣) أصول الدعوة الدكتور /عبد الكريم زيدان ص (٣٨٠) بتصرف

قال تعالي (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب * أجعل
الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب * وانطلق الملائمة منهم أن امشوا واصبروا على
الهلكة إن هذا لشيء يراد * ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق) (١)
والملائمة في هذه الآية هم سادة قريش وقادتها الذين وقفوا في وجه الدعوة، وإذا
سألنا لماذا الملائمة أعداء الدعوة؟ وما سبب هذه العداوة؟ وللإجابة عن هذا السؤال
نذكر أسباب العداوة:

(١) الكبر:

وهو الذي تغلغل في نفوسهم وسيطر على تصرفاتهم فدفعهم ذلك إلى إنكار الحق
وعدم الانقياد له والسير في الطريق المعاكس، وعدم الخضوع والاعتراف بالفضل
لأولي الفضل، ومن الآيات التي تدل على صفة الكبر في الملائمة قوله تعالي (وجحدوا
بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) (٢)

فالكبر والعلو والظلم للنفس هو الدافع لإنكار الدعوة وإنكار النبوة قال تعالي مخبرا
عن الملائمة من قوم نوح (فقال الملائمة الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما
نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم
كاذبين) (٣)

فالملائمة يقولون لسيدنا نوح-عليه السلام- إن أتباعك هم الفقراء والضعفاء
وأصحاب الحرف الخسيسة، وكيف نكون نحن مع هؤلاء الفقراء والضعفاء ونحن
السادة والأشراف؟ ونحن لا نرى لكم أي فضل علينا بل أنتم كاذبون.
ونذكر مثلا من السيرة النبوية لما عرض الرسول-صلى الله عليه وسلم- الدعوة
على الملائمة من قريش قالوا له نحن لا نرضى أن نكون مع هؤلاء الضعفاء-وكانوا
يقصدون عماراً وصهيباً وبلالاً وخباباً- فاطرد هؤلاء ولا تبقيهم في مجلسك.

(٢) سورة النمل آية (١٤)

(١) سورة من آية (٨:٣)

(٤) أصول الدعوة ص (٣٨٢) بتصرف

(٣) سورة هود آية (٢٧)

إن كنت تريد أن تجلس معك ولكن الله تعالى ينزل قرآناً يأمر فيه النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يستمر مع الفقراء والضعفاء وأن لا يستجيب لطلب هؤلاء المتكبرين فقال تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين) (١) بل لقد حذرنا الله تعالى من طاعة هؤلاء المتكبرين فقال تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً) (٢)

(٢) حب الرئاسة والجاه:

إن المملأ يحبون التسلط على رقاب الخلق وإذلال الناس ، لذلك فهم يعارضون كل دعوة تسلبهم مكانتهم وتجعلهم متساويين بالآخرين ، ودعوات الرسل ما هي إلا دعوة للمساواة بين الناس وأهم أمام الله سواء وأنه يجب العدل بينهم والظلم محرم عليهم .

ونجد ذلك في دعوة سيدنا -نوح عليه السلام- فقد عارض المملأ دعوته وكانت الحجة أن نوحاً يريد أن يتفضل عليهم قال تعالى (فقال المملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لآنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آباءنا الأولين) (٣)

فهم يدافعون عن رياستهم وتسلطهم على رقاب الخلق ، فيتهمون نوحاً بأنه يريد أن يتفضل عليهم ، وليس عليهم هم وإنما على الضعفاء من قومه ، وهم بذلك يريدون أن يصدوا الناس ويصرفوهم عن دعوة نوح لتبقى لهم الرياسة والسيادة . (٤)

(١) سورة الأنعام آية (٥٢)

(٢) سورة الكهف آية (٢٧)

(٣) سورة المؤمنون آية (٢٤)

(٤) المرجع السابق ص (٢٨٥) بتصرف

ونأخذ مثلاً من القرآن الكريم قال تعالي (وانطلق الملائمة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد) (١)، أورد ابن كثير في تفسيره في معنى هذه الآية فقال "إن الملائمة من قريش قالوا إن هذا الذي يدعوننا إليه محمد-صلى الله عليه وسلم- من التوحيد لشيء يريد به الشرف والاستعلاء عليكم، وأن يكون له منكم أتباع ولسنا نجيئه" (٢)

فرفضوا دعوة النبي-صلى الله عليه وسلم- متعللين بأنه يريد الرياسة لنفسه، وحاشا أن يكون رسل الله يطلبون الرياسة أو الجاه وإنما هم يريدون هداية الناس إلى الطريق المستقيم .

(٣) الجهالة:

وهذا هو السبب الثالث الذي من أجله يرفضون دعوة الرسل ، فهم غارقون في الجهالة ، يرفضون دعوة كل مصلح عاقل ، ويرمون أصحابها بالسفاهة وخفة العقل ، وإن الرسل هم الذين يريدون أن يفسدوا في الأرض ، ونجد هذا في دعوة سيدنا موسى-عليه السلام- لفرعون ، قال تعالي (وقال الملائمة من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون) (٣)

فهم يعتبرون موسى-عليه السلام- مفسداً في الأرض هو ومن معه ، وإن فرعون ومن معه هم المصلحون ، وهذا يوضح جهلهم الذي فيهم وهم به متمسكون . إن الملائمة فهم وأخلاقهم التي وصفها القرآن موجودون في كل زمان ومكان ، وهم يقفون ضد كل نداء خير أو دعوة إصلاح ، ويجارونها ويدافعون عن كثيرهم وجهلهم وحبهم للرياسة ، ويخافون على مكانتهم ومراكزهم الاجتماعية ، ويظنون أن اتباعهم للدعاة سوف يسلبهم مكانتهم . (٤)

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص (٢٧) بتصرف

(٤) أصول الدعوة ص (٣٨٧) بتصرف

(١) سورة ص آية (٦)

(٣) سورة الأعراف آية (١٢٧)

الجمهور:

وهم معظم الناس لأن الملائ الذين ذكرناهم هم في العادة قلة أمام غيرهم ، فالجمهور هو أكثر الناس ، وهم أسرع من غيرهم في الاستجابة وهم أتباع الرسل المؤمنون بهم قبل غيرهم ، وهذا ما قاله هرقل لأبي سفيان عندما سأله عن النبي-صلى الله عليه وسلم- أيتبعه أشرف الناس أم ضعفاؤهم؟ فقال له أبو سفيان بل ضعفاؤهم ، فقال هرقل هم أتباع الرسل ، وهذا ما قاله الملائ من قوم نوح قال تعالي (ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا) (١)

والسبب في أن جمهور الناس هم أسرع الناس استجابة للحق وقبولا لدعوة الله تعالي أنهم ليس عندهم ما يمنعهم من الإيمان ، مثل الكبر والجهل وحب الرياسة الذي هو موجود عند الملائ ، ومع أن الجمهور كما قلت مهياً لكي يستجيب للدعاة وأسرع من غيرهم ، ولكن للأسف يتأثر الجمهور بالملائ ، خصوصا إذا كان الملائ يستعمل الحيل والأكاذيب ، وهذا نجده واضحا في دعوة سيدنا موسى-عليه السلام-فها هو فرعون يدعو قومه لرفض دعوة موسى وعدم الإيمان ، والنتيجة هي استجابة الجمهور له قال تعالي (فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين) (٢)

وهناك أسباب تجعل الجمهور يتابع الملائ ولا يستجيب للحق وهذه الأسباب هي :

(١) الخوف :

فالملائ يملك القوة والنفوذ والمال وبهما يستطيعوا أن يرهبوا الناس ويخوفنهم إن هم خرجوا عن طاعتهم ، والسير ورائهم قال تعالي (فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأهم أن يفتنهم إن فرعون لعال في الأرض وإنه من

المسرفين) (٣) (٤)

(١) سورة هود آية (٢٧)

(٢) سورة الزخرف آية (٥٤)

(٣) سورة يونس آية (٨٣)

(٤) أصول الدعوة ص (٣٩٠) بتصرف

فالخوف من بطش فرعون ~~وملائكته~~ منع أكثر الناس من الإيمان بموسى -عليه السلام- وأيضاً قوم عاد لم يؤمنوا وأنكروا آيات الله تعالى، والسبب هو الخوف قال تعالى (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد) (١)

٢) الإغراء بالمال :

إن حطام الدنيا يجعل جمهور الناس يسيل لعابهم فلا يؤمنوا، ولأن المملأ يملكون المال فيلوحون بما يملكون إلي الجمهور لكي يتبعوهم على باطلهم قال تعالى (قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزد ماله وولده إلا خساراً) (٢)

فها هم جمهور الناس اتبعوا السادة أصحاب الرياسة والأموال على أمل الحصول على شيء من أموالهم، وها هم كفار قريش يعرضون على النبي المال ~~والملك~~ والجاه لكي يترك دعوته ولكنه يقف شامخاً كالطود العظيم، ويرفض عرضهم في إباء قائلاً لهم [والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه] (٣)

٣) الشبهات:

وهذا أيضاً من الأسباب التي تدفع جمهور الناس إلي عدم الإيمان وإلي عدم اتباع الحق، وذلك لأن المملأ لا يكتفي بالإغراء والتخويف ولكنه يلجأ إلي إثارة الشبهات حول الدعوة أو حول الدعوة ذاتها لكي ينفذ الناس عن الدعوة وعن الدعوة قال تعالى (وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) (٤)، فموسى في نظر فرعون مفسد في الأرض وهكذا فمرة يرمون الدعوة بالجنون ومرة بالكذب ومرة بالسحر ومرة بالسفاهة وهذه الشبهات على بطلانها فإنها تؤثر في الجمهور، وذلك لأن المملأ يلقىها بأسلوب ناعم مزخرف ليزيد من تضليله وإغرائه للجمهور. (٥)

(٢) سورة نوح آية (٢١)

(٤) سورة غافر آية (٢٦)

(١) سورة يونس آية (٨٣)

(٣) سيرة ابن هشام ج ٢ ص (٣)

(٥) أصول الدعوة ص (٣٩٤) بتصرف

المنافقون:

المنافق هو الذي يظهر غير ما يبطن ويخفيه، فإن كان الذي يخفيه التكذيب بأصول الإيمان فهو المنافق الخالص وحكمه في الآخرة حكم الكافر، أما إن كان يخفي غير الكفر بالله وكتابه ورسوله فهو الذي فيه شعبة من النفاق، والذي نقصده في بحثنا هذا هو المنافق الخالص الذي يخفي كفره بالله ورسوله.

البيئة التي يوجد فيها المنافق:

عندما تنتصر الدعوة إلى الله في المجتمع الكافر وتعلو كلمة الله، وتذهب سلطة الكفار وتكون القوة والمنعة للمسلمين عندها يوجد النفاق والمنافقون، وعلى ذلك لا يظهر النفاق إلا في حالة غلبة الحق وسيطرته، ولهذا لم يكن هناك نفاق في مكة ولكنه ظهر في المدينة، وذلك لأن المسلمين كانوا قلة في مكة مستضعفين لا حول لهم ولا قوة ولا سلطان لهم، وإنما السلطان لكفار قريش، ولكن بعد الهجرة صار للمسلمين قوة وسلطة فظهر النفاق.

علامات المنافق:

□ مرض القلب:

قال تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) (١)، فمرض القلب نوع من الفساد يصيب القلب فيختل إدراك صاحبه فيجعل صاحبه يرى الباطل ولا يرى الحق، ويجب الضار ويكره النافع، وأدنى شيء يثير شهوته قال تعالى (ولا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض) (٢)، وأدنى شبه تثير الشكوك عنده وأدنى فتنة تزلزله وترده على عقبيه قال تعالى (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم) (٣)

(١) سورة البقرة آية (١٠)

(٢) سورة الأحزاب آية (٣٢)

(٣) سورة الحج آية (٥٣)

□ الإفساد في الأرض:

قال تعالي (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) (١)، فهم يفسدون ولا يشعرون أنهم مفسدون بل ويحسبون أنفسهم من المصلحين، والفساد هو الكفر قولا وعملا، وصلاح الأرض بالطاعة وفسادها بالمعصية، وفساد المنافق كفره وشكّه وتكذيبه ومخادعته .

□ رميهم المؤمنین بالسفه:

قال تعالي (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) (٢)، والسفيه هو الجاهل الضعيف الرأي القليل المعرفة، ولكن الحقيقة كما أخبر الله تعالي أنهم هم السفهاء ولكن من تمام جهلهم لا يعرفون ما فيهم من الضلالة والجهالة والسفه .

□ موالاة الكافرين والتربص بالمؤمنين:

قال تعالي (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتنون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا .. الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) (٣)

المنافق يوالي الكافر ويوده ويقول له إذا خلا به أنا معك، وينتظر المنافق ذهاب دولة المسلمين وظهور الكفار، ولكن يحاول أن يظهر أنه مع المسلمين فيصانع المسلمين وينافق مع أنه في الحقيقة مع الكفار، وهو يريد أي مكسب سواء من الكفار أو من المسلمين. (٤)

(١) سورة البقرة آيات (١٢، ١١)

(٢) سورة البقرة آية (١٣)

(٣) سورة النساء آيات (١٣٨، ١٣٩، ١٤١)

(٤) أصول الدعوة ص (٣٩٩) بتصرف

□ الخداع والرياء والتكاسل:

قال تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذنبين بين ذلك لا إلي هؤلاء ولا إلي هؤلاء ومن يضل الله فلن تجد له سيلا) (١)

إن خداعهم لله هو في اعتقادهم وظنا منهم أن خداعهم كما راج على الناس فسوف يروج عليه- سبحانه وتعالى- وهذا محض جهل منهم لأن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، ومن صفاتهم ثقافتهم عن الصلاة وكسلهم عند ذكر الله تعالى ، وإنما عبادتهم أساسا على وجه الرياء وليست عبادة منهم لله تعال ، وقد وصف النبي- صلى الله عليه وسلم- عبادتهم فقال [تلك صلاة المنافق يكررها ثلاث- يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلا] (٢) والمنافق متحير فلا هو مع المؤمنين ظاهرا وباطنا ، ولا هو مع الكافرين ظاهرا وباطنا .

□ التحاكم إلى الطاغوت :

قال تعالى (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا) (٣)

(١) سورة النساء آية (١٤٢)

(٢) صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث (٩٨٧) عن أنس بن مالك ، سنن الترمذي كتاب الصلاة حديث (٢٤٨)

(٣) سورة النساء آيات (٦٠، ٥٩)

□ الإفساد بين المؤمنين:

قال تعالي (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين) (١)، يحرص المنافقون على إضعاف المسلمين وتفريق صفوفهم واشغالهم فيما بينهم ، قد يجزن المسلمون على عدم انضمام بعض الناس إليهم ، ظنا منهم أنهم منهم وأنهم ينفعوهم إذا خرجوا معهم، ولكن الله تعالي يعلم غير ذلك ويعلم أنهم لو خرجوا مع المسلمين لأوقعوا الخلاف بين المسلمين وذلك بالسعي بالنميمة والفتنة وللأسف في المسلمين من يسمع لهم ويستجيب لحديثهم .

□ يعييون أهل الحق ويرضون ويسخطون لحظوظ أنفسهم:

قال تعالي (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم) (٢)، فهم دائما يعييون على المؤمنين ويطعنون فيهم ولا يرضيهم شيء ، فإن تصدق واحد بالمال الكثير قالوا مرء ، وإن تصدق بالقليل قالوا إن الله غني عن صدقة هذا، وهم دائما يسخرون من المؤمنين ويستتهزون بهم .

قال تعالي (ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) (٣)،

فهم يطعنون في أهل الحق وفي أعمالهم ، فهم يكرهون الحق والعدل ، ويرضون لأنفسهم ويسخطون لأنفسهم ، فمن أعطاهم رضوا عنه ومن منعهم سخطوا عليه حتى ولو كان ذلك المنع حقاً، وهذا كان ديدانهم مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما تخبرنا الآية الكريمة ، وشأنهم في كل زمان . (٤)،

(١) سورة التوبة آية (٤٧)

(٢) سورة التوبة آية (٧٩)

(٣) سورة التوبة آية (٥٨)

(٥) أصول الدعوة ص (٤٠١) بتصرف

□ الغدر وعدم الوفاء بالعهد:

قال تعالي (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) (١)

هذه هي صفات المنافق غدر وخيانة وعدم الوفاء بالعهد حتى مع الله عز وجل، وهذا بخلاف المؤمن فإن الكلمة تلزمه ولا يغدر ولا يخون بل يفي بعهده مع الناس ومع رب الناس .

□ الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:

قال تعالي (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون) (٢)

من صفات المنافقين أنهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، لأن نفوسهم المريضة لم تعد ترغب في رؤية الخير يعمله الناس، فهم يحبون أن يشيع الشر والمنكر بين الناس، وهذا الذي تمواه نفوسهم ويشفي حقدهم وغيظهم، وحتى يتساووا مع الناس في فعل القبيح .

□ ترك الجهاد في سبيل الله تعالي :

قال تعالي (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) (٣)

فمن صفات المنافق عدم الفهم وعدم المعرفة وعدم الفقه فهو يترك الجهاد ويفرح بذلك، ويوصي غيره بذلك ظنا منه أنه يحمي نفسه ويحمي غيره من الحر والحقيقة أنه يعرض نفسه وغيره لنار أشد حرا مما هربوا منها. (٤)

(٢) سورة التوبة (٦٧)

(١) سورة التوبة آية (٧٥:٧٧)

(٤) أصول الدعوة الدكتور/ عبد الكريم زيدان ص (٤٠١) بتصرف

(٣) سورة التوبة آية (٨١)

العصاة:

هم صنف من أصناف المدعوين عندهم إيمان ولكن يقصرون في تنفيذ الأوامر أو يخالفونها أو يفعلون بعض المنهيات وهم درجات كثيرة ومتنوعة .

والمسلم غير معصوم من المعصية قال تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)(١) وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [كل ابن آدم خطاء وخير الخطاءين: التوابون] (٢) فالمطلوب هو عدم الإصرار على المعصية والتعجيل بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى .

أسباب معصية المسلم لربه:

- ١- ضعف الإيمان في قلبه فتغلبه الشهوة ويقبل إغراء الشيطان فيرتكب المعصية .
- ٢- جهل العاصي بربه ولولا جهله لما عصى قال تعالى (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً) (٣)

موقف الداعي من العاصي:

الداعي ينظر إلى العصاة نظرة إشفاق ورحمة فهو يراهم كالواقفين على حافة واد عميق في ليلة ظلماء يخاف عليهم الوقوع ، فهو يعمل جهده على تخليصهم وحمايتهم من السقوط ، وهو كالطبيب الذي يحرص على شفاء المرضى ، فالداعي يسلك مع هؤلاء العصاة كل السبل حتى يرجعهم إلى الطاعة والهداية .(٤)

هذه هي بعض أصناف المدعوين وضعتها بين يدي الداعي لكي يعرف من يدعوهم ويحاول أن يعاملهم على حسب أحوالهم ومعرفة الداعي للمدعو تقصر عليه كثيراً من الطرق وتسهل عليه أمر الدعوة .

(١) سورة الشمس آيات (١٠:٧)

(٢) سنن الترمذي كتاب صفة القيامة والرفائق والورع حديث (٢٤٢٣) عن أنس

(٤) سورة النساء آية (١٧)

(٥) (٤) أصول الدعوة ص (٤٠٨) بتصرف

الخاتمة

الخاتمة

بعد العرض والطواف مع الدعوة والدعاة والأسس العلمية والتطبيقية نخلص إلى

النتائج التالية :-

١. أهمية الدعوة إلى دين الله تعالى خصوصا في عصرنا ، العصر الذي كثرت فيه الفتن والمذاهب الهدامة ، والأفكار السيئة ، وذلك لإحقاق الحق ودحض الباطل ، وإعلاء كلمة الله تعالى .
٢. الدعوة إلى دين الله تعالى واجب كفائي إذا قام به البعض سقط عن الباقي .
٣. الهدف من الدعوة الإسلامية هو إصلاح المجتمع ونشر الفضيلة وبث مكارم الأخلاق بين الناس .
٤. إعداد الداعية الكفاء ، وتأهيله للقيام بمهمته على أكمل وجه وأحسن صورة .
٥. تقديم الإسلام في صورة صحيحة معتدلة وذلك سيكون سببا في قبول الناس له .
٦. ونحن في عصر العلم والتقدم العلمي المذهل على الداعية أن يسلك في دعوته الأسلوب العلمي الحديث ، ويواكب العصر الحديث وتطوره .
٧. إن من أهم عوامل نجاح الدعوة إتباع الأساليب العلمية الحديثة من دراسة وتخطيط، وتحديد الأهداف .
٨. يجب على الداعية أن ينوع أساليب الدعوة ، فيجعل الحكمة متقدمة لكل أسلوب وخصوصا في المجادلة ، ولا يهمل الموعظة بالحسنى .
٩. عدم الاستهانة بالقصة في تبليغ الدعوة ، مع الإكثار من ضرب الأمثلة إقتداء بالقرآن الكريم الذي اهتم بالقصص والأمثلة .
١٠. استخدام أسلوب الترغيب والترهيب اتباعا لمنهج القرآن الكريم ، والحذر من الأخذ بواحد منهما مع ترك الثاني ، أو الإفراط فيهما .
١١. الاهتمام بالخطبة لأنها تعتبر العمود الفقري للدعوة في عصرنا الحالي ، ورفع مستوى الخطيب علميا وثقافيا .

١٢. الإكثار من عقد المحاضرات والندوات لإزالة الغموض عن القضايا الإسلامية التي تثار على المستوى المحلي والمستوى العالمي .
١٣. إقامة المناظرات بين علماء الإسلام وغيرهم من أهل الملل والأفكار الهدامة والمذاهب الباطلة لدحض الباطل وإحقاق الحق .
١٤. تقديم الإسلام بالصورة الحسنة ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي تشاع عنه من أنه دين الإرهاب والتطرف والتعصب .
١٥. على الداعية أن يستغل كل فرصة تسنح له لتقديم الإسلام أو لنشر فضيلة أو الأمر بمعروف أو النهي عن المنكر ، ولا يضيع وقته إلا في الدعوة لدين الله تعالى .
١٦. الداعية هو المصلح الاجتماعي فهو يخالط الناس ، ويغشى مجالسهم واجتماعاتهم ، ويشاركهم في أفراحهم وأحزانهم ، ويدعوهم ويقوم المعوج ويصلح العيوب .
١٧. في العصر الذي تقدمت فيه وسائل الطباعة وأصبحت ميسورة ومتاحة للجميع ، يجب على الدعاة أن يسخروها في خدمة الدعوة فتكتب الكتب وتنشر الأبحاث ، وتخرج بيانات لكل ما يجد على الساحة لتمييز الحق من الباطل .
١٨. تسخير الأجهزة الحديثة في خدمة الدعوة ، سواء أكانت هذه الأجهزة مرئية أو مسموعة .
١٩. عمل قنوات فضائية دينية على غرار إذاعة القرآن الكريم والتي تبث تعاليم الإسلام وآدابه ، والتي أثبتت نجاحها في العالم الإسلامي .
٢٠. الاشتراك في شبكة الإنترنت وتخصيص مكان فيها لبث التعاليم الإسلامية ، ويكون في متناول الأيدي وحاضر في أي وقت .
٢١. تسجيل أحكام الإسلام ومبادئه على أقراص الليزر وتوزيعها مجاناً على المسلمين .
٢٢. طباعة الكتب الإسلامية بجميع اللغات ونشرها في جميع دول العالم لإفادة المسلمين وغير المسلمين .

٢٣. الاهتمام بسير الأنبياء والمرسلين وقصصهم مع قومهم .
٢٤. الاقتداء بالأنبياء والمرسلين والسير على طريقتهم وخاصة أولي العزم منهم .
٢٥. اتباع نهج الأنبياء في الدعوة لدين الله تعالى ، والأخذ بأساليبهم في الدعوة .
٢٦. دراسة سير الصحابة والتابعين الذين كانت لهم آثار واضحة في الدعوة ، والاستفادة من منهجهم في الدعوة .
٢٧. التعرف على أبرز الدعاة في العصر الحديث الذين لهم دور في نشر الدعوة الإسلامية ، والدفاع عنها والوقوف أمام أعدائها بالمرصاد ، ورد كيدهم .
٢٨. ونحن في عصر توازن القوى لابد للدعوة من قوة تحميها وتحمي أتباعها ، ولا بد للداعي أن يكون له ركن شديد يأوي إليه .
٢٩. مهمة الإسلام في الأرض إصلاح المجتمع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
٣٠. لم ينشر الإسلام بحد السيف كما زعم المستشرقون وإنما هو دين رحمة وسماحة والتاريخ يثبت ذلك ويؤكدده .
٣١. الرد على مزاعم المستشرقين والمبشرين الذين يثرون الشبهات حول الإسلام ونبي الإسلام وحملة الإسلام .
٣٢. العمل على إصلاح الأزهر وتمكينه من أداء مهمته التي بني من أجلها وهي حفظ التراث الإسلامي ونشر الدعوة في الداخل والخارج .
٣٣. إخلاص الدعاة في دعوتهم وخوفهم من الله تعالى وحده سوف يجعل لهم كلمة مسموعة ومهابة في قلوب الناس .

٣٤. التنسيق بين أجهزة الدعوة في الداخل والخارج يجعل الدعوة تؤدي ثمارها وتصل إلي الهدف منها .
٣٥. الأخذ بكل الأسباب التي تؤدي إلي نجاح الدعوة سواء كانت هذه الأسباب مادية أو معنوية .
٣٦. اتصاف الداعية بالصفات التي تؤهله للقيام بالدعوة على أكمل وجه ، سواء أكانت هذه الصفات إيمانية أو أخلاقية أو علمية .
٣٧. الداعي هو أساس الدعوة فيجب تذليل الصعاب التي تواجهه وتأمينه مادياً وأديباً ومعنوياً .
٣٨. موافقة قول الداعية لعمله ضروري ، لأن الناس يقتدون به وينظرون لفعله أكثر مما يسمعون لقوله ، وربما كان داعياً بالفعل لا بالقول .
٣٩. على الداعية أن يتعرف على من يدعوهم حتى يستطيع التعامل معهم والتأثير فيهم ، والتزول لمستواهم ، وإعطاءهم الدواء الذي يؤثر فيهم .
٤٠. على الداعية أن يكون فطناً ليعتد كسباً ، يعرف الخداع من الحقيقة ، ويميز بين من يريد الإسلام والمسلمين بخير ممن يمكر ويدبر المكائد للإسلام والمسلمين .
٤١. احتساب الداعية عمله لله وطلبه أجره من الله تعالى ، وعدم جعل الدعوة وظيفة يقتات منها .

المراجع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المراجع

(١) حرف (أ)

- ١ . القرآن الكريم .
- ٢ . انتشار الإسلام والدعوة الإسلامية - العز رفاعى محمود - دار الرسالة بيروت.
- ٣ . الأخلاق فى الفلسفة الحديثة - القسم الثانى من مشكلة الفلسفة الأخلاقية .
- ٤ . الدعوة الإسلامية وأصولها ووسائلها - د/ أحمد غلوش - مطبعة نهضة مصر .
- ٥ . المصباح المنير - الرفاعى - دار المعارف .
- ٦ . إحياء علوم الدين - للغزالي - دار الشعب .
- ٧ . الأهداف الرئيسية للدعاة - أحمد بن عبد العزيز وجاسم بن محمد بن مهلهل - دار الوفاء مصر - دار الدعوة الكويت .
- ٨ . الإشارات الإلهية - أبو حيان التوحيدى .
- ٩ . البداية والنهاية - ابن كثير - دار الفكر العربى .
- ١٠ . الفوائد - ابن القيم مكتبة المنتبى بالقاهرة .
- ١١ . الدعوة الإسلامية علما وعملا للشيخ إبراهيم الدسوقي - العدد الثامن عشر ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م - مطابع الأوفست .
- ١٢ . الحصيلة اللغوية وأهميتها - مصادرها - وسائل تنميتها . أحمد محمد المعتوق - سلسلة عالم المعرفة العدد ٢١٢ الكويت أغسطس ١٩٩٦ م .
- ١٣ . الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام السهلى . مكتبة الكليات الأزهرية مؤسسة مختار للطبع والنشر والتوزيع .
- ١٤ . القاموس القويم للقرآن الكريم د/ إبراهيم أحمد عبد الفتاح ج٢ - ١٤٠٤ هـ - مطابع الأميرية .
- ١٥ . الطبقات الكبرى للواقدي - دار الشعب .

- ١٦ . الإكليل في المتشابه والتأويل - ابن تيمية - مكتبة أنصار السنة المحمدية - مطبعة دار التأليف .
- ١٧ . أسد الغابة - ابن الأثير - دار الشعب - تحقيق محمد إبراهيم البنا وآخرون .
- ١٨ . الطبقات الكبرى - ابن سعد - دار الفكر .
- ١٩ . النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير - دار الفكر بدمشق .
- ٢٠ . الفتاوى - ابن تيمية - دار المنار .
- ٢١ . الترغيب والترهيب للمنذرى - زكى الدين عبد العظيم ابن عبد القوى - دار الحديث بجوار إدارة الأزهر .
- ٢٢ . الجهاد الإسلامى - دراسة فى نصوص القرآن .
- ٢٣ . السيرة النبوية لابن هشام - المكتب الثقافى .
- ٢٤ . الصحوة الإسلامية - أنور الجندى - دار الاعتصام للطباعة .
- ٢٥ . المنار الهادى فى الوعظ والخطابة - توفيق عبد العال حسين - الياس الكويت .
- ٢٦ . التعاون والتنسيق فى نشر الدعوة الإسلامية فى الخارج - جمال الدين محمود .
- ٢٧ . الدعوة الإسلامية التجربة والأخطاء والحل رؤوف شلبى - مطابع روز اليوشف .
- ٢٨ . الجهاد فى الإسلام منهج وتطبيق - رؤوف شلبى - مطابع الأزهر .
- ٢٩ . الإسلام - سعيد حوى - مكتبة وهبة - القاهرة .
- ٣٠ . المستطرف فى كل فن مستظرف - شهاب الدين محمد أحمد الأبشيهى - مكتبة الحياة - بيروت .
- ٣١ . أصول الدعوة د/ عبد الكريم زيدان - مكتبة القدس الشرقية المتحدة للتوزيع .
- ٣٢ . المصطفى من الدعاة - بد الحميد البلالى - دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة .
- ٣٣ . الخطابة وإعداد الخطيب - عبد الجليل شلبى - وزارة الأوقاف .
- ٣٤ . هداية الراشدين فى الوعظ والخطابة - على محفوظ / دار الاعتصام .
- ٣٥ . الداعية الشهيد الشيخ محمد الغزالى " نشأته وسيرته الذاتية " عبد الله المهدي - دار الاعتصام - القاهرة .

٣٦. الإعلام فى القرآن الكريم - د/ عبد القادر حاتم - دار الحديث .
٣٧. الدعوة الإسلامية والإعلام الدينى - د/ عبد الله شحاته - تصدرها الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف .
٣٨. الاستيعاب فى حياة الدعوة والداعية - فتحى يكن - درا الرسالة .
٣٩. التخطيط ودراسة فى مجال الإدارة الإسلامية - د/ فوناس الينا .
٤٠. أبو الأنبياء ومنهجه فى الدعوة إلى الله - أ.د/ محمود على حماية ١٩٨٥م - جامعة الأزهر أسبوط - الطبعة الأولى .
٤١. الإسلام عقيدة وشرعية - محمود شاتوت - الشروق القاهرة .
٤٢. أسس الدعوة وآداب الدعاة - د/ محمد السيد الوكيل - دار الرثاء للطباعة .
و دار المجتمع للنشر .
٤٣. الدين والدولة د/ محمد البهى - شعبان ١٤٠٠هـ - يونية ١٩٨٠م مكتبة وهبة - دار الغرب للطباعة .
٤٤. الدعاة والتخطيط - محمد عبد الله الخطيب - دار المنار الحديثة مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية - القاهرة .
٤٥. المنهج الحركى للسيرة النبوية - منير محمد الغضبان - مكتبة المنار .
٤٦. الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى - د/ محمد البهى - مكتبة وهبة للنشر - دار الغرب للطباعة - القاهرة .
٤٧. الإعلام الإسلامى بين النظرية والتطبيق - محمد على العلونى - دار الفكر العربى .
٤٨. الدعوة إلى الإسلام - محمد أبو زهرة - دار الفكر العربى .
٤٩. أسس الدعوة ووسائل نشرها - د/ محمد عبد القادر أبو فارس - مكتبة التراث .
٥٠. الدعوة إلى الله فقها ومنهجا - محمد زكى الدين قاسم - دار الصفوة .
٥١. الإعلام والدعوة الإسلامية - محمد كمال الدين - مجلة الأزهر - ذو القعدة ١٤٠٤هـ مطابع رز اليوسف .
٥٢. الخطابة أ.د/ محمود على حماية - أسبوط .

٥٣. الأزهر جامع وجامعة - محمد كمال السيد - مجمع البحوث الإسلامية .
٥٤. الأسس العلمية للكتابة رسائل الماجستير د/ محمد عبد الغنى سعودى - دار الفكر
٥٥. الأسس العلمية لكتابة رسائل الماجستير د/ محسن محمد الخضرى - دار
الوزان للطباعة والنشر .
٥٦. الإعلام الإسلامى وتطبيقاته العامية محى الدين عبد الحليم ١٩٨٤ م . دار
الفكر العربى .
٥٧. الإعلام الدينى فى تغير قيم الأسرة الدينية والحضرية د/ نوال عمر ١٩٨٤ -
مكتبة النهضة .
٥٨. أولويات الحركة الإسلامية فى الحركة القادمة د/ يوسف القرضاوى - مكتبة وهبة .
٥٩. الإيمان والحياة د/ يوسف القرضاوى - مكتبة وهبة .
٦٠. الحلول المستوردة وكيف جنت على أمننا د/ يوسف القرضاوى - مكتبة وهبة .
٦١. الإدارة العامة - عبد الفتاح دياب - دار التراث العربى .
٦٢. المعجم الوجيز - وزارة التربية والتعليم - مجمع اللغة .
٦٣. الإعلام الإسلامى الطباعى فى الدول الغير إسلامية - مرعى مذكور - دار المعارف
٦٤. أسس الدعوة وأساليبها د/ على جريشة - دار الوفاء للطباعة والنشر .
٦٥. الزهد للإمام أحمد بن حنبل - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
٦٦. المدخل لابن الحاج - دار الفكر .
٦٧. انجيل يوحنا - مطبعة دار الكتاب المقدس .
٦٨. المفردات فى غريب القرآن - للاصفهانى - دار الحديث .
٦٩. آدم عليه السلام - د/ بهى الخولى - مكتبة وهبة .
٧٠. الاستفادة من قصص القرآن - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع !
٧١. الصفات اللازمة للدعاة إلى الله - دار الوفاء مصر - دار الدعوة الكويت -
جاسم بن محمد بن مهلهل .
٧٢. الاعتصام - للشاطبي - مطبعة المنار مصر .

دار الفكر
دار الوفاء
دار الدعوة

٧٣. الصراط المستقيم - دار الحديث بالأزهر .
٧٤. الإتيان - السيوطي - دار عالم المعرفة .
٧٥. الحسن البصري - لابن الجوزي هدية مجلة الأزهر عدد محرم ١٤٠٨هـ - مطبعة رز اليوسف .
٧٦. البحر الرائق في الزهد والدقائق - أحمد قريد - مكتبة الصحابة .
٧٧. أسباب النزول - للواحدى - مكتبة المتنبى بالقاهرة .
٧٨. المسجد ومكانته - منصور الرفاعي عبيد - مطبعة الأوقاف .
٧٩. الإمام المراغي - أنور الجندي - مكتبة وهبة .
٨٠. أحكام القرآن - للجصاص الحنفى - دار الحديث .
٨١. الجزية - لابن تيمية - دار المنار للنشر والتوزيع .
٨٢. الرحيق المختوم - صفى الدين المباركفوري - مكتبة السنة ١٩٩٤ .
٨٣. الدين والحياة - وزارة الأوقاف .
٨٤. الأزهر فى ألف عام د/ أحمد محمد عوف - مطبعة البحوث الإسلامية .
٨٥. التعاون والتسيق فى نشر الدعوة الإسلامية فى الخارج د/ جمال الدين محمود - دار المعارف .
٨٦. أحكام القرآن - ابن العربي المالكي - دار الفكر العربى .
٨٧. المبسوط - للسرخسى - مؤسسة الرسالة - بيروت .
٨٨. العدالة العمرية - مطابع الأهرام التجارى .
٨٩. المقتصر فى علم البيان - دار الصفوة .
٩٠. الدعوة التامة - عبد الله بن علوى - دار الرسالة دمشق .
٩١. أصول التربية النبوية - مطبعة البحوث الإسلامية .
٩٢. الأم - للشافعى - دار الشعب .
٩٣. السيرة النبوية د/ محمد محمد أبو شهبه - دار الفكر العربى .
٩٤. الدلائل - للبيهقى - دار الحديث .

(٢) حرف (ب)

- ١ . بين عالم وطاغية - يوسف القرضاوى - مطبعة وهبة .
- ٢ . بيان الناس - الأزهر الشريف - مطابع وزارة الأوقاف .

(٣) حرف (ت)

- ١ . تبليغ الدعوة وما أثير حولها من شبهات د/ أحمد محمود مبارك - مطبعة الامانة مصر .
- ٢ . تاريخ الدعوة إلى الله بين أمس واليوم - آدم عبد الله الأرنؤطى - دار المنار .
- ٣ . تذكرة الدعاة د/ بهى الخولى - مكتبة دار التراث بالقاهرة - مطابع المختار الإسلامية
- ٤ . تاريخ الطبرى - أبو جعفر الطبرى - دار المنار .
- ٥ . تفسير الكشاف الذمخشري - دار الغد العربى .
- ٦ . تفسير المنار - محمد عبده - دار الشعب .
- ٧ . تاريخ الأزهر وتطويره - محمد مصطفى شحاتة ١٩٨٣م - مكتبة الأزهر .
- ٨ . تفسير القرطبي - دار أحياء التراث العربى .
- ٩ . تنبيه الغافلين - للنحاس - دار السلام للطباعة .
- ١٠ . توجيهاً للإسلام - محمود شلتوت - دار الشروق .
- ١١ . تيسير العلى القدير - دار الفكر .
- ١٢ . تذكرة الواعظين د/ أحمد محمد عبد الخالق - المركز العربى للنشر والتوزيع .
- ١٣ . تربية الأولاد فى الإسلام د/ عبد الله ناصح - دار السلام للطباعة والنشر .
- ١٤ . تفسير الخازن - دار المنار .
- ١٥ . تفسير الطبرى - دار الشعب .
- ١٦ . تفسير أبو السعود - دار الغد العربى .
- ١٧ . تفسير ابن كثير - دار احياء التراث .

(٤) حرف (ث)

- ١ . ثقافة الداعية د/ يوسف القرضاوى - مكتبة وهبة القاهرة .

(٥) حرف (ج)

١. جند الله ثقافة وأخلاق - سعيد حوى - المطبعة الفنية .
٢. جامع بيان العلم وفضله - دار الاعتصام .

(٦) حرف (ح)

١. حتى تكون خطيباً - الشيخ عبد الحميد كشك - دار النشر للطباعة والتوزيع - القاهرة
٢. حياة الصحابة - محمد يوسف الكاندهولى - دار الكتاب الإسلامى .
٣. حياة سعد بن معاذ - محمود شلبى - دار الشروق بيروت .
٤. حول قضايا الإسلام والعصر - د/ يوسف القرضاوى - مكتبة وهبة القاهرة.
٥. حيلة الأولياء وطبقات الأصفياء - الأصفهاني - دار المنار .

(٧) حرف (خ)

١. خطب - الشيخ محمد الغزالي فى شئون الدين والحياة - قطب عبد الحميد قطب - دار الاعتصام .
٢. خلق المسلم - الشيخ محمد الغزالي - العاشر ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م - دار الكتب الإسلامية .

(٨) حرف (د)

١. دراسات فى الدعوة والدعاة مع الله - الشيخ محمد الغزالي - دار الكتب .
٢. دعوة الرسل الشيخ محمد أحمد العدوى - دار الكتب الإسلامية .
٣. دراسات فن الخطابة - جميل أحمد الشودافى - أسبوط - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

(٩) حرف (ذ)

١. زاد الميعاد لابن القيم - مطبعة مصطفى البازى والحلبى بمصر .

(١٠) حرف (ر)

١. رجال حول الرسول - خالد محمد خالد - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٩م دار النشر للجامعات .

٢. رياض الصالحين النووي - دار السلام العالمية للطبع والنشر والتوزيع .
٣. رسالة للعاملين في حقل الدعوة إصدار دار الدعوة بالكويت .
٤. رسالة الأزهر بين أمس والغد - للدكتور يوسف القرضاوى - مكتبة وهبة .

(١١) حرف (س)

١. سبيل الدعوة والارشاد - محمود على حماية أسبوط .
٢. سيرة النبلاء للشرازى - دار الحديث .
٣. سنن النسائى - دار الفكر العربى .
٤. سلسلة كتاب الامثال الشعبية - محمد قنديل البقلى ط - دار المعارف .
٥. سنن الترمزى - مكتبة الايمان .
٦. سنن أبى داود - طبعة دار الريان للتراث .

(١٢) حرف (ش)

١. شرح الجامع الصغير - فتح القزير - دار الكتب الإسلامية .

(١٣) حرف (ص)

١. صفة الصفوة - عبد الرحمن الجوزى - دار الصفا .
٢. صفوة النفاسير - محمد على الصابونى - دار الرشيد - حلب سوريا .
٣. صفات المنافقين للرازى - دار المسلم للطباعة والنشر .
٤. صحيح مسلم - شرح النووي - طبعة دار الكتب العلمية بيروت .

(١٤) حرف (ط)

١. طريق العودة : عبد العظيم منصور - دار الدعوة .
٢. طبقات الفقهاء - مكتبة المختار الإسلامى .

(١٥) حرف (ع)

١. عدة الصابرين ونخيرة الشاكرين - ابن القيم - مكتبة المتنبه القاهرة .

٢. عالمية رسالة الأزهر - دار الحسينى هشام - البحث صادرة عن المؤتمر التاسع لمجتمع البحوث الإسلامية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م القاهرة .
٣. عمدة القارئ بدر الدين العيني - مكتبة الايمان .

(١٦) حرف (غ)

١. غيوم تحجب الإسلام - د/ محمد البهى ١٣٩٩هـ - ١٩٨٠م - مكتبة وهبة القاهرة .

(١٧) حرف (ف)

١. فقه الدعوة والاعلام - عمارة نجيب - مكتبة المعارف بالرياض ١٩٨٧م .
٢. فن الخطابة - د/ أحمد محمد الحوفى - نهضة - القاهرة .
٣. فن الأدب التلفزيونى - سمير الجمل - دار الشباب العربى .
٤. فقه السيرة - محمد الغزالى - دار الكتب الإسلامية - مكتبة المجلد العربى .
٥. فى ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق .
٦. فرسان المناظرة الشيخ عبد الحميد كشك - مكتبة الصحافة .
٧. فقه السيرة - د/ محمد سعيد البوطى - دار الفكر .
٨. فقه الدعوة فى إنكار المنكر - عبد الحميد البلالى - دار التوزيع والنشر الإسلامية مصر .
٩. فتح البارى بشرح صحيح الامام البخارى للامام ابن حجر العقلى - طبعة دار القلم للتراث .

(١٨) حرف (ق)

١. فقه الدعوة د/ محمد عمارة - المكتبة العصرية .
٢. قوى الشر المتحالفة - محمد البرهان - دار الوفاء للطباعة النشر والتوزيع .
٣. قصص الأنبياء - ابن كثير - دار القلم بيروت .
٤. قصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار - دار احياء التراث العربى بيروت .
٥. قضية الدعوة والجهاد - سلسلة مفاهيم - وزارة الأوقاف .

(١٩) حرف (ك)

١. كفاح شعب - محمد أمين حسونة - دار المعارف .

(٢٠) حرف (ل)

١. لسان العرب - لابن منظور - دار الفكر العربي .

(٢١) حرف (م)

١. من وحى القلم لمصطفى صادق الرافعى - دار المعارف .
٢. مرشد الدعاء إلى الله دراسة وتطبيق - أحمد محمد طاحون - دار الدعوة .
٣. مفاتيح الغيب - الرازى - دار الغد العربي .
٤. معالم الدعوة - إبراهيم حامد الأنصارى - جامعة الأزهر .
٥. مناهج البحث فى العلوم النفسية والتربوية - أ.د / رجب محمد علام -
١٤١٩-١٩٩٨ - دار النشر للجامعات .
٦. مذكرات فى رأى العام والاعلام - عبد الخبير محمود عطا - أسيوط - ١٩٩٣
٧. مع الأنبياء فى القرآن الكريم - د/ عفيفى عبد الفتاح طباره - دار العلم
للملايين - بيروت لبنان .
٨. منهج القرآن فى تربية المجتمع - عبد الفتاح عاشور دار الجيل للطباعة .
٩. ما ينتظره المسلمون من الأزهر فى القرن الخامس عشر - عطية صقر -
المؤتمر التاسع لمجتمع البحوث الإسلامية - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - القاهرة .
١٠. مخترعات فى الميزان - د/ محمد عدنان - دار المختار الإسلامى .
١١. مدراج السالكين لابن القيم الجوزى - دار الحديث القاهرة .
١٢. مناهج الدعوة وأساليبها د/ على جريشة - الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع
بالمنصورة .
١٣. مع الأنبياء والرسول د/ عبد الحليم محمود - دار المعارف .
١٤. موطأ الإمام مالك الكتاب الجامع - دار الحديث .

١٥. مع الله دراسات فى الدعوة والدعاء للشيخ الغزالى - دار الكتب الإسلامية.
١٦. مسند الامام أحمد - دار الحديث .
١٧. محاضرات فن الخطابة - جميل منصور الشودفى - أسبوط .
١٨. من روائع حضرتنا - مصطفى الشيمى - دار المعارف .

(٢٢) حرف (ن)

١. نور اليقين فى سيرة المرسلين - محمد الخضرى - دار الدعوة .
٢. نهج الدعوة وخطة التربية - د/ عدنان على رضا - دار السلام للنشر والتوزيع السعودية .

(٢٣) حرف (و)

١. وفيات الأعيان - لابن خلكان - دار الفكر العربى .
٢. وكالات الأنبياء - رؤية جديدة - د/ شفيق محمود عبد اللطيف - مكتبة وهبة.

دوريات

١. تربية النشئ فى ضوء السيرة النبوية - عبد الله بن إبراهيم الأنصارى - المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية .
٢. مجلة الأزهر شعبان ١٤٠٧هـ .
٣. منبر الإسلام فى مقال الجانب الإنسانى فى الرسول - صلى الله عليه وسلم -
٤. مجلة المنار الإسلامية ربيع الأول ١٤٢١هـ .
٥. مجلة منار الإسلام العدد الثالث ربيع الأول ١٤١٣ هـ .

الفهـ رس

الفهرس

رقم الصفحة

الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوعات
١	المقدمة
	الباب الأول
	الفصل الأول
١	المبحث الأول : الأسلوب العلمى وأهميته
٢	تعريف الأسلوب العلمى
٢	خصائص الأسلوب العلمى
٣	خطوات الأسلوب العلمى
	أهمية الأسلوب العلمى
٣	الأسلوب العلمى فى تبليغ الدعوة
٣	أهمية الأساليب العلمى فى تبليغ الدعوة
٥	الدراسة والتخطيط
٨	ضرورة التخطيط
٨	خصائص التخطيط
٩	فوائد التخطيط
٩	مقومات التخطيط
١٠	قواعد المنهج و التخطيط
١١	النية وصدق التوجه إلى الله
١١	الأهداف الواضحة المحددة
١٢	الوسائل والأساليب
١٣	نماذج من التخطيط
١٣	تحديد الأهداف
١٣	التمهيد للهجرة

١٤	خطة الخروج
١٦	تحديد الوسائل
١٦	تحديد الداء
٢٣	غاية الداعية

المبحث الثاني

٢٤	تبايع الدعوة بين الحكمة والموعظة الحسنة
٢٥	موقع الحكمة في دائرة الأهمية
٢٨	صور الحكمة
٣٠	مواقف الحكمة في حياة الأنبياء
٣١	مواقف الحكمة في حياة الصحابة والتابعين
٣٤	موقع الموعظة الحسنة في دائرة الأهمية
٣٥	نماذج من الموعظة الحسنة
٤٠	فنية الجدل القرآني في تبليغ الدعوة
٤٢	نماذج من الجدل القرآني
٤٥	العلاقة بين الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة

المبحث الثالث

٤٨	القصة والمثل أسلوبان من أساليب تبليغ الدعوة
٤٩	القصة القرآنية
٥٠	المميزات العامة للقصة
٥٨	نماذج من القصص القرآني
٦٧	نموذج من القصص النبوي
٦٩	المثل
٦٩	الفرق بين المثل والتشبيه
٧٠	الفرق بين المثل والحكمة

٧١	مميزات المثل
٧١	أقسام الأمثال في القرآن
٧٢	الفرق بين القصة والمثل
٧٢	الأمثال وسيلة الدعوة
٧٥	خصائص المثل في القرآن الكريم

المبحث الرابع

٨٠	الدعوة بالقدوة الحسنة
٨٠	تعريف القدوة الحسنة
٨٠	أهمية القدوة الحسنة
٨٢	شروط القدوة الحسنة
٨٨	أمثلة للقدوة الحسنة من حياة الرسول
٩١	نماذج من القدوة الحسنة في حياة الصحابة
٩٣	القدوة في مجال الدعوة

المبحث الخامس

٩٦	الترغيب والترهيب أسلوبان من أساليب الدعوة
٩٦	تعريف الترغيب
١٠٢	تعريف الترهب
١٠٢	الفرق بين الترغيب والترهب
١٠٢	نماذج من الترهب من الكتاب والسنة
١٠٧	من لوازم الترغيب والترهب
١٠٨	رأى التربية الحديثة في أسلوب الترغيب والترهب

الفصل الثاني

المبحث الأول

١١٠	وسائل تبليغ الدعوة
	وسائل الاتصال المباشر

١١٠	مفهوم الاتصال
١١١	مميزات الاتصال الشخصي
١١٢	الخطابة كوسيلة من وسائل تبليغ الدعوة
١١٢	تعريف الخطابة
١١٣	البناء الفني للخطابة
١١٤	العلاقة بين الخطبة - الوصية - الرأي
١١٥	عوامل نجاح الخطبة
١١٦	أنواع الخطابة
١١٩	تعريف الخطبة الدينية
١١٩	أهمية الخطابة كوسيلة من وسائل الدعوة
١٢٣	الفرق بين اللغة واللهجة
١٢٧	التزامن الحركي بين اللفظ والمعنى
١٢٧	العلاقة الدلالية بين اللفظ والمضمون
١٢٨	وسائل تنمية الثراء اللغوي
١٢٩	بيان الخطيب وحسن إيقاعه
١٣١	صفات تتعلق بهيئة الخطيب
١٣٣	الندوة
١٣٤	المحاضرة
١٣٦	المناظرة
١٣٨	الدرس
١٤١	العظة
١٤٣	الدعوة الفردية

المبحث الثاني

١٤٥	وسائل الاتصال الجماهيري الغير مباشر
-----	-------------------------------------

١٤٥	الكتاب
١٤٧	أهمية الكتاب الإسلامى المعاصر
١٥٠	البحث
١٥٢	المقال
١٥٣	البيان
١٥٤	الإذاعة
١٥٦	التلفزيون
١٥٨	الصحافة المدرسية والمسجدية
١٥٩	الملصقات واللافتات والمدليات
١٦٠	شريط الكاسيت
١٦١	شرائط الفيديو
١٦٢	الكمبيوتر
١٦٣	الإعلام الإسلامى ووسائل الدعوة الإسلامية
١٦٣	تعريف الإعلام الإسلامى
١٦٧	أهمية الإعلام الإسلامى

الباب الثانى

الفصل الأول

١٦٩	الاقتداء بسنن الأنبياء وبخاصة أولو العزم من الرسل
١٧٠	سيدنا نوح عليه السلام
١٧٢	منهج سيدنا نوح عليه السلام فى الدعوة إلى الله
١٧٥	صفات سيدنا نوح عليه السلام
١٧٨	تعرض سيدنا نوح للتهديد والإيذاء
١٨١	ما استفاد من دعوة سيدنا نوح عليه السلام
١٨٥	سيدنا إبراهيم عليه السلام

- ١٨٦ خصائص الرسالة ومؤهلاتها عن سيدنا إبراهيم
- ١٩١ جوهر دعوة سيدنا إبراهيم
- ١٩٢ دعوته لأبيه
- ١٩٦ دعوته لعبدة الكواكب
- ١٩٩ دعوته لعبدة الأصنام
- ٢٠٣ منهج سيدنا إبراهيم في الدعوة
- ٢٠٩ دعوة سيدنا موسى عليه السلام
- ٢٠٩ سيرة سيدنا موسى عليه السلام قبل البعثة
- ٢١٥ المحاور بين سيدنا موسى وفرعون
- ٢١٨ موقف فرعون بعد انتصار سيدنا موسى عليه السلام
- ٢٢١ نعم الله تعالى على بنى إسرائيل
- ٢٢٢ موعد موسى عليه السلام مع ربه وعبادة بنى إسرائيل للعجل
- ٢٢٤ عقاب بنى إسرائيل ثم العفو عنهم
- ٢٢٧ منهج سيدنا موسى في الدعوة
- ٢٣٣ الدروس والعبر والعظات من قصة سيدنا موسى مع قومه
- ٢٣٩ دعوة سيدنا عيسى عليه السلام
- ٢٣٩ ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام
- ٢٤٢ تكليف سيدنا عيسى عليه السلام
- ٢٤٣ منهج سيدنا عيسى في الدعوة
- ٢٤٥ الحواريون ودعوته سيدنا عيسى عليه السلام
- ٢٤٦ أسماء الحواريين الأثنى عشر
- ٢٤٨ خاتمة أمر المسيح عليه السلام
- ٢٥٢ أسباب سرعة انتشار المسيحية
- ٢٥٥ دعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

- ٢٥٥ حالة العرب قبل بعثة النبي محمد
 ٢٥٧ منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة
 ٢٦٠ الدعوة سرا
 ٢٧٩ أثر منهج النبي في تغيير المجتمع
 ٢٨٣ من صفات الرسول التي ساعدته على نشر الدعوة
 ٢٩٧ دروس وعبر من دعوة النبي
 ٣١٤ تعليق

الفصل الثاني المبحث الأول

- ٣١٥ أبرز الدعوة في عصر الصحابة
 ٣١٦ مصعب بن عمير
 ٣١٨ منهج سيدنا مصعب رضى الله عنه في الدعوة
 ٣٢١ عودة مصعب إلى مكة
 ٣٢٢ جهاد مصعب رضى الله عنه
 ٣٢٤ خاتمة حياة مصعب رضى الله عنه
 ٣٢٦ دروس وعبر من حياة مصعب
 ٣٢٧ سعد بن معاذ
 ٣٢٨ جهاد سيدنا سعد بن معاذ
 ٣٣١ تحكيم سعد في بنى قريظة
 ٣٣٣ دروس وعبر من حياة سيدنا سعد بن معاذ
 ٣٣٤ خاتمة سعد بن معاذ رضى الله عنه

المبحث الثاني

- ٣٣٦ بعض الدعوة من التابعين
 ٣٣٦ حسن البصرى رضى الله عنه

٣٣٧	منهجه فى الدعوة
٣٤٠	بعض مواظ ووصايا الحسن البصرى
٣٤٠	وفاته رضى الله تعالى عنه
٣٤١	سعيد بن جبير
٣٤٣	منهجه فى الدعوة
٣٤٤	مقتل سعيد بن جبير
٣٤٧	تعقيب
٣٤٨	سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم
٣٥٠	منهجه فى الدعوة

المبحث الثالث

	أبرز الدعوة المعاصرين
٣٢٥	الشيخ محمد الغزالى
٣٥٣	شخصيات أثرت فى حياته
٣٤٥	المناصب التى تقلدها
٣٥٥	المؤتمرات و الندوات التى شارك فيها
٣٥٦	أسلوبه فى الدعوة
٣٥٩	تعليق

الفصل الثالث

٣٦١	الجهاد وأثره فى تبليغ الدعوة الإسلامية
٣٦١	تعريف الجهاد
٣٦٢	مراحل تشريع الجهاد فى سبيل الله
٣٦٦	فضل الجهاد فى سبيل الله
٣٦٨	أنواع الجهاد
٣٧٢	أسباب الجهاد

- ٣٧٣ قواعد ومبادئ الجهاد
 ٣٩٨ أثر الجهاد في الدعوة إلى الله
 ٤٠١ شبهات حول الجهاد والرد عليها

الفصل الرابع

- ٤٠٤ المؤسسات الدعوية في الداخل والخارج
 ٤٠٥ المسجد ودوره في الدعوة
 ٤١٣ وسائل النهوض بالمسجد
 ٤١٤ الأزهر كمسجد جامع وجامعة
 ٤١٦ الأزهر في مقاومة الاحتلال والاستعمار
 ٤٢٠ أسباب قوة الأزهر في العهد السابق
 ٤٢١ دور الأزهر في الدعوة الإسلامية
 ٤٢٢ المؤسسات التابعة للأزهر
 ٤٢٥ أسباب نجاح الأزهر قديما
 ٤٢٦ مقترحات للنهوض بالأزهر

الباب الثالث

الفصل الأول

المبحث الأول

- ٤٣١ مفهوم التبليغ

المبحث الثاني

- ٤٣٣ أهمية التبليغ

- ٤٣٣ غاية التبليغ

المبحث الثالث

- ٤٣٨ حكم تبليغ الدعوة

- ٤٤٠ أدلة وجوب تبليغ الدعوة

- ٤٤١ آراء العلماء في وجوب تبليغ الدعوة

٤٤٤	شبهات حول تبليغ الدعوة والرد عليها
	الفصل الثاني
	المبحث الأول
٤٤٧	الدعوة الإسلامية
٤٤٧	تعريف الدعوة
	المبحث الثاني
٤٥١	الداعى
٤٥١	تعريف الداعى
٤٥٢	صفات الداعية
٤٨٤	تنبيهات للدعاة فى مجال التاريخ
	المبحث الثالث
٤٨٦	المدعو
٤٨٦	تعريف المدعو
٤٨٦	واجب الداعى تجاه المدعو
٤٨٨	أصناف المدعوين
٤٩٢	الملا
٤٩٣	الجمهور
٤٩٥	المنافقون
٤٩٥	البيئة التى يوجد فيها المنافق
٤٩٥	علامات النفاق
٥٠٠	العصاة
٥٠٠	موقف الداعى من العاصى
٥٠١	الخاتمة
٥٠٥	قائمة المراجع
٥١٦	الفهارس